دار الثقافة

التفسير الحديث للكتاب المقدس

العهد الجديد

إنجيل

لوقا



التفسير الحديث للكتاب المقدس

العهد الجديد

إنجيل

لوقا

بقلم

القس ليون موريس

ترجمة

نيكلس نسيم

المحرر المسئول

جوزيف صابر



Luke:

An introduction and Commentary

By: The Rev. Canon Leon Morris

This book was first published in England by Inter-Varsity Press.

Translated by permission and published in Arabic, 1991.

طبعـــة أولـــى

صـــدر عن دار الثقافـة - ص . ب ١٢٩٨ - القاهـرة

١٠ / ٤٩٥ ط١ / ٥ - ٥ / ١٩٩١

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٥٥٠ / ١٩٩١

جمع فـى صـوبـرس .

طبـع بمطبعـة دار نوبـار للطبـاعـة - شـبـرا - القاهـرة .

مجلس التحرير



محتويات الكتاب



مقدمة

تحرص دار الثقافة على تقديم كلمة الله مشروحة للقاريء العربي . فإن العالم العربي لا يوجد فيه تفسير واحد كامل حتى الآن للكتاب المقدس كله . إن الموجد حاليًا هو أجزاء غير كاملة . وقد رأت دار الثقافة أن توفر للقاريء العربي مرجعًا كاملاً للكلمة المقدسة .

وقد اختارت دار الثقافة المسيحية Tyndale Commentaries وهي تشمل العهدين القديم والجديد . ودار الثقافة تقدم المجموعة كلها بالإتفاق مع الناشر الأصلي وهو Inter - Varsity Press وكان سبب الاختيار إنها مختصرة ومركزة ، محافظة لاهوتيًا ، متمسكة بالأسس الكتابية الهامة ، تهتم بالنص الذي يعاون الدارس على الدراسة ، كما يعاون الواعظ على اكتشاف الأفكار الوعظية .

قد جاء هذا التفسير ، رغم إهتمامه بتفسير النص ، والرجوع إلى اللغات الأصلية التي صدر فيها الكتاب المقدس ، لكنه تفادى كثيرًا من التعقيدات الدراسية . وقد اهتم هذا التفسير بإلقاء الضوء على المعاني ، ليكتشف القاريء ما هو المقصود بالمعنى .

قد إهتم هذا التفسير ، بأن يدرس الكتاب المقدس فقرات فقرات . ليوضح المعاني العامة المقصودة ، ثم شرح الآيات ، آية آية ، وفي حالة وجود مشكلات معينة حاول الاسهاب في شرحها .

كما اهتم التفسير ، بكتابة مقدمة كل سفر ، توضح الكاتب ، وتاريخ الكتابة ، وظروفها . إن مقدمة السفر ، تعاون الدارس أن يعرف الظروف المحيطة بالسفر ، والموضوعات الرئيسية فيه .

اشترك في كتابة التفسير مجموعة من العلماء العظماء المدققين ، الذين قدموا الدراسة ، بعمق وبأمانة . كما أشرف على تحرير العهد القديم D. J. Wiseman والعهد الجديد R. V. G. Tasker & Leon Morris

ودار الثقافة ترجو أن يجد القاريء في هذه السلسلة من الكتب مرجعًا مفيدًا ، يعاونهم على التعمق في كلمة الله ، وإدراك المعاني العظيمة من خلالها ، فيعاونهم في التعمق في المعرفة والفهم الروحي .

دار الثقافة

مقدمة

إلى وقت قريب ، لم يُبد أى اهتمام بحقيقة فريدة ، وهى أن لوقا هو الوحيد بين البشيرين الأربعة — الذى كتب تتمة لإنجيله[1] . لماذا فعل هذا؟

لقد كتب الثلاثة الآخرون بشائرهم التى ركزت على حياة يسوع وموته وقيامته . وواضح أنهم أحسوا أن هذه القصة وحدة تامة قائمة بذاتها ، وأنها ليست فى حاجة إلى تتمة . أما لوقا فقد كتب سفر الأعمال . لماذا ؟

وهذا الكتاب الثانى يسير بنا متابعاً تاريخ الكنيسة الأولى . فهو يخبرنا عن الأيام الأولى فى أورشليم والطريقة التى استخدمها بطرس ويوحنا واستفانوس الشهيد وفيلبس وغيرهم لا سيما بولس ومعاونوه فى نشر الإنجيل خارج أورشليم .

والفكرة الرئيسية التى يبرزها لوقا هى أن الله يتمم مقاصده[2] وهذا القصد يبدو واضحاً فى حياة يسوع وأعماله لكن مقاصد الله لم تنته بنهاية خدمة يسوع على الأرض . بل استمرت فى حياة وشهادة الكنيسة . فالكنيسة لا تمثل عملاً جديداً لا يمت بصلة لعمل الله . بل يقول لوقا إن عمل المسيح أدى — كما كان مقصوداً فى خطة الله — إلى حياة الكنيسة . ويظهر بعض الكتّاب هذه الفكرة بالحديث عن شعار لوقا « تاريخ الخلاص » أو يجذب الانتباه إلى الوعد وتحقيقه .

يرى لوقا أن القصد الإلهى مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمحبة الله ورحمته وإحدى

---

(١) فى العقدين الأخيرين (خصوصاً فى ألمانيا) ظهرت ضرورة ربط إنجيل لوقا بسفر الأعمال وأكد المفسرون على هذا الربط بشدة . ويشير دايفز إلى حقيقة « الاعتراف بأن لوقا والأعمال كتابان لكاتب واحد عامل حاسم فى التفسير الحديث لإنجيل لوقا »

(٢) لاحظ استخدام لوقا المتكرر لكلمة Dei لنقل فكرة ضرورة الوجود الإلهى فى خدمة يسوع (٢ : ٤٩، ٤ : ٤٣ ، ٩ : ٢٢ ، ١٣ : ١٦ و ٣٣ ، ١٧ : ٢٥). كما يستخدم Boulè بمعنى قصد مرتين فى لوقا وسبع مرات فى أعمال الرسل . أى تسع مرات من اثنتى عشرة مرة استخدمت الكلمة فيها فى العهد الجديد كله . وقد أكد Schily على أهمية خطة الله فى اللاهوت بحسب لوقا .

ملامح هذا الإنجيل هى الطريقة التى صورت بها محبة الله العاملة بطرق شتى وبين مختلف البشر .

وهذا ليس شعاراً عارضاً لكنه يسير خلال السفر كله . ويذكر مكنيل McNeile أن مفتاح إنجيل متى هو الملكوت وإنجيل مرقس القوة وفى لوقا المحبة . وربما هذا ما يعطى الإنجيل الثالث جاذبية خاصة .

وواضح أن الكاتب إنسان مثقف يتذوق الجمال وعنده قدرة لا شك فيها على الكتابة الجيدة . لكن جمال هذا الإنجيل لا يرجع إلى أى من هذه الميزات بل إلى الطريقة التى تسطع بها محبة الله فى كل السفر من خلال أمثال المسيح وأقواله وقصة حياته[1] .

وشعار لوقا شعار عظيم وهو يظهره بإسهاب . فإنجيله أطول الأناجيل فإذا أضفنا إليه سفر الأعمال نجد أن لوقا كتب الجزء الأكبر من العهد الجديد فهو أطول مما كتبه أى كاتب آخر . ولا شك أن دراسة كتاباته تهم أى دارس للعهد الجديد

أولاً : كتابة الإنجيل

من المتعارف عليه أن كاتب هذه البشارة هو نفسه كاتب سفر الأعمال . ومقدمة إنجيل لوقا (١ : ١ — ٤) موجهة إلى ثاوفيلس كما أن أع ١ : ١ تبدو نوعاً من المقدمة الثانوية موجهة لنفس الشخص قصد بها أن يسترجع المقدمة السابقة[2] . ولا شك أن لغة الإنجيل وسفر الأعمال وأسلوب الكتابة فى كل منهما يرجحان أن كاتبهما واحد .

ويؤكد التقليد بالإجماع أن هذا الكاتب هو لوقا . وهذا ما أكده :

---

(١) كثيرون اعترفوا بجاذبية هذا الإنجيل . فقد قال عنه رينان Renan « أجمل كتاب وجد » وهذا القول دعا باريت Barrett إلى القول إن لوقا كان يبدى اهتماماً بالحقيقة أكثر من الجمال . ويعترف مانسون Manson « لقد ألقى لوقا شبكته بكل اتساعها ليكتب إنجيلاً لا نظير له فهو ، شامل متنوع ، نابض بالحياة ملىء بالحنان ، فهو أجمل وأحلى وأحكم من كل ما عندنا » . ويرى جرانت Grant « إن لوقا أقيم وأثمن من الأناجيل الأخرى » كما يعتبر لوقا والأعمال « من أعظم الكتابات فى العهد الجديد »

(٢) يرى كونزلمان Conzelmann وهينشن Haenchen أن القول بأن مقدمة لوقا لم يقصد بها أن تشير إلى سفر الأعمال . لكن معظم العلماء يرون أن المقدمة تنطبق على السفرين .

١ ــ واحد من الهراطقة الأوائل واسمه مارسيون الذى مات سنة ١٦٠ ميلادية وكان لا يعترف إلا ببشارة لوقا ــ كبشارة قانونية ــ دون غيرها .

٢ ــ القائمة الموراتورية The Muratorian Fragment . وهى عبارة عن قائمة بأسماء الكتب فى العهد الجديد التى تعبر عن الفكر الرومانى فى نهاية القرن الثانى .

٣ ــ المقدمة التى كتبت لبشارة لوقا رداً على مارسيون الهرطوق والتى تذكر أن لوقا كان من انطاكية ، وأنه كان طبيباً ، وأنه كتب إنجيله من أخائية ، وأنه لم يتزوج ومات فى الرابعة والثمانين .

٤ ــ رأى إيريناوس وترتليانوس وأكليمندس السكندرى وآخرون .

وقد يرفض البعض ما جاء بهذا التقليد على أساس أنه مجرد تخمين . بيد أن هذا لا ينم إلا عن افتراء . فلم يكن لوقا ــ على حد علمنا ــ شخصاً بارزاً فى الكنيسة الأولى حتى ينسب إليه سفران كبيران دون مبرر . وإذا كان الأمر مجرد تخمين ، أفلم يكن بالأولى أن ينسب السفران إلى أحد التلاميذ أو إلى أبفراس أو مرقس ؟ أما أن رجلاً ليس من بين التلاميذ ، ولم تكن له مكانة مرموقة مميزة أجمع الكل منذ القديم على أنه كاتب هذا الإنجيل ، فهذا أمر له قيمته ووزنه ولا يمكن تجاهله .

كما لا يجب أن نتجاهل ما أشار إليه مارتن دبليوس Martin Dibelius أنه من المستبعد أن ينشر هذا الإنجيل دون ذكر اسم كاتبه . كما أن توجيه السفر إلى ثاوفيلس يبين نية مسبقة لنشر الإنجيل بين المثقفين مما يلزم معه إعلان اسم الكاتب . ومن المستبعد تماماً أن يرد فى مقدمة الإنجيل اسم المهدى إليه بينما يغفل اسم كاتبه .

وما كان للتقليد أن ينسب بالإجماع إلى القديس لوقا كتاباً عرف عند نشره أن شخصاً آخر قد كتبه .

وثمة توافق بين التقليد ومقدمة البشارة والتى تفيد أن الكاتب لم يكن شاهد عيان لما سجله من أحداث ، على الرغم من أنه تقصى الأدلة من أولئك الذين عاينوها . ومن الواضح أنه كان كاتباً مثقفاً ومدققاً إلا أنه لم يكن من

بين أتباع الرب يسوع الأوائل . وهناك أيضاً الدليل الداخلى ، فثمة أربعة مقاطع من سفر الأعمال يستعمل فيها الكاتب ضمير المتكلم فى صيغة الجمع (أع ١٦ : ١٠ ــ ١٧ ، ٢٠ : ٥ ــ ١٦ ، ٢١ : ١ ــ ١٨ ، ٢٧ : ١ ــ ٢٨ : ١٦) . ويبدو أن هذه المقتطفات قد أخذت عن مذكرات يومية لأحد رفقاء بولس . وأحد المقاطع الذى استخدم فيه ضمير الجمع للمتكلم (نا ــ نحن) يبين لنا أن الكاتب مكث بعض الوقت فى قيصرية مع فيلبس المبشر وبناته الأربع (أع ٢١ : ٨ وما بعدها) ، وبعد انقضاء فترة تزيد عن سنتين (أع ٢٤ : ٢٧) أبحر هو وبولس إلى رومية (أع ٢٧ : ١) . وهذه الفترة التى قضاها لوقا مع هؤلاء الرفقاء هيأت له ــ فرصة معرفة المزيد عن الرب يسوع وعن الكنيسة الأولى .

ثم أن الألفاظ والأسلوب فى القطع التى استخدم فيها الضمير (نحن) تطابق نفس أسلوب بقية السفر ، والنتيجة الطبيعية التى نستخلصها من ذلك هى أن كاتباً واحداً كتب السفر بأكمله ، وإن كان بعض النقاد ينكرون هذا . ويقولون إن كاتب سفر الأعمال نقل فقرات قليلة من يوميات شخص آخر عند ذكره معلومات عن بعض الأحداث . والبعض يعتقد أن استخدام الضمير (نحن) إنما هو بكل بساطة تصرف أدبى . ومثل هذه مجادلات عقيمة لا طائل منها . إن انتفاع الكاتب بمقتطفات من مذكراته الشخصية هو أمر مفهوم ، أما استخدامه ليوميات شخص آخر فغير مفهوم . ويمكننا أن نبسط الأمر على النحو التالى :

لماذا تمسك كاتب سفر الأعمال باستخدام ضمير المتكلم للجماعة (نحن) ما لم يكن محاولاً استغلال مكانة كاتب بشارة لوقا ؟

وإذا كان يريد استغلال تلك المكانة فلماذا لم يستخدم إسمه ، ليكون التأثير أكثر فاعلية ؟ وفى الواقع فإن استخدام الضمير (نحن) دون ذكر الاسم لا يثبت شيئاً ويفيد أكثر التفسيرات قبولاً أن أحد رفقاء بولس استخدم مقتطفات من يومياته (أى من يوميات بولس) . إذاً فالكاتب هو أحد الذين رافقوا بولس فى الأوقات المشار إليها فى الأجزاء التى استخدم فيها الضمير (نحن / نا) وإن لم تذكر أسماؤهم فى السفر . وينتهى سفر الأعمال حيث كان بولس فى إيطاليا ، وربما يكون الكاتب هو أحد المأسورين مع بولس الذين وردت

اسماؤهم فى الرسائل التى بعث بها الرسول بولس وهو مأسور أو فى الرسالة الثانية إلى تيموثاوس ، بيد أنه لم يأت ذكرهم فى سفر الأعمال . وهذه المجموعة الصغيرة هم : تيطس ، ديماس ، كريسكيس ، يسوع المدعو يسطس ، ابفراس ، ابفرودتس ولوقا .وما من سبب يدعو إلى الاعتقاد أن أياً من هؤلاء باستثناء لوقا يمكن أن يكون كاتب هذا السفر[1] . ويتحدث بولس عن لوقا يقوله « الطبيب الحبيب » (كو ٤ : ١٤) وقد دعمت اللغة الطبية التى يمكن ملاحظتها فى إنجيل لوقا وسفر الأعمال الرأى السائد فى العصور الأولى القائل أن كاتبهما هو لوقا الطبيب . بيد أن كادبرى (H - j - Cadbury) أقنع كثيرين أن اللغة لا تقطع بأن الكاتب كان طبيباً ، وذلك بإشارته إلى أن معظم الأمثلة التى تدعم هذا الرأى يمكن إيجاد مثيل لها فى أساليب كتّابٍ ليسوا بأطباء .

ومن المتفق عليه الآن بصفة عامة أنه لم توجد لغة طبية تقنية خاصة بحسب مفهومنا لهذا المصطلح ، فثمة كتّاب مثل أبوقراط Hippocrates وجالين Galen استخدموا اللغة العادية التى يستخدمها سائر المثقفين . ورغم اعتراض كاديرى على استخدام لغة إنجيل لوقا وسفر الأعمال للدلالة على أن كاتبهما كان طبيباً ، إلا أنه لم يأت ببرهان يخالف هذا الرأى . فهناك إشارات لاهتمامات طبية ترد هنا وهناك فى إنجيل لوقا ، فبينما يتحدث متى ومرقس عن حمّى حماة سمعان يشخصها لوقا على أنها « حمّى شديدة » (مت ٨ : ١٤ ، مر ١ : ٣٠ ، لو ٤ : ٣٨) . كما أنه يتحدث عن رجل أبرص بقوله « مملوء برصاً » (لو ٥ : ١٢) .(أى أنها حالة متقدمة) . ثم أنه كطبيب واحتراماً منه لمهنة الطب لم يذكر ما ذكره البشير مرقس عن نازفة الدم أنها « قد تألمت كثيراً من أطباء كثيرين وأنفقت كل ما عندها ولم تنتفع شيئاً بل صارت إلى حال أردأ (مر ٥ : ٢٦) لكن لوقا الطبيب اكتفى بالقول « قد انفقت كل معيشتها على الأطباء ولم تقدر أن تشفى من أحد » (لو ٨ : ٤٣) .

---

(١) ذكر لوقا فى العهد الجديد فى كو ٤ : ١٤ ، فليمون ٢٤ ، ٢ تيمو ٤ : ١١ . وذكر البعض أنه هو نفسه لوكيوس القيروانى (أع ١٣ : ١) أو أنه لوكيوس الذى يصفه بولس بأنه نسيبه (رو ١٦ : ٢١) لكن هناك اختلاف طفيف فى الاسم ولا يوجد سبب للظن أن أياً منهما هو لوقا . وظن بعض آباء الكنيسة الأولى أن لوقا هو « الأخ الذى مدحه فى جميع الكنائس » ٢ كو ٨ : ١٨ لكن هذا مجرد تصور غير واقعى .

أما أهم اعتراض على أن لوقا هو كاتب السفر المعروف باسمه إضافة إلى سفر الأعمال فهو الزعم بأن سفر الأعمال يختلف فى بعض النقاط الهامة عن كتابات بولس . والاستنتاج الذى توصلوا إليه هو أن كاتب سفر الأعمال لم يكن أحد رفقاء بولس القريبين . وهكذا فالتكلم « بألسنة » يوم الخمسين يبدو مختلفاً عن الألسنة فى (١كو ١٤) . كما أنه ليس من السهل التوفيق بين العبارات التى تتحدث عن زيارات بولس لأورشليم (أع ٩ : ٢٦ ، ١١ : ٣٠ ، ١٥ : ٢) . مع تلك الواردة فى غلاطية (١ : ١٨ ، ٢ : ١) . والبعض يلفتون الانتباه إلى صعوبة التوفيق بين تحركات رفقاء بولس فى (أع ١٧ : ١٦ ، ١٨ : ٥) وما جاء فى (١ تس ٣ : ١ ، ٦) ، وكذلك التوفيق بين العبارات التى تتحدث عن مراقبة الأبواب فى دمشق (أع ٩ : ٢٤ ، ٢ كو ١١ : ٣٢) . والفحص الدقيق يظهر أن هذه الاعتراضات لا تقوم على أساس سليم . والصعوبات التى من هذا القبيل قد تبين أن سفر الأعمال كتب بمعزل عن رسائل بولس ، ولا تكشف عن شيء أكثر من هذا . فلا وجود لتناقضات جوهرية . ومع ذلك فوجاهة الاعتراض تتعلق بالناحية اللاهوتية لا القصصية . ويقول المعارضون إن لاهوت سفر الأعمال ، حتى من الأقوال المنسوبة لبولس الرسول ، يختلف اختلافاً بيناً عن اللاهوت حسب فكر الرسول نفسه مما يستبعد معه أن يكون أحد رفقائه قد كتب سفر الأعمال . والتعبير الكلاسيكى لهذا الجدال يبدو أنه من عمل فيليب فيلهور **Philipp Vielhauer** حيث وضع أربعة نقاط أساسية ذكر فيها ما يلى : —

١ — من خطاب أريوس باغوس[1] ، سجل لوقا أن بولس عبّر عن فكرة الرواقيين الخاصة باللاهوت الطبيعى : « فالبشرية بحكم ارتباطها بالله تستطيع أن تصل إلى معرفة الله والمبادىء الأخلاقية بصورة طبيعية (أع ١٠ : ٣٥) . وترجع إلى الله به . ولم يأت ذكر لكلمة الصليب فى خطاب أريوس باغوس .

٢ — نجد فى سفر الأعمال أن بولس من اليهود المتنصرين المخلصين للناموس تماماً . وبتحديد أكثر هو « يهودى حقيقى ... بالمقابلة مع اليهود الذين تقست قلوبهم » . فلقد ختن تيموثاوس (أع ١٦ : ٣) وأتى بأعمال

---

(١) خطاب أريوس باغوس (أع ١٧ : ٢٢ وما بعدها)

تظهر تمسكه بالناموس والعوائد (أع ٢١ : ٢١ وما بعدها) فالفكر اللاهوتي عند الرسول بولس يختلف عن عقيدة الناموس كما جاءت في سفر الأعمال .

٣ ــ كريستولوجية سفر الأعمال متبناة وسابقة لعصر بولس .

٤ ــ في سفر الأعمال ، نجد أن الإيمان بالأخرويات (القيامة والحساب ...) قد انتقل من مركز الإيمان حسب الفكر البولسي إلى النهاية وأصبح جزءاً منفصلاً يتحدث عن الأمور الأخيرة .

بيد أن وجهة النظر هذه لم تلق موافقة إجماعية . فلم يكن فيلهاور منصفاً رغم كل ما ساقه من أسانيد . فهو بالنسبة للفقرة الأولى الخاصة بأريوس باغوس تغاضى عن حقيقة أن الخطاب يتمشى إلى حد كبير جداً مع نفس النقاط الثلاثة التي أشار إليها بولس في رسالته الأولى إلى كنيسة تسالونيكي (١تس ١ : ٩ وما بعدها) أعني ضرورة الرجوع عن عبادة الأوثان إلى عبادة الإله الحقيقي ، وانتظار مجيء المسيح للدينونة ، وقيامة المسيح من الأموات . ثم أنه ليس من العدل القول أن ما كتبه لوقا عن الخطاب يقر أن الرجل الطبيعي يستطيع أن يصل إلى معرفة الله الخلاصية . والذين استمعوا إلى خطاب الرسول بولس لم يصلوا في الواقع إلى معرفة الله كما أنه طبقاً لسفرى لوقا والأعمال فإن عدم معرفة الله تستوجب اللوم . وهكذا ، فقد صلى يسوع من أجل جهل صالبيه ــ لكن جهلهم لم يبررهم (لو ٢٣ : ٣٤) . ويكرر لوقا أن هؤلاء الذين صلبوا المسيح مع أنهم كانوا لا يعلمون ما يفعلون ، بيد أنهم أثمة (أع ٣ : ١٧ مع ٢ : ٢٣ ، ١٣ : ٢٧ وما بعدها) .

وعلاوة على ذلك ، فإن تلك الفقرة من تعاليم بولس التي استطاع أن يقول فيها : « فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود » (١ كو ٩ : ٢٠) . أساء فيلهاور تقديرها وأغمطها حقها ، بل إنه لم يعطها الأهمية الكافية ولم يأخذ من الاعتبار أنه من المستبعد أن تكون عظات الرسول بولس التبشيرية في نفس الخط مع رسائله إلى الكنائس[1] وهذه حقيقة ، كما يقول إيليس **Ellis** . إن بولس

---

(١) قال مول **C. F. D. Moule** : « يجب أن نتذكر أن هناك فرقاً بين حديث شخص يقدم الإنجيل لمستمعين غير مسيحيين وبين حديثه هو نفسه لأناس صاروا مسيحيين . وهذا هو نفس الفرق ــ مع اختلافات بسيطة ــ بين ما جاء في كلام بولس في سفر الأعمال وبين كلامه في رسائله لأناس صاروا مسيحيين . ومن الاستثناءات البسيطة ما جاء في أع ٢٠ : ١٧ إذ كان بولس يتحدث إلى مسيحيين ويشير في عدد ٢٨ بأسلوب بولس واضح إلى الفداء . وبالعكس نجد أجزاء في رسائل مثل رو ١ : ٣ ، ٤ ، ١كو ١٥ : ١ ، ١تس ١ : ٩ كلاماً تبشيرياً تقارب تعليم سفر الأعمال . ويرى بورنكام **Bornkamm** بعض الصراع بين الأعمال وبولس لكنه يرى الحادث المذكور في ٢١ : ١٧ عن النذر أصيلاً » .

• لم يستخف ابداً و لم يحط من قدر التمسك الاختيارى بالناموس من قبل اليهود المتنصرين ، ويبدو أن رأى فيلهاور عن الدراسة اللاهوتية لشخص المسيح وعمله (كريستولوجيا) ناقشه مول Moule بما كتبه عن شخص المسيح وعمله فى سفر الأعمال ، حيث يجادل أن (كريستولوجية) سفر الأعمال تفتقر إلى الاتساق . بيد أنه من ناحية لوقا فمن الواضح أنه يعيد تقديم مصادره بأمانة تامة .

أما فيما يتعلق بالإيمان بالأخرويات فيبحث ولكنز Wilekens رأى الكثيرين من المعاصرين والقائل بأن لوقا فى محاولته وصف التاريخ الخلاصى تحرر من التأكيد على الإيمان بالأخرويات وهى سمة كتّاب آخرين من العصر المبكر . ويوافق ولكنز على أن هناك بعض الحقيقة فى هذا . فالحق أن لوقا كان يهتم بالتاريخ أكثر من اهتمامه بالأخرويات كما كان يفعل كتّاب العهد الجديد الآخرين . بيد أنه انتهى إلى هذه النتيجة : إذا ما نظرنا إلى فكر بولس من وجهة نظر وجودية نجده يقف موقفاً مخالفاً للوقا . ولكن بولس الذى فسر تفسيراً وجودياً ليس هو بولس التاريخى الذى نجده فى لوقا . والنقاط الجوهرية من النقد اللاهوتى التى أثيرت ضد لوقا لم تستخلص فى غالبيتها من التقليد المسيحى المبكر نفسه بقدر ما استخلصت من الأفكار الرئيسية لمدرسة لاهوتية حديثة معينة تسيء تفسير نواح ضرورية من الفكر المسيحى المبكر . ولسنا مجبرين على أن نختار ما بين لوقا أو بولس وهذه نتيجة هامة جداً . فليست المسألة وجود خلاف بين سفر الأعمال والرسائل بل هل توصلنا إلى نتائج صحيحة ؟ و لم يحدث إلا قليلاً فى التاريخ أن رفيقاً مقرباً لرجل عظيم أعطى عنه صورة تختلف عما يكشف هو عن ذاته فى خطاباته . وإذا ما سلمنا أن كاتب سفر الأعمال لم يتعمق بدرجة كافية فى فكر بولس اللاهوتى ، فهذا لا يمنع من أن يكون قادراً على ذكر ما قاله بولس وما فعله ، وهذا هو ما فعله لوقا .

وكل ما تثبته هذه الاعتراضات أن لوقا لم يكن بولساً آخر ، وأنه غالباً لم يطّلع على أى من رسائله . وكان يكتب مستقلاً برأيه عن بولس .

وعلاوة على ذلك يجب علينا ألاّ نغفل حقيقة أنه لم يتوفر دليل على أن لوقا اعتنق المسيحية على يد بولس بل إن الاحتمال الأكبر عكس ذلك فالاحتمال

الوارد أنه وصل إلى مرحلة النضج المسيحى قبل أن يتأثر ببولس . وإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي أن نتوقع أن يكون فكره اللاهوتى هو نوع مخفف من كتابات بولس . وبالإضافة إلى ذلك ، فنظراً لأنه كان أممياً [1] ـــ وهو أمر مؤكد تقريباً ـــ فربما وجد صعوبة فى متابعة طريقة بولس الربية Rappinic فى الجدل .

والاختلافات ما بين سفرى الأعمال ورسائل بولس قد تستعمل فى الحوار لصالح لوقا بنفس السهولة التى قد تستعمل ضده . فأى كاتب لم يكن من رفقاء بولس الرسول ما كان يجرؤ على الكتابة بتوسع عن الرسول دون أن يهتم بالرجوع للرسائل والاستفادة منها[2] . وإذا ما قيل إنه لم يكن يعرف الرسائل ، فلسوف يثور التساؤل ، لماذا كتب إذاً عن بولس ؟ فالذى ليست له معرفة ببولس أو رسائله لا يجعل بولس الشخصية المحورية فى تبشير الأمم . ولا يكفى أن يُرد على هذا بالقول إنه اعتمد على يوميات كتبها أحد رفقاء بولس ، لأن قراءة يوميات الآخرين نادراً ما تصنع أبطالاً .

وثمة اعتراض مماثل يشير إلى أنه فى (أع ١٥) قبل بولس مشورة المجلس ، بما فى ذلك أموراً تتعلق بالطعام ، وهو موقف لا يمكن أن ينسجم مع تغاضيه عن ذكر هذه الأمور فى رسالته إلى أهل غلاطية . ومع ذلك ، فلو سلمنا بأن هذه الرسالة (غلاطية) قد كتبت قبل مشورة المجلس يكون الاعتراض قائماً على غير أساس . فلم يكن بولس بقادر على ذكر قرارات لم يكن لها وجود . وليس فى مقدورنا أن نضفى صفة الحسم على اعتراض يستند إلى

---

(١) إن لغته اليونانية الرفيعة ليست دليلاً على أنه أممى . فاليهودى المثقف قد يتقن اللغة اليونانية . لكن الإثبات يبدو فى الشاهد المذكور عن لوقا منفصلاً عن « الذين هم من الختان » كو ٤ : ١١ ، ١٤ . قد يعنى هذا أن لوقا كان أممياً ولو أن البعض يقولون إن الفرق المذكور هو بين اليهود الغيورين على حفظ الناموس واليهود غير المدققين . ولو أن هذا التحليل يبدو بعيد الاحتمال عند كثيرين . ويلاحظ أن لوقا لم يذكر أى كلمات عبرية (بخلاف كلمة آمين) . كما أنه لم يذكر إلا قليلاً عن الخلاف بين يسوع والفريسيين على موضوع الناموس وهو أمر يهم أى يهودى فى حين أنه لا يهم الأممى . لكن ريكى Reicke وإيليس Ellis يعتقدان أن لوقا كان يهودياً .

(٢) كتب مورتن Morton مقالاً يقول إن لوقا استخدم الرسائل .وإن كان كثيرون يرون أن رأيه غير مقنع . ولكن حتى لو قبلنا وجهة نظره فلا نجد استخداماً واضحاً للرسائل . مع أنه كان المتوقع أن يشار إليها كنوع من تأكيد صحة هذه الرسائل .

رأى معين يتعلق بتاريخ الرسالة إلى أهل غلاطية . وحتى إذا ما كانت الرسالة إلى الغلاطيين قد كتبت فى تاريخ لاحق لاجتماع المجلس فإنه من المشكوك فيه إلى أبعد حد أن يظل الاعتراض قائماً . فأكثر من عالم وجدوا فى التباين القائم فى وجهة النظر والاهتمام تفسيراً مقبولاً للاختلاف .

من كل ما سبق يبدو أن هناك مبرراً قوياً يدعو إلى اعتبار أن لوقا هو كاتب البشارة المعروفة باسمه وكذلك سفر الأعمال . ومع أنه لا يوجد دليل قاطع إلا أنه لم يظهر دليل قوى حتى الآن يقدم بديلاً آخر .

ثانياً : تاريخ كتابة السفر

لقد اقترحت ثلاثة تواريخ تتعلق بكتابة هذا الإنجيل ، وهى ، حوالى عام ٦٣م ، أو ما بين ٧٥ ــ ٨٥ م ، أو فى أوائل القرن الثانى . والتاريخ مرتبط بسفر أعمال الرسل ، لأن سفر الأعمال ملحق بإنجيل لوقا ومن ثم لا يمكن أن يسبقه .

أما بالنسبة للاحتمال الأول وهو عام ٦٣ م فنرى الاعتبارات التالية :

١ ــ ينتهى سفر الأعمال والرسول بولس فى السجن ، ولو كان لوقا على علم بإطلاق سراح بولس أو استشهاده لذكر ذلك .

٢ ــ تُظهر الرسائل الرعوية أن بولس الرسول زار أفسس ثانية . فإذا ما كان هذا السفر قد كتب بعد ذلك التاريخ فمن المؤكد أن الكاتب ما كان يغفل التعليق على نبوة الرسول بولس بأن أهل أفسس لن يروا وجهه ثانية (أع ٢٠ : ٢٥ ، ٣٨) .

٣ ــ يشير لوقا إلى تحقيق نبوءة أغابوس (أع ١١ : ٢٨) . فإذا ما كان قد كتب هذا بعد عام ٧٠ م فكنا نتوقع منه منطقياً أن يذكر فى موضع ما تحقق نبوة السيد المسيح أن المدينة ستخرب (لو ٢١ : ٢٠) .

٤ ــ سفر الأعمال لم يظهر أية علم برسائل بولس ولذا فلا بد وأنه كان سابقاً لتاريخ كتابتها . وحيث أن هذه الرسائل ظلت محفوظة من الضياع تبين أنه كان متحفظاً عليها ولا بد أنها عرفت بعد كتابتها بمدة ليست طويلة . وأى مسيحى يهتم بالكتابة عن الرسول بولس لا بد وأن يشير إلى رسائله ويستخدمها .

٥ ــ لم تذكر أية حادثة وقعت بعد عام ٦٢ فى سفر الأعمال ، وعلى سبيل المثال ، لا نجد إشارات إلى موت يعقوب (٦٢ م) أو موت بولس أو خراب أورشليم .

وتقييم الجميع لهذه البراهين ليس على مستو واحد . ويمكن القول إن هذه النقاط اعتمدت فى غالبيتها على وجهة نظرنا فيما يتعلق بما ذكره لوقا أو أغفله وقد نكون مخطئين . ولذلك يقول البعض إن هذه الاعتبارات لا تمنع أن يكون

التاريخ متأخراً بعض الشيء (يفضل كوميل Kummel تاريخاً يقع ما بين عام ٨٠ و ٩٠م ، أما كليجن فيفضل عام ٨٠م تقريباً) . أما بالنسبة لآخرين فإن هذه الاعتبارات لها وجاهتها ، وعلى سبيل المثال فإن بليكلوك Blaiklock يقترح عام ٦٢ تقريباً ، أما بروس Bruce فمن رأيه أنه ليس بعد عام ٦١م بوقت طويل (يرى « جيت » أن هذا هو تاريخ بشارة لوقا) ، أما بيرسون باركر Pierson Parker فيرى أنه عام ٦٢ أو ٦٣م . ويقول يوريك أنه عندما كتب البشير لوقا سفر الأعمال كان لا يعرف شيئاً عن الأحداث التي وقعت بعد عام ٦٢ م ولذلك فبشارة لوقا لا بد وأن تكون قد كتبت قبل ذلك .

أما أولئك الذين يفضلون تاريخاً يقع ما بين ٧٥ ـــ ٨٥ م تقريباً . فيستندون إلى الآتي : ـــ

١ ـــ بعض أقوال السيد المسيح ، وخاصة فيما يتعلق بالحديث عن الأخرويات يبدو وأنها تبين أن لوقا كان يكتب بعد سقوط أورشليم (لو ١٩ : ٤٣ ، ٢١ : ٢٠ ، ٢٤) . وهكذا بينما يقول مرقس : « فمتى نظرتم رجسة الخراب قائمة حيث لا ينبغي » (مر ١٣ : ١٤) ، نجد أن ما جاء في بشارة لوقا هو « ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش » (لو ٢١:٢٠) . بيد أنه إذا ما اعتبرت مثل هذه الإشارات كنبوات ، وأضيفت بعد سقوط أورشليم ، فيمكن المجادلة بنفس المستوى أن فقرات أخرى لم تتحقق أو أن نبوات غير صحيحة قيلت قبلها ، على سبيل المثال : « وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحابة بقوة ومجد كثير (لو ٢١ : ٢٧) . وهناك أيضاً الحقيقة المعروفة جيداً وهي أنه استجابة للوحي فر المسيحيون من أورشليم إلى (بلا Pella) ، عندما اقترب الرومان . وهذا يوضح أنه ، قبل أن يبدأ الحصار ، كانت كلمات السيد المسيح معروفة وأخذ الناس بصورة حرفية الأمر القائل « اهربوا إلى الجبال (لو ٢١ : ٢١) . ويقول كوميل إنه من المؤكد أن « لوقا يرجع بذاكرته إلى سقوط أورشليم ، ويعتبر هذا دليلاً حاسماً ضد اختيار تاريخ مبكر . بيد أنه لم يأخذ في الاعتبار ما جاء في (لو ٢١ : ٢٧) .

٢ ـــ لقد رجع لوقا إلى ما كتبه مرقس ولذلك فلا بد أن يكون بعد عام ٦٨ م تقريباً ، وهو أقدم تاريخ يوافق عليه معظم النقاد بالنسبة لإنجيل مرقس

(وإنى شخصياً أعتقد أن تاريخ بشارة مرقس لا بد وأن يرجع إلى تاريخ مبكر قبل ذلك) .

٣ ــ ما من سبب وجيه يدعونا إلى الإعتقاد بأن هناك فارقاً زمنياً طويلاً بين تاريخ كتابة إنجيل متى وتاريخ كتابة إنجيل لوقا ، وحيث أن كتابة الإنجيل الأول تمت فى الثمانينات فإن تاريخاً مماثلاً هو المناسب لتاريخ كتابة إنجيل لوقا .

٤ ــ يقول لوقا إن كثيرين كتبوا قبله (لو ١ : ١) . بيد أن هذا ما كان له أن يتم قبل عام ٧٠م . والبرهان الذى يساق هنا يستند إلى نبوءة .

ويشعر النقاد أن نبوءة مثل تلك المتعلقة بسقوط أورشليم من الأرجح أنها صيغت فى شكلها الصحيح بعد الأحداث وليس قبلها . بيد أن هذا أمر مشكوك فيه . فإذا ما كان لوقا قد صاغ النبوة بعد الحدث لتناسب الحقائق فلماذا إذاً تركها فى شكل عام على هذا النحو ؟ على أية حال ، فالتحدث عن مدينة تحاصرها الجيوش لا يحتاج لمعرفة كبيرة وحتى إذا أضفنا الإشارة إلى « الإحاطة حول المدينة بمترسة (لو ١٩ : ٤٣) لن تثبت بذلك شيئاً لأن هذه خطة عادية لأى حصار . وهنا يتبقى سؤال . إذا ما كان لوقا قد أعاد صياغة قصة تتمشى مع الأحداث ، فلماذا لم يحذ متى حذوه ؟ والتفسير الأرجح احتمالاً هو أن السيد المسيح تحدث عن أمرين « رجسة الخراب » و « الجيوش التى تحاصر المدينة »[١] . لقد سجل متى ومرقس أحدهما ، أما لوقا فقد سجل الآخر . وقد تكون اهتمامات كل منهم وراء ما اختار تسجيله . ويتحدث القديس متى عن اتمام هذه النبوءة وهذا يؤدى بالتالى إلى إقناع قرائه ، بينما القديس لوقا ، الذى يكتب لغير اليهود ، فاختار العبارة التى تتحدث عن جيوش [٢] . أما النقاط الأخرى فليست أكثر إقناعاً . وثمة قليل من النقاد يدون أن لوقا ، فى الواقع ، لم يستند إلى إنجيل مرقس ، أما الأغلبية فترى

---

(١) يرى بلاس Blass أن هذا دليل على أن خطاب يسوع كان أطول مما كتب فى أى إنجيل على حدة .

(٢)يذكرنا دونالد Donald Guthrie أن التاريخ يقدم بعض التنبؤات الدقيقة يذكر منها تنبؤ سافونارولا عن حصار روما . وأننا يجب ألا نقلل من قدرة يسوع على التنبؤ

العكس . بيد أن تاريخ إنجيل مرقس ليس معروفاً ولا يرى كل النقاد أنه يرجع إلى عام ٦٨ . ومن جهة أخرى نقول أنه ما من مبرر مقبول لربط تاريخ كتابة إنجيل لوقا بإنجيل متى . وحتى لو حدث هذا فإنه من المشكوك فيه أن يكون إنجيل متى قد كتب فى الثمانينات .

أما بالنسبة للرأى القائل بأنه ليس من الممكن أن « كثيرين » قد كتبوا بالفعل قبل إنجيل لوقا ما لم يكن قد كتب بعد عام ٧٠م تقريباً ، فهذا يعتمد على الرأى القائل أن المسيحيين لم يبدأوا الكتابة إلا بعد ٤٠ سنة . لكن القديس بولس كان يكتب فى أوائل الخمسينات ، وربما فى أواخر الأربعينات على الأرجح ، وما من سبب يدعو إلى الإعتقاد أنه كان الوحيد فى هذا المجال .

وهكذا لم تثبت كل هذه المجادلات شيئاً ، وتبين أنها احتمالات قامت على تقديرات غير موضوعية . ومنذ عهد قريب جادل ج . نوكس J . Knox ، أونيل C . O'neill ، وآخرون أن تاريخ كتابة هذا الإنجيل يرجع إلى القرن الثانى . ومثل هذه الآراء تعرض الإنجيل للقرب من عصر مارسيون Marcion الذى وضع شريعته على أساس ترجمة لإنجيل لوقا (كانت منقحة ومحذوفاً منها) . ويقول نوكس Knox إن مارسيون لم يكن يعتمد على إنجيل لوقا بل على كتابة سابقة له ، تصادف أن استخدمها لوقا أيضاً . ولكن المستقيمى الرأى شنوا هجومهم على مارسيون على أساس أن إنجيله تأسس على إنجيل لوقا المعترف به ، ولو كان الأمر خلاف ذلك لتعرضوا لنقد شديد .

أما أولئك الذين يتمسكون بتاريخ متأخر لكنهم على الرغم من ذلك يرون أن مارسيون كان يستخدم إنجيل لوقا تواجههم مشكلة صعبة فى تفسير الكيفية التى استطاع بها إنجيل لوقا أن يكتسب خلال عشر أو عشرين سنة ثقة كاملة عند مارسيون إلى الدرجة التى تجعله قادراً على كسب أتباع ومؤيدين باعتماده على هذه البشارة وحدها .

والرأى القائل أن تاريخ إنجيل لوقا كان متأخراً يدعمه الاحتكام إلى بعض الأقوال الواردة فى سفر الأعمال والتى يعتقد أنها مأخوذة عن المؤرخ اليهودى يوسيفوس . وقد نشرت مؤلفاته عام ٩٣م تقريباً ، وإذا كان لوقا قد اعتمد عليها ، فيكون فى هذه الحالة قد كتب بشارته فى تاريخ متأخر . وأول فقرات

من هذا النوع هي تلك التي يقول فيها يوسيفوس إن ثوداس قام بتمرد إبان حكم فادوس (٤٤ ــ ٤٦) ، وأطيح به ثم جاء الحاكم التالي اسكندر (٤٦ ــ ٤٨) وأعدم بعض أبناء يهوذا الجليلي . ويذكر إنجيل لوقا غمالائيل وهو يتحدث عن ثوداس الذى تبعه يهوذا . ولاحظ أنه كان يهوذا وليس أبناء يهوذا ، وكان غمالائيل يتحدث قبل ذلك بما يقرب من ١٢ عاماً قبل أن يقوم ثوداس بتمرده . ولو كان لوقا يعتمد على يوسيفوس فى هذه الواقعة فيكون قد أخطأ النقل عنه .

أما العبارة الأخرى فتخص ليسانيوس (لو ٣ : ١) . ورجل يحمل هذا الاسم كان أميراً لأبيلين Abilene . لكنه أعدم على يد مارك انطونيو عام ٣٦ (أو ٣٤) ق . م . وهنا يكون لوقا قد أخطأ ثانية إذا ما كان قد استند إلى ما كتبه يوسيفوس . ومع ذلك فثمة دليل على أنه كان هناك رجل آخر اسمه ليسانيوس ، ولا بد أن لوقا كان يشير إلى هذا الرجل . ومن الجلى أنه ليس من بين هذه الأمثلة ما يظهر أن لوقا قد قرأ ما كتبه يوسيفوس . ويرفض هانز كونزلمان Hans Conzelmann الفكرة القائلة أن لوقا كان يأخذ عن يوسيفوس (على الرغم من أنه لا يعارض تاريخاً تالياً لسفر الأعمال) . والحق ، أن كل هذه الافتراءات جاءت بعكس ما قُصد بها ، لأن الفحص أثبت أن القديس لوقا كان يتميز بالدقة فى كل ما كتب ـــ ولذلك فليس من المحتمل أنه قد نقل هاتين العبارتين عن يوسيفوس وأنه أخطأ فيهما كليهما . ولا أعتقد أن هناك الكثير مما يؤيد القول بأن تاريخ السفر يعود إلى القرن الثانى .

ولذا ، فإنه بصفة عامة ، يبدو أن يكون الإجماع بالأكثر لتاريخ يرجع إلى أوائل الستينات . والبرهان يفتقر إلى دليل قاطع ، بيد أن ما يمكن قوله تأييداً لهذا التاريخ يفوق بدرجة كبيرة ما يقال بالنسبة لأى تاريخ آخر .

ثالثاً : اللغة

أما من حيث اللغة فينقسم هذا الإنجيل إلى ثلاثة أقسام . المقدمة (لو ١ : ١ ـــ ٤) ، وقد كتب بأسلوب كلاسيكى جميل ، ليظهر مقدرة القديس لوقا وتمكنه من اللغة[1] ، إلا أنه بعد ذلك تخلى تماماً عن هذا الأسلوب . ويلاحظ أنه فى بقية الأصحاح الأول والأصحاح الثانى يجعلك تشعر بصبغة عبرية . وهذا الأمر ملحوظ جداً حتى أن البعض انتهوا إلى أن هذا الجزء إنما هو ترجمة عن أصل عبرى . فإن كان هذا صحيحاً . فما من وسيلة نستطيع أن نعرف بها ما إذا كان لوقا نفسه أو شخص آخر هو الذى قام بعملية الترجمة . أما من بداية الأصحاح الثالث فلقد كتب الإنجيل بنوع من الكتابة اليونانية الهلينية ، وهو ما يذكرنا إلى حد كبير بالترجمة السبعينية واستخدم لوقا مفردات كثيرة ، كما استخدم ٢٦٦ كلمة (بالإضافة إلى أسماء الأعلام) لا تجدها فى موضع آخر فى العهد الجديد ، وهذا عدد كبير جداً إذا ما وضعنا فى الاعتبار أنه يشترك مع متى ومرقس[2] فى الموضوعات التى يتناولها . أما أكثر ما يلفت النظر فى هذا الخصوص إنما هو الطريقة التى يذكرنا بها أسلوبه دائماً بالترجمة السبعينية .

وما اقتبسه القديس لوقا من العهد القديم كان بصفة عامة نقلاً عن هذه الترجمة ، وهو عادة ما يستعمل صيغ أسماء الأعلام التى وردت بها . ومن الواضح أن كثيراً من الألفاظ المميزة وبعض العبارات الخلابة مأخوذة عن الترجمة السبعينية . ويبدو أن لوقا رأى أن أسلوب هذه الترجمة أسلوب كتابى رائع ويناسب بدرجة كبيرة نوع القصة التى يكتبها . بيد أن هذا لا يوضح لنا كل الأمور . فاللغة التى استخدمها تتضمن اللغة العبرية وأحياناً

---

(١) يشير كادبورى Cadbury أن مقدمة الإنجيل تبين أن المقصود هو تقديمه إلى العامة من الناس . فهو كتابة أدبية مما يدل أنه لم يقصد أن تستخدم فى العبادة .

(٢) بالنسبة للمفردات اللغوية التى استخدمها متى فهى ١١٦ ومرقس ٧٩ . ويحتوى إنجيل لوقا على ٦٠ كلمة أخرى لم ترد فى أى مكان آخر فى العهد الجديد إلا فى سفر أعمال الرسل . بينما يحتوى سفر الأعمال على ٤١٥ مفردة خاصة به . وهذه الأرقام تختلف قليلاً عن إحصائية جون هوكنز Sir John Hawkins .

الأرامية [1] ثم نجدها فى بعض المواضع تستخدم الكلمات العبرية أكثر من أية لغة أخرى [2] . وكان أفضل تفسير لهذه الحقائق هو أنها تظهر نوع المصادر التى كان يرجع إليها لوقا . ويقول ايليس Ellis : إنه من الصعوبة أن ندرك السبب فى أن قصة الكنيسة فى فلسطين (أع ١ ــ ١٢) كان لها مذاقها الخاص أكثر مما كان لإرسالية المسيح فى الجليل أو الخطاب الذى ألقاه الرسول بولس فى أورشليم (أع ٢٢) . ويبدو أنه من المرجح أن القديس لوقا فى مواضع كهذه ، كان متأثراً جداً بأحد المصادر العبرية [3] . وقد يكون من المناسب هنا ملاحظة أنه يجب علينا دائماً ألا ننسى أن كتبة الإنجيل كانوا يكتبون بلغة خلاف اللغة الأصلية التى كان يستخدمها السيد المسيح والتلاميذ . وأنه من المتفق عليه أن يسوع كان يستخدم اللغة الآرامية (ولو أن هذا ليس بالأمر المؤكد)[4] .

وبعض الاختلافات بين الأناجيل الثلاثة التاريخية المتوافقة (متى ، مرقس ، لوقا) راجعة دون شك إلى اختلاف طرق الترجمة عن اللغه الأصلية ، وبعض التراكيب اليونانية الغير عادية هى بلا ريب انعكاسات لتراكيب كانت سائدة فى اللغة العبرية الأصلية .

---

(١) أحياناً تتحدث عن العبرية فقط عندما تشترك مع الآرامية فى نفس البناء . لكنهما تختلفان أحياناً . ويقدم لوقا كليهما .

(٢) يركز ليون دوفور Leon – Dufour على هذا التنوع . وهو يعتقد أن لوقا يقدم للشخص اليونانى لغة يونانية غير راقية . وهو يعتقد أنه يصحح بعض الكلمات اليونانية الجامدة التى استخدمها مرقس لكنه من وقت لآخر يغير الكلمات بكلمات أخرى ليست أفضل منها .

(٣) فى اختبار دقيق للبراهين يرى ساندرز E . P . Sanders أن العبرية قد تكون قديمة أو حديثة . وهو يعتقد أنه لا يمكن استنتاج التاريخ بدقة من نوع الكتابة العبرية . وفى ضوء هذا يرى أنه من الصعب معارضة ما توصل إليه من نتائج . ولكنه يوافق على أنه من المستحيل تماماً أن يضعف فكرة أن العبرية فى العهد الجديد من المحتمل أن تكون بقايا اللغة الأصلية وليست مجرد ملامح أدخلت إلى اللغة اليونانية الأصلية التى لا صلة لها نسبياً بالعبرانية . وفى الحالة التى أمامنا ليس من المستبعد أن تقودنا عبرية لوقا إلى مصدر قديم أو عدة مصادر .

(٤) يرى البعض أن يسوع ربما تكلم العبرية (James Barr) وليس ببعيد أن يكون قد عرف اليونانية أيضاً . فإن كان الأمر كذلك فإن بعض أمثاله ربما نقلت باللغة التى قيلت بها أصلاً . وليس لأكثر من سبب يعتقد أن لغته فى أغلب الأحيان كانت الآرامية أو العبرية .

رابعاً : لوقا اللاهوتى

اعتاد الناس تأليف كتب ومقالات تحت عناوين مثل « لوقا المؤرخ » . كثيراً ما تدور المناقشة حول سؤال واحد : هل كان لوقا مؤرخاً جيداً أم لا ؟ أما أنه قصد أن يكتب تاريخاً فهى فكرة مقبولة عادة . لكن كثيرين من الكتَّاب فى عهد قريب وجهوا جل اهتمامهم إلى الهدف اللاهوتى العميق المتضمن بكل وضوح فى لوقا وأعمال الرسل . وبوجه عام يعتبر لوقا الآن واحداً من اللاهوتيين فى العهد الجديد[1] ، وينظر إليه لا كمؤرخ فقط بل كمن يقدم الحقائق الدينية واللاهوتية . وإن اهتمام لوقا باللاهوت كان عظيماً لدرجة طغت على اهتمامه بالسرد التاريخى . أو ، بتعبير آخر ، أنه كان مستعداً لإجراء تغيير بسيط فى الأحداث التاريخية التى سجلها إذا ما أدى ذلك إلى توضيح أفكاره اللاهوتية .

وإذ تبدأ مناقشتنا لهذه النقطة نوضح أن لوقا لم يتركنا فى حيرة بالنسبة لما كان يحاول أن يوضحه . فهو يخبرنا بأنه تتبع كل شيء بتدقيق فترة من الزمن ، وأنه الآن يكتب إلى ثاوفيلس « لتعرف صحة الكلام الذى عُلمت به » (لو ١ : ٤) . وهذا ، كما قال جرانت Grant واضح وصريح كالملحق الذى ذكر فى (يو ٢٠ : ٣٠ وما بعدها) وكان هدفه إجلاء نقاط سوء الفهم أو سوء العرض الذى يحتمل أنه كان منتشراً فى العالم الوثنى ، بل ربما حتى بين دوائر الأوساط الحاكمة الرومانية . لكن ، الجميع لم ينظروا إلى ما قام به على هذا النحو . فبعض النقاد ، على سبيل المثال ، يعتبرون أن ما قام به لوقا لا يزيد كثيراً عن دور جامع الحقائق أو مصنفها ، فقد كان مجرد محرر سجّل سلسلة من الأحداث والأقوال غير المترابطة (وهكذا كانوا يرون بشارتى متى ومرقس) . وكان فينسنت بول يسمى هذا النقد « وليد الخيبة » . ولقد نشأت بعد أن شعر النقاد أنهم تبنوا نظرية المصدرين (إنجيل مرقس ، Q) بقدر ما استطاعوا . وكانت محاولة خطيرة أن يكتفى بالمصادر المكتوبة فى عهد كانت فيه المعلومات عن يسوع لا تنتشر إلا من خلال التقليد الشفهى . وثمة

---

(١) يرى جيمس دن James D . G . Dunn مثلاً إن لوقا واحد من ثلاثة لاهوتيين عظماء فى العهد الجديد (أما الآخران فهما يوحنا وبولس)

أجزاء فقط من المعلومات التى كانت متوافرة عن السيد المسيح وتعاليمه أمكن الاحتفاظ بها من بين الكم الهائل مما كان متوافراً فى البداية . ونظراً لأن القصص والأمثال كانت تروى مراراً وتكراراً فقد احتفظت بصيغ معينة ثابتة . ومن دراسة هذه الصيغ برز الإسم « نقد الصياغه » . وهى على سبيل المثال كانت تبلغ أوجها وتختتم بقول مأثور ، ويظهر أنها قيلت لإبراز هذا القول . ولذلك لا تشكل تفاصيل القصة أهمية ، لأن الأهمية تكمن فى ذلك القول المأثور . وهذه يطلق عليها بولتمان Bultmann « حكماً أو أقوالاً مأثورة » . « أما فينسنت تايلور V . Taylor ، فيسميها « آراء فى قصص » . ومن الواضح أن مثل هذه القصص مختلفة فى الصياغة عن قصص المعجزات . وهناك أشكال أخرى يمكن تتبعها . ودراسة الأشكال أو الصيغ التى تداول بها التقليد الشفهى أمر له قيمته . لكن معظم « نقاد الصياغة » يذهبون إلى أبعد من ذلك ، فهم يفترضون أن مصادر التقليد الشفهى كانوا مهتمين باحتياجاتهم اليومية حتى أنهم لم يعرفوا يسوع كما هو[1] بل بحسب ما عبر عن احتياجاتهم فى ذلك العصر ، وبمعنى آخر ، كانوا يتلمسون فى تعاليم السيد المسيح ما كانوا يرون أنه يسد احتياجاتهم[2] . ومن الواضح أن هذا يتعدى حدود دراسة الشكل . ثم أن هؤلاء النقاد افترضوا أمراً آخر ألا وهو أن التقليد نقل فى وحدات منفصلة : فلم تكن قصة مترابطة . ويتحدث نقاد الشكل عن عدم ترابط قصة حياة يسوع . وعندما بدأ البشيرون كتابة الأناجيل بهذا المفهوم ، وجدوا أمامهم سلسلة من الوحدات غير المترابطة والتى اضطروا أن يجمعوا بينها كما تجمع حبات الخرز فى عقد . وهذا قد أودى بكل احتمال لرؤية الحركة والتطور فى قصة السيد المسيح . وإلى حد ما ينزع نقاد الشكل عادة إلى الشك . وهم واثقون تماماً بأن ما قدمه لنا التقليد الشفهى هو قصة يسوع كما عرفتها الكنيسة الأولى حتى أنهم انتهوا فى الغالب إلى أننا لا نملك وسيلة تمكننا من معرفة يسوع التاريخى .

---

(١) إنهم يتغاضون عن النقطة التى أثارها وليم باركلى عندما قال « إنهم أى أصحاب نظرية نقد الشكل أو الصيغة ـــ ارتكبوا خطأ واحداً : عندما فشلوا أن يروا أن كتاب الأناجيل كانوا يهدفون إلى إحياء الإيمان بتقديم صورة يسوع كما هو . »

(٢) يقول يواقيم رود Joachim Rohde « من أهم تصورات وافتراضات أصحاب نظرية نقد الشكل قولهم : إن الأناجيل الثلاثة الأولى ـــ متى ومرقس ولوقا ـــ ليست مجرد تاريخ حياة بالمعنى التاريخى لكنها شهادات لإيمان المسيحية الأولى وأن إيمان الجماعة بعد القيامة كان له تأثيره على قصص حياة يسوع .

ولقد قدم هؤلاء النقاد للكنيسة خدمة جليلة وذلك بلفت النظر إلى أهمية المرحلة الشفهية فى نقل حياة وتعاليم السيد المسيح . وهناك الكثير أيضاً مما يمكننا أن نتعلمه من دراسة الأشكال التى صيغت بها هذه القصص . بيد أن نقاد الشكل يبدو وأنهم ارتكبوا أخطاء جسيمة . فإصرارهم ـــ مثلاً ـــ على أن الكنيسة تتلمس اهتماماتها فى تعاليم الرب يسوع يتغافل عن حقيقة أن موضوعات الإنجيل ليست هى ما كانت تشغل اهتمام الكنيسة الأولى ، فمثلاً موقف الأمم فى الكنيسة المسيحية ، ماذا يعمل المسيحيون إزاء الاضطهاد ، مكان الخدام فى الكنيسة ، ممارسة مواهب الروح القدس ، وما إلى ذلك . ونعود ونقول ، إن هؤلاء النقاد ينسبون للمجتمع قوة خلق أقوال الإنجيل الخالدة ، متجاهلين تماماً حقيقة أنه فى التاريخ ، نجد أن الأفراد ـــ وليست اللجان هم الذين يخلقون الأقوال المأثورة .

وعلاوة على ذلك ، كان بولس حريصاً على أية حال ، على التمييز بين آرائه الشخصية فى التعليم ووصايا الرب (١كو ٧ : ١٠ ، ٢٥) ، وهذه حقيقة تجعلنا نعتقد أن الكنيسة الأولى لم تكن تردد دون تمييز تعاليمها الخاصة بلسان السيد المسيح . ولم يهتم نقاد الشكل بالطريقة التى كان يستعملها المعلمون الفلسطينيون فى القرن الأول . فقد اعتاد الربيون أن يصيغوا تعاليمهم فى أشكال مناسبة يسهل على الناس تذكرها ، ويصرون على أن يحفظها تلاميذهم عن ظهر قلب . ولذلك فمن المناسب أن تكون لكثير من تعاليم السيد المسيح صيغة شعرية تتفق وهذا الغرض . وهكذا فإن كثيرين من العلماء الحاليين ، فى الوقت الذى يعترفون بامتنان بالخدمة التى ساهم بها نقاد الشكل ، إلا أنهم يشعرون أنهم تجاوزوا الحد . فالدليل لا يؤيد إستنتاجاتهم المتشائمة . ولقد ظهرت حديثاً نظرية جديدة للنقد هى « نقد التحرير **Redaction Criticism** (أى مراجعة المخطوطات وتنقيحها) ، أو نقد الافتتاحيات تحريرياً **Editorial Criticism** ، ويصرون على أن الإنجيلين يجب النظر إليهم كمؤلفين حقيقيين وليسوا رجالاً تقتصر مهمتهم على القص واللصق ، وكأنهم لا يعملون أكثر من أن يأخذوا المادة من مصادرهم ثم يرتبونها معاً . وكتبة الإنجيل لديهم مبرراتهم بالنسبة لما يتبعونه من ترتيب ، ولديهم ما يبرر اتباعهم طريقة معينة صاغوا بها الأحداث وكتبوا بها التعاليم . وفيما يختص بلوقا ، يقول « هانز كونزلمان **Hans Conzelmann** » ، بأنه كان مهتماً بالكتابة عن قصة الخلاص ، وأنه يرى هذا

فى ثلاثة مراحل :

١ ــ عصر إسرائيل (لو ١٦ : ١٦) .
٢ ــ فترة إرسالية المسيح (لو ٤ : ١٦ وما بعدها ، أع ١٠ : ٣٨) .
٣ ــ الفترة منذ الصعود ، أى عصر الكنيسة .

والعنوان الرئيسى لكتاب كونزلمان وهو « منتصف الزمان » ، The Middle of the Time يلخص موقف المؤلف بدرجة رائعة . وهو يقول إن لوقا يرى أن شخص يسوع هو المركز وأنه كتب بشارته على ضوء هذا الاعتقاد . ويرى كونزلمان أن إنجيل لوقا سيطرت عليه وجهة النظر اللاهوتية . فالنواحى الجغرافية مثلاً فى بشارة لوقا لا يجب أن ندرسها كجغرافيا . ويشك كونزلمان فى أن ما كتبه القديس لوقا عن فلسطين كان نتاج تجربة واختبار شخصى ، لكنه على أية حال ، يرى أن لوقا استخدم المصطلحات الجغرافية بمعنى رمزى ولاهوتى . وعلى هذا النحو فإن الأردن هو بكل بساطة النطاق الخاص بيوحنا المعمدان . ثم أنه لا يمكن تحديد موقع البرية التى وقعت بها « التجربة » (لو ٤ : ٢) ، لأنها بكل بساطة ما هى إلا رمز للفصل بين الأردن والجليل . وهذا المنهج الذى تناول به كونزلمان هذه الموضوعات الجغرافية هو أحد النقاط التى يشدد عليها ويطورها طوال الجزء الأول من كتابه[1] . وتناول أى موضوع على هذا النحو عرضة للنقد الموضوعى والمنطقى . وعلى سبيل المثال ، يشعر الكثيرون أن كونزلمان ارتكز على نقاط زائفة ما كان للوقا أن يقرها إطلاقاً . كما اعترض البعض أيضاً على أنه يغالى بثقة زائدة وإلى أبعد الحدود فى تفسيره لأية صيغة وردت فى (لو ١٦ : ١٦) .

ثم أن النقد العنيف الذى وجهه كونزلمان إلى الناحية الجغرافية فى بشارة لوقا جاءت دون أية إشارة لسفر الأعمال . ونجد هنا أن جبل الزيتون كان على بعد سفر سبت من أورشليم (أع ١ : ١٢) ، وأن الحقل الذى هلك فيه يهوذا دعى حقل دما (أع ١ : ١٩) . والكاتب كان يعرف باب الهيكل الجميل ورواق سليمان (أع ٣ : ١٠ ، ١١) . وهو يشير إلى شخص يقال له « قائد جند الهيكل » (أع ٤ : ١) ، ثم يشير أيضاً إلى الطريق المنحدرة

---

(1) H . Conzelmann . The Theology of St . Luke London 1960

من أورشليم إلى غزة والتى كان يعرف أنها برية (أع ٨ : ٢٦) . ثم ان طريقة وصفه للسجن الذى هرب منه القديس بطرس تشير إلى معرفته الأكيدة به (أع ١٢ : ١٠) وهذا ينطبق أيضاً على معرفته بالمكان الذى التقت فيه مجموعة من المسيحيين للصلاة (أع ١٢ : ١٢) . ثم انه كان يعرف أن قيصرية كانت مقر الحكومة الرومانية (أع ١٢ : ١٩ ، ٢٣ : ٢٣ ــ ٢٦) ، وأن كتيبة كانت متمركزة فى أورشليم (أع ٢١ : ٣١) . كما يتحدث بصفة تلقائية عن الدرج المؤدى إلى قلعة أنتونية (أع ٢١ : ٤٠) . وحدد موقع قيصرية وأنها على بعد يومين من أورشليم (أع ٢٣ : ٢٣ و ٣١ و ٣٢) المسافة هى ٦٢ ميلاً . ولا توجد شواهد موثوق بها بهذه الكثرة فى الإنجيل .

بيد أنه فى الوقت الذى لا يمكن فيه التحقق من صحة هذه الشواهد فى إنجيل لوقا ، إلا أننا نجده يتحدث بثبات وثقة كما لو كان يعرف مواقع الأماكن التى يكتب عنها (انظر لو١ : ٢٦ و ٣٩ ، ٤ : ٣١ ، ٧ : ١١ ، ٨ : ٢٦ ، ٩ : ١٠ ، ١٩ : ٢٩ و ٣٧) وجدير بالذكر أن بولتمان **Bultmann** لم يتبين أية تلفيقات جغرافية كالتى يدعيها كونزلمان ، لأنه يقول : « تتطابق جغرافية إرسالية الجليل فى إنجيل لوقا مع ما جاء فى إنجيل مرقس » . ولكن ، ما دام الباب قد فتح على مصراعيه أمام النقد فإن الترحيب بالاتجاه الجديد يكون مقبولاً طالما أنه يتناول ما قام به البشيرون ، تناولاً عادلاً وجاداً . وهذا يعيننا فى البحث عن تلك الاعتبارات اللاهوتية المسيطرة التى حملت كتبة البشائر وحفزتهم على كتابتها . ولا شك أن من المهم أن نشاركهم معرفة ما عمله الرب من أجلنا ، وأيضاً إدراك الأحداث ماذا حدث وما تاريخه .

بيد أن الإتجاه الجديد يمكن أن يكون على مستوى من الشك كالاتجاه القديم . ويمكن القول ، أنه ، فى حين أن نقاد الشكل أخفوا يسوع وراء المجتمع ، فقد أخفاه نقاد التحرير والتنقيح وراء الكاتبين . وبعبارة أخرى ، يمكن الآن تناول البشائر بافتراض أنه ليس فى مقدورنا معرفة المسيح على حقيقته ، بل فى الحدود التى عرفه بها متى أو مرقس أو لوقا أو يوحنا . بيد أنه لا ضرورة لمثل هذا التشكك . ومن الممكن رؤية الإنجيليين على أنهم لاهوتيون ، ورؤيتهم أيضاً كرجال يكنون عظيم الاحترام للتاريخ . وسبق القول

أن يوحنا المعمدان وصف فى الإنجيل الرابع من وجهة نظر واحدة فقط ، ألا وهى أنه كان شاهداً ليسوع . وكان البشير بكل تأكيد يقصد نقطة لاهوتية بإشارته إلى المعمدان . لكن إحدى نتائج دراسة لفائف البحر الميت أظهرت فى الواقع وجود نظائر لكل التعاليم المنسوبة إلى يوحنا فى الإنجيل الرابع . وهذا أقنع بعض النقاد العنيدين أن ذلك الإنجيل يجب أن يؤخذ كمصدر تاريخى قيِّم بالنسبة ليوحنا المعمدان . وأعتقد أن الشيء نفسه صحيح فى موضع آخر . فهذا ينطبق أيضاً على بشارة لوقا . فكل كتاباته وخاصة سفر الأعمال خضعت لفحص دقيق . ولقد تمت مقارنتها مع ما كتبه أسلافه وأخذت فى الاعتبار نتائج الأبحاث الأثرية . وإذا قلنا أنه قد تم التغلب على كل المشاكل فإننا نجانب الحقيقة ، إلا أنه ثمة اعتراف على نطاق واسع أن لوقا مؤرخ يعتد به [١] ، له هدف واقعى لاهوتى . وهذا ما لا يجب أن يغيب عن بالنا . ولكن فكره اللاهوتى لم يؤثر على أمانته التاريخية فى الأحداث التى سردها . بل أنه حتى رودلف بولتمان Rudolf Bultmann قال « إنه لم يسمح لمفاهيمه العقائدية (العملية) أن تؤثر على عمله [٢] . وكان رائعاً أن سير وليام رمزى ابتدأ أبحاثه وهو مقتنع أن لوقا كان مؤرخاً ضعيفاً ، لكن الحقائق أرغمته على الاعتراف به كمؤرخ بارع يعتد به . ويجب ألا نغفل قوله : « ما من كاتب يلازمه الصواب صدفة ، أو أن يكون دقيقاً بصفة غير منتظمة ، فهو دقيق لأن هذه كانت طبيعته الفكرية المتأصلة فيه . فالبعض مدققون بالطبيعة : بينما البعض الآخر غير ملتزمين وغير مدققين بالطبيعة أيضاً . وليس مقبولاً الرأى القائل أن كاتباً ما كان مدققاً بصفة عارضة فى جزء من كتابه و لم يكن كذلك فى بقية الكتاب . فلكل كاتب مستواه وحجمه بالنسبة لعمله الذى هو نتاج

---

(١) ليس هذا اعترافاً عاماً إذ أن كثيرين من النقاد المحدثين خصوصاً من الألمان ينقضون هذا الحكم .

(٢) يقول رودلف بولتمان « قد يرى البعض أنه من الصعب أن نقول إن عمل لوقا يستحق التقدير لعدم حصوله على مركز مرموق بالنسبة لبعض الإتجاهات . لكنى لا أتفق مع وجهة النظر هذه . لكن من المهم أن نعرف أن لوقا ـــ سواء قلنا أنه يستحق التقدير أم لا ـــ لم يسمح لمفاهيمه الشخصية أن تسيطر على عمله . فهو مؤرخ مجيد جداً .

وقال نلز Nils D . Dahl إنه ملتزم بمصادره ويحترم ما يراه حقائق تاريخية . ولكنه كمحرر يحدث بعض التغييرات اليسيرة ليكتب التاريخ بطريقة تسمح له أن يضع معه آراءه اللاهوتية .

روبس J . H . Ropes يصر على أن لوقا لم يفسر الجانب التاريخى .

ما يتمتع به من ميزات أدبية وثقافية[١] . ونظراً إلى أنه يمكن إثبات دقة لوقا دائماً (كما هو واضح من مجموعة المصطلحات الدقيقة الخاصة بالموظفين الرسميين الواردة فى سفر الأعمال) ، فيجب الاعتراف بأنه من الكتّاب المدققين .

والبعض يرى أن التمييز بين أنواع مختلفة من المؤرخين أمر له قيمته . وهكذا يبرز باريت Barrett النقطة الأساسية أن لوقا لم يكن مؤرخاً بالمعنى العلمى الحديث ، ... بل يعتبر مؤرخاً من العصر الهلينى . وقد يفهم من هذا أنه كان يهتم بالأشياء لا بالوقائع . لكن باريت يستطرد قائلاً أن هذا « لا يعنى ألاّ يؤخذ لوقا بجدية ككاتب للتاريخ ، والتفريق بين الواقع والخيال ، كان معروفاً قبل لوقا بوقت طويل[٢] » ويوضح طومسون Thompson هذه النقطة بالتأكيد على أن لوقا لم يخضع للقوانين المعترف بها فيما يتعلق بكتابة التاريخ . ولفت النظر إلى أن لوسيان Lucian كتب مقالاً عنوانه : « كيف تكتب التاريخ » ، ومع أنه كان فى عصر تال بعد لوقا (١٧٠ م تقريباً) ، إلا أنه بين لنا فعلاً الشيء الذى يبحث عنه المثقفون فى العهد الجديد . فمن المهم أن يتضمن التاريخ معيار الحقيقة والنزاهة وعدم التحيز . ويلخص طومسون كلامه بالقول : « وطبقاً للمعايير التى وضعها لوسيان لكتابة التاريخ ، يعتبر لوقا — كمؤرخ — قد وصل إلى مرتبة عالية فى نظر معاصريه ، والمقارنة بينه وبين رجال الأدب الآخرين فى أيامه ستكون لصالحه » .

إذاً ، كان لوقا مؤرخاً جيداً . على الرغم من أنه من المفيد ألا ننسى أنه لم يحاول أن يكتب التاريخ عينه الذى يحاول علماؤنا من المؤرخين أن يكتبوه . وكما يقول باريت Barrett أيضاً ، لقد كان من كتبة « الكتاب المقدس »

---

(١) يقول رمزى أيضاً : « إن الكتّاب الحاليين ينظرون إلى القول بأن التاريخ الذى كتبه لوقا لا يعلى عليه من جهة الثقة فيه » . وطبعاً لا يجب أن نفهم ما يقوله رمزى إنه إن كان كاتب دقيقاً فى بعض المواضع فلا بد من أن نثق فى كل ما يكتبه . فواضح أنه أى كاتب مهما كان حريصاً يمكن أن يرتكب أخطاء . ليكن ما يقوله له قيمته إزاء أولئك الذين يصفون كتابات لوقا بعدم الدقة . فإن كان الكاتب دقيقاً فى نقطة تلو الأخرى فلا بد أن هذه الدقة ناتجة عن اتجاهه الفكرى .

(٢) هذا لا يمنع أن باريت اعتقد أن لوقا أخطأ فى بعض النقاط مثل صورة الكنيسة الأولى التى ينقصها الاختلاف بين قادتها .

الذين واجهونا بأكثر من مجرد شهادة بشرية ليسوع . وهذا ليس معناه إهمال للواقع ، بل يعنى أن الحقائق سجلت لا لمجرد تسجيلها ، بل لاستيفاء هدف دينى ولاهوتى . ونستطيع أن نستخلص لمحة من ذلك الهدف من النقاط التالية :

١ ــ تاريخ الخلاص [1] :

وضع القديس لوقا قصته فى سياق علمانى (Secular) ، وبتفصيل أكثر مما فعله أى من الإنجيليين الآخرين (لو ٢ : ١ ، ٣ : ١) وهو يرى عمل الله فى المسيح كأعظم تدخل جوهرى من الله فى حياة الإنسان حيث رتب له الخلاص (أع ٢ : ٣٦ ، ٤ : ١٠ ــ ١٢ ، ١٧ : ٣٠ وما بعده) . إن يسوع المسيح هو بؤرة التاريخ كله[2] . ويؤكد لوقا أن الخلاص قد أصبح معداً فى المسيح وذلك باستعماله المتكرر لكلمة « الآن » و « اليوم » . فهو يكرر كلمة « الآن » ١٤ مرة (تكررت فى متى ٤ مرات ، وفى مرقس ٣ مرات) ويكرر كلمة « اليوم » ١١ مرة (وكررها متى ٨ مرات ومرقس مرة واحدة) . لقد حل وقت الخلاص فى المسيح يسوع .

ولا تتوقف رؤية لوقا عن تاريخ الخلاص عند صعود السيد المسيح . فهو يرى عمل الله مستمراً فى إعلان الإنجيل وفى حياة الكنيسة . ولليهود موضع خاص فى التدبير الإلهى ، وإلى النهاية يظل « رجاء إسرائيل » هو الموضوع الذى يعلنه المبشرون بالإنجيل (أع ٢٨ : ٢٠) . بيد أن اليهود رفضوا المسيا الذى جاء لهم . وهذا لا يعنى أن الله قد هزم . بل ان الحقيقة ان هذه كانت فرصة لزيادة مجال انتصاره وذلك بإعلان الإنجيل للأمم . لكن الإنجيل كان ينبغى أن يقدم لليهود أولاً . لقد كان رفضهم عطية الله هو الذى جعل الهيمنة فى الكنيسة للأمم (أع ١٣ : ٤٦ وما بعدها) . ولقد ضمّن يعقوب الأمم خاصة

---

(١) يعترض Barret على التسميات : « تاريخ الفداء » يوحى بأن التاريخ يفدى و « تاريخ الخلاص » يوحى بأن الخلاص مؤسسة لها تاريخ . ويرى فلندر Flender أن لوقا يواجه مهمة مثلثة :

أ ــ الاحتفاظ بالصورة الفريدة لحوادث حياة يسوع فى التاريخ .

ب ــ مشكلة الاستمرار التاريخى من إسرائيل إلى الكنيسة .

ج ــ مشكلة شرح تواجد الخلاص فى المجتمع المسيحى فى مسيرة التاريخ .

(٢) يرى ايفانز C . F . Evans أن لوقا يظهر المسيح النبى مثل موسى تث ١٨ : ١٥ وذلك بتقديم فصل عظيم مركزى (٩ : ٥١ ــ ١٨ : ١٤) وتطبيقه على الثنية .

فى قوله « ليأخذ منهم شعباً على اسمه » (أع ١٥ : ١٤) .

وكل هذا نابع من محبة الله ونعمته . لقد كان لوقا يسر ويبتهج عندما يوضح الطريقة التى تظهر بها محبة الله لأناس مختلفين . وكما سبق وذكر فى القسم الافتتاحى ، قد يكون هذا هو ما جعل للإنجيل الثالث جاذبية خاصة . وخلاص الله لم يأت من فراغ . فهو ينبع من محبته العظيمة للإنسان .

٢ ــ شمولية الخلاص :

نرى اتساع محبة الرب العظيمة فى شمولية الخلاص الذى يكتب عنه لوقا . وهذه الكلمة عينها « الخلاص » لا نجدها فى إنجيلى متى ومرقس ، ولا نجدها فى إنجيل يوحنا إلا مرة واحدة . ومع ذلك يكرر لوقا كلمة الخلاص **Soteria** ٤ مرات وكلمة مخلص **Sotevion** مرتين (كما نجد سبعة أمثلة أخرى لاستخدام الكلمتين فى سفر الأعمال ، فيكون المجموع ١٣ مرة) . كذلك يستعمل تعبير مخلص مرتين (ومرتين أخريين فى سفر الأعمال) ويكرر الفعل « يخلص » أكثر مما يفعل أى إنجيلى آخر . ويرى هوارد مارشال **Howard Marshal** ، هذا الإهتمام بالخلاص كأمر على جانب خطير من الأهمية : « ونحن نفترض أن فكرة الخلاص تقدم لنا مفتاح لاهوت إنجيل لوقا » .

ليس هذا مجرد إحصائيات . فيخبرنا لوقا أن رسالة الملاك كانت تخص الجنس البشرى بصفة عامة ، وليست لإسرائيل بصفة خاصة (لو ٢ : ١٤) . وهو يرجع بسلسلة نسب السيد المسيح إلى آدم (لو ٣ : ٣٨) ، أب البشرية كلها ولا يتوقف عند إبراهيم ، أب الأمة اليهودية (كما فعل متى) . ثم أنه يحدثنا عن السامريين ، كما حدث عندما أراد التلاميذ أن تنزل نار من السماء فتفنيهم (لو ٩ : ٥١ ــ ٥٤) ، أو فى المثل المشهور الخاص بالسامرى الصالح (لو ١٠ : ٣٠ ــ ٣٧) ، أو فيما ذكره من أن الأبرص المعترف بالجميل كان سامرياً (لو ١٧ : ١٦) . وهو يشير إلى الأمم فى ترنيمة سمعان (لو ٢ : ٣٢) ، ويخبرنا أنه تحدث بإطراء عن أناس ليسوا إسرائيليين مثل أرملة صرفا ونعمان السريانى (لو ٤ : ٢٥ ــ ٢٧) . ويخبرنا عن شفاء عبد قائد المئة (لو ٧ : ٢ ــ ١٠) . كذلك تحدث عن أناس يأتون من المشارق ومن المغارب ومن كل الاتجاهات ويتكئون فى ملكوت الله (لو ١٣ : ٢٩) .

وأن يكرز بالإنجيل لجميع الأمم (لو ٢٤ : ٤٧) . ومن المتفق عليه بوجه عام أن إرسالية السبعين (لو ١٠ : ١ ــ ٢٠) تتعلق بالأمم . ومن الواضح أن لوقا له اهتمام عميق برعاية الله لكل إنسان . ومع ذلك يجب ألاّ يفهم أن الجميع سيخلصون . إنه يرى الكنيسة تعيش وسط عالم شرير وهو يميز بين « أبناء العالم » و « أبناء النور » (لو ١٦ : ٨ بالمقارنة مع ١٢ : ٢٩ وما بعدها ، ٥١ وما بعدها) .

فبشارة الإنجيل مقدمة للناس أجمعين ، بيد أنه عليهم جميعاً أن يتوبوا ويستعدوا لذلك اليوم الذى هو مزمع أن يدين فيه المسكونة بالعدل (أع ١٧ : ٣٠ وما بعدها) . فالدينونة ليست موضوعاً غير وارد فى هذا الإنجيل (بالمقارنة مع ١٢ : ١٣ وما بعدها، ١٧ : ٢٦ وما بعدها) . كما يجب ألا نفهم أن الغرض هو الانتقاص من أهمية إسرائيل بالنسبة لقصد الله . فمن بين الأمور التى تأخذ بالألباب فى كتابة لوقا هى الطريقة التى يؤكد بها هذا الأممى أهمية الهيكل وأهمية أورشليم . فنراه يبدأ بشارته ويختمها بنفس الصورة « أناس يتعبدون فى الهيكل فى أورشليم . بعكس بشارة متى (وهو من اليهود) الذى يؤكد فى افتتاحيته على موضع المجوس الأمميين والذى يختتم بإرسالية من الجليل إلى العالم بأسره . وهو يتحدث عن يسوع عندما قدم إلى الهيكل كطفل ثم زيارته له وهو صبى . وهو كما يتكرر كذروة فى قصة لوقا الأخاذة عن تجربة المسيح وذروة عمل يسوع من أجل البشر . وبينهما قسم كبير يتحدث الإنجيل عن رحلة إلى أورشليم (لو ٩ : ٥١ ــ ١٩ : ٤٥ ــ لاحظ التأكيد على أورشليم بوصفها المكان المقصود كنهاية الرحلة ــ ، ٩ : ٥١ و ٥٣ ، ١٣ : ٢٢ ، ١٧ : ١١ ، ١٨ : ٣١ ، ١٩ : ٢٨ بالمقارنة مع ١٣ : ٣٣ وما بعده) . ونجده قد أشار إلى أورشليم ٣١ مرة مقابل ١٣ مرة فى بشارة متى ، ١٠ مرات فى بشارة مرقس ، ١٢ مرة فى بشارة يوحنا . وشمولية بشارة لوقا أمر حقيقى ، بيد أننا لا يجب أن ندع هذا يخفى عنا يهودية حقة .

٣ ــ الأخرويات :

يكتب القديس لوقا عن خلاص عظيم ننتفع به فى الأبدية كما فى الزمن الحاضر أيضاً . وبعض العلماء ــ فى الحقيقة ــ يقولون إنه ينتقص من قدر

موضوع الإيمان بالأخرويات[1] . ويقولون إن البشائر الأخرى كتبت على رجاء أن المسيح سيعود سريعاً ويقيم ملكوت الله ، وهو الرجاء الذى توقعه بولس وآخرون . لكن القديس لوقا كتب بشارته فى وقت خمد فيه الرجاء الحى . فبالنسبة له لم يعد مجىء المسيح أمراً قريباً . فلا يكتب أحد تاريخ الكنيسة إذا ما كان يتوقع نهاية العالم كل يوم .

ومع ذلك ، فكل هذه الافتراضات يجب أن نتناولها بحزم وجدية . وبادىء ذى بدء ، ليس من الواضح أن الإعتقاد بقرب مجىء المسيح لم يكن فى الواقع مسيطراً على فكر المسيحيين الأوائل . لا ريب أنهم تطلعوا إلى مجىء الرب . لكننا يجب ألا ننسى النقطة الدقيقة التى أبرزها فان يونيك **Van Unnik** بقوله « إن إيمان المسيحيين الأوائل لم يرتكز على تاريخ ، بل على عمل المسيح[2] . وبكل تأكيد ، تتطلع الكنيسة إلى فترة فاصلة قبل مجىء المسيح كما هو ظاهر على سبيل المثال من حقيقة أنه ما من مسيحى أقر أن الكرازة بالإنجيل يجب أن تتوقف بعد موت المسيح . لقد طلب يسوع الكرازة بالإنجيل وما من إشارة ولو ضئيلة تفيد أن الكرازة كانت مطلوبة أيام وجوده على الأرض فقط . لقد كانت الكنيسة تتوقع فترة ترقب ، أما مدى هذه الفترة فلم يعين فى أى موضع من الإنجيل . وفى الوقت الذى يشكل فيه تأخر المجىء الثانى لغزاً . إلا أنه لم يكن يشكل لغزاً بالنسبة لأعضاء الكنيسة الأولى بنفس الدرجة التى نجدها عند مفسرى العصر الحديث .

ويأتى فى المرتبة الثانية أنه ليس من الواضح تماماً أن لوقا لم يكن مهتماً بموضوع الأخرويات ، بل ان بعض فقرات كتلك الواردة فى (لو ١٢ : ٣٥ وما بعدها ، ٢١ : ٢٥ وما بعدها ... الخ) توضح عكس ذلك . لقد كان يعتنق فكرة الدينونة الوشيكة (لو ٣ : ٩ ، ١٧ ، ١٨ : ٧ وما بعدها) .

---

(١) يقول **Kasemann** إننا نجد فى إنجيل لوقا أن الأخرويات استبدلت بتاريخ الخلاص المكتوب بطريقة منظمة ومترابطة إلا أنه بالرغم من وضوح الموضوع بواسطة المعجزات فإنه يبقى محاطاً بإطار توقع وقرب مجىء المسيح .

(٢) يقول **Bartsch** اهتم لوقا على تأكيد توحد القيامة مع المجىء الثانى لا على معارضة توقع المجىء الثانى بسرعة . ومع انى لا أؤيد فكرة **Bartsch** لكن وجهة نظره تبين أن استبعاد لوقا لمجىء ثان وشيك ليس واضحاً كما يدعى بعض النقاد .

وقرب الملكوت (لو ١٠ : ٩ ، ١١) ، وفى الآية الأخيرة ضمنها القديس لوقا الكلمات « لقد اقترب منكم ملكوت الله » . وهذا ما لا تجده فى الموضوع المناظر فى إنجيل متى[1] (مت ١٠ : ١٤) . وربما لا يؤكد لوقا نفس التأكيد الذى يستخدمه كتبة العهد الجديد الآخرون ، بيد أن هذه النقطة لا يجب المبالغة فيها . ومهما أطنبنا فلن يستسلم بو ريك Bo Reicke ، فسيقول : إنه لأمر غامض كيف يتهم لوقا بأنه لا يعطى الأخرويات قدرها فى بشارته ؟ ثم يقول « ليس صحيحاً على الإطلاق القول بأن لوقا يقدم يسوع وملكوت الله فى ضوء باهت من الأفكار الأخروية أقل مما يفعله كتبة البشائر المتناظرة[2] . ثم يستنبط الرأى القائل أن لوقا يركز على فكر الفرح بقرب الخلاص وهو يجد فى هذا اهتماماً حقيقياً بالأخرويات . ثم يأتى تالبرت Talbert ويصر على أن لوقا مهتم بالأخرويات . وهو يجد تأكيدين بارزين على الأخرويات فى لوقا ــ سفر الأعمال . أحدهما فى المناداة بقرب النهاية ، والآخر هو محاولة منع إساءة تفسير تراث المسيح مما كان له أثره فى أن الإحساس بالأخرويات تم اختباره ويمكن أن يختبر تماماً فى الحياة الحاضرة .

وهكذا يبدو أن الدليل الذى قدم على أساس أن القديس لوقا لم يكن مهتماً بالأخرويات إنما تأسس على مجرد سوء الفهم . وعلى العكس من ذلك ، فهو يتطلع إلى مجىء النهاية حيث يكتمل الخلاص الذى يتحدث عنه .

٤ ــ بداءات الكنيسة الجامعة :

البعض أعوزهم الإحساس بقوة ما قاله لوقا بالتمسك بأنه حوّل المسيحية إلى مؤسسة أو أنه كان يكتب باعتباره ممثلاً لمؤسسة دينية . وبمرور الزمن استقرت الكنيسة بالطبع كمؤسسة . وفقدت الدفقة الوهاجة الأولى من الحماس والتى صاحبت إعلان بشارة الإنجيل ، وفقدت كذلك ترقب مجىء الرب بشغف ولهفة . لقد أصبحت مهتمة بمسائل تنظيمية وممارسة الفرائض ، وبصفة عامة كل ما يخدم الجانب التنظيمى فى المسيحية . والنتيجة أن كثيراً

---

(١) يقول Moule : ليس الموضوع أن لوقا لا ينتظر يوم الدينونة ومجىء الرب فهو واضح محدد بخصوص هذا الموضوع كغيره لكن لوقا يهتم أساساً بتقدير إيجابى للتدخل فى التاريخ .

(٢) يقول Mattill أن لوقا يبدى اهتماماً بالأخرويات لكنه يرى أن لوقا يعتبر نفسه مساعداً لبولس يمهد لإرساليته لذا فهو يعمل على التعجيل بحدوث جزء أساسى من الخطة الأخروية .

من النقاد أطلقوا عليها « الكثلكة المبكرة » وينظرون إلى لوقا كواحد من أبرز مؤيديها . ولسوء الحظ لم يتفق الجميع على معنى هذا الاصطلاح . وهذا يجعل من الصعوبة بمكان تحديد ما إذا كانت هذه فعلاً إحدى ملامح معالجة لوقا للموضوع . ومما يمكن قوله أن كثيراً من النقاد المقتدرين انتهوا إلى أن القديس لوقا كان أميناً لمصادره إلى أبعد حد ، لذلك ، فهو يصور بعناية ما تقوله المصادر أكثر من اهتمامه بمجريات الأحداث فى عهده . وفى رأى تالبرت أن لوقا كان يبلور التقليد الرسولى فيما كتبه فى كتابيه ، وأنه كان يكتب بنظام دقيق واضعاً نصب عينيه أن يدحض آراء هرطوقية معينة . وقد نوافق على أن لوقا كان يكتب ليسد احتياجات يومه دون القول أنه كان يعكس موقفه الشخصى فحسب . وكما يذكرنا تالبرت أيضاً ، لا يجب أن نشغل أنفسنا بالسؤال عن السبب الذى جعل لوقا يضيف سفر الأعمال لبشارته إلى الدرجة التى تنسينا أن نسأل لماذا جعل إنجيله مقدمة لسفر الأعمال . من الواضح أنه كان مهتماً بالأساس التاريخى للمسيحية . وليس بكاف أن ننظر إلى لوقا على أنه مخطط المعالجة التنظيمية للمؤسسة الدينية فى وقته . لقد رأى خطة الله فى الكنيسة من حوله . بيد أنه رآها أيضاً فى العهد القديم وفى مجىء المسيح . وأنه لم يكن رجل مؤسسات لكنه وضع المؤسسة المسيحية ضمن خطة الله السامية .

٥ ـــ خطة الله :

يرى لوقا الله عاملاً لتحقيق خطة عظيمة فى حياة الناس . وسبق ولاحظنا تكراره لكلمات مختلفة ليشير إلى « قصد » أو « غاية » كى يوضح فكرة « القصد الإلهى » العامل فى إرسالية يسوع . ويرى القصد بشكل سام فى الصليب (أع ٢ : ٢٣ ، ٣ : ١٣ ، ٥ : ٣٠ وما بعدها ... » . ويوضح لوقا هذه الفكرة أيضاً بإشاراته العديدة إلى تحقق النبوات (لو ٤ : ٢١ ، ٢٤ : ٤٤ الخ) . وقد أظهر بوضوح أن الناس لا يغيرون مقاصد الله . وكان واضحاً أيضاً فى أن الله ليس إلهاً بعيداً عنا كالآلهة التى كانت تسكن جبل أوليمب ، لا يهمه الناس ولا مصيرهم . فالإله الذى يعرفه لوقا مهتم بخلاص الناس ، وهو يعمل دوماً فيهم كى يحقق غايته فى الفداء .

٦ ـــ كأفراد :

وفى تنفيذ هدفه الفدائى العظيم ، يرى لوقا الله المهتم بالبشر . وهو لا يعتقد أن القصد الإلهى ظهر فقط خلال الحركات العظمى للأمم والشعوب ، بل تحقق فى حياة الأفراد البسطاء ، من الرجال والنساء ، فالله يهتم حتى بأحقر الناس . لذلك فلديه الكثير مما يذكره عن أناس غالباً لم يرد ذكرهم فى أى كتاب آخر . فهو يحدثنا عن زكريا وأليصابات وعن مريم ومرثا ، وعن زكا وعن كلوبا ورفيقه . كذلك يذكر لنا المرأة التى دهنت قدم يسوع بالطيب فى بيت سمعان الفريسى ... وآخرين . وثمة نقطة هامة تبرز من دراسة الأمثال التى سجلها . فبينما تدور الأمثال فى إنجيل متى حول الملكوت ، إلا أنها فى إنجيل لوقا تميل إلى إبراز الأشخاص كأفراد .

٧ ـــ أهمية المرأة .

وثمة ناحية هامة من اهتمام الله بالناس وهى التى أظهرها تجاه مجموعات من الناس لم يبال بهم أحد فى مجتمع القرن الأول ، كالنساء والأطفال والفقراء والمحتقرين . لقد أعطى مثلاً ، مكاناً بارزاً للمرأة . فالنساء فى القرن الأول لم يكن يهتم بهن أحد . لكن لوقا رآهن موضع محبة الرب وكتب عن كثيرات منهن . وفى قصص الطفولة يحدثنا عن مريم ، أم يسوع ، وعن أليصابات وحنة . وبعد ذلك يكتب أيضاً عن مرثا وأختها مريم (لو ١٠ : ٣٨ ـــ ٤٢) ، وعن مريم المجدلية ويونه وسوسنة (لو ٨ : ٢ وما بعدها) . وهو يشير أيضاً إلى نساء لم يذكر أسماءهن ، مثل أرملة نايين (لو ٧ : ١١ وما بعدها) ، والمرأة الخاطئة التى دهنت قدمى يسوع بالطيب (لو ٧ : ٣٧ وما بعدها) ، والمرأة المنحنية (لوقا ١٣ : ١١) . والأرملة التى أعطت كل ما لديها للرب (لو ٢١ : ١ ـــ ٤) ، كذلك يحدثنا عن بنات أورشليم « اللواتى كن ينحن على يسوع وهو فى طريقه إلى الصليب (لو ٢٣ : ٢٧ وما بعدها) ، وأحياناً يذكر نساء فى الأمثال كما هو الحال فى مثل الدرهم المفقود (لو ١٥ : ٨ وما بعده) ، أو قاضى الظلم (لو ١٨ : ١ وما بعده) .

٨ ـــ الأطفال :

وأبرز الأمثلة على اهتمام لوقا بالأطفال نجدها فى قصص الطفولة ، والاهتمام

بالأطفال ليس هو السبب الوحيد لذكر هذه القصص . لقد اهتم بالتأكيد على أن خطة الله تمت فى ميلاد وحياة الطفولة لكل من يوحنا ويسوع . ويذكرنا بإتمام نبوءة تتعلق بهذه الأحداث . بيد أنه من المثير أن يجد خطة الله فى أحداث تتعلق بأطفال . ويخبرنا البشير متى ببعض تفاصيل ميلاد يسوع ، وهو وحده الذى يقص علينا تفاصيل زيارة المجوس ، لكن لوقا هو الذى أعطانا معظم المعلومات الخاصة بتلك الأيام الأولى . وهو يخبرنا أيضاً عن بعض الظروف التى أحاطت بمولد يوحنا المعمدان . بل هو يعطينا القصة الوحيدة التى لدينا عن طفولة يسوع ويخبرنا من حين لآخر عن « الإبن الوحيد » أو « الإبنة الوحيدة » لأناس تحدث عنهم (لوقا ٧ : ١٢ ، ٨ : ٤٢ ، ٩ : ٣٨) .

٩ ــ المساكين :

لقد أتى يسوع ليبشر المساكين (لو ٤ : ١٨) ، وإنه لمما يجدر ذكره أن القديس لوقا يذكر لنا الطوبى للمساكين (لو ٦ : ٢٠) بالمقارنة مع الويل للأغنياء ٦ : ٢٤ ، فى الوقت الذى يتحدث فيه متى البشير عن « المساكين بالروح » (مت ٥ : ٣) . والبشارة بالأخبار السارة للمساكين هى سمة إرسالية المسيح (لو ٧ : ٢٢) . فالرعاة الذين كلمهم الملاك (لو ٢ : ٨ وما بعدها) كانوا من الفقراء . والحق ، أن عائلة يسوع نفسها كانت من العائلات الفقيرة ، لأن الذبيحة التى قدمت عند ميلاده كانت مما يقدمه الفقراء (لو ٢ : ٢٤ بالمقارنة مع لا ١٢ : ٨) . وبصفة عامة وجه القديس لوقا اهتمامه لمصلحة الفقير (لو ١ : ٥٣ ، ٦ : ٣٠ ، ١٤ : ١١ ــ ١٣ ، ٢١ ، ١٦ : ١٩ وما بعدها) . أما الناحية الأخرى لهذه العملة فهى التأكيد على شرور المال . ويهدد لوقا الأغنياء بالويل (لو ٦ : ٢٤) ويخبرنا أن الله صرف الأغنياء فارغين (لو ١ : ٥٣) . وثمة أمثال تحذر الأغنياء مثل الغنى الغبى (لو ١٢ : ١٦ وما بعدها) ، ووكيل الظلم (لو ١٦ : ١ وما بعده) ، والغنى ولعازر (لو ١٦ : ١٩ ــ ٣١) .

وثمة تحذيرات للأغنياء فى قصص الشاب الغنى (لو ١٨ : ١٨ ــ ٢٧) ، زكا (لو ١٩ : ١ ــ ١٠) ، وفلسى الأرملة (لو ٢١ : ١ ــ ٤) .

١٠ ــ المحقرون :

يخبرنا القديس لوقا أنه فى إحدى المناسبات ، كان جميع العشارين والخطاة يدنون ليسمعوا يسوع (لو ١٥ : ١) . وهذه لم تكن حادثة وحيدة فى الإنجيل الثالث ، لأن لوقا ينتهز المناسبات ليذكر كثيرين ممن لا يحترمهم المجتمع . وهكذا يحدثنا عن زكا (الذى رفضه الواقفون لأنه خاطىء لو ١٩ : ٧) ، وعن الوليمة التى أقامها لاوى لمن وصفهم الفريسيون بأنهم « من العشارين والخطاة » (لو ٥ : ٣٠) . وعلى نفس الوتيرة يروى لنا قصة المرأة الخاطئة التى بكت عند قدمى يسوع ودهنتهما بالطيب والتى قال عنها يسوع « إن خطاياها الكثيرة قد غفرت لأنها أحبت كثيراً » (لو ٧ : ٣٧ ــ ٥٠) . والإبن الضال لم يكن نموذجاً لأصحاب الآراء السليمة . لكن ذكر الإنجيل أنه يوجد طريق للرجوع لمن يحتاجون إلى البر كما ورد فى الأمثال فى لوقا (لو ٧ : ٤١ وما بعده ، ١٢ : ١٣ ــ ٢١ ، ١٦ : ١ ــ ١٢ و ١٩ ــ ٣١ ، ١٨ : ١ ــ ٨ و ٩ ــ ١٤) .

١١ ــ آلام المسيح :

ما أسمى قصد الله الذى تم بآلام ربنا يسوع المسيح . وما يكتبه لوقا نابع من قناعته بأن الله عمل فى المسيح من أجل خلاص البشر . ولقد تسرع بعض المفسرين بالقول إن لوقا لم يذكر بعض العبارات الهامة التى أوردها مرقس عن الصليب (مر ١٠ : ٤٥ مثلاً)[١] وأكدوا أنه لم يذكر شيئاً عن لاهوت الصليب[٢] . والواقع أن الصليب يهيمن على الكل[٣] . لقد أثار لوقا فى الجزء

---

(١) يقول Rudolf Otto احتفظ لوقا بجوهر هذه الأقوال عند سرد آلام المسيح . ويقول أن فكرة الفدية عن كثيرين ظهرت بالتحديد عند كسر الخبز وتثبت المعنى تماماً عند توزيع الخبز .

(٢) هذه نظرة عصرية فى بعض جوانبها . لكن من المهم أن نلاحظ أنه فى الأيام الأولى كان ينظر إلى نفس البراهين نظرة مختلفة . ويذكرنا Plummer بالرموز الأربعة للأناجيل والتى كان يرمز إليها بطرق متنوعة لكن كان يرمز دائماً لإنجيل لوقا بالثور . ويقول Isaac Williams هذا الحيوان يتضمن معنى الكفارة وهذا يتمشى تماماً مع ما يميز إنجيل لوقا . كما يجب أن نلاحظ النقطة التى يثيرها Marshall فى هذا الصدد وهى أن لوقا لا يختلف اختلافاً له دلالته عن متى ومرقس .

(٣) يرى Bo Reicke أن قصة آلام المسيح فى لوقا مهمة ومضيئة لأن القصة مع مقدمتها تقدم المأساة كلها وبصورة مميزة خصوصاً وأنها تصل إلى ذروة المأساة . كما يرى الأسقف Cassian فى نبوءة سمعان الشيخ فى الهيكل (٢ : ٢٥ ــ ٣٥) نغمة الألم الذى سيتعرض له يسوع فى حياته .

الأول من إنجيله إلى تمام الأيام لارتفاعه (لو ٩ : ٥١) ، ثم قال إن يسوع ، ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم . ويشير يسوع إلى موته كصبغة ويضيف قائلاً : « وكيف انحصر حتى تكمل » (لو ١٢ : ٥٠) . وأرسل إلى هيرودس قائلاً : « ها أنا أخرج شياطين وأشفي اليوم وغداً وفى اليوم الثالث أكمل » (لو ١٣ : ٣٢ ، ثم يستمر فى حديثه عن أنه سيموت فى أورشليم) . وفى إحدى الفقرات (من المصدر Q) . نجد نبوءة للوقا عن الآلام وهذا ما لا يوجد فى بشارة متى (لو ١٧ : ٢٥) . وعلى نفس المنوال يخبرنا فى قصته عن التجسد ، وهذا ما لم يفعله الآخرون ، أن موسى وإيليا تحدثا عن موت يسوع (لو ٩ : ٣١) . وبالطبع ، تشغل قصة الآلام حيزاً كبيراً فى نهاية الإنجيل . ويذكر القديس لوقا عدداً من الإشارات إلى اتمام المكتوب فيما يتعلق بآلام المسيح ، وهو ما يعطى قصته مذاقاً خاصاً (انظر لو ١٨ : ٣١ ، ٢٠ : ١٧ ، ٢٢ : ٣٧ ، ٢٤ : ٢٦ وما بعدها ، ٤٤ ، ٤٦ وربما ٩ : ٢٢ أيضاً ، ١٣ : ٣٣ ، ١٧ : ٢٥ ، ٢٤ : ٧) . لقد تمت مشيئة الله فى آلام المسيح .

والحق ، أن لوقا لم يشدد على العلاقة بين الصليب والخلاص كما فعل كل من القديسين بولس ويوحنا . مما يجعل من الممكن فهم إشارات لوقا إلى الصليب ـــ كما قال أحدهم ـــ كما لو أنه طريق مكرس يؤدى إلى القيامة وارتفاع يسوع الرئيس والمخلص . قد يكون هذا ممكناً ، إلا أنه ليس واضحاً على أية حال . فما من إشارة إلى نصر كامل فى معظم الإشارات التى وردت فيما كتبه لوقا ، وحيث جاءت النصرة بالفعل ، نجدها دون تأكيد (بالمقارنة مع أنه فى اليوم الثالث يقوم ، لو ١٨ : ٣٣ ، ولا توجد ولا كلمة واحدة عن النصرة أو الارتفاع) وهذا هو المهم .

فلوقا يرى أن المسيح مخلص البشر ، وأن هذا الخلاص يتم عن طريق الصليب . وإذا لم يكن قد شدد على مغزى كفارة آلام المسيح إلاّ أنه أشار إليها ، وهذا جدير بإظهار أن لوقا لا يلمح إلى أى مغزى آخر .وعلى ضوء اهتمامه الواضح بالخلاص ، فقد يكون السؤال : لماذا يشدد لوقا على الصليب على هذا النحو ما لم يكن هذا بسبب أهميته للخلاص ؟

ويجب ألا نسمح لأفكارنا أن تتوقف عند إنجيل لوقا . إذ يستمر لوقا فى كتابه الثانى (سفر الأعمال) فى التأكيد على أهمية الصليب . وهو يوضح

حقيقة أن الكنيسة الأولى ركزت على ما فعله يسوع من أجل خلاص البشر وبصفة خاصة على الصليب والقيامة . وهنا نجد أن موت المسيح قد تم بحسب مشورة الله المحتومة وعلمه السابق (أع ٢ : ٢٣) . وثمة ما هو أكثر . إن موت يسوع كان أمراً مركزياً .

١٢ ــ الروح القدس :

إن خطة الله لم تتوقف عند الصليب ، بل هي مستمرة فى عمل الروح القدس والذى يعنى الكثير فى حياة الكنيسة أيام لوقا . لكن اهتمام هذا البشير بالروح القدس يرجع إلى زمن مبكر . فالروح القدس له دوره البارز فى الإنجيل منذ البداية . وثمة نبوءة بأن يوحنا المعمدان ، من بطن أمه يمتلىء من الروح القدس (لو ١ : ١٥) ، بينما قيل أن كلاً من اليصابات وزكريا امتلأ من الروح القدس (لو ١ : ٤١ ، ٦٧) ، وقيل أيضاً عن سمعان أن الروح القدس كان « عليه » ، وكشف له أنه سيرى المسيح وقاده إلى الهيكل فى الوقت المعين (لو ٢ : ٢٥ ــ ٢٧) . وكان عمل الروح القدس بارزاً بالنسبة لإرسالية المسيح وهذا له صلة مباشرة « بحبل العذراء » لأن الملاك قال للعذراء : « الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك (لو ١ : ٣٥) . وعندما شرع يسوع فى بدء إرساليته كانت هناك إشارات عدة إلى الروح القدس . لقد تنبأ يوحنا المعمدان أن يسوع سيعمد بالروح القدس ونار (لو ٣ : ١٦) . وعندما تعمد الرب يسوع « نزل عليه الروح القدس » بهيئة جسمية مثل حمامة (لو ٣ : ٢٢) ، وكان الروح القدس يملأه أيضاً واقتاده فى البرية أثناء التجربة (لو ٤ : ١) ، وبعد التجربة ، وجاء الوقت ليبدأ يسوع إرساليته « رجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل » (لو ٤ : ١٤) . وعندما قام فى المجمع (فى الناصرة) ــ ليقرأ طبق على نفسه القول « روح الرب علىّ » (لو ٤ : ١٨) . وما من إشارات كثيرة إلى الروح القدس أثناء الإرسالية ، رغم أنه فى إحدى المناسبات ذكر أن يسوع « تهلل بالروح » (لو ١٠ : ٢١) . وعلينا أن ندرك أن هذا يشير إلى أن الروح القدس كان مع يسوع بصفة دائمة . ومن ناحية أخرى قال يسوع لتلاميذه إنه عند الضرورة سيعلمهم الروح القدس ما يجب أن يقولوه (لو ١٢ : ١٢) . والتجديف على الروح القدس هو الخطية العظمى (لو ١٢ : ١٠) . وأخبر يسوع تلاميذه أن الآب

يعطى الروح القدس للذين يسألونه (لو ١١ : ٢٣) . وبعد القيامة قال « ها أنا أرسل إليكم موعد أبى » . وأكد للتلاميذ أنهم « سينالون قوة من الأعالى » (لو ٢٤ : ٤٩) . وهذه إشارة واضحة لمجيء الروح القدس ، وهى نبوءة تمت فى يوم الخمسين .

ورغم أهمية تعليم هذا الإنجيل عن الروح القدس ، فإننا نجد فى سفر الأعمال فيضاً من التأكيدات . فهو السفر الذى يغمره فيض الروح القدس لذلك سمى (سفر أعمال الروح القدس) . فالروح القدس يعمل بصفة دائمة منذ يوم الخمسين .

ولذلك فإنه لأمر واضح تماماً ، أنه من بين أعظم ما شدد عليه لوقا هو « الروح القدس » ، فهو لا يعتقد أن الله يترك الناس يخدمونه بأقصى ما يستطيعون بالاعتماد على مصادرهم الذاتية . إن محبة الله قد ظهرت فى الروح القدس الذى يسكن قلوب المسيحيين ويقويهم ويرشدهم . لقد رأى البعض فى تشديد القديس لوقا على إبراز دور الروح القدس بديلاً للتشديد على الإيمان بالأخرويات ، الذى يعتبره البشيرون الآخرون أمراً على جانب كبير من الأهمية . وينبه فلندر **Helmut Flender** إلى مجادلة كونتزلمان وشويزر **Schweizer** بالقول أن لا خلطة بين تاريخ الخلاص والإيمان بالأخرويات . ويعارض هذا بقوله : فى تقديرى وبحق ، أن هذا ليس فهماً صادقاً لعمل الروح القدس ويرى فلندر أن ارتفاع يسوع وانسكاب الروح القدس أحداث أخروية حقيقية لكنه يرفض أن هذا ما يجعل الكنيسة فكرة أخروية ، وعندما نفهم تاريخ الكفارة على هذا النحو فإننا نخلط ما هو إلهى بما هو نشاط بشرى وهذا أمر لا يمكن تقبله . وعندما نتحدث عن الروح القدس ، على أنه من الأخرويات فنحن نقصد أن الأخرويات أصبحت واقعاً حاضراً . ومما يؤكد المعنى الحقيقى للإحساس بقرب حدوث شيء أو التوقع الدائم له هو أن مواهب الروح القدس ليست جزءاً من التنظيم الكنسى ، كما لو أن الكنيسة تخضع الروح لسيطرتها ويمكنها أن تقدم مواهب الروح فى أى وقت تختاره . لقد أعطى الروح القدس فى الخمسين بيد أنه يستطيع أن يملأ نفس الأشخاص مرة أخرى بعد فترة « استجابة » للصلاة (أع ٤ : ٣١) .

وحضور الروح القدس ، لا يزال موهبة إلهية فوق طبيعية ، ويجب أن

يترقبها المؤمنون ويكونون على أهبة الاستعداد لنوالها[1] . ولا يجب أن يكون الروح القدس محل استغلال وافتئات . لا يجب أن تقول الكنيسة « لدينا الروح القدس بين أيدينا . لسنا فى حاجة لترقب مجىء الرب » . ويوضح سفر الأعمال وبدرجة كبيرة هيمنة الروح القدس على الناحية التاريخية . وكما سبق ولاحظنا آنفاً ، أن القديس لوقا حدثنا عن الروح القدس فى إنجيله بدرجة أكبر مما فعل أى من الإنجيليين الآخرين . وهذا يشكل استمرارية . فالروح القدس يعمل سواء فى إرسالية المسيح أو فى حياة الكنيسة الأولى .

١٣ ــ الصلاة :

فى تعاليمه عن الروح القدس ، وضح لنا لوقا أن الله يتمم مشيئته ، وهذا يتطلب اتجاهاً سليماً من قبل شعب الله ، وهو ما يتمشى مع ما شدد عليه لوقا من أهمية الصلاة . وثمة طريقتان رئيسيتان وضحت من خلالهما هذه الأهمية . أولهما تتمثل فى تسجيل صلوات السيد المسيح (لو ٣ : ٢١ ، ٥ : ١٦ ، ٦ : ١٢ ، ٩ : ١٨ ، ٢٨ وما بعدها ، ١٠ : ٢١ وما بعدها ، ١١ : ١ ، ٢٢ : ٤١ وما بعدها ، ٢٣ : ٤٦) وسبع من هذه الصلوات نجدها فى بشارة لوقا وحدها ، وهى تظهر لنا المسيح وهو يصلى قبل كل أمر جلل صادفه . وذكر إنجيل لوقا وحده أن يسوع صلى من أجل بطرس (لو٢٢ : ٣١ وما بعده) . ويخبرنا لوقا أن يسوع صلى من أجل أعدائه (لو ٢٣ : ٤٣) ، ومن أجل نفسه (لو ٢٢ : ٤١ وما بعدها) .

أما الوسيلة الثانية فكانت عن طريق الأمثال التى تضمنت الكثير من التعاليم عن الصلاة ، كصديق نصف الليل (لو ١١ : ٥ وما بعدها) ، قاضى الظلم (لو ١٨ : ١ وما بعدها) والفريسى والعشار (لو ١٨ : ١٠ وما بعدها) .

وبالإضافة إلى ذلك ، يسجل القديس لوقا بعض الأمثال التى كانت تحض التلاميذ على الصلاة (لو ٦ : ٢٨ ، ١١ : ٢ ، ٢٢ : ٤٠ ، ٤٦) ، بل ويحذرنا من الصلوات الباطلة (لو ٢٠ : ٤٧) .

---

(١) يقول Lampe أن الخيط الذى يربط إنجيل لوقا بسفر الأعمال هو عمل روح الله .

١٤ ـــ التسبيح والتمجيد :

إنجيل لوقا هو إنجيل الترنيم . فهو يسجل لنا بعضاً من الترنيمات العظيمة للإيمان المسيحى : ترنيمة التمجيد التى شدى بها الملائكة (لو ٢ : ١٤) ، وترانيم البهجة والبركة والخلاص (لو ١ : ٤٦ وما بعدها ، ٦٨ ، ٢ : ٢٩ وما بعدها) . وكثيراً ما يشكر الناس الرب أو يمجدونه أو يحمدوه على البركات والخيرات التى يعطيها لهم (لو ٢ : ٢٠ ، ٥ : ٢٥ وما بعده ، ٧ : ١٦ ، ١٣ : ١٣ ، ١٧ : ١٥ ، ١٨ : ٤٣) . وكثيراً جداً ما نجد كلمتى « يفرح » ، « فرح » فى بشارة لوقا (لو ١ : ١٤ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ١٠ : ٢١ مثلاً) وثمة ضحكات تتردد فى هذا الإنجيل (لو ٦ : ٢١) ، وفرح (لو ٩ : ١٦) . وثمة فرح على الأرض إذ وجد الخروف الضال والدرهم المفقود ، وثمة فرح فى السماء بالخطاة التائبين (لو ١٥ : ٢٦ وما بعدها ، ٩ وما بعدها) . وينتهى هذا الإنجيل كما بدأ ، بالفرح العظيم (لو ٢٤ : ٥٢ بالمقارنة مع لو ١ : ١٤) .

من كل ما تقدم يتضح أن لوقا كتب بشارته وكان يرمى إلى هدف لاهوتى عميق . فهو يعرف الله العامل من أجل خلاص البشر وأنه يسر بأن يوضح لنا نواحى عديدة من عمل الخلاص العظيم هذا .

خامساً : علاقة بشارة لوقا بالبشائر الأخرى

أ ـــ مشكلة التوافق Synopsis : وثمة مشكلة نجمت عن التوافق بين فقرات معينة من البشائر الثلاثة الأولى . أحياناً نجدها فى البشائر الثلاثة وأحياناً فى بشارتين فقط . والتشابه قريب جداً . وقد تكون الفقرات بنفس الألفاظ تقريباً . وحتى العلامات الدقيقة غير الهامة قد تكون هى نفسها مكررة فى البشائر الثلاث . ولو كان هذا قد اقتصر على كلمات الرب يسوع فقط لكان فى الإمكان إرجاع ذلك إلى دقة التسجيل كما الشرح . بيد أننا نجد التشابه أيضاً فى سرد الأحداث . والمشكلة تكمن فى كيفية تبرير هذه الحقائق وتفسير العلاقة بين هذه البشائر .

ونبين الحقائق الأساسية على النحو التالى :

١ ــ الخطة العامة لهذه الأناجيل الثلاثة متشابهة . فثمة إرسالية للمسيح فى الجليل ، يتبعها رحلة إلى أورشليم حيث من المزمع أن يتألم . لكن تناول الأحداث مختلف تماماً فى إنجيل يوحنا ، حيث نجد يسوع وهو يقوم بعدة زيارات لأورشليم .

٢ ــ فى الأناجيل الثلاثة فقرات تماثل كل منها الأخرى بدرجة كبيرة ، على سبيل المثال ما ورد فى مت ٩ : ٦ = مر ٢ : ١٠ = لو ٥ : ٢٤ .

٣ ــ فى الغالب يتفق إنجيلا متى ومرقس فى الصياغة . فى حين يختلف إنجيل لوقا عنهما ، وعلى نفس المنوال قد يتفق ما جاء بإنجيلى مرقس ولوقا ويختلفان عما ورد فى إنجيل متى . ونادراً ما يتفق متى ولوقا ويختلفان عما جاء فى إنجيل مرقس .

٤ ــ ثمة فقرات وردت فى كل من إنجيل متى ولوقا ولا تجدها فى الأقسام المناظرة فى إنجيل مرقس ، على سبيل المثال نجد أن مت ٣ : ٧ ــ ١٠ ، لو ٣ : ٧ ــ ٩ بالمقارنة مع مر ١ : ٢ ــ ٨ .

٥ ــ قد نجد مادة متشابهة فى إنجيلى متى ولوقا ولكنها ليست متطابقة على سبيل المثال مت ٥ : ٣ ، لو ٦ : ٢٠ .

٦ ــ المادة المشتركة قد توضع فى صياغات مختلفة ، مثل شفاء عبد قائد المائة (مت ٨ : ٥ وما بعدها ، لو ٧ : ١ وما بعدها) .

٧ ــ كل إنجيل به مادة لا يشاركه فيها أى من الأناجيل الأخرى .

ولا يمكن القول بأنه قد أمكن تقديم تفسير شامل لكل الحقائق . لكن الكثير يمكن استخلاصه من النظر فيما قدم من حلول لها . وقديماً كان التفسير المعتاد لهذه المشكلات هو التقليد الشفهى هو إنجيل حقيقى شفهى ، محدد فى التخطيط العام بل حتى فى اللغة ، كتب فى فترة طويلة من الزمن بأشكال خاصة متعددة ، طبقاً للصيغة النموذجية التى اتبعت فى أسلوب تبشير رسل مختلفين . لكن هذا لا يعتبر كافياً فى إيامنا هذه . وربما بدأ التقليد بلغة آدمية ومن الصعوبة أن نعرف لماذا كانت اللغة اليونانية قريبة على هذا النحو . والارتباط يمتد حتى إلى الجزئيات اليونانية . ومن الصعوبة أيضاً معرفة السبب فى أن تقليداً شفهياً يتشعب منه الكثير إلى الدرجة التى أدت إلى وجود نظام

مشترك . وقد يخرج متى ولوقا عن النظام الذى اتبعه مرقس بيد أنهما دائماً يعودان إليه .

وقد نقرأ أن التقليد الشفهى لا يفسر كل الحقائق إلا أنه علينا ألا ننسى أن مادة الإنجيل سلمت شفاهة لسنوات عدة . وليس من المستبعد أن التقليد الشفهى لم ينل إلا القليل من الاهتمام . أما لماذا لم يلق التقليد الشفهى عناية ممن كتبوا الأناجيل فهذا ما لم نتوصل إليه ، رغم أنه كان بلا شك موجوداً أثناء كتابتهم البشائر . لقد أكد لنا نقد الصيغ أهمية فترة ما قبل الكتابة الأدبية ، وهكذا استمد بعض الكتاب الاسكندنافيين عملهم من اتجاه آخر ومن بينهم ريزنفيلد وجيرهادسون[1] **Reisenfeld & Gerhardson** .

ولكن معظم النقاد يوافقون الآن على أننا يجب أن نفكر فى المصادر الكتابية . ونظرية المصدرين تفيد أن إنجيل القديس مرقس كان أول الأناجيل المكتوبة وأن القديسين متى ولوقا استندا إلى إنجيل مرقس ومصدر آخر أيضاً يرمز إله بالحرف Q[2] والأسباب التى أعطيت لأولوية إنجيل مرقس هى :

١ ـــ كل ما ورد فى إنجيل مرقس تقريباً ورد فى الإنجيلين الآخرين . وفى إنجيل متى .. آية مأخوذة من ٦٦١ آية وردت فى إنجيل مرقس . واحتفظ متى بمقدار ٥١ ٪ من نص كلمات إنجيل مرقس على الرغم من أن أسلوبه أكثر تركيزاً . ومن الصعوبة بمكان أن نكتب بدقة عن إنجيل لوقا ، بيد أنه يبدو أنه يوجد ٣٥٠ آية مشتركة مع إنجيل مرقس ، ومنها ٣٥٪ تقريباً من الكلمات مأخوذة بنصها من إنجيل مرقس . و٩٠٪

---

(١) هؤلاء ركزوا على دور التناقل الشفوى بين الربيين وأشاروا إلى أن المسيحيين الأوائل ربما كانوا ضد هذه الخلفية . ومن المحتمل أن يكون المسيحيون الأوائل قد استخدموا نفس الطرق التى استخدمها الربيون لنقل التراث . ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن المسيحيين كانوا يشبهون الربيين كما يختلفون عنهم . ولكن هذا الاتجاه له قيمته .

(٢) Q هى الحرف الأول من الكلمة الألمانية **Quelle** ومعناها مصدر . ويقال عادة ـــ بكل ثقة ـــ أن هذا هو أصل الرمز . وكان **Armitage Robinson** ـــ فى أثناء محاضراته فى التسعينات من القرن الماضى ـــ يشير إلى مرقس بالرمز P (أى ذكريات Peter أى بطرس) وإلى وثائق الأقوال بالرمز Q . ويعتقد أن أحدهم نقل هذه الطريقة إلى ألمانيا حيث تسبت Q إلى **Quelle** . ويعتقد أن **Welhansen** هو أول من استخدمها فى ألمانيا . كما يذكر **Howard** أن الرمز استخدمه **Weiss** فى مقال نشر ١٨٩١ ثم فى كتاب نشر ١٨٩٢ . والمسألة لم تحسم بعد .

تقريباً من إنجيل مرقس موجود فى إنجيل متى ونصفه فى إنجيل لوقا . وثمة أربع فقرات فقط من إنجيل مرقس لا تظهر فى أى من هذين الإنجيلين .

٢ ـــ الطريقة التى استعملت بها هذه المادة تظهر أن مرقس ما كان يستطيع أن يستخدم الاثنين الآخرين كمصدر له .

ويعلق كلوج Clogg على موضوع شفاء المفلوج (مت ٩ : ١ ـــ ٨ ، مر ٢ : ١ ـــ ١٢ ، لو ٥ : ١٧ ـــ ٢٦) ، ما من شيء فى إنجيل متى ولوقا لا نجده فى إنجيل مرقس . لكن إنجيل مرقس به تفصيلات تصويرية يفتقدها الإنجيلان الآخران . ومن المستحيل تقريباً أن يكون مرقس قد جمع قصته من الإنجيلين الآخرين ومع ذلك يظل إنجيله أكثر حيوية وأقرب للحياة منهما .

ويمكن عمل تعليق مماثل مراراً وتكراراً .

٣ ـــ أحياناً يترك كل من متى ولوقا ما فى إنجيل مرقس ، لكنهما لا يتفقان غالباً فيما يتركانه .

٤ ـــ يتبع متى ولوقا النظام المرقسى عادة . وحين يبتعد أحدهما عن طريقة مرقس يسانده الآخر عادة . ونادراً ما يتفقان فى التفاصيل مخالفين مرقس .

٥ ـــ القديس مرقس أكثر صراحة منهما فى وصف بشرية المسيح . فهو يخبرنا مثلاً أنه فى المجمع ، بعد أن سأل عما إذا كان يحل فعل الخير أو فعل الشر فى السبت ، وقبل أن يشفى الرجل ذا اليد اليابسة ، نظر يسوع حوله إليهم بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم (مر ٣ : ٥) . لكن كلا من متى ولوقا ترك الإشارة إلى غضب يسوع وحزنه .

٦ ـــ مرقس أكثر ميلاً إلى ذكر ضعفات التلاميذ . وهكذا يخبرنا أنه فى مناسبة الحديث عن « خمير هيرودس » سألهم يسوع « أحتى الآن قلوبكم غليظة ، ألكم أعين ولا تبصرون ولكم آذان ولا تسمعون » (مر ٨ :

١٧ وما بعدها) . ولكن متى ترك هذا الكلام عندما تحدث عن هذه الواقعة (مت ١٦ : ٩) .

٧ ـــ نجد لمسات حية فى إنجيل مرقس (والتى تشبه إلى حد كبير أقوال شاهد عيان) ، تركها متى ولاقا من كتاباتهما المناظرة . وتتضمن هذه نقاط مثل عبارة « فجلس ونادى الإثنى عشر » (مر ٩ : ٣٥) ، « ونظر يسوع حوله » (مر ١٠ : ٣) ، والكلمة غير العادية التى استخدمها بالنسبة للمجموعات التى جلس بها الناس ، عند إطعام الخمسة آلاف (مر ٦ : ٤٠ ، والكلمة هى اتكأوا) .

٨ ـــ فى حين أن متى ولوقا يكتبان كل فى منأى عن الآخر بالنسبة لقصص الطفولة ، إلا أنهما اتفقا معاً (ومع مرقس) عند النقطة التى بدأ بها مرقس إنجيله .

٩ ـــ يميل كل من متى ولوقا إلى تنقيح ما يرويه مرقس ويبدو وأنهما يتبنيان لهجة أكثر تحفظاً (ارجع للنقطتين ٥ ، ٦ السابقتين) . فهما يصححان التركيبات الصعبة والتى لا تتمشى مع قواعد اللغة ويحذفان التعبيرات المكتوبة باللغة الآرامية ، الأمر الذى جعل تعبيرات مرقس تبدو بدائية بالمقارنة معهما .

١٠ ـــ البعض يلمسون فى إنجيلى متى ومرقس محاولات لتوضيح كل ما وجد غامضاً فى الكتابات المرقسية . وهكذا ، حين يقول مرقس « لأنى لهذا خرجت (مر ١ : ٣٨) ، والتى قد تعنى « خرجت من عند الرب » أو « خرجت من كفر ناحوم » ، إلا أننا نقرأ هذه العبارة « لأنى لهذا قد أرسلت (لو ٤ : ٣٤) : وهكذا فإن ما جاء فى (مر ١١ : ٣) قد يعنى أن المالك سيعيد الجحش إلى يسوع ، أو أنه ، عندما ينتهى يسوع من استخدام الجحش سيعيده للمالك . لكن متى يذكر هذه النقطة بوضوح (مت ٢١ : ٣) .

وليست لكل هذه النقاط نفس الثقل . وهكذا فالنقاط ٥ ـــ ٧ بكل تأكيد ، ما هى إلا وجهات نظر مختلفة لمؤلفين مختلفين . ثم أن النقطة (٤)

يمكن أن تكون أكثر أهمية . ويقول ساندر أن أسلوب تنظيم المادة المكتوبة كما هى موجودة تحتاج لشرح أوسع . فالحوار حول الترتيب ليس كافياً لإثبات فرض نظرية المصدرين بدرجة كافية لتبرير المنهج الذى اتبعه بلتمان **Bultmann** وتيلور **Taylor** [١] .

بيد أن هناك آخرون يثيرون قضية لها وزنها . وقد قيلت ضدها نقطتان أساسيتان :

١ ــ ثمة اتفاق ما بين متى ولوقا مقابل مرقس ، وعلى سبيل المثال فى المثل الذى قيل عن جعل خمر جديدة فى ذقاق عتيقة . يقول البشيران متى ولوقا إن الخمر تنصب فقط ، بينما يقول مرقس أن الخمر تصب والزقاق تتلف (مت ٩ : ١٧ = مر ٢ : ٢٢ = لو ٥ : ٣٧) . وعلى نفس القياس ، فى قصة آلام السيد المسيح ، نجد فى كل من متى ولوقا كلمة « قائلين » و « من ضربك ؟ » ولا نجدها فى إنجيل مرقس (مت ٢٦ : ٦٧ وما بعده = مر ١٤ : ٦٥ = لو ٢٢ : ٣ » وما بعده) . وهذا أمر غريب إذا ما كان متى ولوقا يعتمدان على مرقس فعلاً . ولتفسير هذا اعتقد البعض أن إنجيل مرقس أعيدت كتابته . وإذا كان الأمر كذلك بالفعل فيكون إنجيل مرقس الذى بين أيدينا الآن هو الإنجيل الأصلى وأن متى ولوقا استعملا النسخة الثانية التى أعيدت كتابتها . لكن معظم العلماء يتفقون على أن الدليل على وجود نسخة أخرى لإنجيل مرقس هو دليل واه .

وكثير من المجادلات غير مقنعة . فكل من البشيرين متى ولوقا ــ كل على حدة ــ كان يترك بعض الكلمات غير الجوهرية وهى التى كانت تميز أسلوب مرقس ، الذى كان يميل للإطناب . فليس غريباً أن يتوافق متى ولوقا . ونفس الشيء يقال عن التغييرات فى قواعد اللغة ، مثل تغيير الزمن الحاضر إلى ماضى غير تام (فى مرقس ١٥١ مرة ، لكن فى متى ٧٨ ولوقا من ٤ ــ ٦ مرات) . لكن إذا فتحنا الباب على مصراعيه لهذه الآراء فإن عدداً كبيراً من العلماء يشعرون أن المشكلة ما زالت قائمة .

---

(١) يقول **Sanders** فى هامش كتابه أن النقاش المبنى على الترتيب يصلح فقط عند توفر وحدات طويلة ومتكاملة . أما فى الوحدات القصيرة فتوجد أماكن لم يتبع فيها متى ولا لوقا نفس ترتيب مرقس مثل مر ٩ : ٥٠ ، مت ٥ : ١٣ ، لو ١٤ : ٣٤ .

٢ ــ إذا ما كان متى ولوقا يعتمدان على مرقس ، فالسؤال هو ، لماذا تركت أجزاء بأكملها من مصدرهما ؟ ولكن هذا مردود عليه بأنهما لم يكونا مجبرين على نقل كل المصدر . وعلى كل فمن المدهش أن القليل من بشارة مرقس تعرض للترك . ومع ذلك فإنه من المحير أن نرى لوقا يترك كل ما ورد فى (مر ٦ : ٤٥ ــ ٨ : ٢٦) . وقد يكون هذا الترك قد جاء بدون قصد . لم يكن من السهل تحديد فقرة من مخطوطة قديمة فربما يكون لوقا قد انتقل عرضاً من إطعام الجموع كما جاء فى (مر ٦ : ٤٢ ــ ٤٤) إلى الكلمات المشابهة الواردة فى (مر ٨ : ١٩ ــ ٢١) . أو إنه شعر أنه لديه بدائل مشابهة كافية لمعظم ما جاء فى هذا القسم . ومثل هذه المجادلات لا تعتبر حاسمة ، ولذلك فمعظم الكتاب يقرون أن إنجيل مرقس هو أول البشائر الأربع . وهم يعتقدون أن متى ولوقا رجعا إلى هذا الإنجيل . وهذا هو أكثر ما يمكن استخلاصه من هذه الأدلة . وليس لدينا ما نستطيع إضافته فى هذا الصدد . وما سقناه من حجة ليست كاملة شافية ، ويجب ألا ننسى أن البعض يتمسكون بأسبقية إنجيل متى بل أن القلة تقول أن بشارة لوقا[١] هى الأسبق .

أما الآن فسنتناول المصدر الآخر الذى يرمز إليه بالحرف (Q) فى النظرية ذات المصدرين . وفى هذا الصدد نوضح الآتى :

١ ــ ثمة ٢٥٠ آية مشتركة بين متى ولوقا ولكنها غير موجودة فى إنجيل مرقس .

٢ ــ تختلف درجات التشابه . بعض الفقرات تكاد تكون بنفس الألفاظ وعلى سبيل المثال « أولاد الأفاعى » مت ٣ : ٨ ــ ١٠ ، لو ٣ : ٧ ــ ١٠ . وفى اللغة اليونانية نجد أن ٦٠ من ٦٣ كلمة متطابقة فى الروايتين . وهكذا الحال أيضاً بالنسبة لما جاء فى مت ٦ : ٢٤ فهو يشابه ما جاء فى لو ١٦ : ١٣ ، مت ٧ : ٣ ــ ٥ لما جاء فى لو ٦ : ٤١ ــ ٤٢ ، مت ٧ : ٧ ــ ١١ يشابه ما جاء فى لو ١١ : ٩ ــ ١٣ ، مت ١١ : ٤ ــ ٦ ، ٧ ب ــ ١١ إلى ما جاء فى لو ٧ : ٢٢ ــ ٢٣ ، ٢٤ ب ــ ٢٨ ، مت ١١ : ٢١ ــ

---

(١) عن Bussmann « هناك مصدر G خلف الأناجيل الثلاثة الأولى . استخدمه كتبة الأناجيل بعد تنقيحه فاستخدم لوقا أقدم نسخة ومتى النسخة التالية ومرقس هو النسخة الثالثة لهذا المصدر .

٢٣ لما جاء فى لو ١٠ : ١٣ ــ ١٥ ، مت ١١ : ٢٥ ــ ٢٧ لما جاء فى لو ١٠ : ٢١ ــ ٢٢ ، مت ١٢ : ٤٣ ــ ٤٥ لما جاء فى لو ١١ : ٢٤ ــ ٢٦ ، مت ٢٣ : ٣٧ ــ ٣٨ لما جاء فى لو ١٣ : ٣٤ ــ ٣٥ ، مت ٢٤ : ٤٥ ــ ٥١ لما جاء فى لو ١٢ : ٤٢ ــ ٤٦) . ويمكن الوصول إلى اتفاق بالنسبة للكلمات غير العادية والعبارات والخصائص اللغوية . بيد أنه فيما عدا ذلك فمجالات الاختلاف ملحوظة كمجالات التشابه (على سبيل المثال : التطويبات ، مت ٥ : ٣ ــ ١١ ، لو ٦ : ٢٠ ــ ٢٢) .

٣ ــ المادة المشتركة نجدها فى نصوص مختلفة . وطبقاً لما يقوله ستريتر Streeter ، فإن ما جاء من تجربة المسيح نجد أن متى ولوقا لم يستخدما أياً من المواد عن المصدر (Q) بنفس الطريقة التى كتب بها مرقس . ولذلك فليس من المستغرب أن الترتيب الذى ورد فى مادة المصدر (Q) جاء مختلفاً فى كل من البشارتين . فعادة ما يقال أن القديس لوقا قد احتفظ بشىء من الترتيب الخاص بالأصل ، بينما رتب متى مادته بحسب الموضوعات .

٤ ــ لا يوجد إلا القليل من المادة القصصية فى المادة المشتركة . فالمصدر (Q) فى معظمه مصدر أقوال . ومن الوجهة النظرية فالمادة المشتركة قد تكون راجعة إلى تبعية مباشرة لا إلى استعمال نفس المصدر : بيد أن القليلين يشعرون أنه ما من مبرر على الإطلاق للقول بأن متى قد نقل عن لوقا . والبعض يعتقدون بالفعل أن لوقا كان يعتمد على متى . ومع ذلك ، فتناقض هذا الرأى تظهره الحقيقة التى سبق أن لاحظناها وهى أنه بعد قصة التجربة ، لا نجد المادة المشتركة أبداً فى نفس المضمون . ولماذا يستبعد لوقا المادة التى فى متى من نصها ويضعها فى مكان آخر ؟[1] ونعود فنقول ، يبدو أنه ما من سبب يبرر عدم أخذ لوقا شيئاً من إضافات متى إلى نص بشارة مرقس . هذا أمر ليس له تفسير . وثمة نقطة موضوعية إلى حد ما ، وهى أن العلماء يشعرون أنه ، حيثما وجدت اختلافات طفيفة فى المادة المشتركة ، تكون مادة إنجيل لوقا

---

(١) كمثال لهذه الصعوبة نأخذ ما قاله Blyth Martin عن الويلات التى ذكرها المسيح عن الكتبة والفريسيين أنه لو أن لوقا استخدم ما قاله متى فلابد أنه ترك بعض الآيات ورتب الباق . (مت ٥٣ : ٢٥ ــ ٢٦ ، ٢٣ : ٦ ــ ٧ ، ٢٧ ، ٤ ، ٢٩ ــ ٣١ ، ٣٤ ــ ٣٦ ، ١٣) كما ركز Harold على مغزى ترتيب لوقا .

هى النابضة وتبدو أكثر أصالة . وهكذا يبدو أنه من غير المحتمل أن أيا من هذه الأناجيل قد اعتمد بصفة مباشرة على الآخر . والكل متفق على أن هذا المصدر المشار إليه بالحرف Q وجد فعلاً ، على الرغم من أن الاختلافات حول ما ورد فيه . ويسرد جيمس موفات James Moffat ستة عشر حالة إعادة صياغة مختلفة من المصدر Q بالإضافة إلى مثال آخر من عنده . كذلك يعطى ستريتر مثالاً آخر . والمشكلة بالطبع تتعلق بالفقرات التى بها اختلافات وتشابهات أيضاً . هل هذه الفقرات يتضمنها المصدر Q ؟ البعض يقولون أنها فعلاً كذلك ، وأنه كانت هناك نسخ مختلفة لهذا المصدر . ثم استخدم القديس متى صيغ المصدر Q واستخدم القديس لوقا صيغة أخرى . وآخرون يعتقدون أن المصدر Q هو مصدر آرامى (ربما كانت الأحاديث المشتركة بين متى ولوقا والتى أشار إليها باپياس) ، وان الإنجيليين كانوا يستعملون ترجمات مختلفة إلى اليونانية . وبعض الاختلافات بين متى ولوقا يمكن تفسيرها من الاختلافات الطفيفة فى كلمات اللغة الآرامية أو من الكلمات الآرامية ذات المعنيين . فثمة عامل معقد آخر هو احتمال أنه من حين لآخر كان واحد فقط من كتبة البشائر يستعمل المصدر Q . ويختلف العلماء عندما يحاولون أن يحددوا مثل هذه الفقرات .

أما أولئك الذين يشعرون أنه لم يقدم دليل مرضى على وجود المصدر Q فيشيرون إلى أنه ما من نموذج من نوع الكتابة المستنتجة يمكن أن يبين أنه كان موجوداً فعلاً . ربما يكون الأقرب إلى ذلك هو إنجيل توما ، بيد أن هذا مصدر يعود إلى القرن الثانى ، وربما يكون غنوسيا . ولم يعرف شيء من هذا القبيل فى أيام العهد الجديد . حقاً ، ان التوافق بين متى ولوقا يثير مشكلة ، بيد أنها ليست مستعصية الحل . فالبعض يعتقد أن إنجيل متى يسبق لوقا ، وأن لوقا استفاد من إنجيلى متى ومرقس . وأراء كهذه تشكل فى حد ذاتها مشاكل ، ولكن وجودها يظهر أن الافتراض القائل أن متى ولوقا اعتمدا على إنجيل مرقس والمصدر Q أمر لم يتم اثباته .

ومن الصعب أن نتغافل عن الانطباع بأن كثيرين من النقاد يحاولون التركيز على المصدر Q وهم بذلك يتجاهلون ما صرح به لوقا بكل وضوح بأن الكثيرين سبقوه إلى الكتابة (لو ١ : ١) . وأفضل طريقة لتفنيد مشكلة

التباينات والاختلافات هو إعطاء ما ذكره القديس لوقا ما يستحقه من جدية . وعندما نجد تطابقاً تاماً بين بشارتي متى ولوقا فلا مندوحة من الاعتراف بأنهما يستعملان مصدراً مشتركاً .

وربما كان هناك أكثر من مصدر مشترك . وحيث أن مقدار الأشياء المتشابهة بين الإنجيلين مساوٍ تقريباً لمقدار الاختلافات فمن الأفضل الاعتقاد بوجود أكثر من مصدر[1] . وقد بدا اتجاه حديث للإقلال من أهمية المصدر Q[2] . فقد رأى كثير من العلماء والدارسين أنه مجرد وسيلة سهلة لإثبات أن التشابه نشأ من رجوع متى ولوقا لنفس المصدر أو المصادر لذلك سنستخدم الرمز Q بهذا المعنى .

ومنذ قدم ستريتر Streeter عمله العظيم عن نظرية المصادر الأربعة تحول كثيرون إلى هذه النظرية . لقد تقبل ستريتر إنجيل مرقس ، Q كمصدرين أساسيين لكنه أشار إلى وجود مصدرين آخرين اختص بهما متى ولوقا واستقيا منهما كمّاً هائلاً من المادة . وقد افترض عدة مسلمات عن مصادر خاصة لتوضيح هذا معطياً للمصدر الخاص بإنجيل متى الحرف م (M) ولمصدر لوقا الحرف ل (L) . وقد اعتقد أن كل مركز من المراكز الرئيسية فى العصر الأول للمسيحية كانت له تقليده الخاص وقد ربط المصادر بهذة المراكز : مرقس بروما ، المصدر Q بانطاكية ، م (الذى له صبغة يهودية) بأورشليم ، (ل) بقيصرية . ولما ضمنت هذه التقالد فى الأناجيل لم تعد هناك حاجة لوجودها وسمح باندثارها .

وهذا الجزء من نظريته مثار تساؤل ، لأن الكنيسة الأولى لم تسمح لإنجيل

---

(١) يستخدم Knox تعبيراً إيحائياً فيقول (نبذات Q) فهو يعتقد أن هذه النبذات القصيرة وجدت فى السنين الأولى ربما فى أواخر الثلاثينات ومن المؤكد أنها كانت موجودة فى أوائل الخمسينات . كما يعتقد Barrett بوجود عدد من المصادر لا مصدر واحد مثل Q . أما Linton فيعتقد بوجود وثيقة Q فى حين استخدم متى ولوقا مواداً شفوية أخرى . أما Sanders فقد أوضح تعقد المشكلة وحاول إثبات وجود مصادر متعددة ومتداخلة أحياناً .

(٢) يرى Rapes أن الفرض بوجود Q المنقح والمعقد لدرجة أنه — لهذا السبب إن لم يكن لأى سبب آخر — يثير الحيرة فى قيمته . وينظر Fuller إلى Q باعتباره اختزال لمجموعة من التقليد الذى وجد بعضه مكتوباً والبعض شفوى غالباً . ومن المؤكد أن كثيرين رأوا أن هذا فرض مفيد وفعال .

مرقس بأن يندثر عندما تضمن إنجيلا متى ولوقا كل ما جاء به تقريباً .

وأما التطور المثير فى نظرية ستريتر هو رأيه فى الطريقة التى كتب بها إنجيل لوقا ، فهو يعتقد أنه عندما بدأ لوقا الكتابة اعتمد بصفة أساسية على المصدرين Q ، ل ، وأنه لم يصادفه إنجيل مرقس إلا بعد أن جمع هذين المصدرين فى أول مخطوطة لإنجيل (يسيمه سترايتر — لوقا الأول) . وبعد ذلك ضمته المادة المرقسية فصار الإنجيل بصورته الحالية . وإلى ما قبل ستريتر كان الرأى السائد هو أن القديس لوقا اعتمد على إنجيل مرقس كأساس ووضع المادة غير المرقسية فى قالب مرقس . ولكن ستريتر يرفض الرأى القائل أن مرقس كان مصدراً أولياً بالنسبة للقديس لوقا . ويرفض أن إنجيل مرقس كان الإطار الذى كتب على أساسه إنجيل لوقا . ويشير كيرد Caird إلى أن حل هذه المسألة ليس مجرد مسألة أكاديمية ، لأنه يتضمن رأينا بالنسبة للقيمة التاريخية لهذا الإنجيل . ولو كان القديس لوقا إتخذ إنجيل مرقس أساساً له ، فهذا معناه أنه « يستخدم حرية واسعة فى التحرير عند إعادة كتابة مصادره .

والبراهين الأساسية على المصادر التى نقل عنها لوقا كما يلى : —

١ — لدى لوقا مجموعات بديلة من المادة المرقسية وغير المرقسية . ولم يستخدم إلا القليل جداً من إنجيل مرقس فى الأقسام (لو ٣ : ١ — ٤ : ٣٠ ، ٦ : ٢٠ — ٨ : ٣ ، ٩ : ٥١ — ١٨ : ١٤ ، ١٩ : ١ — ٢٧ ، وما أورده عن آلام المسيح يبدو مستقلاً تماماً عن إنجيل مرقس . ولا يوجد ما يدل على الربط بين المادة المرقسية وغير المرقسية كما ربط الأجزاء المختلفة من مادته غير المرقسية . ولسبب ما لم يأخذ شيئاً مما جاء فى مر ٦ : ٤٥ إلى ٨ : ١٠ .

٢ — ما جاء فى لو ٣ : ١ يشبه افتتاحية كتاب . وإذا كان الأمر كذلك فإن وضع سلسلة الأنساب التى أتت بعد أول ذكر لاسم يسوع ، تكون قد جاءت بشكل طبيعى . أما أولئك الذين يتمسكون بنظرية مصادر إنجيل لوقا ، فيعتقدون عادة أن هذا المصدر لم يتضمن قصص الطفولة .

٣ — وأحياناً ، عندما يظهر أن لوقا يتبع مرقس نجد أنه حادثة معينة غير مذكورة . بيد أننا نجدها فى صيغة مختلفة وفى مكان مختلف . مثل الحوار

بشأن بعلزبول (Q) ، حبة الخردل (Q) ، الرفض فى الناصرة (ل) ، (دهن قدمى يسوع) ... الخ ويسرد كيرد Caird ١٧ مكاناً حيث يتخلى لوقا عن النظام المرقسى فى (مر ١ — ١٤ : ١١) . ويبدو كما لو أن لوقا فضل مصدره غير المرقسى ، حتى عندما تكون رواية مرقس أكثر حيوية . وهذا يبدو مفهوماً لو كان قد أدمج ذلك المصدر فى عمله قبل ذلك ، ولن يكون الأمر كذلك إذا كان قد اتخذ من إنجيل مرقس أساساً له . وفى الحقيقة ، يبدو أنه عندما لم يتبع لوقا نظام إنجيل مرقس فلم يكن يصحح الإنجيل الآخر بكل حرية بدون قيود ، بل كان بكل بساطة يتبع مصدراً آخر .

٤ — Q ، ل يشكلان مصدراً أطول بدرجة كبيرة من إنجيل مرقس[1] . وعلى ضوء هذا فمن الصعوبة أن نعتبر إنجيل مرقس كإطار لإنجيل لوقا .

٥ — هذا الافتراض يشرح السبب فى ترك لوقا للكثير من إنجيل مرقس أكثر مما فعل متى .

٦ — استعمال كلمة « الرب » بدلاً من « يسوع » فى القصة لا نجده فى إنجيل متى أو مرقس . ولا فى المادة التى استقاها لوقا من مرقس . بيد أن ذلك يوجد ١٥ مرة فى الجزء الباق وفى أعداد متناسبة تقريباً فى المصدرين (Q) و (ل) . وعلى نفس الوتيرة لا نجد كلمة « يا سيد » إلا مرة واحدة فى مرقس (المرأة الفينيقية) ، لكنها توجد ١٦ مرة فى إنجيل لوقا ، ١٤ منها فى (مصادر لوقا) ، ٨ فى المصدر (ل) و ٦ فى المصدر (Q) . كذلك توجد ١٩ مرة فى إنجيل متى . ومن الواضح أن استخدام المصطلح لا يميز الكتابة النهائية للكتاب ، وإلا لوجدت فى الأقسام المرقسية . ونستدل من ذلك أنها تنتمى إلى مرحلة مبكرة من كتابة إنجيل لوقا .

٧ — قصة الآلام التى أوردها إنجيل لوقا ليست إعادة صياغة لما جاء فى إنجيل مرقس . فعادة عندما يستخدم لوقا مادة مرقسية يأخذ حوالى ٣٥٪ من

---

(١) يقدر Streeter الأجزاء غير المرقسية فى لوقا ٣ : ١ إلى ٢٢ : ١٤ بحوالى ٦٧١ آية وفى قصة الآلام ١٣٥ آية أى بمجموع قدره ٨٠٦ مع أن جملة آيات إنجيل مرقس ٦٦٠ آية .

كلمات إنجيل مرقس ، لكنه بالنسبة لقصة الآلام أخذ حوالى ٢٧٪ فقط بما فى ذلك كلمات كثيرة بدونها ما كانت قصة آلام قد قيلت بالمرة . كذلك نجد فى إنجيل لوقا ١٢ إختلافاً عن الترتيب المرقسي . ثم أن ظهورات القيامة فى إنجيل لوقا تقع فى أورشليم فقط .

وثمة اختلاف عما إذا كان إنجيل مرقس ينتهى فى الأصل بنفس الخاتمة الموجودة فى النسخ المعروفة لنا حالياً ، وفى هذه الحالة لا يحتوى على ظهورات القيامة أم أنه كانت له خاتمة أخرى لكنها فقدت ومن ثم تتفق الأغلبية على أن الظهورات لابد وأنها كانت فى الجليل (مر ١٦ : ٧) . وفى كلتا الحالتين لم يعتمد لوقا على إنجيل مرقس[1] .

٨ ــ عندما يستعمل القديس لوقا مادة من المصدر Q لا يضعها فى إطار مرقس لكنه يجمع بينها وبين المصدر .(ل) .

ويستخلص ستريتر من هذا أن القديس لوقا ربما أكمل مخطوطته الأولية لإنجيله قبل أن يقع نظره على إنجيل مرقس . ولو كان هذا حقا ، فإن المصادر الأولى للوقا تكون قديمة حقاً . وكان من عادة العلماء أن يولوا أهمية خاصة لإنجيل مرقس وللمصدر (Q) ، لأن الوثائق التى سبقت إنجيلى متى ومرقس والتى كانت تعتبر كافية تماماً لأن يعتمدا عليها لا بد وأن تكون قديمة وموثوق بها . ويعتقد ستريتر أن مصادر لوقا يجب أن ينظر إليها على أنها من نفس درجة الثقة . ونظريته تعزز قيمة كثير مما ورد فى إنجيل لوقا .

ومع ذلك لم يقتنع الجميع بفكرته . ويشعر النقاد أنه لم يُقدّمْ دليلٌ كاف يظهر أنه كانت هناك مصادر معروفة بـ (م) ، (ل) . أما وأن متى ولوقا كان لهما مصادر معلومات خاصة بهما فهذا أمر واضح جلى . أما وأن هذه المصادر كانت منحصرة فى مصدرين اثنين ، فهذا ليس واضحاً . وعلاوة على ذلك ، إذا ما فصلنا الفقرات المنسوبة إلى مصادر لوقا فإن بعضها لن يتأثر . ويسمى كريد Creed النتيجة فى هذه الحالة « مجموعة لم تتبلور من قصص

---

(١) يرى Taylor أنه من الصعب التمسك بفكرة أن لوقا استخدم مرقس كمصدر أساسى لقصة الآلام لكنه يوافق على أن لوقا استخدم أجزاء أخرى من مرقس .

وأحاديث »[1] فهو ليس إنجيلاً متكاملاً .

أما بالنسبة لأولئك الذين يرفضون فكرة مصادر لوقا فإنهم لم يقدموا إطلاقاً تفسيراً مقنعاً لحقيقتين :

١ ـــ أن القديس لوقا يوحد عادة ما بين مادته الخاصة والمصدر (Q) ولا يفعل ذلك أبداً مع إنجيل مرقس .

٢ ـــ فى الغالب الأعم يختلف لوقا عن إنجيل مرقس فى قصة الآلام . ويبدو أنه أولى اهتماماً كبيراً لتوحيد المصدرين (Q) و (ل) . وربما كانت هذه مصدره الأساسى الذى اعتمد عليه فى قصة الآلام ، وفى الجزء الآخر من إنجيله نجد مجموعة من المادة غير المرقسية تأتى بعد قصص الطفولة مباشرة (لو ٣ : ١ ـــ ٤ : ٣٠) .

والحق ، أنه ثمة تعبيرات فى هذا القسم مشتركة مع إنجيل مرقس ، وبعض النقاد يعتبرون أن لوقا كان يعتمد على إنجيل مرقس بالنسبة لها . ومع ذلك ، فهذا القول ليس له ما يبرره لأنه من الواضح أن هذا القسم كله ليس من الكتابات المرقسية . وثمة دليل على أن إنجيل مرقس والمصدر (Q) كانا متداخلين . وعلى سبيل المثال ، فإن ما جاء فى لو ٨ : ١٦ يظهر فى نص مرقس (مر ٤ : ٢١) و (لو ١١ : ٣٣) المشابه له جداً ينسب عادة إلى المصدر (Q) (بالمقارنة مع مت ٥ : ١٥) . ويبدو أن القديس لوقا أخذ هذا القول من المصدرين كليهما . وتكررت نفس الظاهرة مرات عدة وهذا ما يجعل العلماء مقتنعين فى الغالب أن مرقس والمصدر Q متداخلان . وبناء على ذلك ، لم يكن لوقا فى حاجة لأن ينقل من مرقس ما بدا وكأنه مادة مرقسية فى (لو ٣ : ١ ـــ ٤ : ٣٠) . ويبدو أنها أُخذت من المصدر Q . وإذا ما أخذنا فى الاعتبار طبيعة ومدى الاختلافات يظهر أن هذا هو ما تم بالفعل .

ولقد أشار الكثيرون أنه إذا ما فصلنا الأقسام المرقسية من إنجيل لوقا لفقدت ـــ بدرجة كبيرة ـــ ترابطها . فهى لا تشبه إطار أطول البشائر . وهذا

---

(١) مع أن Creed يعترض على فكرة مصادر لوقا فهو يرى احتمال أن Q ارتبطت فعلاً مع بعض مواد لوقا الخاصة ووجدت أمام لوقا كمصدر موحد .

يجعلها تبدو كما لو أن لوقا استخدم إنجيل مرقس فى فترة متأخرة وليس مبكرة من كتابته البشارة المعروفة باسمه .

واليقينية ليست ممكنة فى موقف كهذا ، ولكن يبدو أن القديس لوقا كان مشغولاً لفترة طويلة قبل أن يصادف إنجيل مرقس . وقد يكون من المبالغة الإدعاء بأنه أخرج ما يسميه ستريتر مصادر ما قبل لوقا . وكان يمكن الإعتماد على الحقائق على وجه أفضل لو كان قد جمع مادته من مصادر عديدة ، سواء من التقليد الشفهى أو من أية كتابات صادفها وأخرج منها مصدراً تجريبياً . والربط المتكرر للمصدرين (Q) و (ل) يدل على ذلك . ثم أنه حين صادفته نسخة من إنجيل مرقس أدخل ما ارتآه مناسباً من مقتطفات منه إلى إنجيله الذى كان قد كتبه جزئياً ، حيث أعاد صياغة هذه المقتطفات حينما لزم الأمر . وبطريقة كهذه قدم لنا الإنجيل المتداول حالياً .

وإذ أختم هذا القسم من دراستنا ، أرجو أن أشدد على أن الكثير يعوزه التأكيد . فقراءة بعض ما كتب عن مشكلة التشابه ، لن يؤدى أبداً إلى أنه ثمة استثناءات للقواعد التى وصفها العلماء . فالحقائق معقدة بشكل غريب ولا شيء يمكن تبريره أكثر من نظرية مؤقتة تجريبية . والمشكلة يجب أن تُتابع . وليس فى مقدورنا عمل دراسة عن هذه الأناجيل دون توافر نظرية ما . بيد أنه بالنسبة لما هو متوافر لدينا من معرفة فى الحالة الراهنة ، علينا ألا نكون متمسكين بفكرة معينة .

ب ــ لوقا ويوحنا .

ومن سمات هذا الإنجيل الهامة والتى تدعو إلى الحيرة عدد نقاط الارتباط بالإنجيل الرابع . فهى أكثر بكثير مما هو موجود فى أى من الأناجيل الثلاثة المتشابهة . ومن ثم فإن عدة شخصيات اقتصر ذكرهم على إنجيلى لوقا ويوحنا ،

---

(١) يظهر Wikenhauser بعض التشاؤم عندما يقول إنه حتى الآن لا يوجد حل يشرح الحقائق المعقدة فى الأناجيل المتشابهة . كما يقول Calvert أن الإحساس المتزايد هو أننا ما زلنا نعانى من مشاكل الأناجيل المتشابهة وأن نظرية المصدرين أصبحت غير نافعة . ويرى Fitymyer أن تاريخ البحث فى تشابه الأناجيل يكشف أن المشكلة لا يمكن حلها عملياً . ويرى Davies أن نظرية المصادر الأربعة لن تسقط نهائياً ولو أن الدارسين المعاصرين يقللون من أهمية ما توصل إليه ستريتر إن لم يتخلصوا منه نهائياً . ويقول Sanders إن تعقد البراهين واضح كما أنه يبدو عدم وجود اتجاه حقيقى للحل .

مثل مريم ومرثا (يتحدث يوحنا عن أخيهم لعازر ، ويستخدم لوقا اسمه فى أحد الأمثال) . وتلميذ اسمه يهوذا ، وهو ليس يهوذا الاسخريوطى ، وحنان .

ويهتم لوقا ويوحنا بالسامرة وأورشليم بدرجة لا تجدها فى سواهما . ونفس الشيء يقال عن إشاراتهما إلى الهيكل .

وثمة ارتباطات أخرى وخاصة فى قصة الآلام ، فهما ، يتحدثان مثلاً عن دور الشيطان فى الخيانة (لو ٢٢ : ٣ ، يو ١٣ : ٢٧) ، ويذكران أن أذن العبد اليمنى هى التى قطعها بطرس فى البستان (لو ٢٢ : ٥٠ ، يو ١٨ : ١٠) ، وأن بيلاطس قال ثلاث مرات أن يسوع برىء (لو ٢٣ : ٤ و١٤ و٢٢ ، يو ١٨ : ٣٨ ، ١٩ : ٤ و٦) . وأن قبر يوسف لم يسبق أن دفن فيه أحد (لو ٢٣ : ٥٣ ، يو ١٩ : ٤١) ، وأنه كان هناك ملاكان فجر القيامة (لو ٢٤ : ٤ ، يو ٢٠ : ١٢) ، وأن ظهورات القيامة كانت من أورشليم (ويشير لوقا باختصار إلى زيارة القبر أما يوحنا فيصفها على وجه التفصيل ، لو ٢٤ : ١٢ ، ٢٤ ، يو ٢٠ : ٣ — ١٠) .

وفسر بعضهم هذا بأن يوحنا استعمل إنجيل لوقا كأفضل مصادره ، إلا أنه ثمة دليل آخر يدحض هذا القول . وهكذا فكلا هذين الإنجيلين بهما قصص دهن المرأة للمسيح بالطيب ، ولكن بينما يتحدث لوقا عن إمرأة خاطئة قامت بهذا العمل فى بيت فريسى (لو ٧ : ٣٦ وما بعدها) ، يصف يوحنا عمل مريم مضيفة يسوع فى بيتها (يو ١٢ : ١ وما بعدها) ، ثم أنهما كليهما يذكران معجزة صيد السمك ، لوقا فى بداية إرسالية يسوع ويوحنا فى إحدى ظهورات القيامة (لو ٥ : ١ وما بعدها ، يو ٢١ : ١ وما بعدها) . ويمكن ذكر أمثلة أخرى عن أحداث تتشابه إلى حد ما ، لكن الاختلاف بينهما له نفس أهمية التشابه . مما يجعل فكرة الاعتماد المباشر أو استعمال مصدر مشترك أمراً صعباً .

وعلى ضوء هذه الظروف فإن ما توصل إليه كيرد Caird من نتائج ليست بالقوة الكافية . والاستنتاج الذى لا يمكن تجاهله هو أن لوقا ويوحنا كانا يعتمدان على مصدرين متحدين من التقليد الشفهى .



محتويات الكتاب

و ــ الصوم (٥ : ٣٣ ــ ٣٩)
ز ــ حفظ السبت (٦ : ١ ــ ١١)
ح ــ اختيار الاثنى عشر (٦ : ١٢ ــ ١٦)
ط ــ العظة فى السهل (٦ : ١٧ ــ ٤٩)
ى ــ شفاء عبد قائد المئة (٧ : ١ ــ ١٠)
ك ــ ابن أرملة نايين (٧ : ١١ ــ ١٧)
ل ــ أسئلة المعمدان (٧ : ١٨ ــ ٣٥)
م ــ المرأة الخاطئة تدهن يسوع بالطيب (٧ : ٣٦ ــ ٥٠)
ن ــ نساء ساعدن يسوع (٨ : ١ ــ ٣)
س ــ مثل الزارع (٨ : ٤ ــ ١٥)
ع ــ السراج والغطاء (٨ : ١٦ ــ ١٨)
ف ــ أم يسوع وإخوته (٨ : ١٩ ــ ٢١)
ص ــ انتهار الريح وإسكاتها (٨ : ٢٢ ــ ٢٥)
ق ــ مجنون كورة الجدريين (٨ : ٢٦ ــ ٣٩)
ر ــ إبنة يايرس (٨ : ٤٠ ــ ٥٦)
ش ــ إرسالية الاثنى عشر (٩ : ١ ــ ٦)
ت ــ هيرودس رئيس الربع (٩ : ٧ ــ ٩)
ث ــ اطعام الخمسة آلاف رجل (٩ : ١٠ ــ ١٧)
خ ــ التلمذة ليسوع (٩ : ١٨ ــ ٢٧)
ذ ــ التجلى (٩ : ٢٨ ــ ٣٦)
ظ ــ يسوع وتلاميذه (٩ : ٣٧ ــ ٥٠)

خامساً : من الجليل إلى أورشليم (٩ : ٥١ ــ ١٩ : ٤٤)

أ ــ دروس أخرى عن التلمذة (٩ : ٥١ ــ ٦٢)
ب ــ إرسالية السبعين (١٠ : ١ ــ ٢٤)
جـ ــ مثل السامرى الصالح (١٠ : ٢٥ ــ ٣٧)
د ــ مرثا ومريم (١٠ : ٣٨ ــ ٤٢)
هـ ــ الصلاة (١١ : ١ ــ ١٣)

و ـ يسوع والأرواح الشريرة (١١ : ١٤ ـ ٢٦)
ز ـ يسوع يعلم الجموع (١١ : ٢٧ ـ ١٢ : ٥٩)
ح ـ التوبة (١٣ : ١ ـ ٩)
ط ـ شفاء المرأة المنحنية (١٣ : ١٠ ـ ١٧)
ى ـ ملكوت الله (١٣ : ١٨ ـ ٣٠)
ك ـ الأنبياء يهلكون فى أورشليم (١٣ : ٣١ ـ ٣٥)
ل ـ الغذاء مع أحد الفريسيين (١٤ : ١ ـ ٢٤)
م ـ التلمذة ليسوع (١٤ : ٢٥ ـ ٣٥)
ن ـ ثلاثة أمثال عن المفقودين (١٥ : ١ ـ ٣٢)
س ـ تعاليم ، معظمها عن المال (١٦ : ١ ـ ٣١)
ع ـ تعاليم خاصة بالخدمة (١٧ : ١ ـ ١٠)
ف ـ العشرة البرص (١٧ : ١١ ـ ١٩)
ص ـ مجىء الملكوت (١٧ : ٢٠ ـ ٣٧)
ق ـ مثلان عن الصلاة (١٨ : ١ ـ ٤)
ر ـ يسوع والأطفال (١٨ : ١٥ ـ ١٧)
ش ـ الرئيس الشاب الغنى (١٨ : ١٨ ـ ٣٠)
ت ـ نبوءة أخرى عن آلام المسيح (١٨ : ٣١ ـ ٣٤)
خ ـ أعمى يبصر (١٨ : ٣٥ ـ ٤٣)
ذ ـ زكا (١٩ : ١ ـ ١٠)
ض ـ مثل الوزنات (١٩ : ١١ ـ ٢٧)
ظ ـ دخول يسوع أورشليم منتصراً (١٩ : ٢٨ ـ ٤٤)

سادساً : يسوع فى أورشليم (١٩ : ٤٥ ـ ٢١ : ٣٨)

أ ـ تطهير الهيكل (١٩ : ٤٥ و ٤٦)
ب ـ التعليم فى الهيكل (١٩ : ٤٧ و ٤٨)
جـ ـ سلطان يسوع (٢٠ : ١ ـ ٨)
د ـ مثل الكرامين الأشرار (٢٠ : ٩ ـ ١٨)
هـ ـ محاولات للإيقاع بيسوع (٢٠ : ١٩ ـ ٤٤)

و ــ تحذير من الكتبة (٢٠ : ٤٥ ــ ٤٧)
ز ــ تقدمة الأرملة (٢١ : ١ ــ ٤)
ح ــ حديث عن الأُخرويات (٢١ : ٥ ــ ٣٦)
ط ــ تعليم فى الهيكل (٢١ : ٣٧ و ٣٨)

سابعاً : الصلب (٢٢ : ١ ــ ٢٣ : ٥٦)

أ ــ الخيانة (٢٢ : ١ ــ ٦)
ب ــ فى العلية (٢٢ : ٧ ــ ٣٨)
جـ ــ ألم الجهاد (٢٢ : ٣٩ ــ ٤٦)
د ــ القبض على يسوع (٢٢ : ٤٧ ــ ٥٤ «أ»)
هـ ــ إنكار بطرس (٢٢ : ٥٤ «ب» ــ ٦٢)
و ــ الاستهزاء بيسوع (٢٢ : ٦٣ ــ ٦٥)
ز ــ يسوع أمام المجمع (٢٢ : ٦٦ ــ ٧١)
ح ــ يسوع أمام بيلاطس (٢٣ : ١ ــ ٥)
ط ــ يسوع أمام هيرودس (٢٣ : ٦ ــ ١٢)
ى ــ الحكم على يسوع (٢٣ : ١٣ ــ ٢٥)
ك ــ صلب يسوع (٢٣ : ٢٦ ــ ٤٩)
ل ــ دفن يسوع (٢٣ : ٥٠ ــ ٥٦)

ثامناً : القيامة (٢٤ : ١ ــ ٥٣)

أ ــ الظهور للنسوة (٢٤ : ١ ــ ١١)
ب ــ بطرس عند القبر (٢٤ : ١٢)
جـ ــ فى الطريق إلى عمواس (٢٤ : ١٣ ــ ٣٥)
د ــ ظهور المسيح للتلاميذ (٢٤ : ٣٦ ــ ٤٣)
هـ ــ إتمام المكتوب (٢٤ : ٤٤ ــ ٤٩)
و ــ الصعود (٢٤ : ٥٠ ــ ٥٣)

مقدمة إنجيل لوقا

(لو ١ : ١ ــ ٤)

الفقرة الافتتاحية عبارة عن جملة واحدة كتبت فى اللغة اليونانية بأسلوب كلاسيكى جميل من حيث اختيار الكلمة والوزن والقافية . فقد كان للوقا حسه المتميز بالنسبة للأسلوب ، وأدرك بجلاء أن ما هو بصدده يستلزم كتابة تشوبها مسحة سامية إلى حد ما لتكون مناسبة لهذا النوع من الكتابة . بيد أن هذه الجملة التى أبدعت صياغتها تناسب افتتاحية أدبية تعنى أن الغرض من الكتابة هو نشر الكلمة . وتطلق بعض المخطوطات القديمة على هذا الإنجيل عنواناً بسيطاً هو « الإنجيل بحسب لوقا » .

١ ــ لقد استهل القديس لوقا بشارته بالإشارة إلى أولئك الذين سبقوه إلى الكتابة . ويخبرنا أن « كثيرين » أخذوا بتأليف قصة ، وهو هنا يتكلم بصيغة عامة تجعل المجال مفتوحاً للتساؤل عما إذا كان ما كتبوه أناجيل أو نوعاً آخر من القصص . ولم يذكر أية إشارة إلى هويتهم ، لكن الغالبية تقر أن القديس مرقس كان أحدهم ويمكن استخدام الفعل « تمت » بدلاً من لفظ « المتيقنة »(*) . فالكلمة تحمل فى ثناياها معنى الإتمام (بالمقارنة مع ٢ تيمو ٤ : ٥) ، وهكذا فربما كان القديس لوقا يلمح إلى تحقيق هدف الله ، وهو فكر ، كثيراً ما شغله على نطاق بشارته بل فى كتاباته المتعلقة بالإنجيل أيضاً .

٢ ــ كان القديس لوقا متمكناً مما يكتبه . لم يشاهد الأحداث بنفسه ، لكنه أخذ عمن عاينوها . إعتقد البعض أن استخدام كلمة « معاينين » اصطلاحية فقط لكن يقول كريد Creed « لم يكن الكاتب قديماً يدعى أنه شاهد عيان ما لم يكن يتوقع أن يصدقه الناس » . والمعاينون كانوا أيضاً « خداماً للكلمة » . وهذا التعبير غير العادى ، الذى لم يتكرر ثانية فى العهد الجديد ، يعنى على الأرجح من كانوا يبشرون بإنجيل المسيح . بيد أنه لا ينبغى

(*) الترجمات العربية الحديثة تقول : لما كان كثيرون قد أقدموا على تدوين قصة فى الأحداث التى تمت بيننا بدلاً من « الأمور المتيقنة » .

أن نتجاهل حقيقة أنه فى افتتاحية إنجيل يوحنا تحدث البشير عن يسوع « الكلمة » ، وفى موضع آخر يبدو أن لوقا يعتبر الكرازة بيسوع والكرازة بالكلمة أمراً واحداً (أع ٨ : ٤ ، ٩ : ٢٠ بالمقارنة مع أع ١٠ : ٣٦ وما بعدها) . فهو يقترب من فكر يوحنا ، لأن هؤلاء الرجال كانوا « خداماً للمسيح كلمة الله » كما كانوا خداماً للكلمة أيضاً . وهو يلمح أيضاً إلى أن مصادره لم تكن مجرد مؤرخين نظريين بقدر ما كانوا رجالاً لم يعرفوا الكلمة التى كانوا يكرزون بها بل عايشوها أيضاً . « منذ البدء » تعود بنا إلى خدمة يوحنا المعمدان . ولم يهمل لوقا أى شيء جوهرى ، بل كان يرجع إلى جذور الحركة المسيحية الأساسية . « سلمها » تعبير يكفى تماماً لتغطية كلا من التقليدين الشفهى والتحريرى . وربما كان لوقا يتذكرهما معاً .

٣ — ويقول « تتبعت كل شيء بتدقيق » . وثمة من يقولون (مثل كدبرى Cadbury) أن هذا يفيد أنه كان موجوداً بشخصه (كما كان فى بعض الأحداث التى وردت فى سفر الأعمال) . ولكن هذا يُحمّل الفعل أكثر مما يعنيه . ويجب أن نفهمه بمعنى يتتبع أو يتحقق من ، لأنه ، بحسب ما يقوله لوقا نفسه لم يكن معايناً لبعض ما سرده . ويعتقد مولتون وميليجان MM ، إن هذا الفعل لا يعنى أن لوقا تحقق من جديد من كل ما ذكره من حقائق بل أنها أصبحت معروفة ومألوفة له وصار على صلة بها حتى أن « شهادته تعتبر فى الواقع شهادة معاصرة » . وهو يقول أنه تتبع الأحداث بتدقيق عن بعد وليس عن قرب وهو يقول أن معلوماته صحيحة وأنه يدرك ما يقوله . ويستطرد قائلاً أنه تتبع القصة من بدايتها .

ولقد ثار الكثير من الجدل بخصوص الكلمة Kathexes والتى ترجمت (على التوالى) ، والتى لم يستعملها غير لوقا فى العهد الجديد . فالبعض يرى أنها تعنى الترتيب الزمنى ، بيد أن هذا يبدو تحميلاً للكلمة فوق ما تعنيه . أما جيلدنهايز Geldenhys فعلى الرغم من أنه لا يغفل احتمالات الترتيب الزمنى ، إلا أنه يرى أن الكلمة تشير إلى ترتيب منطقى . « ثاوفيلس » : ليس محتملاً أن يكون إسماً رمزياً (على الرغم من معناه : محب الله) ، فهو إسم شخص معين ، وربما كان يتبنى كتابات لوقا ، تحمل تكاليف نشر هذا الإنجيل . أما الصفة « أيها العزيز » فمن الأرجح أنها تشير إلى شخص ذى

مكانة ونفوذ (بالمقارنة مع أع ٢٣ : ٢٦ ، ٢٤ : ٣ ، ٢٦ : ٢٥) ، على الرغم من احتمال أنها قد تكون من ألفاظ التحيات والمجاملات .

٤ ــ إن الفعل « عُلّمت » يستعمل غالباً فى تعليم « المتجددين المسيحيين » أو من يستفسرون عن أمر من أمور العقيدة ، (انظر أع ١٨ : ٢٥ ، ١كو ١٤ : ١٩ الخ) . والبعض يستنتجون أن ثاوفيلس اعتنق المسيحية ، ويؤيدون قولهم هذا بأنه ليس من المعقول أن يتبنى كتابات لوقا لو لم يكن مسيحياً . ويعارض هذا الرأى من يقولون أنه لو كان مسيحياً لخاطبه لوقا بكلمة « أخ » لكن يمكن استخدام الفعل فى الحديث عن أمور عدائية أو خاطئة (أع ٢١ : ٢١ و ٢٤ مثلاً) ، ولذلك يجب أن يظل الاحتمال قائماً بأنه قد يكون شخصاً غير مسيحى ، أبدى اهتمامه بكتابات لوقا وكان بكل تأكيد يعرف شيئاً عن الإيمان المسيحى ، وأراد لوقا أن يعرفه « صحة » الكلام الذى علم به . ويرى ستونهاوس Stonehouse أن لكلمة « صحة » أهمية خاصة فى هذه المقدمة التى ركزت بصفة جوهرية على بيان « إن المسيحية عقيدة صحيحة وأنها قادرة على تأكيد هذا بالاستناد إلى ما سبق ووقع من أحداث .

أولاً ــ قصص الطفولة
(لو ١ : ٥ ــ ٢ : ٥٢)

فى هذا القسم ــ وهو ما يميز إنجيل لوقا ــ نجد المعلومة الوحيدة عن نشأة يوحنا المعمدان وبعض المعلومات الفريدة عن ميلاد الرب يسوع . وثمة تشابه ملحوظ بين قصتى ميلاديهما . ففى كلتا القصتين بشر الملاك جبرائيل بما سيتم ، كما سردت ظروف الميلاد والختان ، ووردت فيهما نبوءات . ويشير لوقا إلى عجائب عصر المسيا . لقد توقفت النبوءات عند نهاية العهد القديم ، لكن الله يرسل مسيحه وتتجدد عطية النبوات . وظهر القديس يوحنا الذى كان له وضع خاص فى الأحداث المسيانية . وليس هناك أدنى احتمال للخلط بينه وبين المسيا فى أقوال لوقا ، لأنه لم يكن سوى المتقدم (لو ١ : ١٧) . بيد أنه ليس هناك أدنى احتمال أيضاً فى عدم إدراك عظمته الحقيقة .

وتعكس لغة وافكار هذه الأصحاحات خلفية سامية . وثمة من يقولون أن لوقا ترجم مصدراً عبرياً أو آرامياً ، بينما اعتقد آخرون أنه فى كتاباته كان يقلد

أسلوب الترجمة السبعينية . وعلى كل ، يبدو أن لوقا كان يعكس ما تضمنته مصادره التى جاء بها من فلسطين .

أ ــ التنبؤ بميلاد يوحنا (لو ١ : ٥ ــ ٢٥)

٥ ــ ٧ : يرجع القديس لوقا بقصته إلى تاريخ حكم هيرودس الكبير (٣٧ ــ ٤ ق . م) . وما يصفه من أحداث وقعت قرب نهاية حكمه . فيحدثنا عن زكريا الكاهن ، من مدينة يهوذا (لو ١ : ٣٩ وما بعدها) ، والذى كان يخدم فى نوبته فى الهيكل . وكان ثمة كهنة كثيرون ، بيد أنه لم يكن يوجد سوى هيكل واحد . ولذلك كانوا يخدمون طبقاً لجدول القرعة (أخ ٢٤ : ١ ــ ٦) . وتم تقسيم الكهنة إلى أربعة وعشرين فرقة وكانت فرقة أبيا هى الثامنة (١أخ ٢٤ : ١٠) . والواقع أنه لم يعد من السبى إلا أربعة فرق فقط (عز ٢ : ٣٦ ــ ٣٩) ، قسموا بدورهم إلى أربعة وعشرين فرقة بنفس الأسماء السابقة . وكل فرقة كان عليها أن تخدم مرتين فى السنة ، لمدة أسبوع فى كل مرة . كان زكريا متزوجاً من أليصابات ، وهى إبنة كاهن . لأنه كان يلزم للكاهن أن يتزوج عذراء من قومه (لا ٢١ : ١٤) ، وليس بالضرورة أن تكون من عائلة كهنوتية . أما أن يتخذ زوجة من أصل كهنوتى فهذا يعد بمثابة بركة إضافية . وأوضحت عبارة : بارين وبلا لوم ، تقوى هذين الزوجين . ويعنى هذا أنهما خدما الرب بأمانة ، وليس أنهما كانا بلا خطية . وهذا ما جعل حرمانهما من الذرية يبدو عسير الفهم ، لأن الناس فى ذلك الحين كانوا يعتقدون أن الله يبارك خدامه الأمناء بأن يرزقهم نسلاً . أما ذكر سنهما فيوضح أنهما لم يعودا يتوقعان تغييراً فى هذا الوضع . كان زكريا شيخاً طاعناً ولم يكن هناك سن تقاعد بالنسبة للكهنة (كما هو الحال بالنسبة للاويين) .

٨ ــ ١٠ : لقد كان هناك الكثيرون من الكهنة ولم تكن هناك واجبات مقدسة لهم جميعاً ، لذلك كانت تجرى قرعة لمعرفة من سيقوم بكل وظيفة . وتقديم البخور كان يعتبر امتيازاً عظيماً . وما كان يسمح للكاهن أن يقدم البخور أكثر من مرة واحدة طوال حياته ، ولهذا فالبعض لم يكن يحظ بهذا الامتياز . ومن ثم كانت أسعد لحظات زكريا هى تلك التى قدم فيها البخور ولم يبين لوقا هل قدم زكريا البخور فى تقدمة الصباح أم المساء . وفى كلتا

الحالتين ، كان عليه أن يدخل إلى المذبح مع كهنة آخرين ، إلا أنه كان عليهم أن ينسحبوا ويتركوه وحده . وعند إعطاء الإشارة كان عليه أن يقدم البخور . وكان المصلون ينتظرون خارجاً حتى يفرغ الكاهن من أداء مهمته (١٠) .

١١ و ١٢ : لم يصف البشير لوقا الملاك ، بل قال أنه وقف « على يمين مذبح البخور » . وحيث أن الجهات الأصلية تذكر عادة فى الكتاب المقدس من النقطة التى يواجه فيها الإنسان جهة الشرق ، فهذا يعنى جهة الجنوب . وعلى هذا الأساس يكون الملاك عندئذ واقفاً بين مذبح البخور والمنارة .

١٣ : لقد طمأن الملاك زكريا أولاً بقوله « لا تخف » ، ثم استمر قائلاً : « لأن طلبتك قد سمعت » . ويبدو أن صيغة الفعل تشير إلى صلاة لمناسبة معينة وليس إلى صلاة معتادة . وفى هذه الحالة فلا بد وأن تكون الصلاة المقصودة هى التى دفعها زكريا إلى الله عندما أصابته القرعة للخدمة فى مذبح البخور . وأول ما يتبادر إلى أذهاننا أنه صلى كى يرزقه الله نسلاً . وحتى لو سلمنا بنقص الإيمان الذى غالباً ما تقتسم به صلواتنا ، فإنه يصعب التوفيق بين الشك الذى أبداه زكريا فور أن بشر بأنه سيرزق ابناً وبين هذا الرأى . وعلاوة على ذلك ، فالكاهن لا بد وأن يعرف أنه من غير اللائق أن يجعل من إهتماماته الشخصية موضوعاً لصلاته فى مناسبة كهذه . وثمة الكثير مما يمكن قوله بشأن فكرة أنه كان يصلى من أجل خلاص إسرائيل . لقد أخبر أن صلاته قد سمعت . بيد أن هذا ليس خاتمة المطاف . فبالإضافة إلى ذلك سيرزق ولداً ، ويكون اسمه يوحنا أى الله حنان .

١٤ ــ ١٧ : وفى قطعة شعرية رائعة يتحدث الملاك أولاًعن الفرح والابتهاج الذى يغمر زكريا والكثيرين بولادته ، وبعد ذلك يتحدث عن مصير هذا الابن . أما وأن زكريا يكون له « فرح وابتهاج » فهذا أمر متوقع ، بيد أن هذا الطفل « يكون عظيماً أمام الرب » ولذلك يكون مولده سبب فرح الكثيرين أيضاً . وكان عليه ألاّ يقرب خمراً مسكراً (مثل أم شمشون قض ١٣ : ٤) . واعتقد البعض أنه سيكون نذيراً طوال حياته (عد ٦ : ١ ــ ٨) ، بيد أنه ما من إشارة كتابية إلى هذا ، وخاصة أن عدم وجود ذكر لقص الشعر (وشَعْرُ النذير لا يقص ولا يمر عليه موس) يبدو وأنه ينفى هذا

الاعتقاد . ومن الأفضل النظر إلى يوحنا كشخص له وضع فريد ، فلم يكن نذيراً ولا كاهناً ، على الرغم من وجود نقاط التقاء بينهما . أما الموضوع ذو الجانب الكبير من الأهمية فهو أنه من بطن أمه « يمتلىء من الروح القدس » . وهكذا يبدأ لوقا مبكراً إشاراته إلى الروح ، الذى دون معونته لا تظهر فاعلية عمل الله . ولمعرفة التعارض بين أثر الخمر والروح (انظر أفسس ٥ : ١٨) . كما أنه « يرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم — وهكذا يوضح أنهم قد ابتعدوا عنه — ولقد شبهت خدمته بخدمة إيليا (بالمقارنة مع مر ٩ : ١٣) وفيه تحققت نبوءة ملاخى (٣ : ١ ، ٤ : ٥ وما بعدها) . وهذا يظهر عظمة يوحنا وموقع أتباعه . فتحقق النبوءة وتشبيهه بإيليا النبى يؤكدان عظمته . بيد أنه على صعيد آخر ، لم يزد يوحنا عن كونه المتقدم الذى يهىء الشعب للرب . ومعنى « يرد قلوب الآباء إلى الأبناء » لا يمكن استيعابه بمجرد القراءة . فقد تعنى أن يوحنا يزيل أسباب الشقاق والفرقة بين العائلات . أو أن كلمة « الآباء » تشير إلى الآباء الأولين أى الأسلاف الأولين للخطاة الحاليين . فمن موقعهم الممتاز في العالم الآخر نظروا إلى أبنائهم ولم يشعروا برضى ، لكن عمل المعمدان سيؤدى إلى تغيير ذلك حتى أن الآباء سينظرون برضاء إلى إسرائيل (بالمقارنة مع إش ٢٩ : ٢٢ وما بعدها لفكر مماثل) . ومع هذا النحو يغير المعمدان من فكر « العصاة » كي يقبلوا « فكر الأبرار » . والنتيجة هي ظهور شعب مستعد للرب .

١٨ : لقد أبى زكريا أن يصدق الملاك فى البداية . وكان سؤاله مطابقاً لسؤال إبراهيم منذ قرون خلت (تك ١٥ : ٨) ، لكنه قدم سؤاله بروح مختلف ، وكان كمن يطلب علامة حتى يصدق . حقاً ، سبق وأن طلب كل من جدعون وحزقيا علامة (قض ٦ : ٣٦ — ٣٩ ، ٢مل ٢٠ : ٨) بيد أن ذلك كان فى ظروف مختلفة تماماً . فزكريا كان متشككاً واستمر يُذّكر الملاك أنه وامرأته طاعنان فى السن . ولم يكن فى حاجة إلى أن يضيف أن أمثالهما لا ينجبون .

١٩ و ٢٠ : أجاب الملاك بأن كشف عن اسمه ووضعه . « جبرائيل » اسم عبرى معناه (رجل الله ، أو الله القوى) ، ومكانه « قدام الله » . وهذا يعطينا فكرة عن مكانته . كان على زكريا ألا يخامره شك بالنسبة لعظمة من

يكلمه . لقد أُرسل الملاك العظيم جبرائيل (من قبل الرب) كي يبشر الكاهن الشيخ بهذه الأخبار المفرحة . ويبرز لوقا هذه النقطة باستخدامه فعلاً استعمل بعد ذلك على نحو مميز فى حمل بشارة الإنجيل المفرحة . وعدم تصديق زكريا يجب النظر إليه فى ضوء تنازل الله العجيب الذى أرسل رسولاً هذه مكانته ويمثل هذه الرسالة . وعدم تصديقه أمر خطير تكون له نتائجه . ومع هذا ، أعطى زكريا علامة ، رغم أنها ليست من النوع الذى أراده . وكان لا بد وأن يظل « صامتاً » ، لا يقدر أن يتكلم إلى الوقت الذى تتحقق فيه كلمات الملاك . ولم يترك الملاك جبرائيل للشك مكاناً . فما قاله الله لا بد أن يتم .

٢١ و ٢٢ : لم يكن تقديم البخور يستغرق وقتاً ، وكان الكهنة فى العادة يخرجون بسرعة من الهيكل (لئلاً يخطئوا فيتعرضون للعقاب) . ولم يكن للشعب من وسيلة يعرفون بها سبب بقاء زكريا فى الهيكل هذه المدة الطويلة بعكس ما هو معتاد . « وتعجبوا » من إبطائه . وكان يجب ترجمة الكلمة إلى « معبد » بدلاً من الهيكل . فالشعب والكهنة جميعاً كانوا فى مكان أو آخر من المعبد ، فى حين أن زكريا كان يخدم فى المكان المقدس . وعندما خرج كان المفروض أن يقف مع الكهنة الآخرين المشاركين فى الخدمة فى منح البركة . لكن عندما أخذ يومئ إليهم دون كلام فقد أصبح واضحاً أن شيئاً غير عادى قد حدث فى الهيكل . ولم يستطع الشعب أن يعرف ماذا حدث ، بيد أنهم استنتجوا « أنه قد رأى رؤية » .

٢٣ ــ ٢٥ : ولا شك أن زكريا مكث فى الهيكل حتى نهاية أسبوع خدمته ، ثم مضى إلى بيته . وبعد تلك الأيام حبلت أليصابات ، وهكذا توفر دليل صدق بشارة الملاك جبرائيل . وليس من المعروف لماذا أخفت أليصابات نفسها خمسة شهور . بيد أنه خلال تلك الفترة لم يلحظ أحد أنها حامل . وربما لم تكن تريد أن يراها أحد حتى يتضح للجميع أن الرب نظر إليها لينزع عارها (بالمقارنة مع تك ٣٠ : ٢٧) . فقد كان ينظر إلى العقم على أنه عقاب إلهى ، وكان على أليصابات أن تصبر وتتحمل تعييرات أولئك الذين لم يعرفوا مقدار تقواها (٦) . إلا أنها لن تواجه هذه المتاعب بعد الآن .

ب ــ البشارة بميلاد يسوع (لو ١ : ٢٦ ــ ٣٨)

الميلاد العذراوى عقيدة مسيحية مميزة . وبعض المفسرين ، على الرغم من اعترافهم أنه لا يوجد نظير لهذه العقيدة فى الديانة اليهودية ، إلاّ أنهم يقولون إن الفكرة مصدرها اليونان. فثمة قصص ميلاد مشابهة في الأساطير اليونانية، ويدعون أن المدافعين عن العقيدة المسيحية قدموا هذه القصة ، مدفوعين بشعار أى شيء يعمل يمكننا أن نعمله نحن وبشكل أفضل . ولكن ، ليس من بين القصص التى يشيرون إليها ما يطابق قصة الميلاد . فتلك القصص تتحدث عادة عن شخص إلهى له علاقة جنسية ببشر (فى العادة إله مع إمرأة) . أما الميلاد البتولى الحقيقى فهو أمر فريد . ويلاحظ إيليس **Ellis** أن الموضوع لم يطرقه الذين كتبوا إلى الكنائس الهلينية (اليونانية) ، من أمثال بولس ومرقس . وهو يعتقد أنه تقليد فلسطينى كان المسيحيون يتجنبون الخوض فيه علانية تفادياً لمضايقات اليهود، وسوء فهم اليونانيين للمسيح ورسالته بصفته المسيا المنتظر . وبعض المفسرين يعتقدون أن لوقا يجمع هنا بين عدة مصادر ، وبعضها لا يتحدث عن ميلاد من عذراء ، ويستغلون هذا لبذر الشكوك بشأن الفكرة كلها . بيد أنه لأمر خطير أن تقوم المجادلة على أساس براهين مستمدة من مصدر افتراضى . والبرهان الذى يقدمه الإنجيل جلى واضح .

٢٦ و ٢٧ : « الشهر السادس » يشير إلى الشهر السادس من حمل أليصابات . ويخبرنا لوقا أولاً عن المدينة التى أُرسل إليها الملاك جبرائيل ثم يشير إلى العذراء ، التى جاء إليها فى تلك المدينة . والناصرة يطلق عليها مدينة ، ربما لأنه ليس فى اللغة اليونانية كلمة بمعنى بلدة ، والبديل قرية . لكنها لم تكن عاصمة . وصفت مريم أنها « مخطوبة » والخطبة عند اليهود فى ذلك الحين كانت تشكل ارتباطاً أقوى بكثير مما هو للخطبة كما نعرفها الآن . فالخطبة فى تلك الأيام كانت تعهداً جاداً بالزواج ، تشكل التزاماً لا يمكن فسخه دون اتخاذ إجراءات طلاق .

٢٨ و ٢٩ : لقد حيا الملاك العذراء بصفتها « المنعم عليها » بيد أنه حتى القول الذى أضافه « الرب معك » لم يوضح لنا ما تعنيه بالدقة عبارة « المنعم عليها » . بل ولم يتضح السبب الذى من أجله « اضطربت » مريم . وقد نفهم سببه إذا كان قد خامرها خوف عند رؤية الملاك ، كما حدث لزكريا . لكن

خوفها كان من كلامه . وفى تواضعها لم تفهم مريم السبب الذى يجعل زائراً سماوياً يلقى عليها تحية تتضمن مثل هذا الثناء والتبجيل .

٣٠ و ٣١ : وطمأنها الملاك ، كما سبق وفعل مع زكريا (١٣) . وقال لها ألا تخاف ، لأنها « وجدت نعمة عند الله » . وبالطبع كان سوء الفهم وراء ترجمة هذه العبارة « السلام لك يا مريم ، أيتها الممتلئة نعمة » ، وأن يفهم من هذا أن مريم ستكون مصدر نعمة للآخرين . فما قاله الملاك هو « أن نعمة الرب معها » . ويستطرد الملاك موضحاً أنها « ستحبل » وتلد ابناً (بالمقارنة مع إش ٧ : ١٤) . وكما كان مع يوحنا من قبل ، سمى الملاك الطفل : « وتسمينه يسوع » (بالعبرية يشوع أى الرب خلاصى) .

٣٢ و ٣٣ : وفى عبارة شعرية رائعة يستمر الملاك فى الحديث عن يسوع فيقول أولاً : هذا سيكون عظيماً ، وهذه صفة أضفاها على يوحنا قبل ذلك (١٥) ، بيد أنه يستعملها هنا بمعنى أكمل ، لأن يسوع « ابن العلى يدعى » . وهذا يجعله فريداً عن كل الآخرين ويوضح أنه « ابن الله » بمعنى خاص . ويستمر حديث الملاك جبرائيل عن يسوع بصفته الوارث « لكرسى داود أبيه » . فالمسيا كان مزمعاً أن يأتى من نسل داود (بالمقارنة مع ٢ صم ٧ : ١٢ وما بعدها ، مز ٨٩ : ٢٩) ، ومن الواضح أن هذا كان فى فكره ، وقد ازداد وضوحاً بالإشارة إلى أن ليس لملكه نهاية . وكانت التكهنات المتعلقة بالمسيا فى الغالب تقول إن مملكته « محدودة الأمد » . وإن ملكوت الله الأخير هو الذى ليس له نهاية ، وهكذا أصبح ليسوع علاقة بملكوت الله هذا ، ملكوت لا يمكن أن يكون أرضياً مؤقتاً ، بل بالأحرى هو ملكوت الله ، كما سيوضحه يسوع فى الوقت المناسب .

٣٤ : وفى حين لم يصدق زكريا كلام الملاك ، نجد أن العذراء « اضطربت » على الرغم من أن ذلك لم يكن واضحاً فى حينه . لقد كانت على وشك أن تتزوج ، ولذلك لم تكن ثمة استحالة أن تلد ابناً . وبعض المفسرين يقولون إن سؤالها يشير إلى أنها قد نذرت نفسها أن تظل عذراء على الدوام . ولكننا أولاً لا نجد هذا فى النص ، وفى غيره من النصوص ، مثل وجود اخوة ليسوع . وثانياً ليس هناك من سبب يدعوها للزواج إذا ما كانت قد قررت أن تظل عذراء . وحل المشكلة هو بالأحرى أن مريم فهمت أن

الملاك كان يقصد أنها ستلد ابناً دون زرع بشر ، أو ربما قد فهمت أن الحمل سيكون فورياً .

٣٥ : وقال جبرائيل الملاك وهو يتحدث بتحفظ وبتبجيل إن الروح القدس « يحل عليك » وأن « قوة العلى تظللك » . وهذا التعبير الرقيق يستبعد الأفكار الخاطئة عن تزاوج بين الروح القدس ومريم العذراء . ولقد أوضح الملاك أن حبل مريم إنما هو نتيجة عمل إلهى . ولذلك فالمولود ، قدوس ، ابن الله ، ولا يجب أن يفوتنا هذا التفسير لمعنى « ابن الله » .(*)

٣٦ و ٣٧ : من الواضح أن مريم لم تكن قد سمعت بما حدث مع أليصابات . ولذلك أخبرها الملاك أن أليصابات فى الشهر السادس من حملها . وهذا يوضح لمريم أنه « ليس شىء غير ممكن لدى الله » (بالمقارنة مع تك ١٨ : ١٤) . ولا بد أن اختبار أليصابات زادها ثقة . ولقد استنتج البعض من حقيقة أن أليصابات قريبة للعذراء مريم ، وأن مريم بالتالى سليلة عائلة هرون كأليصابات (٥) ، ثم ينتهون إلى أنه إذا ما تقبلنا الميلاد العذراوى ، فلا يكون المسيح إذاً من نسل داود . لكن هذا تسرع وابتعاد عن الصواب . فكل الشروط تكون مستوفاة إذا ما كان أحد والدى مريم من عائلة داود والآخر من عائلة هرون . فالإشارة إلى أن يسوع من نسل داود (٣٢) والتى وردت قبل معرفة رد فعل يوسف ، تبين أن مريم كانت بحق من نسل داود .

٣٨ : كانت استجابة مريم العذراء تتسم بالخضوع التام . وكلمة أمة مؤنث عبد . وهى تعبر عن الطاعة الكاملة . فالأمة ليس لها إلا أن تنفذ ما يريده سيدها . وهذا تؤكده عبارة « ليكن لى كقولك » . ونحن نميل إلى تقبل هذا كأمر طبيعى للغاية ، ومن ثم يفوتنا إدراك مدى نبل العذراء وهدوئها . فلم تكن قد تزوجت من يوسف ، وكان من المتوقع أن يكون رد فعله عنيفاً بالنسبة لحملها . ويخبرنا متى أنه أراد بالفعل تخليتها سراً (مت ١ : ١٩) . ثم إنه فى حين أن عقوبة الرجم حتى الموت لجريمة الزنا لم تكن تنفذ كثيراً (تث ٢٢ : ٢٣ وما بعدها) إلا أنها كانت عقوبة واردة . ولم تكن مريم

(*) فكلمة ابن الله لا تعنى أن الله تزوج مريم وأنجب يسوع لكنها بنوة خاصة لا علاقة لها بالتزاوج (المحرر) .

على يقين من أنها قد تواجه الموت بيد أنها أدركت إرادة الله وتقبلتها .

جـ ــ زيارة مريم لأليصابات (لو ١ : ٣٩ ــ ٤٥) .

٣٩ و ٤٠ : أسرعت مريم لزيارة قريبتها بعد أن زارها الملاك جبرائيل فى الشهر السادس من حبل أليصابات (٣٦) ، ثم عادت بعد ثلاثة شهور (٣٦) ، ومن الواضح أن ذلك كان قبل ميلاد يوحنا . ولذلك لا بد وأن هذا كان بعد زيارة الملاك مباشرة . وعبارة « إلى الجبال ــ إلى مدينة يهوذا » لا تبين على وجه الدقة موقع بيت زكريا وأليصابات لكنها توضح أنهما كانا من سكان الريف . ولم تنجح المحاولات التى بذلت لتحديد المكان الذى عاشا فيه .

٤١ و ٤٢ : وساعة سلمت مريم على أليصابات تحرك الجنين فى بطنها . وحركة الجنين أمر غريب ، بيد أنه فى هذا المقام « امتلأت أليصابات من الروح القدس » ، وبإرشاده فسرت حركة الجنين فى بطنها كتعبير عن فرحه وابتهاجه (٤٤) . والصرخة بصوت عظيم كانت تنم عن مدى الإثارة التى تعرضت لها . ولقد سجل الإنجيل كلماتها « نثراً » بيد أنها كانت تقارب الشعر سلاسة وعذوبة . لقد حيت مريم قائلة « مباركة أنت فى النساء » (وهى هنا تعبر عن جملة عبرية تعنى « أكثر النساء بركة ») ولم تكن العذراء مثل زكريا الذى جاءه ملاك بيد أن استجابته كانت مختلفة تماماً .

٤٣ ــ ٤٥ : أن تقول أليصابات عن الطفل « ربى » يشير إلى أن أليصابات قد عرفت أن الطفل الذى ستلده العذراء هو المسيح (بالمقارنة مع مز ١١٠ : ١) . ثم تستطرد أليصابات لتوضح أنه حين صار سلام مريم فى أذنها ارتكض الجنين بابتهاج (الكلمة تعنى التهليل) . وهذا جعلها تدرك حقيقة مريم . وتختم حديثها بتطويب مريم ثانية . فالمرأة المتقدمة السن ، والتى أعطاها الرب مثل هذه البركة الخاصة ، ربما كانت معرضة أن تقودها الغيرة إلى التفاخر والتكبر بما تحقق لها ، لكنها فى تواضع صادق أدركت البركة الأسمى التى اختص بها الرب العذراء مريم . وثمة نقطة أخرى تدعو إلى الإهتمام وهى أن المعمدان لم يدرك أن يسوع هو المسيح إلا عند العماد (يو ١ : ٣٢ وما بعدها) . ومن الواضح أن إدراك أليصابات بأنه « الرب » كان نتيجة إلهام لكنه كان بادرة

شخصية . وكان على يوحنا أن يصل إلى معرفة هذه الحقيقة بنفسه .

د ـــ ترنيمة مريم (لو ١ : ٤٦ ـــ ٥٦)

ترنيمة مريم (سميت تسبحة العذراء من كلماتها الافتتاحية فى الترجمة اللاتينية) ، وهى انطلاقة تمجيد تشبه إلى حد كبير لغة العهد القديم . وتماثل من وجوه عدة ترنيمة « حنة » بصفة خاصة (١صم ٢ : ١ ـــ ١٠) . بيد أننا يجب أن نلحظ اختلافاً فى اللهجة . فترنيمة حنة تتغنى فيها بنصر على أعدائها أما ترنيمة مريم فهى تتأمل باتضاع فى مراحم الرب . ويسأل فورد Ford عما إذا كان أحد الشعراء اللاحقين قد كتب هذه الترنيمة ونسبها إلى مريم بيد أنه يرى أن الأكثر إحتمالاً هو أنها إبان رحلتها لزيارة أليصابات والتى استغرقت أربعة أيام كانت قد أطالت التأمل والتفكير فى قصة حنة ثم نطقت بترنيمتها التى ألهمت بها .

٤٦ ـــ ٤٨ : وثمة قلة من المخطوطات اللاتينية ورد بها عبارة « قالت أليصابات » ، بدلاً من « قالت مريم » ، وسلم بعض المفسرين (مثل كريد Creed) بهذا . بيد أن الدليل المستمد من النصوص الكتابية تؤيد نسبتها إلى مريم بصفة قاطعة . وثمة اختلاف ملحوظ فى اللهجة بين هذه الترنيمة وتلك التى ذكرناها . فكلمات أليصابات تتميز بالإثارة والانفعال ، بيد أن هذه الكلمات هادئة متزنة . وليس من السهل الاعتقاد أن هاتين الترنيمتين نطقت بهما إمرأة واحدة وفى مناسبة واحدة . ويجب أن نسلم أن الترنيمة هى لمريم . وتبدأ تسبحة العذراء بتمجيد الرب ، ولا يجب أن نفرق بين النفس والروح ، وذكرهما هنا كان نتيجة متطلبات الصياغة الشعرية . وتفتقر الترجمة الأمريكية تغييراً فى الزمن قد يكون له مغزاه . « تعظم » تدل على عادة تأصلت فى مريم (حيث تستمر فى تعظيم الرب) ، بينما « تبتهج » تعنى مجرد الابتهاج ، والفعل يشير إلى عمل خاص يفيد الابتهاج ، وقد يكون نتيجة الرسالة التى جاء بها الملاك . والكلمة قوية ويمكن أن تترجم إلى « تهللت » (بالمقارنة مع الإسم المناظر فى الآية ٤٤) . « الرب مخلصى » يدل على إدراكها احتياجها للخلاص كسائر البشر . والبعض يفسرون كلمة « اتضاع » بمعنى « إذلال » وهذا نوع من الشطط لأن الكلمة تعبر عن التواضع ، كما هو الحال بالنسبة لكلمة أمة (٣٨) . ويوضح جود سبيد Goodspeed المعنى بقوله « لقد نظر أمته فى مذلتها المتواضعة » .

٤٩ و ٥٠ : وبعد أن شكرت مريم الله على ما حباها به من نعمة بدأت التأمل فى الرب نفسه . وركزت على ثلاثة نواحي : قوة الرب ، وقداسته ورحمته . ترى نفسها فقيرة بسيطة ، بيد أن هذا ليس أمراً ذا بال ، لأن « القدير » هو العامل . لكن لا ينبغى أن ننظر إلى الله على اعتبار أنه « القوى » فقط . فهو قدوس . وكلمة « اسمه » كانت تستعمل قديماً بمعنى أكمل وأشمل مما يقصد بها الآن : كانت تدل على الشخص من جميع النواحي . ولذلك فهذه الآية لا تعنى ان اسم الله هو اسم قدوس وأنه يجب أن نستخدمه بتوقير : بل تعنى أن الله هو إله قدوس ، وهو رحوم أيضاً . وفى كل جيل « نعمته » لأولئك الذين يوقرونه (أفضل من يخافونه فى هذا المجال) .

٥١ ــ ٥٣ : والانطباع الذى نأخذه هو أن مريم استمرت فى سرد أعمال الله المعتادة . بيد أننا نجد ستة أفعال فى اللغة اليونانية لا يمكن أن تدل على هذا المعنى . وثمة احتمالات أخرى . فربما كانت مريم تسترجع مناسبات معينة ظهرت فيها نعمة الله التى ذكرتها . ويتقبل فورد Ford هذا الرأى ويقول : « لأن القدير صنع عجائب لذا فهناك أخبار سارة نخبر بها . وبسبب ما عمله الله سابقاً فهناك إنجيل ننادى به » . أو أن مريم كانت تشير إلى أعمال مستقبلة بدأ تحقيقها . والأكثر احتمالاً هو أنها كانت تتطلع للمستقبل بروح النبوة وكانت تعدد ما سيفعله الرب وكأنه أمر واقع بحيث يمكن التحدث عنه كما لو كان قد تحقق فعلاً (وهو أمر شائع فى نبوءات العهد القديم) . وهذا القسم من الترنيمة يتحدث عن مفهوم مخالف للقيم البشرية . فليس المتكبرون ولا الأغنياء ولا الأقوياء هم الذين لهم الكلمة العليا . والحق ، أنه فى المسيح يسوع ، يشتت الله هؤلاء أجمعين . لقد كان الكلام عن « المستكبرين » من ناحية « فكر قلوبهم » أى عن فكر متكبر فى العقل لا عن تصرفات متكبرة فقط . والأعزاء على الكراسى ، تتحدث مريم عن الحكام وليس عن مجرد أناس أقوياء . وثمة نغمة ثورية فيما يتعلق بقولها « أشبع الجياع وأرسل الأغنياء فارغين » . وفى العالم القديم كان من المقبول أن الأغنياء هم الذين يلقون العناية التامة . والفقراء كانوا يتوقعون أن يكونوا جائعين . لكن مريم تترنم بإله ليس ملزماً بما يفعله البشر . فهو يقلب السلوك البشرى وأنظمته رأساً على عقب .

٥٤ ــ ٥٦ : تترنم مريم الآن بمساعدة الرب لشعبه . ولم يُفسَر معنى

الفعل « عضد » . لكنه مع ذلك يتعلق بنبوءة ، ويبدو أن العذراء كانت تفكر فى العون الذى سيأتى بواسطة المسيا . وعبارة كما كلم أباءنا جملة اعتراضية ، ولذلك يمكن قراءتها على النحو التالى : « عضد إسرائيل فتاه (عبده) ليذكر رحمة ، التى وعد بها (كلم) أباءنا إبراهيم ونسله إلى الأبد » . أى أن مريم تقول إن عمل الله بواسطة المسيا ليس جديداً تماماً إذ هو استمرار لمراحمه التى وعد بها إبراهيم . وهذا أيضاً يتم وفقاً لوعوده لآبائنا قديماً .

وعند ختام الترنيمة يخبرنا لوقا أن زيارة مريم استمرت نحو ثلاثة أشهر ، رجعت بعدها إلى بيتها . أراد أن ينهى هذا الجزء من قصة مريم قبل العودة إلى الحديث عن أليصابات ، بيد أنه من الأرجح أنه كان يعنى أن مريم رجعت قبل مولد يوحنا حيث الانفعالات والصخب والزوار العديدون . ولم تكن مريم ترغب — لظروفها — أن تتواجد هناك .

هـ — ولادة يوحنا وتسميته (لو ١ : ٥٧ — ٦٦) .

٥٧ و ٥٨ : وكما سبق وتنبأ الملاك . ولدت أليصابات ولداً . وكان هذا الحدث موضع اهتمام بالغ عند أقربائها وجيرانها ، وحضر الكثيرون منهم ليفرحوا معها . ويصف لوقا الحدث السعيد فى ضوء رحمة الرب وهو موضوع مستمر متواصل فى هذه الأصحاحات الأولى .

٥٩ : وطبقاً للناموس يجب أن يختن كل طفل ذكر وهو ابن ثمانية أيام (تك ١٧ : ١٢ ، لا ١٢ : ٣) . وطبقاً لما جاء فى العهد القديم كان الطفل يسمى عند مولده ، ولا يبدو أن ذلك كان مرتبطاً على أى نحو بالختان . ويذكر ستراك وبيلربك Strack & Billerbeck ، أن هذه الفقرة وتلك التى وردت فى (لو ٢ : ٢١) شواهد على هذه العادة ، ووجدت بعد ذلك فى الكتابات اليهودية فى القرن الثامن . والبعض ، وقد تأثروا بعدم وجود دليل فى الكتابات اليهودية المعاصرة ، يرون أن هذه العادة ترجع إلى تاريخ سابق لأزمنة العهد الجديد وأن لوقا كان متأثراً بالممارسات السائدة فى الامبراطورية الرومانية . بيد أنه ليس من السهل العثور على دليل واف لتسمية الأولاد فى اليوم الثامن فى أى مكان فى العالم القديم ، وعلى سبيل المثال ، كان الرومان يسمون أولادهم فى اليوم التاسع واليونان فى اليوم السابع أو العاشر . ويبدو أنه ما من

سبب لرفض رأى (ستراك وبيلربك) القائل بأن لوقا كان أول من ذكر عادة كان اليهود أول من مارسوها . لقد كان أمراً غريباً أن حاول الأقارب تسمية الطفل ، فهذا حق الوالدين . وربما اعتبروا تسمية الابن على اسم أبيه أمراً مفروغاً منه وأنه لا مناص من هذه التسمية . (وثمة قليل من شخصيات الكتاب المقدس ممن سموا بحسب أسماء والديهم) . بيد أنه فى بعض الكتابات اليهودية نجد هذه العادة عندهم أمراً طبيعياً.

٦٠ ــ ٦٣ : لقد رفضت أليصابات الفكرة بإصرار (كان رفضها قاطعاً) وقولها إن الطفل يسمى يوحنا أثار معارضة فورية لأنه لم يكن فى عشيرتها من تسمى بهذا الاسم . أما الجيران فقد جعلهم هذا يستبعدون هذا الاسم تماماً . إلا أنهم لم يكن لهم حق تسمية الطفل . ولذلك حاولوا أن يستميلوا الأب إلى صفهم وكان أمراً غريباً أن « يومئوا » إليه . وفى موجة حماسهم نسوا أن زكريا كان يستطيع السمع ، وإلا فالكاهن الشيخ والكلمة « صامتاً » التى وصف بها فى (لو ١ : ٢٢) يمكن أن تعنى أنه « أصم وأخرس » ، وعندما أعطوه « لوحاً » كان حاسماً قاطعاً . فلم يقل مثل أليصابات أن الطفل يسمى يوحنا بل قال « اسمه يوحنا » . وفى الترجمة اليونانية يأتى الاسم « يوحنا » أولاً بتأكيد ، ولا ينبغى أن نغفل عن قوة الفعل الحاضر « اسمه » . لقد سبق للملاك أن سمى الطفل وتقبل زكريا الاسم كحقيقة واقعة .

٦٤ : وبهذه النتيجة ، انتهت حالة بكم (خرس) زكريا فى الحال . أما من ناحية ما كان يفكر فيه ويشغل مخيلته إبان شهور الصمت فيمكن سبر غوره من حقيقة أن أول ما نطق به ــ بعد انتهائها ــ أنه بارك الرب .

٦٥ و ٦٦: لقد وقع الخوف على الجيران (أى تبجيل عظيم وليس خوفاً بالمعنى السائد لهذه الكلمة). ويعتقد البعض أن أليصابات أُخبرت بالاسم بطريقة تفوق إدراك البشر وأن هذا هو ما أثر فى الجيران . بيد أنه ما من سبب يدعو إلى الإعتقاد أن زكريا حجب القصة كلها عن زوجته ، ولا سيما اسم الطفل . وبكل تأكيد ، فإن لوح الكتابة كان يستعمل كثيراً خلال فترة صمت زكريا الطويلة . ولقد أوجدت هذه الأحداث الغريبة مجالاً للحديث

« فى كل جبال اليهودية » . وما كان الحديث مجرد ثرثرة . فلقد أودعوا جميع ما سمعوه « فى قلوبهم » وتساءلوا ماذا يكون هذا الصبى .ومن الواضح أن هذه الأحداث كانت بمثابة إعلان لبعض أعمال الرب العظيمة العجيبة .

و ــ تسبحة زكريا (لو ١ : ٦٧ ــ ٨٠)

امتلأ زكريا فرحاً وانطلق يلهج بتسبحة ملهمة (عرفت فى اللاتينية باسم تسبحة البركة وهو اسم اشتق من أول كلماتها) . هذه التسبحة تنقسم إلى أربعة مقاطع شعرية : شكر للمسيح (٦٨ ــ ٧٠) ، الخلاص العظيم (٧١ ــ ٧٥) ، موضع يوحنا ومكانته (٧٦ ، ٧٧) ، الخلاص بيسوع (٧٨ ، ٧٩) . ويتحدث فارار Farrer عنها فيقول « إنها آخر نبوءة عن التدبير الإلهى فى العهد القديم وأول نبوءة فى العهد الجديد » . والبعض يرونها تسبحة سياسية فى المقام الأول وذلك بما تضمنته من تأكيد على القضاء على أعداء إسرائيل (٧١ ، ٧٤) ويضيف أنه ما كان لمسيحى فى نهاية القرن أن يؤلف شعراً يفيض بالنبرة اليهودية . وقد نوافق على أن ثمة مسحة يهودية حقة تضغى على التسبحة ، بيد أنه لا يجب التغاضى عن حقيقة أن الخلاص من الأعداء قصد به خدمة الرب . وعلى هذا فالتسبحة دينية فى المقام الأول وليست سياسية .

٦٧ : ويجب أن يفهم أن الكلمات التى نطق بها زكريا كانت نتيجة امتلائه من الروح القدس . ولذلك كانت كلماته نبوءة ، تتضمن إعلاناً إلهياً .

٦٨ ــ ٧٠ : « مبارك الرب » كلمات شائعة تعبر عن الشكر (بالمقارنة مع مز ٤١ : ١٣ ، ٧٢ : ١٨ ، ١٠٦ : ٤٨) . وهكذا فإن تسبحة زكريا هى فى المقام الأول تسبحة شكر . فهو يتكلم أولاً عن الله الذى يفتقد شعبه (وهو أمر شائع فى العهد القديم ، أما فى العهد الجديد فقد وردت هذه العبارة فى إنجيل لوقا ، عب ٢ : ٦ فقط) ، والفداء أى الخلاص بدفع الفدية . وكان « القرن » رمزاً للقوة ، كما هو الحال فى قرن الثور ، ولذلك فإن « قرن خلاص » تعنى « خلاصاً قوياً » أو « مخلصاً قوياً » . أما الإشارة إلى « بيت داود فتله » تبين أن زكريا فى تسبحته كان يتغنى بالمسيا (بالمقارنة مع مز ١٣٢ : ١٧) . وتكشف فى نفس الوقت أنه لمريم صلة قرابة ببيت داود ،

لأنه حتى ذلك الوقت لم يكن زكريا قد عرف ما إذا كان يوسف سيتزوج العذراء أم لا . أما الإشارة إلى « الأنبياء القديسين » فتشدد على القصد الإلهى . إن الله يعمل على تحقيق قصده ، وهذا ما أكدته الإشارة إلى « رحمته مع آبائنا » وإلى « عهده المقدس » وإلى القسم الذى حلف لإبراهيم (٧٢ وما بعدها) .

٧١ ـــ ٧٥ : والخلاص الذى سيحققه المسيا أشير إليه أولاً على أنه ـــ خلاص بمعنى إنقاذ (٧١) ـــ ثم رحمةً للآباء (ليس فقط للأحياء ، بالمقارنة مع الآية ١٧) ثم تنفيذاً للعهد . وثمة عهود كثيرة فى العهد القديم ، بيد أن أبرزها هو العهد الذى حلف لإبراهيم . والحلف (القسم) كان يشكل جزءاً جوهرياً من أى عهد ، وقد تأكد هنا . فلن ينكث الله عهده . سيتم تنفيذ العهد الذى حلف به لإبراهيم . وثمة هدف بنى وراء « الخلاص من الأعداء » ، ألا وهو أن شعب الله سيعبده بلا خوف وبقداسة لأنهم ينتمون إلى الله ، وبر حيث يعيشون كما يليق بشعب الله .

٧٦ و ٧٧ : ربما توقعنا أن تكون ترنيمة زكريا كلها تدور حول ابنه الطفل . إلا أنه فاجأنا عندما بدأ الكلام عن المسيا الذى كان الآب سيرسله . غير أنه كان مغتبطاً للغاية بيوحنا . ولذلك تنبأ عن مستقبله فى هذا الجزء من التسبحة . فيخاطبه مباشرة ، ويقول إنه « نبى العلى يدعى » . ولقد مضت قرون دون ظهور نبى لليهود ، ولذلك فما قاله زكريا أمر له أهميته . ويجب ألا نمر عليه مرور الكرام . فيوحنا يمثل ابتعاداً جذرياً عما تعوده الناس . ولن يكون مجرد نبى ، بل عليه أن يهيء طريق الرب أيضاً . سيكون السابق للمسيا . ويُعرّف الناس بصفة أساسية عن الخلاص « بمغفرة خطاياهم » . فما كان فى مقدور يوحنا أن يخلص أحداً . بل وما كان ذلك فى مقدور أى إنسان . لكنه سيدعو الشعب إلى التوبة ويحدثهم عن ذاك الذى يستطيع أن يخلص .

٧٨ و ٧٩ : وينهى زكريا تسبحته بالإسهاب فى الحديث عن الخلاص الآتى . الذى سيأتى « بأحشاء رحمة إلهنا » . ورحمة الرب تمثل الموضوع الأساسى الذى يدور حوله العهد الجديد . ويستمر الكاهن الشيخ فى الحديث عن الخلاص باعتباره « النور » . والتناقض بين النور والظلمة أمر طبيعى ، بيد

أنه لا يكفى لتوضيح المقصود . ويمكن أن تؤخذ الكلمة اليونانية على أنها « كوكب الصبح » ، وهنا نرى اسماً فريداً للمسيا (قارن مع ملا ٤ : ٢ ، ٢بط ١ : ١٩ ، رؤ ٢٢ : ١٦) ، بل تبدو الكلمة طبيعية أكثر إذا أخذناها على أنها « صبح » أو بالأحرى « شمس » (فالكلمة فى الترجمة اليونانية تعنى « شروق الشمس » أو « بزوغ نجم » . وبالتالى فهى تشير إلى الشمس نفسها أو النجم . ونرى التباين بين النور والظلمة (بالمقارنة مع إش ٦٠ : ١ وما بعدها) . والملاحظة الختامية كانت عن السلام ، سلام الله الذى يملأ القلوب طمأنينة ويعطيها قوة ليعيش الناس لله . ولا يعنى السلام مجرد التحرر من المتاعب والمضايقات ، بل يعنى كل ما يعمل من أجل الخير الأسمى للإنسان (باركلى) .

٨٠ : أما نشأة يوحنا فقد وصفت بشكل مقتضب . وثمة كثير من النقاط الواردة فى تعاليم يوحنا الأخيرة لها ما يشابهها فى مخطوطات البحر الميت . ويقول الدارسون إنه كانت هناك جماعات من الأسينيين الذين كانوا يتولون تربية أطفال الآخرين ، ويقال ربما إن والدى يوحنا وقد بلغا مرحلة الكهولة ، توفيا أو أنهما لم يكونا قادرين على تربيته ، ولهذا ، تولت تلك الجماعات تربيته وتنشئته . وهذا مجرد فرض . بيد أن الكثير مما يتعلق بيوحنا يمكن تفسيره لو كان ترعرع فعلاً بين مثل هذه الجماعات التى تسكن الصحراء حتى ولو كان قد تركها فى مرحلة الشباب . ويذكرنا كيرد Caird أيضاً أن البرية كانت الموطن التقليدى للإلهام والنبوة ، وربما قصد لوقا أن يعرفنا أن يوحنا كان نبياً حقاً ومنذ البداية .

ز ــ ميلاد يسوع (٢ : ١ ــ ٧) .

١ : وثمة صعوبات برزت من حقيقة قصور معرفتنا بالأزمنة وأن ما يقوله القديس لوقا ليس من السهل التوفيق بينه وبين ما نعرفه الآن بالفعل ــ فليس هناك أى مرجع يذكر قانوناً أصدره أوغسطس قيصر بعمل تعداد للسكان . بيد أنه أعاد تنظيم الإدارة فى الحكومة الرومانية ، وثمة سجلات تتعلق بتعدادات وتمت فى عدة أماكن . وفى مصر ، حيث لم يكن الوضع يختلف كثيراً عنه فى سوريا القريبة منها وكانت اليهودية جزءاً منها ، كان التعداد يجرى كل أربعة عشر عاماً . وهناك وثائق موجودة لكل تعداد تم فى الفترة ما بين عام ٢٠

إلى عام ٢٧٠م (باركلى Barclay) ، فعندما توفى أوغسطس قيصر ترك خلاصة لهذه التعدادات مكتوبة بخط يده وإحصاءات عن الضرائب المباشرة وغير المباشرة ، ومن الطبيعى أنها أُخذت من البيانات الخاصة بالتعدادات . وهذا الدليل مقنعاً إذا ما فهمنا أن ما ذكره لوقا ، لم يكن قانوناً رسمياً ، بل توجيهاً إدارياً ، تمت على أساسه عملية التعداد وسرى أثره على اليهودية .

وبالطبع ، لم تكن هناك ضرورة لأن يذكر لوقا هذه النقطة (التى لم ترد فى البشائر الأخرى) . وربما كان قصده سرد قصته فى قالب دنيوى (بالمقارنة مع لو ٣ : ١) . لأن الله فى رأيه إله التاريخ وأن أعمال الإمبراطور فى بلاد روما القاصية كانت مسخرة لتنفيذ قصد الله ومشيئته .

٢ : وثمة صعوبة أيضاً فيما يتعلق بالدور الذى قام به كيرينيوس . لأنه إذا كان والياً على سورية قام بإجراء تعداد عام ٦م (وهذا ما ذكره المؤرخ يوسيفوس وجاء فى أع ٥ : ٣٧) . وقوبل هذا العمل بمعارضة عنيفة ، وقاد يهوذا (رجل من مدينة جمله) تمرداً . لكن هذا التعداد كان متأخراً جداً عن التعداد الذى نتحدث عنه .

ومع ذلك ، فهناك نقوش معينة تشير إلى أنه بين ١٠ ، ٧ ق . م تولى كيرينيوس وظائف عسكرية فى سورية حين كانت مقاطعة تابعة للحكومة الرومانية . وإذا ما كانت الفترة بين تعداد وآخر هى ١٤ عاماً ، فلا بد وأنه وجد فى المنطقة من وظيفة رسمية فى الوقت المناسب . وما من سجلات — غير بشارة لوقا — تثبت إجراء تعداد فى تلك الفترة ، بيد أنه ما من شىء غير محتمل بالنسبة لهذه النقطة . ويخبرنا يوسيفوس أنه فى هذا الوقت تقريباً ، أقسم الشعب اليهودى كله قسم الولاء لقيصر ، الأمر الذى يحتمل أن يشير إلى تعداد . ومما يجدر ذكره أن ترتليانوس ذكر أن التعداد تم تحت إشراف ساترنينوس ، الذى كان والياً على سورية من عام ٦ إلى عام ٥ ق . م . وهذا ما لم يرد ذكره فى الكتاب المقدس ، وبناء على ذلك القول (الذى يشكك البعض فيه) ، فربما استند ترتليانوس إلى دليل آخر . ولقد أكد يوستين للرومان ، فى منتصف القرن الثانى أنه فى وسعهم الاطلاع على سجلات التعداد الذى أجراه كيرينيوس . ويقول البعض إن تعداد عام ٦م كان الأول من نوعه ، بدليل أن الشعب تذمر على هذا الأمر غير المألوف ، لو كان التعداد الثانى

لتقبله الناس . بيد أنه فى مواجهة هذا الرأى ، قيل ، وبحق ، إنه فى الزمن الذى كتب عنه البشير لوقا ، كان هيرودس قد اتخذ الترتيبات ، وأنه نظراً لما عرف عنه من مهارة فى ولايته على اليهود ، لا بد وأنه أخفى الصبغة الأجنبية للأمر ، وذلك عن طريق مناشدة وطنية زعماء القبائل . وهذا ما تؤيده حقيقة أنه فى التعداد الذى ذكره البشير لوقا عاد الناس كل إلى موطنه الأصلى ، بينما التسجيل الرومانى كان لا بد وأن يتم فى محل الإقامة .

٣ : وكم يبدو لنا غريباً أنه للحصول على تعداد للسكان يطلب من كل واحد أن يعود إلى مسقط رأسه . لكن واحداً على الأقل من مثل هذه الأوامر محفوظ فى الآثار ، وهو مرسوم من حاكم مصر سنة[1] ١٠٤م ، يأمر فيه كل فرد أن يعود إلى بلده لتسجيل اسمه .

٤ و ٥ : ونظراً لأن يوسف من بيت داود فكان عليه أن يعود إلى بيت لحم (التى تدعى مدينة داود) ، على الرغم من أنه لم يرد أن داود كان له علاقة بها بعد أن غادرها . كذلك لم يُذكَر أبداً أن يسوع زارها بعد ولادته بها . وربما لم يكن حضور العذراء مريم ضرورياً . وثمة القليل مما يعرف بالنسبة للقواعد المنظمة لمثل هذه الحالة الطارئة ، ولكن من المحتمل أنه ، حتى ولو كان لها أملاك ، فإن حضور يوسف وحده كان كافياً . وربما لم يرد يوسف أن يتركها وحدها فى الناصرة . كانت قد أمضت مع أليصابات مدة ثلاثة شهور بعدأن حملت (لو ١ : ٥٦) وليس لدينا ما نستدل منه على المدة التى انقضت بعد ذلك وقبل اتمام مراسم الزواج . وإذا ما كانت قد تخلفت وحدها هناك لكان ذلك كفيلاً بأن يعرضها للأقاويل والأباطيل . لقد أشار لوقا إلى مريم « كخطيبة » ، وربما كان ذلك راجعاً إلى أنه رغم زواجهما (مت ١ : ٢٤) ، فإن الزواج حقيقة لم يكن قد تم بالفعل (مت ١ : ٢٥) .

٦ و ٧ : لقد وصف ميلاد ابن الله ببساطة شديدة . « قمطته » ، والقماش المقصود هنا عبارة عن شرائط طويلة يلف بها المولود « يقمط » . أما وأن مريم هى التى قمطته بنفسها فهذا دليل على أنها كانت وحدها . وبالنسبة إلى أنه أضجع فى مزود ، فلقد فسر هذا ما جاء فى التقليد من أن يسوع ولد فى إحدى الزرائب . وربما حدث هذا فعلاً . ومن الممكن أيضاً

أن تكون الولادة قد تمت فى بيت بسيط جداً ، حيث توجد الماشية وأهل البيت تحت سقف واحد (كما فى الريف عندنا) . ويقول تقليد منسوب إلى يوستين Justin أن الولادة تمت فى مغارة . وربما كان هذا صحيحاً . ويعتقد البعض أن الولادة تمت فى الخلاء (قد يكون فناء الخان) ، حيث من المحتمل وجود مزود به . إلا أننا لا نستطيع الجزم بشيء فى هذا الصدد ، فكل ما نعرفه هو أن الملابسات كانت تشير إلى حالة من الفقر والغموض ، بل ومن الرفض أيضاً . « إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل » . وربما ترك يوسف عمله متأخراً ، أو أن صاحب الخان رفض قبولهما . ومن المحتمل أيضاً أن الكلمة هنا لا تعنى فندقاً أو خاناً ، بل مجرد حجرة صغيرة فى منزل (كما فى لو ٢٢ : ١١) . وكان من المفروض أن يشغل يوسف ومريم هذه الحجرة ، بيد أنها أُعطيت لآخرين قبل وصولهما .

ويجب أن نفكر ملياً فى أن مرسوماً أصدره إمبراطور روما فى بلاده القاصية النائية ، بالإضافة إلى تفادى شائعات مغرضة فى الناصرة ، حملتا مريم على التوجه إلى بيت لحم فى الوقت المعين ، وهكذا تحققت النبوة الخاصة بمكان ولادة المسيح (ميخا ٥ : ٢) . كانت إرادة الله تعمل بواسطة أناس مختلفى الأجناس ، لتحقق من خلالهم مشيئته السامية .

ح ــ الملائكة والرعاة (لو ٢ : ٨ ــ ٢٠)

٨ : ومن المحتمل أن « الرعاة » كانوا يرعون قطعاناً مخصصة لذبائح الهيكل . ومن المفروض أن ترعى هذه القطعان فى البرية فقط (المشنا ــ التلمود) ، وهناك قاعدة ربية تقضى بأن أى حيوان يوجد بين أورشليم وموضع ما بالقرب من بيت لحم لا بد وأن يحسب ضمن حيوانات التقدمة . ويتحدث هذا الأمر عينه عن تجهيز تقدمات الفصح قبل ثلاثين يوماً من الاحتفال به ، أى فى فبراير . ونظراً لأنه فى هذه الحالة تكون القطعان فى الحقول شتاء ، فإن التاريخ التقليدى لمولد السيد المسيح فى الخامس والعشرين من ديسمبر ، يعتبر أمراً وارداً .

ولم يذكر البشير لوقا شيئاً فيما يتعلق بالتاريخ الحقيقى ، ولذلك ظل غير معروف . وطبقة الرعاة كانت لها سمعة سيئة . وطبيعة عملهم حالت دونهم

وممارسات الشريعة الطقسية التى كانت تعنى الكثير بالنسبة للمتدينين . وقد كانوا قوماً لا يعتمد عليهم ولا يسمح لهم بالشهادة فى المحاكم . وما من سبب يدعو إلى الإعتقاد بأن الرعاة الذين ذكرهم البشير لوقا لم يكونوا أتقياء ورعين . وإلا ، لماذا اختصهم الله بهذا الامتياز ؟ إلا أنهم كانوا فعلاً من طبقة محتقرة .

٩ : « الملاك » (وتعنى رسول) لم تتحدد شخصيته . بيد أن ظهوره أفزع الرعاة لأن « مجد الرب أضاء حولهم » .

١٠ و ١١ : وبعد أن طمأنهم الملاك (بالمقارنة مع لو ١ : ١٣ ، ٣٠) عرفهم بأنه أتى لهم ببشارة مفرحة (الكلمة التى ترجمتها أخبار مفرحة استخدمت بعد ذلك بلفظ بشارة ويقصد بها الإنجيل) . وهكذا ترددت نغمة الفرح منذ عهد مبكر . وكلمة (الشعب) فى العادة يقصد بها « شعب إسرائيل » وليس الشعب بصفة عامة . والبشارة بالمخلص تعنى الكثير بالنسبة للناس فى كل صوب وحدب ، بيد أنها جاءت فى المقام الأول لشعب الله القديم . و « مخلص » (لقب للمسيح استخدم هنا فقط دون سائر البشائر المناظرة ، وورد مرة واحدة فقط فى بشارة يوحنا) ، هو « المسيح الرب » . وهذه ترجمة لاصطلاح يونانى لا تجده فى موضع آخر فى العهد الجديد ، ويعنى حرفياً « المسيح رب » . وربما يجب أن نقول « مسيحاً ورباً » (بالمقارنة مع أع ٢ : ٣٦ ، ٢كو ٤ : ٥ ، فى ٢ : ١١) . وكلمة « المسيح » يونانية لـ « الممسوح » مثل كلمة « المسيا » وهى كلمة منقولة بذات حروفها من كلمة عبرية لها نفس المعنى . والمسحة كانت من أجل خدمة خاصة (كاهن أو ملك) ، بيد أن اليهود توقعوا أن الله سيرسل مخلصاً لهم دون سواهم . ولن يكون مجرد « مسيح » بل « المسيح » أى « المسيا » . وهذا هو المخلص الذى تحدث عنه الملاك . ولقد استعملت كلمة « الرب » فى الترجمة السبعينية بمعنى « الله » (ولها استخدامات أخرى أيضاً ، بيد أنها ترجمة للاسم يهوه) . فالتعبير « المسيح الرب » يصف يسوع بأسمى اصطلاح ممكن فى لغة البشر .

١٢ : وأكمل الملاك رسالته باعطاء الرعاة « علامة » تساعدهم على معرفة الطفل ، لكنها أيضاً دليل على صحة بشارة الملاك . وفى تلك الليلة قد يكون

هناك طفل أو اثنان مقمطان ، ولكن ، وبكل تأكيد لن يجدوا إلا واحداً فقط « مضجعاً فى مزود » .

١٣ و ١٤ : انتهت الرسالة ، وبغتة ظهرت جوقة من الملائكة مسبحين الله . وأُطلق عليهم « جمهور » أى « جيش » . ومن التناقضات أن هذا الجيش لا يعلن حرباً ، بل سلاماً . سلاماً حقيقياً على الأرض . وثمة مشكلات فى النص والترجمة فيما يختص بعبارة « وبالناس المسرة » (حرفياً : مسرة الله بالناس) . إلا أن الترجمة « وبالناس مسرته » ترجمة صحيحة يدعمها الكثير من المخطوطات . فالملائكة يقولون إن الله يعطى سلامه « للناس الذين هم موضع مسرته » . والتأكيد هنا على الله وليس الناس . فالملاك يتحدث عن أولئك الذين يختارهم الله وليس عن الذين يختارون الله ، و « السلام » يعنى سلاماً بين الله والناس ، وهو علاج للفاصل الذى أوجدته الخطية بين الله والناس .

١٥ ــ ١٨ : هرع الرعاة ليتبينوا الأمر بأنفسهم . وليس من السهولة أن تترجم إلى الشعور بالإلحاح الذى نحسه فى اللغة اليونانية ، ولكن (ليني Leaney) حاول ذلك بقوله « هلموا ، لنسرع الآن » بدلاً من لنذهب . لقد وجدوا كل شيء مطابقاً لما قاله الملاك فوجدوا الطفل « مضجعاً فى مزود » . ويسجل البشير لوقا : أن « كل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة » .

١٩ : وكلمة « أما » تجعل مريم فى موقف متعارض إلى حد ما مع موقف الرعاة . فبينما تكلموا هم جهاراً ، إلا أن مريم « كانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به فى قلبها » (بالمقارنة مع تك ٣٧ : ١١) . لقد احتفظت بكل هذا وأبقته فى أعماق أعماقها .

٢٠ : ويختم لوقا القصة بعودة الرعاة « وهم يمجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم » .

ط ــ الطفل يسوع (لو ٢ : ٢١ ــ ٤٠) .

ثم يتابع لوقا قصته ويكتب شيئاً عن الطفل يسوع . وغزارة معلومات لوقا لا يدانيها أى من البشيرين الآخرين فى هذا الصدد .

١ : الختان (لو ٢ : ٢١) . لقد تم ختان يسوع فى يومه الثامن طبقاً للناموس (تك ١٧ : ١٢) : « مولوداً تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس » ، ولذلك خضع لمتطلبات الناموس . ولم يشدد البشير لوقا على موضوع الختان بل ولم يذكر صراحة أنه قد تم فعلاً . واهتم بالتركيز على موضوع تسمية الطفل « كما تسمى من الملاك » . ويمكن إدراك القصد الإلهى من الإسم (يسوع أى مخلص) .

٢ ــ تقديم الطفل إلى الهيكل (لو ٢ : ٢٢ ــ ٢٤) .

يتضمن هذا الفصل احتفالين منفصلين ، تقديم الطفل ، وتطهير الأم . وحضور الطفل لم يكن ضرورياً ، إلا أنه كان أمراً طبيعياً بالنسبة لمن كانوا بالقرب من أورشليم . وكان تقديمه يتم طبقاً للقول الإلهى : « كل ذكر فاتح رحم » (أى الابن البكر للأم ، وليس بالضرورة للأب) يدعى « قدوساً للرب » (وما ذكره لوقا يعطى معنى ما جاء فى فقرات متعددة : خر ١٣ : ٢ ، ١٢ ، ١٥- ، عد ١٨ : ١٥) . وعلى الرغم من أن البشير لوقا لم يذكر هذا ، إلا أنه مما لا شك فيه أن الخمسة شواقل المعتادة دفعت لفداء البكر (عد ١٨ : ١٥ وما بعدها) . وطبقاً لما جاء فى سفر اللاويين ، فإنه بعد أن تلد المرأة (ذكراً) تظل نجسة سبعة أيام تمهيداً للختان ثم أنها لمدة ثلاثة وثلاثين يوماً أخرى لا تمس كل ما هو مقدس (وبالنسبة للبنت تضاعف المدة : لا ١٢ : ١ ــ ٥) . ثم تقدم خروفاً وفرخ حمام أو يمام . وإذا كانت فقيرة لا تستطيع تقديم شاة تقدم فرخ حمامة أخرى أو يمامة بدل الشاة (لا ١٢:٦ــ ١٣) . وما قدمته مريم العذراء كان تقدمة الفقراء .

٣ ــ تسبحة سمعان (لو ٢ : ٢٥ ــ ٣٢) .

يسجل البشير لوقا ما أوحى لسمعان عند إحضار يسوع إلى الهيكل . ونحن نشير إليه دائماً على أنه شيخ ، على الرغم من أنه ما من دليل سوى ما جاء فى قوله « الآن تطلق عبدك ... بسلام » (٢٩) . وكل ما قيل من أنه كان كاهناً أو شخصية مرموقة لا يقوم على أساس من الصحة . فالاسم شائع ولا نعرف عنه شيئاً سوى ما جاء فى هذه القصة .

٢٥ و ٢٦ : كان سمعان رجلاً مستقيماً ، وكلمة بار تبين أنه كان يسلك

حسناً تجاه الآخرين ، بينما الكلمة تقى (التى استخدمها البشير لوقا وحده فى العهد الجديد) تعنى أنه حريص على أداء واجباته الدينية (وفى الكتابات الكلاسيكية تعنى « حذراً ») . و « تعزية إسرائيل » التى كان ينتظرها هى تعبير آخر لمجىء المسيح . وكان من المتوقع أن يسبق ذلك فترة آلام عظيمة (آلام المسيا) ، ولذلك فالمسيح لا بد وأن يعطى تعزية . وفى الأوقات التى تقع فيها الأمة تحت نير القهر والاضطهاد يتلهف المؤمنون إلى المخلص الذى ينقذهم ويحل مشاكلهم . « الروح القدس كان عليه » . والمقصود أنه كان عليه دائماً . نقرأ فى العهد القديم أن الروح القدس كان يحل على بعض الناس فى مناسبات خاصة ، لكن حلوله المستمر كان نادراً . أما بالنسبة لسمعان فقد كان حالة خاصة . لقد أوحى إليه الروح القدس بطريقة لم توضح ، أنه سيرى المسيا « مسيح الرب » (بالمقارنة مع لو ٢ : ١١) قبل موته .

٢٧ و ٢٨ : وتحقيقاً لهذا الوعد ، قاد الروح القدس سمعان إلى الهيكل فى نفس وقت حضور يوسف ومريم أيضاً . وكان سمعان « فى الروح » (بالمقارنة مع رؤ ١ : ١٠) . والتى تتضمن « أوحى إليه بالروح » يبد أنها قد تشير أيضاً إلى شىء يتميز بحساسية خاصة : لقد دُعِىَ يوسف ومريم « أبواه » . وهذا لا يعنى أن لوقا نسى أنه كان يتحدث للتو عن ميلاد عذراوى ، بل وما كان يستعمل هنا مصدراً يجهل هذه الحقيقة . أما الكلمة « أبواه » فقد استخدمت بكل بساطة لتشير إلى الصفة التى ظهر بها يوسف ومريم فى ذلك الوقت . « حسب عادة الناموس » تشير إلى تقدمة الخمسة شواقل نيابة عن الطفل وليس تقدمة من الأم ، لأن لوقا يقول « ليصنعا له » ، وبارك سمعان الله ، أى أنه ، قدم صلاة شكر (وهى تبدأ عادة بالقول : « مبارك أنت أيها الرب ») .

٢٩ ـــ ٣٢ : وكما قيل عن الترنيمة التى وردت فى الأصحاح الأول ، عرفت هذه الترنيمة باسم ترنيمة البركة . وكلمة « الآن » التى نطق بها سمعان كلمة هامة . فهو مستعد الآن أن يموت بسلام ، حيث أنه قد أبصر خلاص الرب ، أى أنه رأى الطفل يسوع الذى به ـــ وفى الوقت المحدد ـــ يتمم الله « الخلاص » . ولغته هى لغة إطلاق سراح عبد ، وربما كان يفكر فى الموت ، كمن أنهى عملاً استغرق وقتاً طويلاً . ويبين سمعان فى ترنيمته أن هذا الخلاص

ليس قاصراً على أمة بعينها ، بل هو خلاص مقدم للجميع . وهذا واضح تماماً من قوله « جميع الشعوب » لكن سمعان يجعل ذلك أكثر وضوحاً بحديثه عن « الأمم » و « إسرائيل » . وقد تكون الضرورة اللازمة للتعبير بأسلوب شاعرى هى التى ربطت بين « نور إعلان » للأمم و « مجداً » بالنسبة لإسرائيل ، لأن الإعلان سيأتى لإسرائيل كما للآخرين . بيد أنه كان من المناسب أن يربط « مجداً » بإسرائيل قمة الكثير من المجد فى العهد القديم ، وخاصة فيما يتعلق بإعلان الله عن ذاته لشعبه . لكن إسرائيل سترى المجد بمعناه الحقيقى الكامل ، عندما ترى « ابن الله » . وكونه نوراً للأمم لا يعنى التقليل من مجد إسرائيل بل هو تحقيق كمال المجد .

٤ ــ نبوءة سمعان (لو ٢ : ٣٣ ــ ٣٥) .

لقد كان قول الإنجيل : « وكان يوسف وأمه يتعجبان » ، موقع جدل من قبل البعض ، فقالوا إن لوقا ، نقل قصته من مصدر لم يرد به ما سبق هذه الواقعة ، فما كان لهما أن يتعجبا بعد زيارة الرعاة بيد أن هذا ليس صحيحاً . فموضوع العجب أن سمعان عرف كل هذا ، وعلى أية حال ، فإن ما قاله تخطى كل ما ذكره الرعاة . ونكتشف الآن أن القصة لا تفيض كلها جمالاً ونوراً . فالخلاص لن يتحقق إلا بثمن غال . ولقد سجل سمعان هذا بعبارات مؤثرة محزنة . فهو يستنزل البركة على الأبوين (انظر الملحوظة عن « أبويه » فى الآية ٢٧) . ثم يتكلم بطريقة مبهمة عن المسيح بقوله « إن هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل » (وتستخدم الكلمة قيام ــ قيامة فى أماكن أخرى فى العهد الجديد للإشارة إلى قيامة المسيح) . وليس من المعروف عما إذا كان سمعان قد قصد بهذا القول مجموعة أو مجموعتين من الناس . وبالنسبة للحالة الأولى فهو يعنى أنه ما لم يتخل الناس عن برهم الذاتى والاتكال على ذواتهم والتباهى بإنجازاتهم الروحية فلا أمل لهم . فلا بد لهم من أن يسقطوا ويأخذوا أدنى مكان ، حينئذ يستطيعون أن يقوموا (بالمقارنة مع مثل الفريسى : لو ١٨ : ٩ ــ ١٤) . وفى الحالة الثانية فهو يعنى أن يسوع سيفرزهم . فأولئك الذين يرفضونه سيسقطون فى النهاية (بالمقارنة مع إش ٨ : ١٤ وما بعدها) . والذين يقبلونه سيقومون وينالون الخلاص . وليس أمراً غريباً أن يكون هناك من يقاومه . أما وأنه سيكون (علامة) أيضاً فهذا

أمر ليس واضحاً . والتعبير يعنى أن يسوع سيشير لعمل الله . ويستمر سمعان فى الكلام ليتحدث عما سوف تواجهه مريم . و « السيف » (والكلمة اليونانية المستعملة تعنى سيفاً كبيراً ، وليس السيف الصغير الذى ذكر فى لو ٢٢ : ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٩ ، ٥٢) الذى يجوز فى نفس مريم هو موت يسوع . فآلامه لا بد وأن تتأثر بها مريم . وكلمات سمعان الختامية تشير إلى دور أعمال يسوع فى الإعلان عن الله . فالناس يعلنون عن حقيقة أنفسهم بسلوكهم تجاه الله . ولا يمكنهم أن يتخذوا موقف الحياد التام قِبَله . وعندما يرى الناس المسيح على الصليب ، فإن رد فعلهم وموقفهم سيحدد الجانب الذى اختاروه لأنفسهم .

٥ ــ تسبحة حنة (لو ٢ : ٣٦ ــ ٣٨) .

ويضيف البشير لوقا إلى نبوءة سمعان تسبحة شخصية أخرى تمثل الناحية الدينية النظامية ، متمثلة فى نبية تدعى « حنة » . ومع أن كثيرين من رجال الدين لم يقبلوا يسوع ، إلا أن أولئك الذين أخلصوا فى القيام بواجباتهم الدينية عرفوه مبكراً . ولا يعرف عن « حنة » أكثر مما جاء فى هذه الفقرة .

٣٦ و ٣٧ : مرت مئات السنين دون أن يوجد نبى ، ولذلك يجدر الإشارة إلى أن الله أقام هذه النبية . وكان عند اليهود سبع نبيات فقط (التلمود) . فلم يكن هذا امتيازاً عادياً . لقد كان سبط أشير أحد الأسباط العشرة المفقودة ، بيد أنه من الواضح أن بعضاً ممن ينتمون إلى هذا السبط قد نجوا واستمرت سلسلة أنسابهم . وحنة كانت متزوجة مدة سبع سنوات ، وظلت أرملة بعد ذلك . وليس من الواضح تماماً ما إذا كانت حقيقة فى الرابعة والثمانين من عمرها أو أنها ظلت أرملة طوال هذه المدة . وإذا ما كان الافتراض الأخير هو الصحيح ، فهذا يثبت أن حنة كانت بحق امرأة عجوز جداً ، ولذلك يؤيد كثيرون الرأى الأول . « لا تفارق الهيكل » ، وقد يعنى هذا أنه كان لها مأوى داخل فناء الهيكل ، أو أنها كانت دائمة العبادة ، وهذا هو الأرجح (لم تفتها أية صلاة ــ بالمقارنة مع لو ٢٤ : ٥٣) . « بأصوام وطلبات » ، وهى ممارسات يمكن أن يؤديها الإنسان بعيداً عن الصلوات الجماعية ، وهى تشير إلى حياة تعبدية منتظمة .

٣٨ : لقد جاءت « حنة » فى اللحظة الحاسمة وشكرت الرب ، ربما لأنه أرسل « مسيحه » . وعلى كل ، لم يذكر لوقا ما يشير إلى فحوى الشكر ، ولا التعليقات الأخرى التى نطقت بها . « فداء فى أورشليم » هو تعبير آخر عن الفداء الذى سيصنعه المسيح . فثمة مجموعات من الديانة القديمة كانوا ينتظرون المسيا .

٦ ــ العودة إلى الناصرة (لو ٢ : ٣٩ و ٤٠)

يتوج البشير لوقا هذا الجزء من قصته بعودة يوسف ومريم إلى الناصرة ، ولا يشير إلى الهروب إلى مصر (مت ٢ : ١٣ وما بعدها) وما من طريقة نتبين منها هل كان البشير لوقا يعرف هذا الموضوع أم كان يجهله ، وهل كان ذلك قبل الرحلة إلى أورشليم أو بعدها . فهو يتحدث عن إكمال كل شيء حسب الناموس ، وبعد ذلك رجعوا إلى الجليل . ولقد وصفت طفولة يسوع ونموه بإيجاز . وكان ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة .

ى ــ الصبى يسوع فى الهيكل (لوقا ٢ : ٤١ ــ ٥٢) .

لا نعرف شيئاً عن يسوع فى صباه سوى هذه الواقعة التى ينفرد لوقا بذكرها .

٤١ : وبالنسبة « لأبويه » (انظر التعليق على الآية ٢٧) : فكل الذكور من اليهود كان عليهم الحضور إلى الهيكل ثلاث مرات فى السنة ، فى عيد الفصح والعنصرة والمظال (خر ٢٣ : ١٤ ــ ١٧)[1] . وقد استثنيت النساء من هذا الإلتزام (حسبما جاء فى المشنا) ، ولكن البعض كان يعتقد أنه كان عليهن بالفعل أن يذهبن .. ولقد ذهب بعضهن بالفعل . والحضور فى الأعياد الثلاثة كان أمراً صعباً نظراً إلى أن اليهود كانوا مشتتين فى جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية بل وجهات أخرى ، لكن الكثيرين كانوا يتحملون مشقة الذهاب مرة فى السنة . وكان من عادة يوسف ومريم الذهاب فى عيد الفصح ، الذى يحتفل به تذكاراً لخلاص بنى إسرائيل من العبودية فى مصر (خر ١٢) .

---

(١) الأعياد كما جاءت فى (خر ٢٣ : ١٤ ــ ١٧) هى عيد الفطير (وهو مرتبط بالفصح) والحصاد (وهو يوم الخمسين من الفصح) والجمع (وهو عيد المظال) (المحرر) .

٤٢ ـــ ٤٥ : ولقد عملا ما هو معتاد بمناسبة بلوغ يسوع « اثنتى عشر سنة » . ومن الممكن أن يصبح أى صبى يهودى عضواً كاملاً فى المجمع عند بلوغه الثالثة عشر من عمره (المشنا) . وعندئذ عليه الوفاء بكل الإلتزامات التى يشير إليها عهد الختان . وعلى كل فإن (المشنا) فى ملاحظاتها على ذلك تفيد أن الطفل يجب أن يذهب لمجرد الملاحظة والتعود قبل أن يبلغ سن الثالثة عشر بعام أو اثنين كإعداد له ، وربما حدث شىء من هذا القبيل فى هذه المناسبة (وبالنسبة ليسوع فثمة احتمال أنه كان يذهب كل سنة ، ولكننا لا نجزم بشىء فى هذا الصدد) . وفى هذه المرة عاد يوسف ومريم ونسيا يسوع . وقيل إنه فى القوافل الكبيرة قد لا يعرف الوالدان مكان الطفل . وإذا ما انطبق هذا على هذه الحالة ، فإن النساء والأطفال الصغار يذهبون فى الطليعة ثم يتبعهم الرجال والأولاد الكبار . ولذلك فربما اعتقدت مريم أن يسوع كان مع يوسف ، واعتقد يوسف العكس . ولقد ذهبا مسيرة يوم ، كانا يطلبانه بين الأقارب والمعارف من المسافرين قبل أن ينتبها إلى أنه ربما كان لا يزال فى أورشليم . ولذلك عادا أدراجهما إلى هناك . ووصف يسوع بأنه « صبى » قصد به بيان أنه لم يعد طفلاً بعد ، أو « ولد صغير » (لو ٢ : ١٦ ، ٤٠) .

٤٦ و ٤٧ : « وبعد ثلاثة أيام » . وربما كان المقصود ثلاثة أيام منذ أن فقدا يسوع . وما كان الأمر يستلزم ثلاثة أيام للعثور عليه فى مكان له حجم أورشليم ، وخاصة أنه مكان ظاهر ولم يكن يسوع مختبئاً . « ووجداه فى وسط المعلمين » فى فناء الهيكل . وكان هذا مكاناً معتاداً للتعليم . ومن الواضح أنه لم تكن ثمة صعوبة بالنسبة لصبى غير معروف أن يلحق نفسه بالجماعة . كان « يسمعهم ويسألهم » . وفى هذا دلالة على التعطش إلى المعرفة . وربما كان المعلمون المجدون قلة فى الناصرة ، ومن ثم كان يسوع يستغل هذه المناسبة إلى أقصى حد للتعلم أثناء تواجده فى المدينة الرئيسية . والنظام التعليمى عندئذ كان يركز إلى حد ما على مناقشة المشاكل . وهذا يعطى مجالاً للتلميذ النجيب كى يسأل أو يجيب على الاسئلة . والمعلمون « بهتوا » من فهمه وأجوبته .

٤٨ : ولقد بهت كل من يوسف ومريم . ومن الواضح أنهما لم يتوقعا شيئاً من هذا القبيل . كانت هناك مسحة من اللوم والعتاب وراء سؤال مريم : « يابنى لماذا فعلت بنا هكذا » فى إشارتها إلى العذاب الذى تحملاه أثناء بحثهما عنه .

٤٩ و ٥٠ : أما بالنسبة ليسوع فقد دهش لسماعه عن المتاعب . فالمكان الطبيعي بالنسبة له قال عنه « فى بيت أبى » . ويمكن ترجمة النص اليونانى « فى ما لأبى » . وهذه هى الترجمة السليمة ، لأن « فى ما لأبى » أو « ما يخص أبى » يمكن عمله فى أماكن كثيرة . والمشكلة التى واجهها أبواه هى مكانه وليس ما كان يعمله . وإجابته تبين أنه فى مثل هذه السن المبكرة كانت ليسوع فكرة واضحة عن أهمية خدمة الله . وكان يعرف أن له علاقة خاصة جداً بالله . والتعبير « أبى » جدير بالملاحظة وما من تعبير مناظر يمكن ذكره عندما كان اليهود يذكرون الأب كانوا يضيفون للإسم « فى السماء » أو يقولون « أبانا » ، أو ما شابه ذلك[1] ، فأول كلام سجل للمسيا كان اعترافاً بعلاقته الفريدة بالله وضرورة أن يكون فيما لأبيه . ويتحدث اليهود عن المسيا ومعرفته بالله مباشرة دون مساعدة بشرية ، وهو امتياز لم يشترك فيه سوى إبراهيم وأيوب وحزقيال . بيد أن لوقا يقول أكثر من ذلك ، فيسوع له علاقة بالله لا يشاركه فيها أحد . أما يوسف ومريم فلم يفهما ذلك . لقد أدركا « مسيانية » يسوع شيئاً فشيئاً .

٥١ : كابن مطيع عاد يسوع إلى الناصرة « وكان خاضعاً لهما » (وهذه آخر مرة يشير فيها لوقا إلى يوسف) فهل مات قبل أن يبدأ يسوع إرساليته ؟ . فلم يكن قد حان موعد بدء كرازة يسوع بعد ، ولذلك ظل فى البيت . وكما كان الحال قبل ذلك بالنسبة للرعاة (١٩) ، لم تنس مريم ، وربما لم تكن قد فهمت بعد ، بيد أنها كانت تحفظ هذه الأمور .

٥٢ : وينتهى القسم بملخص آخر على نحو ما سبق وجاء فى الآية (٤٠) . لقد كان يسوع يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة (بالمقارنة مع ١صم ٢ : ٢٦ ، أمثال ٣ : ٤) . وعبارة « عند الله والناس » تشير إلى تقدم روحى واجتماعى . وفى ملخص مماثل بالنسبة ليوحنا المعمدان (لو ١ : ٨٠) ، لا نجد مثل هذا التعبير « عند الله والناس » . فهناك اختلاف منذ البداية فى الشخصية فشدة يوحنا وصرامته أثرت على شعبيته وجاذبيته .

---

(١) يقول Dalman : « إن التعود على الحياة العائلية انتقل إلى الحديث عن الله . فهذه لغة الطفل فى مخاطبة أبيه » .

ثانياً : إرسالية يوحنا المعمدان

(لو ٣ : ١ ــ ٢٠)

توضح كل الأناجيل أن إرسالية يوحنا المعمدان أعدت الطريق أمام الرب ، وتميزت بالدعوة إلى التوبة . بيد أن لوقا وحده يخبرنا كيف أن يوحنا أجاب السائلين المتلهفين على معرفة مدى تأثير التوبة على الأعمال والحرف التى يزاولونها . فكانت إجابته بسيطة وعملية ، على الرغم من أنها كانت تفتقر إلى عمق النظرة التى كانت تتسم بها تعاليم المسيح . وعلى سبيل المثال ، بينما لم يتجاوز يوحنا الأعمال الفردية ، نجد أن أقل ما كان يدعو إليه يسوع هو تسليم النفس الكامل لقوة روح الله القدوس الساكن فينا (تفسير ماتسون للأعداد ٣ : ١٠ ــ ١٤) . ومع ذلك تكشف إجابة يوحنا عن إدراك بأن كل حرفة فى الحياة لها إغراءاتها وأن علامة التوبة الحقة تتمثل فى مقاومة التائب الصادق لهذه الإغراءات .

١ : يبدأ البشير لوقا بمقدمة تاريخية مفصلة ، جعلها عند بداية إرسالية يوحنا وليس عند بداية خدمة يسوع وذلك لإظهار أهمية نهضة النبوة . ثم أنه يدون ما تبع ذلك من أحداث فى ضوء التاريخ الدنيوى . ونظراً لأن أوغسطس قيصر مات فى التاسع عشر من أغسطس عام ١٤م ، فإن السنة الخامسة عشر من حكم طيباريوس قيصر تقع ما بين أغسطس سنة ٢٨ ــ أغسطس سنة ٢٩م . والبعض يجادلون أن نقطة البداية يجب أن تكون مدة الولاية المشتركة لطيباريوس وأوغسطس قيصر (١١ ــ ١٢م) . بيد أنه لم يُذكر أن أحداً سبق وأرخ بدءاً من هذه النقطة . وكانت التواريخ دائماً تأخذ بدايتها منذ أن أصبح طيباريوس إمبراطوراً . وآخرون يقولون إن لوقا استخدم الطريقة الأشورية حيث تبدأ السنة من أول أكتوبر . والفترة من ١٩ أغسطس حتى ٣٠ سبتمبر تحتسب كأول سنة من الحكم ، وتبدأ السنة الثانية من أول أكتوبر . وهذا يأتى بنا إلى السنة التى بدأت فى أول اكتوبر سنة ٢٧م . وإذا ما أتبع نظام يهودى مماثل ستكون هى السنة التى بدأت فى الأول من نيسان (مارس ــ أبريل) سنة ٢٨م . ويبدو أننا لن نقترب أكثر من ٢٧ ــ ٢٩م . « إذ كان بيلاطس البنطى والياً » . وهذا تعبير عام ، بيد أن أحد النقوش أُظهر أن لقبه هذا كان صحيحاً (فلم يكن وكيلاً بحسب الاعتقاد الذى كان سائداً

عند البعض) . « اليهودية » وكانت جزءاً من المنطقة التى حددها هيرودس الكبير لأرخيلاوس ، بيد أنه كان سيئاً فى حكمه حتى أن رعاياه التمسوا من الحكومة الرومانية عزله . ونجحوا فى ذلك ونصبوا حاكمهم مكانه وكان ذلك عام ٦م . وشغل بيلاطس هذا المركز من ٢٦ ــ ٣٦م . وهيرودس المقصود هنا هو هيرودس انتيباس بن هيرودس الكبير . وأصبح رئيس ربع على الجليل وبيرية عند وفاة أبيه عام ٤ ق . م . واستمر حتى عام ٣٩م . وهكذا كان فى الحكم إبان الجزء الأكبر من حياة يسوع بالجسد حيث كان يحكم البلاد التى أمضى فيها يسوع معظم وقته . وكلمة « رئيس ربع » تعنى حاكماً لربع إقليم إلا أنها أصبحت تطلق بعد ذلك على أى أمير صغير (ولقد قسم هيرودس الكبير فى الواقع المملكة إلى ثلاثة أجزاء) . وحكم فيلبس (أخو هيرودس) على ربعه (الذى كان شمال شرق بحر الجليل) من ٤ ق . م إلى ٣٣ أو ٣٤م . أما بالنسبة إلى ليسانيوس فهذه مشكلة . ويتحدث يوسيفوس عن رجل بهذا الاسم حكم بلادا شاسعة من عاصمته كالكيس Chalcis ، حتى موته عام ٣٦ (أو٣٤) ق . م ، وانتهى البعض إلى أن لوقا جانبه الصواب بصدد هذا الاسم . ومع ذلك ، فثمة نقوش تشير إلى شخص اسمه ليسانيوس عاش فى زمن لاحق وحكم كرئيس ربع فى أبلية Abilene ، والتى تقع إلى الشمال من المناطق الأخرى المذكورة . ومن الأفضل أن نأخذ فى الاعتبار أن لوقا لم يعتمد فى كتاباته على يوسيفوس ، وأنه كان يقصد الذى ذكر أخيراً ، وهو رجل لا نعرف عنه المزيد .

٢ : ثم يضيف لوقا تأريخاً له أهميته الخاصة بالنسبة لليهود وذلك بإشارته إلى رئاسة الكهنوت . وكان « حنان » رئيس كهنة (٦ ــ ١٥) م عندما عزله الحاكم الرومانى جراتوس Gratus ، ثم أصبح خمسة من أولاده رؤساء كهنة بالترتيب ، و « قيافا » ، الذى كان رئيس كهنة فى الفترة من ١٨ ــ ٣٦م كان صهراً لقيافا . ويتكلم البشير لوقا بصيغة الفرد (رئيس الكهنة) مما يدل على أنه يعرف أنه كان هناك رئيس كهنة واحد . ويبدو أنه كان يعنى أن قيافا كان رئيس كهنة بصفة رسمية أما حنان فكان لا يزال يتمتع بنفوذ كبير ، وربما كان الكثيرون من اليهود يعتبرونه رئيس الكهنة الحقيقى (بالمقارنة مع أع ٤ : ٦) . وربما تجدر الإشارة إلى أنه عندما قبض على يسوع مضوا به إلى حنان أولاً (يو ١٨ : ١٣) . وفى هذا الوقت الذى حدد تحديداً حاسماً

كانت كلمة الله على يوحنا . وهذا التعبير يشبه إلى حد كبير ذاك الذى جاء فى الترجمة السبعينية عن الطريقة التى تصير بها الرسالة إلى الأنبياء (بالمقارنة مع يوئيل ١ : ٢) . ربما قصد بهذا التعبير أن يأخذ يوحنا مكانه فى السلسلة النبوية الحقة .

٣ : « فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن » . وقد يعنى هذا أن يوحنا كان يجول فى أنحاء الأردن . وبعكس متى ومرقس ، لا يذكر لوقا شيئاً عن ظهور يوحنا أو عن طعامه المتميز ، فهو يدخل مباشرة فى الحديث عن رسالته . وكان يوحنا يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا . وهذا يعنى توبة تعقبها معمودية كعلامة عليها . ولقد دعا يوحنا الناس أن يرجعوا عن خطاياهم . وقبول المعمودية يعد إشارة إلى أنهم قد عملوا بهذا النداء . والهدف كان « المغفرة » . والمعمودية هى طقس للتطهير فى ديانات كثيرة . ويبدو من المؤكد أنه فى ذلك الوقت كانت لدى اليهود معمودية خاصة بالمتهودين . ونظراً لأنهم كانوا يعتبرون الشعوب الأممية نجسة ، فمن ثم كانوا يعمدونهم عندما يتهودون (ويختن الذكور) . ولعل ما كان يؤلم اليهود فى ممارسة يوحنا للمعمودية أنه طبق عليهم طقساً مخصصاً للأمم النجسين فقط . وكثير من اليهود اعتقدوا أنه فى يوم الدينونة لن يتسامح الله مع الأمم الخطاة ، أما اليهود ، أبناء إبراهيم ، خليل الله ، فهم آمنون . دان المعمدان هذا الفكر الخاطىء وأزاح من أفكارهم الأمان الوهمى .

٤ ــ ٦ : طبقت الأناجيل الأربعة ما جاء فى إش ٤٠ : ٣ على يوحنا المعمدان إلا أن لوقا وحده أضاف إليها الآيتين ٤ ، ٥ . فكل البشائر ترى يوحنا بنفس الصورة التى كان يرى عليها نفسه . إنه ليس سوى صوت جاء ليعد طريق الرب مع أن بلومر يقول إن حياة الرجل نفسه كانت موعظة . لكن لوقا يستمر : كى يمتلىء كل واد .. الخ (وهذه الصورة المجازية تشير لإعداد الطريق قبل وصول الملك) ، حتى يصل إلى القول « ويبصر كل بشر خلاص الله » (الكلمة « خلاص » مأخوذة عن الترجمة السبعينية ، لا العبرية ، وقد تكون تفسيراً لكلمة « مجد ») ، وهذا ينسجم مع هدف البشير لوقا من توضيح شمولية الإنجيل .

٧ ــ ٩ : وفى حين يقول متى عن الذين كان يخاطبهم يوحنا ، أنهم من

« الفريسيين والصدوقيين » ، يدعوهم لوقا « الجموع » . لقد كانت رسالة يوحنا للشعب كله . وكلماته هنا تطابق تقريباً ما جاء في (مت ٣ : ٧ — ١٠) . ومن بين ستة وثلاثين كلمة في الترجمة اليونانية لا نجد اختلافاً إلا في كلمتين وردتا في إنجيل لوقا هما (أثمار) (وتبتدئوا) (٨) ، بينما يقول متى « ثمر وتفتكروا » وهذه الفقرة مليئة بالتوبيخ والتقريع . لقد وبخ يوحنا سامعيه ووصفهم بأنهم « أفاعى » يحاولون الهرب من « الغضب الآتى » . وغضب الله موضوع هام في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد . وهو يؤكد على استمرارية غضب الله على كل الشرور . وبهذا « وضعت الفأس على أصل كل شجرة » ولم تقطع الأشجار بعد . لكن التحذير واضح جلى . وبينما يوبخهم ، يُذكّر يوحنا سامعيه أن التوبة يجب أن تأتى « بأثمار » تليق بها . ثم أنه يحذرهم من مغبة الإتكال على كونهم أولاد إبراهيم . فاليهود كانوا يميلون إلى الإعتقاد بأن الله سيكون رؤوفاً بهم إلى أقصى حد من أجل إبراهيم ، إذا لم يأتوا هم أنفسهم بأثمار طيبة . لكن المعمدان يذكرهم أن الله يحاسب كل إنسان حسب عمله وإيمانه . وفى اللغة الأرامية جناس بين كلمتى « حجارة » و « أولاد » .

١٠ و ١١ : لقد رفض رؤساء اليهود تعاليم يوحنا (لو ٧ : ٣٠) ، إلا أنها قادت آخرين إلى توجيه الأسئلة . لأن الجموع أرادوا أن يعرفوا ما هو مطلوب منهم . وكانت أول إجابة ليوحنا عملية إلى أقصى الحدود : من له فليعط من ليس له . والمقصود بالثوب هو ما يلبس تحت السترة الخارجية . بيد أنه يمكن للإنسان أن يلبس أكثر من واحد لزيادة الإحساس بالدفء (مر ٦ : ٩) ، أو أن يكون له ثوب إضافى يحتفظ به و لا يرتديه .

١٢ و ١٣ : كانت الحكومة الرومانية تحصل الضرائب من الشعب عن طريق منح حقوق تحصيلها لصاحب أكبر عطاء . ومن يقع عليه الاختيار ، يدفع للحكومة المبلغ الذى تعهد به فى عطائه ، إلا أنه كان يحصّل أكثر مما دفع ليغطى نفقات التحصيل ويحقق لنفسه ربحاً . بيد أن هذا كان يشكل إغراء قوياً لتحصيل ضرائب أكثر بكثير مما هو مفروض ، ويأخذ هذه الزيادة لنفسه . ولقد أثار هذا موجة من الاستياء وخاصة بين الوطنيين ، الذين كانوا يكرهون رؤية يهود يساعدون الرومانيين بجباية الضرائب لهم . ومن ثم كان

محصلو الضرائب (العشارون) مكروهين من الشعب . وكلما زادت كراهية الشعب لهم ، زادوا من قيمة ما يطلبونه من ضرائب . وكانوا فئة شريرة . و « العشارون » الذين جاءوا ليتعمدوا من يوحنا لم يكونوا بالتأكيد من الجباة الذين حصلوا على امتياز جمع الضرائب بل وكلائهم . لقد أقنع كلام يوحنا بعضهم بحقيقة أنهم خاطئون ، وأرادوا أن يعبروا عن توبتهم بالمعمودية ، ونصحهم يوحنا بقوله « لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم » .

١٤ : ولم يبين لوقا ما إذا كان الجنود من اليهود أم من الرومانيين . والغالبية يوافقون أنهم ربما كانوا من اليهود والبعض يعتقد أنهم كانوا على صلة بالعشارين حيث كانوا يساندونهم ويسهلون لهم مهمة جمع الضرائب ، وعلى أية حال ، كانوا فى وضع متميز ضد عامة الشعب . والمواطنون لم تكن أمامهم أية فرصة للثأر إذا ما استعمل الجنود العنف معهم أو وجهوا لهم تهماً باطلة ليسرقوهم . أما العبارة التى ترجمت « لا تشوا بأحد » فهى عبارة تصويرية تعنى حرفياً « لا تفتروا على أحد » . قال يوحنا للجند « ألا يشوا بأحد » وقال لهم أيضاً « اكتفوا بعلائفكم » أى اكتفوا بما يعطى لكم من أجر . وهذه وصية شائعة . لاحظ أن المعمدان لم يطلب من أحد ترك وظيفته بل بالأحرى أرادهم أن يسلكوا بالاستقامة فى أعمالهم .

١٥ : هذه الأقوال والنشاطات حملت الناس على التساؤل ، ربما يكون يوحنا هو المسيح (بالمقارنة مع يو ١ : ٢٠ ، ٢٥) . فالتوقعات بالنسبة لمجىء المسيح كانت فى أوجها وما قام به يوحنا من نشاطات تم فى إطار جعل الناس يتساءلون عما إذا كان هو الشخص الذى ينتظرونه .

١٦ : لكن يوحنا رفض هذه الأفكار . وأبدى ملاحظتين : أنه سيأتى من هو أعظم منه ، وأن معموديته أيضاً لا تضاهى معمودية ذاك الذى يأتى بعده ، ثم يقول : إنه أقوى منه ، أى أقوى من يوحنا ، أما من ناحية الجدارة ، فيرى يوحنا نفسه غير مستحق أن يحل « سيور حذائه » . المعلمون الفلسطينيون لم يكونوا يتقاضون أجراً ، لكن التلاميذ اعتادوا أن يقدموا خدمات متنوعة إظهاراً لامتنانهم . وثمة مثل (يعود إلى عام ٢٥٠ تقريباً وربما قبل ذلك) يقول « كل ما يقوم به الخادم لسيده ، يقوم به التلميذ لمعلمه ما عدا حل سيور

حذائه » . لأن هذا أمر يجاوز الحدود . بيد أن يوحنا اختار هذا العمل عينه الذى كان المعلمون اليهود يعتبرونه عملاً وضيعاً لا يليق أن يقوم به أى تلميذ ، وقال عن نفسه إنه لا يستحق حتى شرف القيام بهذا العمل من أجل المسيح . هذا هو التواضع الحق .

أما النقطة الأخرى التى تحدث عنها يوحنا فهى أن معموديته « بالماء » فى حين أن « الأقوى » سيعمد ... « بالروح القدس ونار » . وهذه المعمودية الثانية رمزية واضحة . وصيغة الكلام تؤكد أن « الأقوى » سيعطى الروح بدون كيل . والإشارة إلى النار أخذها البعض على اعتبار أنها مناظرة « للروح » ، « نار الروح القدس » وآخرون قالوا إنها تعنى « الامتحان » ، وآخرون قالوا إنها تشير إلى الدينونة . والنص يتلاءم مع التفسير الأخير . ولق لفت براونلى Brownlee الأنظار إلى فقرات فى مخطوطات البحر الميت تشير ألى نار الدينونة الأخروية والتى يعتقد أنها تؤيد هذا التفسير . لكنهم نفس الناس الذين يعمدون بالروح القدس كما بنار .

ومن الأفضل أن ننظر إلى يوحنا كمن يفكر فى رسالة المسيح من الناحيتين السلبية والإيجابية . فالذين يقبلونه سيطهرون كما بنار (بالمقارنة مع ملا ٣ : ١ وما بعدها) ويتقوون بالروح القدس .

١٧ و ١٨ : لقد ذكر موضوع الدينونة بتوضيح . بعد أن تدرس الحبوب ، وينفصل الحب عن التبن تبدأ عملية التذرية ، وهنا يجمع التبن فى كومة والحبوب فى أخرى ، أما العصافة أو ذرات القش فتذريها الريح . وبهذه الطريقة « ينقى البيدر » ويجمع القمح إلى المخزن . وأما التبن فيحرق « بنار لا تطفأ » . وهذا التعبير القوى يؤكد حقيقة الدينونة وإتمامها . ويختم البشير لوقا هذا القسم بالقول بأن يوحنا كان يعظ بأقوال كثيرة من هذا القبيل . ولاحظ أن لوقا ضمن هذه الأقوال فى وصفة ليوحنا أنه كان يبشر . والدينونة تبدو للوهلة الأولى ، أنها أخبار ليست طيبة ، لكنها جزء لا يتجزأ من بشارة الإنجيل . وما لم نكن على ثقة من أن الشر سيلقى فى النهاية هزيمة ساحقة ماحقة فإننا ننكر البشارة من أساسها .

١٩ و ٢٠ : كان يوحنا واعظاً لا يخشى فى الحق لومة لائم ، ولذلك وبخ « هيرودس رئيس الربع » لأنه تزوج إمرأة أخيه . وكانت هيروديا ابنة

ارسطوبولوس ، وهو أخ غير شقيق لهيرودس انتيباس ، وكانت متزوجة من هيرودس ، أخ غير شقيق وكان مواطناً عادياً ، وأغرى هيرودس انتيباس هيروديا أن تهجر زوجها وتتزوجه . على الرغم من أن هذا تضمن طلاق زوجته أيضا . وكان هذا عملاً غير شريف . وذكر البشير لوقا شروراً أخرى ارتكبها هيرودس (ولم يذكرها البشيران متى ومرقس) وأضاف إلى كل ما قيل أنه سجن يوحنا . ونعلم مما ذكره المؤرخ يوسيفوس أن ذلك كان فى قلعة مقاريوس . ولوقا البشير لا يسجل أحداثه حسب ترتيبها الزمنى ، لأن يوحنا استمر عاملاً إبان الفترة الأولى من الخدمة الجهارية ليسوع . ويختم قصته عن يوحنا ، ويركز بعد ذلك على خدمة يسوع .

ثالثاً ــ بداية خدمة يسوع

(لو ٣ : ٢١ ــ ٤ : ١٣)

أ ــ معمودية يسوع (لو ٣ : ٢١ ، ٢٢)

يبدأ البشير لوقا وصفه لخدمة يسوع ، بمعمودية الرب من يوحنا (على الرغم من أنه لم يذكر اسم يوحنا ، إلا أنه انتقل من يوحنا إلى يسوع) . وهذه هى المناسبة الوحيدة المسجلة عن اللقاء بين يسوع والمعمدان . وذكرت القصة بإيجاز ، بيد أنها على جانب كبير من الأهمية ، لأنها علامة على بداية الخدمة الجهارية ليسوع التى ارتبطت بنزول الروح القدس ، وتأكدت بصوت من السماء ، وعلى غير الانتظار لا يشير لوقا إلى معمودية يسوع إلا بجملة ثانوية . وهو يفضل التأكيد على انفتاح السماء ونزول الروح القدس ، وانفتاح السماء يفيد أن إعلاناً سمائياً يعقبه . والبشيرون الأربعة يذكرون نزول الروح القدس بهيئة جسمية مثل « حمامة » . ويخبرنا البشيران متى ومرقس أن يسوع رأى هذا ، ويقول يوحنا إن المعمدان رأى هذه الواقعة ، وربما تكلم كل عن رؤية شخصية ، لكن قول لوقا « بهيئة جسمية » يبين أنه كانت ثمة حقيقة ملموسة . والرمز للروح بالحمامة لم يكن معروفاً عند اليهود (على الرغم من أن حفنة من الكتاب اليهود فى عهود متأخرة تبنوا هذا الأمر) . بل كانت الحمامة ترمز إلى إسرائيل . ومع ذلك ، فإنه ما من شك أن الحمامة هنا ترمز لنزول الروح القدس . ويجب تقبل هذا كجزء من الرمزية فى العهود المسيحية

المبكرة ، وليس كأمر منقول عن مصادر يهودية أو هلّينية . وينفرد لوقا بين البشيرين بأنه الذى أخبرنا أن نزول الروح القدس حدث بينما كان يسوع « يصلى » . إذاً فقد تم ذلك ليس عند المعمودية بل بعدها مباشرة .

وللوهلة الأولى ، يبدو أمراً محيراً ، أن يقبل يسوع أن يعتمد من يوحنا ، لأن هذه المعمودية كانت « معمودية التوبة » (لو ٣ : ٣) . وحيث أن البشير لوقا يصف يسوع أنه بلا خطية فليس من الواضح لماذا يخبرنا إذاً أن يسوع اعتمد بهذه الطريقة . لكن يسوع رأى الخطاة يتدفقون ليعتمدوا من يوحنا . ومن الواضح أنه قرر أن يأخذ مكانه بينهم ، وينضم إليهم جهاراً فى مستهل خدمته لأنه جاء ليخلصهم .

ويحدثنا لوقا البشير عن موافقة الآب التى عبر عنها « صوت من السماء » . ويشير إلى يسوع أنه « ابنى الحبيب » (فى صوت مشابه لما حدث عند التجلى) « هذا هو ابنى الحبيب » (لو ٩ : ٣٥) ، بك سررت . ويشير تاسكر Tasker إلى أن مغزى الكلمات هو « الذى تركزت عليه خطتى لخلاص البشرية » . ونرى فى هذه العبارات أيضاً ارتباطاً مع بعض كلمات وردت فى مز ٢ : ٧ وصدى فيما جاء فى بعض كلمات إش ٤٢ : ١) . وفى بداية خدمة يسوع ، وجه الصوت السماوى أفكار يسوع إلى الربط بين ابن الله والعبد المتألم فى شخص واحد . الأمر الذى سيحدد الكثير فيما يتعلق بخدمته .

ب ــ سلسة نسب يسوع (لو ٣ : ٢٣ ــ ٣٨) .

سلسلة نسب السيد المسيح التى ذكرها البشير لوقا تختلف اختلافاً بيناً عن تلك التى ذكرها البشير متى . فقد كتب لوقا من آدم إلى إبراهيم (وهذا ما لم يفعله متى) . فكلاهما كتب نفس السلسلة فى الواقع من إبراهيم إلى داود ، ثم يتشعبان عند هذه النقطة . وثمة ثلاث تفسيرات رئيسية لهذا التباين .

(١) البعض يقول إن البشير متى يعطينا السلسلة من يوسف ، ومن المفروض أن يكون الأب الرسمى ليسوع ، بينما يعطينا لوقا سلسلة نسب العذراء ، الخط الحقيقى لنسب يسوع . وهذا يبين أن « يوسف بن هالى » هو « يوسف بن هالى بالزواج » . وقيل ضد هذا الرأى إن هذا ما لم يقله

البشير لوقا ، وإن سلاسل الأنساب لا تُسلسل من ناحية الجانب النسائى .
ومع ذلك ، يتحدث لوقا عن ميلاد عذراوى ، ولا يتوافر لنا ، ما نعرف منه كيفية تتبع سلسلة أنساب دون وجود أب بشرى . فالقضية فريدة فى نوعها .

(٢) يقترح أفريكانوس Africanus (٢٢٠م) ، أنه كان هناك زواج إجبارى[1] وهو يعتقد أنه عندما توفى هالى دون أن يكون له نسل ، تزوج أخوه من أمه (يعقوب) من أرملته وأنجب يوسف .

وعلى هذا النحو ، قدم لنا البشير متى سلسلة أنساب يوسف من خلال يعقوب ، أبوه الفعلى ، بينما يعطينا لوقا السلسلة من خلال هالى ، أبوه الشرعى .

(٣) ويؤيد جريشام Gresham رأى لورد هارفى Lord Harvey أن البشير متى ذكر أحفاد داود الشرعيين — أولئك الذين كانوا سيرثون كرسى داود إذا ما كان قد استمر ملكه — بينما لوقا يعطينا سلالة داود فى ذلك الخط المعين الذي ينتمى إليه أخيراً يوسف زوج مريم . وعلى هذا ، فإن يعقوب أبو يوسف ، فى إنجيل متى ، الوارث لكرسى داود ، مات دون وريث . فاتجه التسلسل عند ذلك إلى الخط الذى يمثله هالى .

وعلى قدر ما هو متوفر لدينا من معلومات يستحيل تحديد أى السلسلتين أفضل ، أو ما هو التفسير الأوضح .

أما وأن لوقا ذكر هذه السلسلة بعد ذكره للمعمودية فهذا لتوضيح أن يسوع « ابن الله » كما أن هذا التأكيد يأتى قبل التجربة التى ساعدت على تحديد طبيعة عمل المسيا الخلاصى ، وربما قصد لوقا أن يساعدنا على أن نفهم دور يسوع المسيانى .

أما وأن سلسلة الأنساب قد سجلت فإن هذا كفيل بأن يظهر يسوع كإنسان حقيقى ، وليس نصف إله كأولئك المذكورين فى الأساطير اليونانية والرومانية . أما وأنها ترجع إلى داود فإنها بذلك تشير إلى عنصر ضرورى فى شخصية المسيا . أما وأنها تعود إلى آدم ، فتوضح لنا قرابته ليس لشعب

---

(١) شريعة يهودية تجبر أخا المتوفى من غير نسل على الزواج من أرملته لإنجاب نسل .

إسرائيل فحسب ، بل للجنس البشرى كله . أما وأنها تعود إلى الله فتنسبه إلى خالق الجميع . إنه هو ابن الله .

٢٣ : ويرجع الفضل إلى البشير لوقا لذكره المعلومات التى تفيد أن يسوع « كان له نحو ثلاثين سنة » عند بداية خدمته . وهذا هو السن الذى كان اللاويون يبدأون فيه خدمتهم (عد ٤ : ٤٧) ، وواضح أنه السن الذى يكون قد بلغ فيه الإنسان مرحلة النضج الكامل . وثمة صعوبة بسيطة فى اللغة اليونانية ، حيث لا نجد مفعولاً للفعل ابتدأ . وترجمة الملك جيمس تقول : « وابتدأ يسوع نفسه يدخل فى سن الثلاثين تقريباً » . ولكن هذا المعنى بعيد الاحتمال . وعبارة « وهو على ما كان يظن » الواردة بين قوسين ، تبين أن لوقا كان فى فكره أن يسوع هو بالفعل ابن مريم وليس ابن يوسف .

٢٤ ــ ٣٨ : ويدرج لوقا الأسماء فى سلسلة الأنساب ويسبق كل اسم بكلمة (ابن) . وفى حين أن متى يرجع بسلسلته إلى إبراهيم ، يصعد بها لوقا مباشرة إلى آدم . طبقاً لاهتمامه بالبشرية على وجه عام . ويعتقد Miller ميلر ، أن ثمة إشارة إلى يسوع بصفته « آدم » الأخير (بالمقارنة مع ١كو ١٥ : ٢٢ ، ٤٥) . ويضيف لوقا « ابن الله » لأننا أساساً يجب أن نرى يسوع فى علاقته بالآب . وفى هذا تنسجم سلسلة الأنساب مع القصص السابقة واللاحقة ، وكلها تهتم بإظهار حقيقة يسوع بصفته ابن الله .

جـ ــ تجربة يسوع (٤ : ١ ــ ١٣)

حالما تعمد يسوع تطلع إلى خدمته الجهارية التى كان قد عقد العزم على بدئها . بيد أنه قضى بعض الوقت أولاً فى تأمل هادىء فى البرية . أى مسيا سيكون ؟ هل هو المسيا الذى يستخدم سلطانه لتحقيق مآرب شخصية ؟ أم يستخدمه فى إقامة إمبراطورية قوية تحكم العالم بالبر ؟ أو لعمل أعمال مثيرة لا هدف لها ؟ لقد رفض كل هذه الأمور لأنها كانت امتحاناً من الشيطان . ولأنها تجارب وغوايات من قبل الشيطان ، فهذا يدل على أن يسوع كان يعلم أنه يتمتع بقوى خارقة للطبيعة ، أما بالنسبة لنا ، فلا يمثل تحويل الحجارة إلى خبز أو القفز من أعلى جناح الهيكل أية تجارب (باركلى) . لكن يسوع لم يكن مقيداً بحدود قوتنا البشرية . بل كان يعلم أن عنده قدرات لا يملكها

أى إنسان ، وكان عليه أن يقرر كيفية استخدامها . وهذه القصة كلها ، لها جانب هام آخر بالنسبة للمؤمنين ، فلا بد أن مصدرها الوحيد هو يسوع نفسه . ولقد وردت التجربتان الثانية والثالثة فى إنجيل متى بترتيب عكسى ، وهذا أمر لم يقدم له أى تفسير مقبول (والأسباب المقترحة كلها غير موضوعية) .

١ و ٢ : يقول كل من متى ومرقس إن يسوع أصعد إلى البرية بالروح ، أما لوقا وحده فيقول إن يسوع كان « ممتلئاً من الروح القدس » . حقاً لقد جرب إبليس يسوع ، بيد أن هناك الكثير مما تضمنته القصة خلاف ذلك . لقد كانت فى خطة الله أنه كان على يسوع منذ البداية أن يقرر أى مسيا سيكون ؟

٣ و ٤ : بدأ إبليس تجربته من حالة يسوع وهو جائع . وأراد أن يثير الشك فى بنوته لله . كان يسوع قد سمع للتو صوتاً من السماء قائلاً له « ابنى » (لو ٣ : ٢٢) . لقد اقترح إبليس أن يؤكد يسوع صحة بنوته لله بأن يحول حجراً إلى خبز . وكانت المشكلة أن يعرف يسوع إذا كان الصوت الذى يسمعه الآن قد أتى من نفس مصدر الصوت السماوى . ولقد جاءت إجابة المسيح من نص من الكتاب المقدس (تث ٨ : ٣) . وما لا يتفق مع الكتاب ليس من الله . وجوهر التجربة قد يكمن فى استغلال قوة المعجزات لتوفير خبز للجائع ، أى أن يصبح يسوع مصلحاً اجتماعياً . بيد أنه لم يكن هناك أناس جوعى مع يسوع فى البرية . ولذلك قد يكون الأرجح هو أن تتجه التجربة إلى استغلال قواته فى عمل المعجزات لتدبير احتياجاته الشخصية . والكلمات التى استخدمت لرفض التجربة لها استعمالات شتى . « ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان » (بالمقارنة مع يو ٤ : ٣٤) فليس الإنسان حيواناً ، يعيش على مستوى احتياجاته المادية وحدها .

٥ ــ ٨ : لم يقل البشير لوقا ، كما فعل متى ، أن الشيطان أخذ يسوع إلى جبل عال ليريه « جميع ممالك العالم » . فهو يؤكد ليس على المكان الذى جاءت منه الرؤية بل على حقيقة أن إبليس الشرير أظهر أمام يسوع كل أبهة العالم ومجده ، لقد إدعى إبليس أنها ملكه (لأن الشيطان رئيس العالم ــ بالمقارنة مع يو ١٢ : ٣١ ، ١٤ : ٣٠ ، ١٦ : ١١) ، ووعد أن يعطيها

ليسوع إذا سجد له . وهذا يعنى أن يسوع رأى إمكانية إقامة مملكة ربما تكون أقوى بما لا يقارن من الإمبراطورية الرومانية . وما من صعوبة فى أن ندرك كيف أن فكرة كهذه يمكن اعتبارها هدفاً مشروعاً . فقد تعنى حكومة لا تهتم إلا بالرفاهية الحقيقية للشعب ، وأن الطريق سيصبح مهملاً لعمل الكثير من الإنجازات الطيبة . لكن هذا يعنى قبول مشورة الشيطان ، ويعنى استخدام الوسائط العالمية ، يعنى إخراج الشياطين ببعلزبول رئيس الشياطين . أما بالنسبة ليسوع فهذا معناه أنه قد تخلى عن مهمته . ثم أن مملكته من نوع آخر مختلف تماماً (يو ١٨ : ٣ وما بعدها) ، ولقد سبق وأعلن وقوفه إلى جانب الخطاة الذين جاء لكى يخلصهم (لو ٣ : ٢١) . وهذا معناه اختيار الطريق البسيط وليس طريق المجد العالمى ، والصليب لا التاج . والجرى وراء المجد العالمى معناه عبادة الشر . لقد نبذ يسوع ذلك بشكل قاطع . وللمرة الثانية يحتكم إلى الكتاب المقدس (تث ٦ : ١٣) ، مشيراً إلى أن العبادة قاصرة على الرب وحده ولا يكون السجود لأحد سواه .

٩ ــ ١٢ : كانت أورشليم مسرح التجربة الثالثة . حيث طُلب من يسوع أن يطرح نفسه « من جناح الهيكل » إلى أسفل . وأداة التعريف هنا قصد بها برجاً معيناً للهيكل (جناحاً معيناً) ، بيد أنه ليس فى مقدورنا تحديده على وجه اليقين (فالاقتراحات تتضمن قمة الهيكل ، قمة رواق سليمان ، أو قمة الرواق الملكى) . وكانت التجربة تتطلب عمل معجزة مذهلة ، إلا أنه لا هدف من ورائها ، من أجل إثبات أنه يمكن الإتكال على المعجزات الناجمة عن الإيمان بالله . ونظراً لأنه لم يكن أحداً آخر موجوداً ، فالتجربة إذاً كانت تهدف ، تجربة الله ، وليس الثقة المطلقة فيه (ويبدو أن إجابة يسوع تشير إلى هذا المعنى) . ويلفت فارر Farrer النظر إلى نقطة هامة بذكره قول القديس أوغسطينوس أن إبليس لا يملك سوى تقديم الاقتراحات ، والشخص الذى يتعرض للتجربة هو وحده الذى يختار أن يسقط فى الخطأ (اطرح نفسك لأسفل) وفى هذه التجربة كان الشيطان يستشهد بالكتاب المقدس (مز ٩١ : ١١ وما بعدها) كى يؤكد ليسوع أنه سيكون آمناً ولن يمسه سوء . بيد أن هذا استعمال خاطىء لآيات الكتاب . وهو تحريف فى النص لخدمة غرض معين . لقد رفض يسوع هذه التجربة كما فعل بالنسبة للتجربتين السابقتين وذلك باستشهاده بالمعنى الحقيقى لأقوال الكتاب المقدس (تث ٦ : ١٦) .

وليس من حق إنسان أن يجرب الرب حتى لو كان هذا الإنسان هو ابن الله المتجسد .

لاحظ أنه فى التجارب الثلاثة جميعاً واجه يسوع إغراءاتها بالاستشهاد من سفر التثنية ، بل فى الواقع بجزء معين بين ٦ : ١٣ ، ٨ : ٣ . وهذان الأصحاحان يشيران إلى تجربة إسرائيل (شعب الله) فى البرية . وحسنا فعل يسوع أن فكر كثيراً فى هذه الفقرات كما فكر فى المهمة التى كلفه الله بها . وثمة أمور متشابهة بين تجربة شعب الله القديم فى البرية وبين تجربة السيد المسيح الشخصية . لقد كان يجد نفسه واحداً مع شعب الله .

١٣ : وخلال هذه التجارب لم يكن متاحاً أمام يسوع أى مصدر خاص ، لقد واجه التجربة على النحو الذى يجب علينا إتباعه ، أى بالرجوع إلى الكتاب المقدس ، ولقد حقق يسوع النصر . وينهى البشير لوقا قصته حيث هزم الشيطان هزيمة ساحقة ماحقة . لقد أكمل إبليس كل تجربة ، لكن يسوع لم يستسلم وهذا لا يعنى أن يسوع لم يواجه أية تجارب أخرى بعد ذلك . ويقول كونزلمان Conzelmann ، إن لوقا البشير يصور الشيطان كما لو كان غائباً إبان إرسالية المسيح ، بيد أن هذا لا يطابق الحقائق (بالمقارنة مع عمل إبليس فى لو ٨ : ١٢ ، ١٠ : ١٨ ، ١١ : ١٨ ، ١٣ : ١٦ ، ٢٢ : ٣ و ٣١) وإشارات إلى التجربة أو الاختبار والتى تشير إلى نشاطه فى لو ٨ : ١٣ ، ١١ : ٤ ، ١٦ ، ٢٢ : ٢٨) . لقد تركه الشيطان إلى حين أى عندما تتاح له فرصة جديدة ، كما يقول ريو Rieu . ولا مفر من التجربة فى هذه الحياة . فليست التجارب ليسوع فقط . ولا هى لنا فقط .

رابعاً : يسوع فى الجليل

(لو ٤ : ١٤ ، ٩ : ٥٠)

ويستمر الرسول لوقا فى سرد إرسالية يسوع فى الجليل . وكثيراً مما ورد فى هذا القسم الطويل نجده فى بشارتى متى ومرقس ، بيد أن الرسول لوقا يمهرها بطابعه .

أ ـ عظة فى الناصرة (٤ : ١٤ ـ ٣٠)

يبدو أن البشير لوقا يشير إلى حدث تناوله البشيران متى ومرقس فى موضع متأخر . ولم يعتبره بداية إرسالية يسوع ، لأنه يعرف أعمالاً سابقة له (١٤ ، ١٥) ، على الرغم من أنه لم يصفها لكن لوقا يوضح منذ البداية أن يسوع كان يحقق نبوءة إشعياء . وهذه هى نوعية الخدمة التى يمارسها يسوع ، وهذه هى الموضوعات التي تتكرر .

١٤ و ١٥ : ليس من الواضح تماماً لماذا خرج « خبر » عن يسوع فى جميع الكورة المحيطة ، لأنه لم يذكر أنه قام بعمل معجزى بعد . لكنه عاد من الأردن ، بقوة الروح (لاحظ اهتمام لوقا بعمل الروح القدس) . ونرى بوضوح أن يسوع امتلأ بالروح مما دعا إلى الإشارة إلى ذلك . وابتدأت شهرته تزداد بتعليمه فى المجامع . ويخبرنا البشير لوقا أنه كان « ممجداً من الجميع » . وكلمة « مجامعهم » ، بصيغة الجمع تشير إلى جولة تعليمية . وكانت الجليل نقطة البداية لإرسالية يسوع (بالمقارنة مع لو ٢٣ : ٥ ، أع ١٠ : ٣٧) .

١٦ : ويذكر الرسول لوقا أن يسوع « كان قد تربى » فى الناصرة ، وأنه فى تلك المدينة ذهب يسوع إلى المجمع « حسب عادته » يوم السبت . وثمة إشارات كثيرة عن حضور يسوع المجمع ، بيد أن هذه المرة الوحيدة التى نعرف منها أن هذه كانت عادته . وكثير من المفسرين كتبوا لنا عن الطريقة التى تسير عليها العبادة والصلوات فى المجامع ويشيرون إلى النقاط التى اتفقت مع ما ورد فى بشارة لوقا . ولكن ، علينا ألا ننسى أن هذا أقدم وصف عرفناه عن كيفية سير الخدمة التعبدية ولذلك تتسم هذه الفقرة بأهمية بالغة فيما يتعلق بدراسة المجامع . وقد نفترض أن بعض النظم التى عرفناها من عصور تالية ، قديمة قدم هذه الخدمة ، لكننا يجب أن نعى أن هذا محض تخمين . وبشارة لوقا هى المصدر الوحيد المتوافر لنا بالنسبة لما عُمِل فى هذا الوقت . ولا بد وأن الخدمة كانت قد بدأت بصلاة كالعادة ، ولا بد وأنه قد تمت قراءة من الناموس (الأسفار من التكوين إلى التثنية) قبل أن يقرأ يسوع من الأنبياء . ولم يكن ثمة خدام بالمعنى الذى نفهمه الآن لكن رؤساء المجمع المحليين كانوا يدعون الشعب إلى المساهمة فى القراءة والوعظ . ويبدو أنه كان يُقرأ من الكتاب المقدس باللغة العبرية الأصلية ، وربما قدمت ترجمة لتلك القراءة باللغة

الأرامية بمعرفة القارىء أو أى شخص آخر . وواضح من سفر الأعمال أنه كان أمراً عادياً أن يُطلب من كبار الزوار القيام بخدمة الوعظ . كان المجمع يستخدم للتعليم كما للعبادة أيضاً ، وإن كانت وظيفته الأساسية هى التعليم (بالمقارنة مع لو ١٣ : ١٠) . ولا يعرف على وجه التحديد مدى قدم المجمع لكن لم يحدث تطور كبير فى فلسطين قبل خراب الهيكل . ويبدو أنه لا توجد بقايا (خرائب) لمجامع فى فلسطين ترجع إلى الأزمنة السابقة للمسيحية .

قام يسوع ليقرأ وهى علامة تبجيل لكلمة الله . ويبدو أن الوعظ كان عادة يتم جلوساً (لو ٢٠ بالمقارنة مع مت ٢٦ : ٥٥) . ومع ذلك كان بولس واقفاً فى إحدى المناسبات (أع ١٣ : ١٦) ويتحدث فيلو Philo عن هذ العادة .

١٧ : ومن الجلى أن يسوع لم ينتق السفر الذى قرأ منه ، لأن سفر إشعياء « دفع إليه » . ولكن هذا لا يعنى ، كما يعتقد البعض ، أنه قرأ من كتاب معين خاص بالفصول التى تقرأ أثناء الخدمة . ولانستطيع إثبات صحة وجود كتاب فى عصر متقدم كهذا . وربما اختيرت الفقرة بمعرفة رئيس المجمع أو أن يسوع هو الذى اختارها بنفسه . وهذا يتواءم مع كلمات الرسول لوقا « ولما فتح السفر وجد الموضوع الذى كان مكتوباً فيه ... »

١٨ و ١٩ : لقد قرأ من سفر إشعياء (إش ٦١ : ١ وما بعدها) ، ثم (إش ٥٨ : ٦٠) . وكانت القراءة عبارة عن نبوة عن خدمة المسيا للمتضايقين والمساكين ، والمأسورين ، والعمى والمنسحقين . وتطبيق يسوع هذه النبوة على نفسه يبين أن معنى الدعوة الإلهية التى صاحبت الصوت السمائى عند معموديته ما زالت قوية (بقوة الروح القدس بالمقارنة مع أع ١٠ : ٣٨) . لقد رأى يسوع نفسه آتياً بإنجيل الفرح للبشر المتعبين . ومن الطبيعى أن « سنة الرب المقبولة ، لا تمثل سنة زمنية ، بل هى طريقة للإشارة إلى زمن الخلاص » .

٢٠ : طوى يسوع السفر (أغلق الكتاب) وسلمه إلى الخادم . و « جلس » وهكذا أخذ وضع الواعظ . وكانت عيون الجميع شاخصة إليه ، والكل مستعد لسماع عظته .

٢١ و ٢٢ : أما يسوع « فابتدأ » يقول لهم إنه اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم . إن كلمات إشعياء النبى كانت تنطبق على الإرسالية التى كان يسوع قد بدأها (بالمقارنة مع لو ٧ : ٢٢) . وكلمة « اليوم » هامة للغاية . ولم يشك معاصرو المسيح أن ملكوت الله سيأتى يوماً ما . وتعاليم يسوع كانت مختلفة من ناحية أنه رأى الله فى ملامح الحاضر ، فى عمله هو . « وليس فى زمن مستقبل » لكن « الآن » تحطمت سطوة العبودية للخطية ، وتأسست شركة قوية مع الله ، ونفذت مشيئة الله . وكان الجميع يشهدون له أى يثنون عليه . أما قول ريو Rieu « وسرعان ما بدأ الجميع يعترفون بسلطانه » فهو مجرد إعادة صياغة . لكنه يخبرنا بما حدث . فبينما كان يسوع يتكلم ابتدأ السامعون يدركون أن ما سبق وقيل عنه كان حقيقة . وهذا هو ما قالوه عنه . لقد تأثروا « بكلمات النعمة الخارجة من فمه » ، أى ، بطريقته الأخاذة وأسلوبه الجذاب فى الحديث . لقد تعجبوا أن واحداً من بلدتهم ، يدعونه « ابن يوسف » استطاع أن يتكلم على هذا النحو . لاحظ أن البشير لوقا يتحدث عن الدهشة وليس الإعجاب أو الاستحسان . اندهشوا من وعظه ، بيد أنه لم يصل إلى قلوبهم .

٢٣ : أدرك يسوع أن صيته وصل إلى الناصرة وأن أولئك الذين تربى بينهم أرادوه أن يثبت جدارته . فقال لهم مثلاً (غير معروف من ناحية ما ، على الرغم من وجود أمثلة مشابهة) لكن له مغزى واضح . ومع ذلك فالتطبيق العملى الحرفى للمثل « أيها الطبيب اشف نفسك) ليس واضحاً تماماً ، لأنه ليس هناك ما يشفى يسوع نفسه منه . قد يكون المقصود هو أن عمل المعجزات يعود على يسوع بالنفع من ناحية المحافظة على سمعته وشهرته ، أو أن الناصرة تعتبر مدلولاً لكلمة « ناصرى » (على الرغم من أن عبارة اشف نفسك ليس هى نفس عبارة اشف مواطنيك) . ولاحظ قولهم « كم سمعنا أنه جرى فى كفر ناحوم » . ولم يقولوا ما فعلت فى .. أى أنهم سمعوا ... وليسوا واثقين أنه ... . إذاً فهم لم يؤمنوا بيسوع . ويتخذ البشير مرقس من هذا سبباً لعدم قيام المسيح بعمل أية معجزة فى الناصرة (مر ٦ : ٥) . ولكن البشير لوقا لم يذكر هذا ، وربما اكتفى بالتلميح إليه .

٢٤ : كانوا يطلبون دليلاً . (وحرف العطف ـــ الفاء ـــ فى كلمة

فافعل — يجب أن يترجم « ولكن ») . أى أنه بدلاً من « فافعل ذلك هنا » تصبح « لكن افعل ذلك هنا » . أما يسوع فقد تصرف كما أراد . لقد بدأ جوابه بكلمة « الحق » . وهذه الكلمة لم ترد فى إنجيل لوقا سوى ست مرات فقط (لأن البشير لوقا كان يفضل ترجمة التعبير الآرامى) ، لكننا نجد هذه الكلمة دائماً على لسان يسوع فى بشارتى متى ويوحنا . فهذه الكلمة (الحق الحق ...) تشير إلى التأكيد وتنبه إلى أن الكلمات التى تليها لها أهميتها القصوى . وأكد يسوع أن الأنبياء دائماً يُرفضون فى أوطانهم . فالناس دائماً على استعداد لأن يروا العظمة فى الأغراب أكثر بكثير مما يرونها فى من يعرفونهم حق المعرفة .

٢٥ و ٢٦ : ولقد وضح يسوع كلامه بالإشارة إلى اثنين من الأنبياء العظام . « إيليا النبى » على سبيل المثال لم تسعفه واحدة من الأرامل الكثيرات فى إسرائيل فى أيامه ، لكن أسعفته واحدة من صرفة التابعة لصيدون (بالمقارنة مع ١مل ١٧ : ٨ وما بعدها) . ولا لزوم أن يقال إمرأة أرملة فقد فهمت ضمناً من الآية السابقة . بيد أنها توضح مدى صغر قيمة هذه المرأة الأجنبية الأممية . ومع ذلك فقد أرسل إليها إيليا . ولو ذكر أن الجوع استمر ثلاث سنين وستة أشهر (كما فى يع ٥ : ٧) ، وهى تزيد قليلاً عن « فى السنة الثالثة » (١مل ١٨ : ١) . ومن الطبيعى أن عبارة « السنة الثالثة » قد تشير إلى مدة بقاء إيليا فى صرفة (١مل ١٧ : ٨) لا إلى الجوع ، ومن ثم فلا اختلاف . وإذا ما كانت تشير فعلاً إلى مدة الجوع فثمة احتمالات عديدة . يعتقد تاسكر Tasker أن الثلاث سنوات ونصف قد تكون استنتاجاً من الفقرة الواردة فى سفر الملوك ، أو أن يسوع كانت له مصادر أخرى لمعلوماته . وعلى أية حال ، فربما استمر الجوع لفترة ما بعد انحسار الجفاف .

٢٧ : والمثل الذى قيل عن إيليا تأكد بمثل آخر عن إليشع ، الذى لم يشف أحد البرص الكثيرين فى إسرائيل ، بل شفى نعمان السريانى (٢مل ٥ : ١ — ١٤) .

٢٨ — ٣٠ : لم يحتملوا هذا الكلام . فقد كان كثيراً عليهم أن يسمعوا واحداً منهم يتملص من انتمائه لهم . كما لم يحتملوا أن يسمعوا ما عمله الله

مع الأمميين . وعم الغضب كل المجمع إذ كانوا يعتبرون أن الله لليهود فقط ، ولذلك شرعوا فى قتله ، ومحاولة طرحه من حافة الجبل إلى أسفل قد تكون تمهيداً لرجمه بالحجارة . وتحديد المكان الذى حدث فيه هذا ليس سهلاً ، بيد أن المعنى العام واضح بما فيه الكفاية . كما أن مهابة وجود المسيح واضحة . فجاز فى وسطهم ومضى بكل بساطة . لم ينطق بكلمة واحدة تنم عن غضبه ، بل ولم يعمل أية معجزة أمامهم . لكنه جاز وسط حشودهم الساخطة . والبعض يرون أن هذا فى حد ذاته معجزة — رغم أنها ليست المعجزة التى أرادها أهل الناصرة . وعلى قدر ما هو معروف ، لم يعد يسوع إلى الناصرة بعد ذلك إطلاقاً . فالرفض قد يكون نهائياً .

وفى كل هذا لنا تعليق على التجربة الثالثة . لقد حاول الناس أن يضعوا يسوع فى الموقف الذى أراده إبليس . بيد أنه لم يسمح لهم بذلك .

ب — معجزات الشفاء (لو ٤ : ٣١ — ٤١)

يبدأ البشير لوقا قصته عن إرسالية يسوع بسرد بعض معجزات الشفاء ، وجولة تعليمية وعظية . وهذا أحد الأقسام التى سجلها مرقس .

١ — الرجل الذى به روح شيطان نجس (لو ٤ : ٣١ — ٣٧)

٣١ و ٣٢ : نجد هنا أول معجزة من خمس معجزات شفاء حدثت فى أيام السبت التى وردت فى هذا الإنجيل (بالمقارنة مع لو ٤ : ٣٨ ، ٦ : ٦ ، ١٣ : ١٠ ، ١٤ : ١) . ومن الواضح أن الاستخدام الأمثل للسبت كان مثار اهتمام لوقا . « انحدر » يسوع من الناصرة إلى كفر ناحوم . انحدر لأن المدينة وهى بالقرب من البحيرة كانت على مستوى منخفض ، والموقع غير معروف على وجه التحديد ، ولو أن الكثيرين يقولون إنها تل هوم Tell Hum . لقد بهتت الجموع من تعاليم يسوع ، لأن كلامه كان بسلطان . ولم تكن أصالة التعبير تلقى التقدير الكافى من المعلمين اليهود ، بل كان المعتاد أن يستشهد الناس بأقوال السلف البارزين . وعلى سبيل المثال ، كان اليعازار Eliezer يؤيد هذا المعنى مدفوعاً بالناحية الدينية فقال « بل ولم أردد قولاً فى حياتى ، لم أسمعه ممن علمونى » وكان هذا شائعاً ، ولم يأت يسوع بشىء على هذا النسق ، لكن السلطان الذى تكلم به كان يدهش سامعيه .

٣٣ و ٣٤ : وكان فى المجمع « رجل به روح شيطان نجس » . وهذا تعبير لم نجد له تفسيراً فى أى مكان آخر . فالبعض يأخذونه حرفياً ويعتقدون أن الرجل كان نجساً أشعث الشعر . وآخرون يأخذونه من الناحية الأخلاقية ، أى أن به روحاً شريراً . ومن الممكن أن يتجه الفكر إلى الناحيتين معاً . فلقد كان الاعتقاد شائعاً فى العالم القديم أن كثيراً من المتاعب والمصاعب تعود إلى الأرواح الشريرة . ولا يذكر الكتاب إلا القليل عن مس الشيطان أو تلبس الشيطان للإنسان قبل أو بعد التجسد . لكنه يذكر الكثير إبان إرسالية المسيح . إذاً فهذه الظاهرة فى الكتاب المقدس تشكل جزءاً من الصراع بين يسوع ، الذى جاء لينقض أعمال إبليس (١يو ٣ : ٨) من جهة ، والشر من جهة أخرى . وفى هذه المناسبة كان الرجل الذى به شيطان يصرخ بصوت عظيم . هل أتيت لتهلكنا ؟ . وهذه العبارة تؤخذ على أنها سؤال ، بيد أنها قد تكون جملة خبرية « لقد أتيت لتهلكنا » . لقد أدرك الروح الشرير التعارض بين يسوع ومملكة الشيطان . « قدوس الله » (ولا يوجد هذا الوصف إلا فى مر ١ : ٢٤ ، يو ٦ : ٦٩ فقط)[1] لقب غير عادى ، يشدد على فكر التكريس لخدمة الرب . وفى هذا الوضع يجب أن نراه كنموذج لما كان يدور بخلد يعقوب عندما كتب « والشياطين يؤمنون ويقشعرون » (يع ٢ : ١٩) . ويعلق رايل Ryle قائلاً (إن معرفة الشيطان لم تكن مصحوبة بإيمان أو رجاء أو محبة) .

٣٥ : انتهر يسوع الشيطان دون عمل أية تعاويز أو « رقيات » كتلك التى كانت محببة لمعاصريه . وانتهار يسوع الشيطان يشير إلى أنه ما كان له أن يتلبس الرجل ، وقد أمره يسوع قائلاً « إخرس » (حرفياً : كن مكمماً ، ولاحظ البعض أن الكلمة كانت أحياناً تستعمل بمعنى « مربوط برقية » بيد أن هذا ليس المعنى المقصود هنا) . أضاف يسوع « اخرج منه » . فصرعه الشيطان . أى هزه بعنف . وهذا هو كل ما فعله الشيطان . فقد خرج منه « ولم يضره شيئاً » .

٣٦ و ٣٧ : لقد وقعت الدهشة على الناس ، « ما هذه الكلمة ؟ لأنه

---

(١) جاء فى الترجمة العربية « ابن الله الحى » لكنها فى معظم الترجمات وفى إنجيل الحياة (الترجمة التفسيرية جاءت قدوس الله . (المحرر)

بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة ! » . والفعل يشير إلى أنه اعتاد أن يعمل هذا . وكانوا يعلقون على هذه المعجزة عينها . ولم يكن غريباً أن يخرج « صيت » عنه فى الكورة المحيطة ، لقد أصبح يسوع شخصية عامة .

٢ ــ حماة بطرس (لو ٤ : ٣٨ ، ٣٩)

ومن المجمع ذهب يسوع إلى بيت سمعان (ويضيف البشير مرقس واندراوس ، ويخبرنا أن يعقوب ويوحنا ذهبا معه ، أما لوقا فلا يذكر شيئاً عنهم ، ربما لأنه لم يكتب بعد عن دعوتهم) . والأناجيل الثلاثة المتشابهة تذكر كلمة « الحمى » ، لكن لوقا ينفرد بالقول إنها كانت حمى شديدة . ومن الواضح أنه تعبير طبى ، أما وأن يسوع انتهر الحمى (فهل يعنى هذا أنه رأى الشيطان خلف المرض ؟) وأنه عندما شفيت المرأة قامت وصارت تخدمهم فى الحال . وهكذا ظهر أن شفاءها كان تاماً .

٣ ــ شفاء كثيرين (لو ٤ : ٤٠ ، ٤١)

وعند غروب الشمس ، جميع الذين كان عندهم سقماء بأمراض مختلفة قدموهم إلى يسوع . لم يكن من الممكن حملهم فى يوم السبت ، بيد أنه عند نهاية ساعة الغروب ، أسرع الناس بهم إلى يسوع . وثمة لمسة إنسانية إذ « وضع يسوع يديه على كل واحد منهم وشفاهم » . وكان البشير لوقا هو الوحيد الذى ذكر هذا ، كما ذكر أيضاً أن الشياطين التى خرجت كانت تصرخ قائلة : « أنت المسيح ابن الله » . ربما اعتقد الجليليون أن يسوع لم يكن سوى إنسان ، غير أن الشياطين لم تقع فى هذا الخطأ . ويشترك مرقس مع لوقا فى ذكر أن يسوع لم يدعهم يتكلمون ، بيد أنه لم يذكر أن يسوع « انتهرهم » (بالمقارنة مع لو ٤ : ٣٥ ، ٣٩) . فيسوع لا يهادن الشيطان . ومن المثير أن لوقا يخبرنا أن الشياطين تعرفوا على يسوع « أنه هو المسيح ابن الله » منذ البداية الأولى لخدمته . لقد مضت فترة طويلة قبل أن يتعلم التلاميذ هذا الدرس . أما عدم السماح للشياطين أن يكشفوا حقيقة أن يسوع هو المسيح ، فربما كان ذلك حتى يحبط أية اتجاهات قومية سياسية مناصرة لمجىء المسيا المنتظر ، وخاصة أن الحماس الشعبى كان سيجعل من أى مسيا بطلاً شعبياً ثائراً .

*

جـ ــ جولة تبشيرية (لو ٤ : ٤٢ ــ ٤٤)

وفى الصباح التالى خرج يسوع وذهب إلى موضع خلاء . ومما يثير الانتباه أن مرقس (وليس لوقا) يخبرنا أنه ذهب هناك للصلاة ، إلا أنه من الواضح أن « الجموع » كانوا مبهورين بالأحداث التى سبق ذكرها ، ولم يكونوا يريدون أن يذهب عنهم ، ومع ذلك عندما وجدوه (ويقول مرقس أن بطرس كان على رأس التلاميذ الذين خرجوا للبحث عن يسوع) رفض يسوع أن يبقى معهم ، وقال إنه ينبغى أن يبشر المدن الأخرى أيضاً ، وهنا نلمس حاجة ملحة . وهذه أول مرة يذكر فيها لوقا « ملكوت الله » الذى سيصبح الموضوع المفضل فى تعاليم يسوع . وهو موضوع متسع . ويكفى القول إنه حكم الله عملياً . لقد كان اليهود ينتظرون وقتاً يعلن فيه الله نفسه ملكاً على الشعوب . وكان يسوع يعلم أن ملكوت الله قد جاء بالفعل ، أى أن ملكوت الله جاء فى شخصه ، من خلال السلطان الذى قهر به الشيطان . فملكوت الله صار حقيقة واقعة كما أنه من جانب آخر سيأتى فى ملئه وكماله . ثم أن هناك ملحوظة أخرى لها مغزاها فى قول يسوع « لأنى لهذا قد أرسلت » (بالنسبة للقول لهذا قد أرسلت قارن لو ٩ : ٤٨ ، ١٠ : ١٦) . وثمة صعوبة بالنسبة لمجامع اليهودية ، لأنه لم يرد ذكر فى أى مكان آخر فى الأناجيل المتشابهة عن جولة تبشيرية كهذه ، أى فى « مجامع الجليل » والأصوب ما جاء فى ترجمات أخرى « مجامع اليهودية »[1] . ويجب أن نفهم كلمة « اليهودية » الواردة هنا فى معناها الأوسع ، أى بمعنى فلسطين . وبذا تتضمن الجليل (كما جاء فعلاً فى لو ٢٣ : ٥ .. ألخ ، ومع ذلك يستخدم البشير لوقا أحياناً هذا الاصطلاح ويقصد به اليهودية فعلاً ، كما جاء فى لو ٢ : ٤ على سبيل المثال) . أو أن لوقا كان يتحدث كما كان يفعل كثيراً عن شىء نجده فى بشارة يوحنا . حيث ذكرت خدمة واسعة قام بها يسوع فى اليهودية .

د ــ معجزات يسوع (لو ٥ : ١ ــ ٢٦)

يروى لوقا حلقة ثلاثية من المعجزات ، يبدأ بمعجزة خاصة بالطبيعة ، ثم

---

(١) فى ترجمة فانديك العربية « مجامع الجليل » وجاءت فى الإنجيل كتاب الحياة « مجامع اليهودية » (المحرر) .

معجزات شفاء ، وهذه المعجزات تؤكد سيادة المسيح على كل موقف جابهه ، ثم أنها كانت تظهر حنانه .

١ ــ معجزة صيد السمك الوفير (لو ٥ : ١ ــ ١١) . ويرى بعض المفسرين أن هذه المعجزة ما هي إلا رواية أخرى لنفس القصة الواردة فى بشارة يوحنا (ص ٢١) ، أثناء إحدى ظهورات المسيح بعد القيامة . بيد أن الاختلافات بينهما كثيرة وكبيرة . فالرسول لوقا يحدثنا عن حدث وقع وقت إرسالية يسوع ، ويوحنا الرسول يتكلم عن حدث مغاير تماماً حدث بعد قيامة المسيح . وثمة ملحوظة مماثلة يجب أن تذكر فيما يتعلق بقصة دعوة التلاميذ الواردة فى (مر ١ : ١٣ ــ ٢٠) . أنه لأمر محتمل أن يذكر مرقس الحدث بدون المعجزة على الرغم من أنه حتى فى هذه الحالة فالاختلافات ليست طفيفة . بيد أنه من المرجح أن البشير لوقا كان يشير إلى واقعة أخرى .

١ ــ ٣ : يحدد البشير لوقا الموقع . فالجمع كان متلهفاً ، ليسمع كلمة الله (والتى قد تعنى الكلمة التى تأتى من الرب ، أو الكلمة التى تتحدث عن الرب) ، ازدحم الجمع حول يسوع بينما كان واقفاً « عند بحيرة جنيسارت » ، وعادة يسمى لوقا صفحة الماء هذه بحيرة ، بينما يتبع البشيرون الآخرون نهج العهد القديم من ناحية تسميتها بحراً . وأبعادها ١٣×٧ أميال تقريباً وتقع على مسافة ٧٠٠ قدم تقريباً تحت مستوى سطح البحر . وهذا هو المكان الوحيد الذى سميت فيه هذه البحيرة جنيسارت . فالاسم المعتاد هو الجليل (كنروت فى العهد القديم وطبرية ، مرتان فى بشارة يوحنا) . لقد رأى يسوع سفينتين خرج منهما الصيادون ليغسلوا شباكهم . وجرت العادة أنه عقب كل رحلة صيد ، تفحص الشباك وتنظف استعداداً للرحلة التالية . دخل يسوع إحدى السفينتين ، تلك التى كانت لسمعان وسأله أن يبعد قليلاً عن البر . ثم « جلس » يسوع ، آخذاً الوضع المعتاد للتعليم وصار يعلم الجموع من السفينة .

٤ و ٥ : وبعد ذلك ، اقترح على سمعان بطرس أن يذهبوا للصيد فأجاب سمعان قائلاً « يا معلم تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً » وقد يحمل هذا القول فى ثناياه ظلاً من التأنيب . فالليل أفضل الأوقات المناسبة للصيد ، وربما كان

سمعان يقصد ، أنه إذا كان الخبراء قد فشلوا فى أنسب الأوقات ولم يصيدوا شيئاً فمن العبث أن نستمع لنصيحة نجار . وإذا كان الأمر كذلك ، فإن استجابة سمعان للعمل بنصيحة يسوع تظهر إدراكاً بأن كلمته لا يجب تجاهلها فى أى موضوع . فسمعان قد لا يوافق لكن يمكنه أن يطيع .

٦ و ٧ : والطاعة لها نتائجها . لقد ألقى سمعان ورفقاؤه الشباك والنتيجة أنهم « أمسكوا سمكاً كثيراً جداً » . وكان السمك من الكثرة ، حتى أن الشباك صارت تتخرق .. لقد أشاروا إلى شركائهم الذين فى السفينة الأخرى فحضروا . ومع ذلك عجزوا عن استيعاب هذا الكم الوفير . لقد « ملأوا السفينتين حتى أخذتا فى الغرق » . ولم تحدد كمية السمك (كما فى القصة الواردة فى بشارة يوحنا) ، إلا أنه من الواضح أن الصيد كان بوفرة غير معهودة . ولا يمكن أن تجد لها تفسيراً على ضوء فنون الصيد العادية .

٨ : هنا فقط ، يبدأ لوقا فى استعمال الاسم المركب « سمعان بطرس » فحتى (لو ٦ : ١٤ ـــ باستثناء هذه الآية) يذكره باسم سمعان . وبعد ذلك وباستثناء هذه الفقرة التى يستشهد فيها بأقوال الآخرين ، نجد أن لوقا يسميه دائماً بطرس ، مما يدعو للدهشة أن بطرس غالباً لم يرحب بلقب « الصياد الكبير » . لقد رأى المعجزة وتصرف كمن هو فى محضر الرب . وليس من السهولة أن ندرك معنى عبارة « خر عند ركبتى يسوع » . بيد أنه يمكننا أن نترجمها « خر على ركبتيه أمام يسوع » . أما كلمات بطرس « اخرج من سفينتى يارب لأنى رجل خاطىء ، تذكرنا باختبارات القديسين العظام عندما كانوا أمام الرب ، مثل إبراهيم (تك ١٨ : ٢٧) ، أيوب (أيوب ٤٢ : ٦) ، أو إشعياء (إش ٦ : ٥) بالمقارنة مع شعب إسرائيل عندما قال « ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت (خر ٢٠ : ١٩) . لقد عرف بطرس يد الرب القوية التى قادته إلى إدراك حقيقة نفسه كخاطىء . وكلمة « يارب » تحل بدل كلمة « معلم » فى الآية (٥) . وربما كان لهذا ارتباط بهذا الإدراك السامى . وفى حين أن هذه الكلمة يمكن أن تستعمل كتعبير يدل على أدب المخاطبة ومثل كلمة سيدى ، إلا أن الكلمة تستخدم بصفة دائمة بدل كلمة « الرب » فى الترجمة السبعينية ، وهى كلمة شائعة تستعلمها ديانات كثيرة عن الإشارة إلى الألوهية . ويعلق بلومر Plummer على هذا التعبير فيقول :

إنه « السيد » الذى يجب أن يطاع ، و « الرب » الذى ينجم عن تجاهل قداسته آلام وأوجاع للخاطىء (دا ١٠ : ١٦) . ورد الفعل هذا ، حيث لم يسجل وقوع شيء بعد المعجزات الأولى ، ربما لا يرجع إلى تسجيل لوقا للمعجزات دون ترتيب كما يقول البعض بل إن هذه كانت معجزة فى مجال خبرة بطرس الشخصية . إنه ماهر فى الصيد ، ولذلك فهو يعرف تماماً مغزى وفرة هذا الصيد .

٩ ــ ١١ : يظهر لوقا أن هذا الصيد لم يكن عادياً بإشارته إلى الدهشة التى اعترت الصيادين . وهو يركز على بطرس أولاً ، ثم أولئك الذين كانوا بصحبته ، ثم يذكر اسمى « شريكيه » .

وينتقل لوقا بعد ذلك إلى الشيء الأهم ، ألا وهو نتيجة هذه المعجزة وأثرها . أولاً يطمئن يسوع بطرس بقوله : « لا تخف » ومعناها « توقف عن الخوف » . وليس « لا تكن خائفاً » . فهو يهدىء من خوف قائم . ومن الواضح أن الرعب ملأ قلب بطرس ، وذلك ظاهر من رد فعله ككل . وعبارة « من الآن » تقدم مجموعة من الملابسات الجديدة . لقد تم الوصول إلى نقطة تحول . فمنذ الآن ستكون الأمور مختلفة بالنسبة لبطرس . فطبيعة الحياة الجديدة التى يدعوه إليها يسوع تتضح من كلماته الأخيرة « تكون تصطاد الناس » . والفعل مستمر ، ففى فكر يسوع أنه عمل يومى عادى . ولن يهتم بطرس بعد ذلك بصيد السمك ، بل بصيد الناس . وكلمة « تصطاد » تستعمل هنا بمعنى آخر ، وهو الصيد من أجل الحياة وليس للموت أو صيد ما هو حى . ولما وصل فريق الصيادين إلى البر تركوا كل شيء . لقد تركوا أعظم كمية من السمك سبق لهم صيدها طوال حياتهم . فالصيد نفسه لم يكن له تلك الأهمية التى كانت لمعرفتهم بيسوع . لقد عرفوا يسوع وتبعوه . أصبحوا تلاميذاً بكل ما فى هذه الكلمة من معنى .

٢ ــ شفاء الأبرص (لو ٥ : ١٢ ــ ١٦) . « البرص » فى الأزمنة الكتابية كان الاسم الذى أُطلق على مجموعة متنوعة من الأمراض ، بعضها قابل للشفاء ، والبعض الآخر لا شفاء منه . وفى أسوأ حالاته كان مرضاً فظيعاً يخشاه الناس إلى حد الرعب . فقد كان يؤدى إلى التشويه والموت . وكان العالم القديم لا يستطيع حياله شيئاً سوى عزل المصابين به خارجاً (لا ١٣ : ٤٦) .

وكل من يصاب بهذا المرض يعجز عن العمل وكسب الرزق ولا مفر له من الاعتماد على عطايا الإحسان . ويبدو أن الآثار النفسية لهذا المرض لا تقل خطورة عن النتائج الجسمية . وكان سلوك الناس غالباً تجاه البرص يختلف عنه بالنسبة لأى مرض آخر . كان مرضاً يوصف بالنجاسة . وكان الناس يخجلون منه ، على الرغم من أنه لم يكن لهم يد فيه . لقد شفى يسوع برصاً وكان فى هذا علامة من العلامات التى تدل على شخصه القدوس وتثبت أنه المسيا (لو ٧ : ٢٢) .

١٢ : و لا يحدد البشير لوقا بدقة مكان هذا الحدث . بيد أنه يقول « وكان فى إحدى المدن رجل « مملوء برصاً » . وهو وحده الذى يذكر كلمة « مملوء »: ومن الواضح أنها اصطلاح طبى للحالة المتقدمة ، على الرغم من أن كريد Creed يذكر أنه لا توجد كلمة مطابقة تماماً لعبارة « مملوء برصاً » . وكانت الشريعة تحرم على الأبرص دخول المدينة (لا ١٣ : ٤٦) . وربما كان لوقا يعنى أن المقابلة حدثت خارج المدينة . أو أن الرجل ، وقد تملكته حالة اليأس ، فتجاسر وتجاهل هذا النظام . وعلى كل فقد أتى قريباً من يسوع بما فيه الكفاية لأن يخر على وجهه أمامه ويخاطبه . لم يكن لديه أدنى شك فى قدرة يسوع على الشفاء ، بيد أنه لم يكن متأكداً إن كان يريد أن يشفيه . لاحظ أنه لا يتحدث عن « شفائه » بل يقول « إن أردت تقدر أن تطهرنى » . والأبرص نجس فى شخصه وينجس أيضاً من يتعامل معه . ولا شك أن الشفاء معناه التطهير أيضاً .

١٣ : لقد ظهرت شفقة يسوع عندما « مد يده » (هل قصد الرجل أن يكون على مسافة من يسوع ؟) و « لمسه » . كان الناس يتجنبون « البُرصْ » ، ولا يجانبنا الصواب إذا ما قلنا إنه لم يلمس هذا الرجل لعدة سنوات سوى برص آخرون . لذا كا نت للمسة يسوع آثارها العجيبة . ثم نطق يسوع بكلمات الشفاء : « أريد ، فاطهر » . والنتيجة كانت شفاءً فورياً .

١٤ : لقد سبق ومنع يسوع أولئك الذين كان بهم روح شيطان من التكلم عنه (لو ٤ : ٣٥ ، ٤١) . وقياساً على ذلك يوصى الرجل الأبرص — بعد شفائه — ألا يقول لأحد . ولم يفسر لنا سبب ذلك . ربما كان المقصود تجنب

الحماس الشعبي الذى كان يحاول أن يجعل من يسوع المسيا الذى يقهر الممالك على النحو الذى كان يتطلع إليه الوطنيون اليهود . وبدلاً من ذلك أخبره يسوع أن يؤدى الطقوس الدينية التى تتطلبها حالته . والإجراء المطلوب من رجل ادعى أنه شفى من البرص . هو أن يذهب ويرى نفسه للكاهن ، الذى كان يقوم بدور مفتش الصحة هذ الأيام . فإذا ما اقتنع الكاهن ، يقدم الشخص ذبيحة ، بعدها ، يستطيع من تم شفاؤه أن يأخذ مكانته ثانية فى المجتمع (انظر لا ١٤) . وعبارة « شهادة لهم » تعنى فى الترجمة اليونانية « كبينة لهم » . وكل شىء يعتمد على معنى (الضمير فى حالة القبول ... هم) . ويترجم فيلبس Phillips هذه العبارة إلى كدليل أمام السلطات . فقد تعنى الكلمات حماية للرجل الذى تم شفاؤه . فالناس قد يعرفون أنه كان « أبرصاً » وقد يترددون فى قبوله بينهم . ولكن ، إذا ما فحصه كاهن وتقبل تقدمته ، فهذا دليل على أنه قد تم شفاؤه . وقد دل ذلك أيضاً على أن يسوع كان يراعى الناموس . وقد تكون هذه شهادة للناس عامة . على أن قوة الله تعمل بيسوع .

١٥ و ١٦ : لم يراع الرجل طلب يسوع ألا يقول لأحد عنه . ولذلك يقول البشير لوقا : ذاع الخبر عنه أكثر (ويقول الرسول مرقس إن الرجل الذى تم شفاؤه كان أول من شارك فى ذلك) . والنتيجة الحتمية لهذا ، أن الجماهير احتشدت حول يسوع ، وهذا ما لم يكن يريده . لقد رفض إغراء الشيطان بأن يكون صاحب المعجزات الشهير . ولهذا اعتزل يسوع عن المدن وذهب إلى البرارى . وبأسلوبه الخاص يخبرنا لوقا أنه كان هناك « يصلى » . وفى خضم الالتزامات الملحة وجد أنه أمر حتمى أن يلجأ إلى الصلاة والهدوء .

٣ ــ شفاء المفلوج (لو ٥ : ١٧ ــ ٢٦) . والقصة المذهلة الخاصة بشفاء المفلوج الذى دلوه من السقف موجودة فى البشائر الثلاثة المتشابهة . لقد واجه يسوع الاعتراض على « غفرانه الخطايا » بقيامة معجزة قال عنها « ولكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا (٢٤) . ولقد تصرف الحاضرون كما يليق بمن هم أمام الرب .

١٧ : وهنا أيضاً لم يحدد البشير لوقا موقع الحدث (ويخبرنا البشير مرقس أن ذلك كان فى كفر ناحوم) . لقد أصبحت ليسوع شهرة عريضة الآن ، ولذلك جاء الفريسيون من اليهودية وأورشليم ، علاوة على جماهير البلدة

نفسها . ولقد كان الفريسيون يبالغون فى تدينهم . وكانوا حريصين جداً على ألا يكسروا وصايا الرب حتى أنهم أقاموا سياجاً حول الناموس . بمعنى أنه ، حينما تقول الوصية : « لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً » ، فإنهم يفسرون هذه الوصية بالامتناع عن نطق اسم الله فى أى ظرف كان . وهذا السياج الذى يسيجوا به حول كل وصايا الناموس (تقليد الشيوخ) كانت له عاقبته الوخيمة إذ أنه حول الديانة إلى مجرد مظاهر وقشور . ولذلك كان الناس يبذلون كل جهدهم فى المحافظة على المظهر دون الجوهر ، ودون أن يعرفوا بالضرورة الطريق إلى محبة الرب من كل القلب . ولم يكن الفريسيون كثيرى العدد (حدد يوسيفوس عددهم بـ ٦٠٠٠ على الأكثر) ،بيد أنه كان لهم نفوذ كبير . لقد كانوا القادة الدينيين (ولو بصفة غير رسمية) ، وقادوا المعارضة ضد يسوع . ويقول لوقا أيضاً ، إن قوة الرب كانت معه لشفائهم .

١٨ و ١٩ : وإذا برجال (يذكر البشير مرقس أنهم كانوا أربعة) ، كانوا يحملون إنساناً مفلوجاً على فراشه . وبسبب الجمع لم يستطيعوا أن « يضعوه أمامه » ، ولذلك صعدوا به على السطح . وأسطح المنازل عادة ما تكون مسطحة ، وكان لها فى الغالب سلم خارجى يؤدى إليها . ولذلك لم يمنع الجمع هؤلاء الرجال من الوصول إلى السطح . وهناك « دلوه مع الفراش من بين الآجر » . ولم يذكر مرقس شيئاً عن الآجر (ولم يذكر مما صنع ذلك السطح) لكنه قال إنهم « كشفوا السقف » وأنهم « نقبوه » . ومعظم المفسرين يقولون إن المنازل فى فلسطين لم يكن لها سقف من الآجر وأن البشير لوقا كان يصف منازل عرفها فى أماكن أخرى ، ووصفه لا ينطبق على منزل فلسطينى . بيد أنه طبقاً لقاموس الكتاب ، فإن الاسطح التى من الآجر كانت تستعمل من قبل الميلاد .

٢٠ : من الواضح أنهم لم يقولوا شيئاً ، بيد أن ما عملوه كان يتضمن رجاءاً صامتاً . ومن الجدير بالملاحظة هنا أن إيمان الأصدقاء له أهميته (لنماذج أخرى على أن الايمان ينفع آخرين ، انظر (لو٧ : ٩ وما بعدها ، ١كو ٧ : ١٤) . يقول البعض إن المقصود هو إيمانهم هم فقط لكن هذا فكر بعيد الاحتمال . أولاً : إن ضمير الجمع فى كلمة (إيمانهم) قد يعنى الجماعة كلها ، أى المفلوج وزملاؤه أيضاً ، وثانياً : من المستحيل الإعتقاد أن خطايا الرجل

قد غفرت ما لم يكن له إيمانه الخاص به . فأول كلمات قالها يسوع كانت تتحدث عن الخطية لا عن المرض . وفى لغة صاحب السلطان قال « أيها الإنسان مغفورة لك خطاياك » . وهذا أمر له أهميته الكبرى . ويقول مانسون : لقد قصد بهذه القصة أساساً توضيح أن سلطان يسوع فى الدين يبدأ بغفران الخطايا . لقد جاء ليخلص الأنفس من الشلل الروحى والأخلاق . وهو يعارض ما يقوله بولتمان Bultmann إن مغفرة الخطايا تعتبر إضافة غريبة للعقيدة ، ويراها — وهذا هو الأصوب — مركز القصة الأصلية .

٢١: أثارت كلمات يسوع هذه « الكتبة والفريسيين » . والكتبة هم حفظة الناموس (بالمقارنة مع معلمى الناموس) ، وربما كانوا الفريسيين والصدوقيين (يربط البشير لوقا بينهم وبين الفريسيين خمس مرات ومع رئيس الكهنة سبع مرات) . وهذه المجموعة من المعارضين ترى أن الله فقط — وهذا حق — هو الذى يغفر الخطايا ، بيد أنهم ، وبغير حق ، يدعون أن يسوع يتكلم « بتجاديف » . و لم يكلفوا أنفسهم السؤال عما إذا كانت علاقة يسوع بالآب تمكنه من أن يغفر . ومن الملاحظ أن لوقا مغرم بالأسئلة التى تبدأ بحرف الاستفهام (من) عندما يتكلم عن يسوع (لو ٧ : ٤٩ ، ٨ : ٢٥ ، ٩ : ٩ ، ١٨ ، ٢٠ ، ١٩ : ٣)

٢٢ و ٢٣ : « فشعر يسوع بأفكارهم » وقد يعنى هذا أنه قرأ أفكارهم لا أنه سمع ما كانوا يفكرون فيه (بالمقارنة مع « فى قلوبكم » وأيضاً مر ٢ : ٨) . ولقد أصاب يسوع بتوجيه بعض الأسئلة أيضاً . وإذا نظرنا بطريقة سطحية فالأسهل أن يقال مغفورة لك خطاياك عن أن يقال قم وامش . إذ أن المشى يمكن اختباره فوراً وبطريقة واضحة ، بينما لا يعرف الحاضرون ما إذا كانت الخطايا قد غفرت أم أنها باقية هذا هو معنى كلام يسوع . بيد أنه ليس أمراً بعيد الاحتمال إن يقول يسوع بإن نطق كلمة الغفران فى الواقع اصعب كثيراً من نطق كلمة الشفاء . لقد كان يسوع يفعل ما لا يستطيع من يشفون الناس مجتمعين أن يفعلوه .

٢٤ : لقد عمل يسوع معجزة الشفاء « لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا » . فكلماته عن الغفران والشفاء تسير جنباً

إلى جنب . فإذا كان يستطيع أن يفعل إحداهما فسيفعل الأخرى . وكان اليهود فى تلك الأيام يعتقدون أن كل الأمراض مرجعها الخطية (بالمقارنة مع يو ٩ : ٢) . وقال أحدهم : « لا يشفى مريض من مرضه إلا بعد أن تغفر جميع خطاياه » . ولو كانوا ثابتين على هذا المبدأ لتقبلوا مغفرة خطايا ذلك الإنسان .

وهذه أول مرة يستعمل لوقا تعبير « ابن الإنسان » الذى استعمله ٢٥ مرة أخرى . وكان هو التعريف المضل عند يسوع حيث إنه هو الذى أطلقه على نفسه ، وقد ورد أكثر من ٨٠ مرة فى الأناجيل الأربعة . ولم يستعمله إلا يسوع وحده وما عدا القديس اسطفانوس (أع ٧ : ٥٦) . ويبدو أن هذه طريقة يسوع فى الإشارة إلى حقيقة كونه المسيا ، باستعماله مصطلحاً لا يثير ارتباطات خاطئة فى عقول الناس . فابن الإنسان إذاً هو الذى نطق بكلمة الشفاء وقال للمفلوج قم واحمل فراشك واذهب إلى بيتك .

٢٥ و ٢٦ : وكان الشفاء فى الحال . وفعل الرجل كما أخبره يسوع . ويعلق بنجل Bengel على « حمل ما كان مضطجعاً عليه » : أنه تعبير جميل . فالفراش كان يحمل الرجل ، أما الآن فالرجل هو الذى يحمل الفراش . وينفرد لوقا بالقول إنه مضى « وهو يمجد الله » . فالشفاء لم يجعل الناس يركزون على يسوع الإنسان ، لقد مجد الرجل الله . واستمر لوقا يحدثنا عن أثر ذلك على الجموع . فهم بدورهم ، رأوا يد الله ، لأنهم « مجدوا الله » و « امتلأوا خوفا » وهو الشعور الصحيح فى محضر الله . وكان تعليقهم « لقد رأينا اليوم عجائب » ، حيث كلمة « عجائب » تعنى « أكثر مما هو متوقع ، لقد رأينا أمورا خارقة اليوم . والإنجازات البشرية لا يمكن أن تفسر ما قد حدث .

هـ ـ دعوة لاوى (لو ٥ : ٢٧ ـ ٣٢)

٢٧ و ٢٨ : « وبعد هذا خرج » يسوع ، ربما من البيت ، على الرغم من أن البعض يعتقدون أنه خرج من المدينة ، لأنهم يقولون إن « مكان الجباية » ، لا بد وأنه كان خارج المدينة . ورأى لاوى « جالساً عند مكان الجباية » . وقد يعنى هذا أن لاوى كان جالساً أمام المكان ، ولو كان جالساً فى مكتبه ، ما كان من السهل أن يراه يسوع ويناديه . ولقد ذكر أن اسمه متى فى الإنجيل الأول ، وفى قائمة الرسل فى بشارتى مرقس ولوقا . (وبالنسبة

للعشارين انظر التعليق على لو ٣ : ١٢ ، ١٣) . ولا بد أن النظام الرومانى الخاص بإعطاء حقوق تحصيل الضرائب كان لا يزال قائماً ، على الرغم من أن الضرائب فى هذه المنطقة كانت تدفع لهيرودس أنتيباس الذى خصص له الرومان العائدات (يوسيفوس) . والضرائب التى كان لاوى يجمعها من المحتمل أنها كانت مكوساً أو ضرائب جمركية أو ضرائب الرؤوس أو ما شابه ذلك . وكان محصلو الضرائب مكروهين بدرجة كبيرة كمتواطئين أو مبتزين . وهم كفئة اعتبروا خونة ، ويصفهم التلمود كلصوص . لقد رأى يسوع لاوى ولم يقل شيئاً سوى « اتبعنى » . فما كان من لاوى إلا أن « ترك كل شيء » (وهذا أمر لم يذكره سوى البشير لوقا فقط) « وتبعه » . وربما كان هذا يعنى تضحية كبيرة ، لأن محصلى الضرائب كانوا عادة من الأثرياء . ولا بد أن متى كان أغنى التلاميذ قاطبة . ولا ينبغى أن نتغافل عن البطولة الهادئة فى هذا العمل . وإذا كان اتباع يسوع لم يعد بفائدة على الصيادين فقد كان فى وسعهم العودة إلى عملهم السابق دون ما صعوبة إذا ارتأوا ذلك ، أما عندما هجر لاوى وظيفته ، فقد انقطعت صلته بهذا العمل نهائياً . ولا شك أنه لا تُقبل عودة رجل تخلى عن وظيفته . فاتباع يسوع كان التزاماً نهائياً .

٢٩ : لكنه لم يتخذ هذه الخطوة بروح المستسلم المتهود بل بروح المنتصر الفرح . لم يأسف على شيء ، بل على النقيض من ذلك جمع « جمعاً كثيراً » و « صنع ضيافة كبيرة » (ولمزيد من حفلات الطعام والضيافة التى ذكرها لوقا انظر لو ٧ : ٣٦ ، ٩ : ١٢ وما بعدها ، ١٠ : ٣٨ وما بعدها ، ١١ : ٣٧ ، ١٤ : ١ ، ١٩ : ٧ ، ٢٢ : ١٤ ، ٢٤ : ٣٠ ، ٤١ وما بعدها) . ومن الواضح أن لاوى كان يجد سعادة بالغة لأن يضحى بثروته من أجل يسوع . وربما أراد أن يقوم بعضاً من رفقائه إلى سيده الجديد . ويقول رايل Ryle « إن المؤمن لا يرغب أن يذهب للسماء وحده » .

٣٠ : ولم يكن أحد من الفريسيين بالطبع فى هذه الضيافة الكبيرة . وربما كان المنزل مفتوحاً على مصراعيه وشاهد الفريسيون ما كان يدور داخله ، أو أن لوقا كان يسرد علينا تصرفات صدرت عنهم عندما سمعوا بما حدث . فهم « وكتبتهم » (وبعض الكتبة كانوا من الصدوقيين ، بيد أن الكثيرين كانوا فريسيين) « تذمروا » أى أنهم اشتكوا على التلاميذ . والفريسيون بما أوجدوه

من قواعد صارمة خاصة بالطهارة الطقسية لم يكن من المعقول أن يشاركوا فى وليمة يحضرها لاوى العشار ومن هم على شاكلته . ثم إنه من بين أمثال هؤلاء لا بد وألا يكون البعض غير طاهر من الناحية الطقسية ولم تكن هناك وسيلة أكيدة لأن يصبح الإنسان نجساً أكثر من الاختلاط بالخطاة . وعلاوة على ذلك ، أن تشارك شخصاً طعامه فهذا ينم عن صداقة واتفاق وتفاهم . وعلى هذا الأساس انتقدوا التلاميذ . كيف أن أناساً يدعون أنهم متدينون يؤيدون ويصادقون خطاة على هذا النحو السافر ؟

٣١ و ٣٢ : لقد كان هذا الكلام موجهاً للتلاميذ لكن يسوع هو الذى أجابهم . وبمنطقه أفحمهم عندما قال لهم « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى » . لقد جاء من أجل الخطاة ، ولم يأت ليتركهم فى خطاياهم بل ليقودهم إلى « التوبة » . ولا شك أن إشارة يسوع إلى الأبرار كانت تتسم بالسخرية . لأن الفريسيين كانوا يحسبون أنفسهم أبراراً وحسب منطقهم كان كلام السيد المسيح له ما يبرره ، وتراخيهم فى أن يكونوا له تلاميذاً ، قد يكون مرتبطاً بحقيقة أن التوبة ليست سهلة بالنسبة للمغرورين ببرهم الذاتى . ولقد كان لوقا مهتماً جداً بإظهار موضوع التوبة وعرضه بشكل أوفى وأكمل مما فعله كل البشيرين متى ومرقس (انظر لو ٣ : ٣ و ٨ ، ١٠ : ١٣ ، ١١ : ٣٢ ، ١٣ : ٣ و ٥ ، ١٥ : ٧ و ١٠ ، ١٦ : ٣٠ ، ١٧ : ٣ و ٤ ، ٢٤ : ٤٧) .

و ــ الصوم (لو ٥ : ٣٣ ــ ٣٩) .

٣٣ : كان تلاميذ المسيح مبتهجين . ولم يمارسوا صيامات وحزناً وهذا ما كان يسبب حيرة للبعض . وعلى الرغم من أن الصوم الوحيد الذى يتطلبه الناموس كان فى يوم الكفارة ، وكان تلاميذ المعمدان والفريسيون يصومون . ولذلك سألوا يسوع لماذا لا يلتزم تلاميذه بهذا الصوم الذى يمارسه الكثيرون على نطاق واسع . وكلمة « يقدمون طلبات » تعنى صلوات فى ساعات معينة . يوضح البشير لوقا أن يسوع وتلاميذه كانوا يصلون دائماً ، والحق ، أن يسوع ، على الرغم من أنه هنا يوافق على ألا يصوم تلاميذه لكنه لم يقل هذا عن الصلاة .

٣٤ و ٣٥ : « بني العرس لا يصومون » ، كان هذا جوهر رد يسوع . فإن وجوده يجلب فرحاً كفرح العرس . والحقيقة أن اتباع يسوع هو اختبار فرح وسعادة . وما دام هو معهم لن يستطيعوا أن يصوموا ، ولكنه يتحدث بالفعل عن يوم « حين يرفع العريس عنهم » . وهذا بكل تأكيد يشير إلى الصليب . فقد تلمح كلمة « يرفع » إلى نوع من العنف . وعندما يحدث هذا ، « حينئذ يصومون » . ولم يقل يسوع « يجعلهم يصومون » (بالمقارنة مع السؤال فى الآية ٣٤) . ويبدوا أنه يشير إلى صيام اختيارى .

٣٦ : وقال لهم « مثلاً » (والكلمة قد تشير إلى قول بليغ أو قصة) . ولقد أخذ يسوع هذا المثل من الممارسات المنزلية من ترقيع الملابس . فإن تضع رقعة من ثوب جديد على ثوب عتيق تتلفهما كليهما ، الجديد يتمزق والقديم يتهرأ لوجود رقعة لا تناسبه . ورواية مرقس البشير تختلف اختلافاً طفيفاً . فهو يتحدث عن رقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق والملء الجديد يأخذ من العتيق فيصير الخرق أردأ . ومن الواضح أن هذا المثل استخدم أكثر من مرة فى أشكال تختلف اختلافاً بسيطاً .

٣٧ ــ ٣٩ : وثمة مثل آخر أخذ من « زقاق الخمر » . وهو جلد حيوان ، وعادة ما يكون من الماعز ، بعد أن يؤخذ اللحم والعظم ويترك الجلد سليماً . يستعمل بعد ذلك كالقربة . وفى بادىء الأمر تكون لينة ، ولكنها مع مرور الوقت تفقد هذه الميزة ويمكن أن تنفجر بسهولة تحت أى ضغط ، ويقول يسوع إن الخمر الجديد ، إذا ما وضع فى زقاق عتيق ، تشق الخمر الزقاق وتنسكب الخمر . لذا يجب أن تضع « خمراً جديدة فى زقاق جديدة » . وهذا المثل ، مع المثل السابق له ، يوضحان أن يسوع لم يأت لكى يرمم اليهودية : إنه يُعلم تعليماً جديداً من أساسه . وإذا ما جدت محاولات لتقليص هذا وجعله فى إطار زقاق اليهودية العتيق (يفرض الصوم مثلاً) ، فإن العاقبة ستكون وخيمة . وهو يعرف أن هذا التعليم لن يكون مقبولاً عند البعض . وليس أحد إذا شرب العتيق يريد للوقت الجديد لأنه يقول بأن العتيق طيب (وهو لا يقول أطيب) فلا يريد حتى أن يقارن بينهما . فهو قانع بالعتيق لدرجة أنه لن يفكر فى الجديد ولو لدقيقة واحدة .

ز ــ حفظ السبت (لو ٦ : ١ ــ ١١) .

توضح البشائر الأربع أن ثمة نقطة رئيسية فى النزاع بين يسوع والسلطات اليهودية كانت تتعلق بالوسيلة المثلى لحفظ السبت . لقد بالغ اليهود فى موضوع حفظ السبت (وخصصوا له بحثاً كاملاً فى المشنا) . وكثيرون من معلمى اليهود يعتبرون أن السبت يوم فرح ، بيد أن الأحكام المتعلقة بحفظه كانت قمعية معقدة . وأهم ما فى اتجاه يسوع نحو هذا الموضوع أن لا يجادل فى مدى شدة هذه الأوامر طالباً تخفيفها وتبنى اتجاهات أكثر تسامحاً . لكنه كان يرى أن معارضيه لم يفهموا الهدف الرئيسى من وراء وصية حفظ هذا اليوم المقدس . ولو كانوا فهموه لعرفوا أن أعمال الرحمة كالتى يعملها يسوع ، ليس مسموحاً بها فى السبت فحسب ، بل يلزم ويجب عملها كل وقت (وبالمقارنة مع يو ٧ : ٢٣ وما بعدها) .

١ ــ رب السبت (لو ٦ : ١ ــ ٥) .

إن ما قام به التلاميذ من قطف السنابل وأكلها سبب جدلاً أدى إلى إعلان هام نطق به يسوع ومفاده أنه هو « رب السبت » .

١ و ٢ : وفى يوم سبت ، اجتاز يسوع بين الزروع ، وكان تلاميذه « يقطفون السنابل ويأكلون » . لقد كان مسموحاً لعابرى السبيل أن يسدوا رمقهم عند الجوع ويقطفوا سنابلاً من أى حقل ويأكلونها (تث ٢٣ : ٢٥) . والاعتراض كان منصباً ليس على الفعل نفسه ، بل على عمله يوم سبت . لقد رأى الفريسيون فى عملية قطف السنابل كسراً للوصية التى تحرم جمع السنابل فى السبت ، أما فركها بأيديهم فهو كسر للوصية الخاصة بتحريم « درس الحنطة » . ثم أن رمي القشر ربما يمثل « تذرية الحنطة » . أما عملية الأكل فتعد بمثابة تناولهم طعاماً . إذا لقد كسرت أربع وصايا واضحة فى لقمة واحدة . ويعتبر التلمود أن جنى وطحن قمح لا يزيد حجمه عن تينة جافة ، عمل يستوجب اللوم ، لذلك كانت الكميات الصغيرة لها أهميتها .

٣ و ٤ : أجاب يسوع الفريسيين بأن أعاد إلى ذاكرتهم ما فعله داود حين جاع « وأخذ خبز التقدمة وأكل » (١صم ٢١ : ٣ ــ ٦) ، وهو خبز أعد بطريقة خاصة لاستعماله فى خدمة بيت الرب فقط (لا ٢٤ : ٥ ــ ٩) .

وما عمله داود كان فى الواقع كسراً للوصية ، لأن هذا الخبز لا يحل أكله إلا للكهنة فقط (لا ٢٤ : ٩) ، لكن وقوع من كانوا معه فريسة الجوع كان مسوغاً للتغاضى عن حرفية الوصية . وما من أحد وجه اللوم لداود على ذلك . فلا يجب أن تقف حرفية النصوص العقيمة حائلاً دون تلبية الاحتياجات الملحة للإنسان .

٥ : ثم أضاف يسوع مبرراً آخر لكنه مختلف جداً . لقد قال لهم : إن « ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً » . وهذا رأى مذهل ، لأن الله هو الذى وضع شريعة السبت (خر ٢٠ : ٨ — ١١) . وأن تكون ربا لأمر إلهى فهذا معناه فى الواقع إتخاذ مكانة سامية عالية . والبعض يفسرون عبارة « ابن الإنسان » بأنها تعنى « الإنسان » (كما فى الأصل الأرامى) . وهم يفسرون الآية على أنها تعنى أن الإنسان يسمو على السبت . وهذا يتناسب تماماً مع ما سبق ذكره ، بيد أنه ثمة صعوبات فى أن يسوع لم يقل أبداً فى تعاليمه إن الإنسان هو رب أو سيد لأمر إلهى . ثم إنه فى الأناجيل ، تشير عبارة « ابن الإنسان » بصفة دائمة إلى يسوع . وهذا بكل تأكيد يشير إلى وظيفته كمسيا . وقد يكون أمراً له مغزاه أن يأتى هذا القول بعد الإشارة إلى ما عمله داود . إنه « ابن داود » الذى هو الرب ، فإذا ما كان داود قد استطاع أن يتخطى الوصية دون لوم ، فكم بالحرى يستطيع « الابن الأعظم من نسل داود » أن يعمل فى هذه الناحية .

٢ — شفاء اليد اليابسة (لو ٦ : ٦ — ١١) .

يؤكد البشير لوقا فكرته الأساسية بذكر معجزة عملها يسوع يوم سبت . وهذا دليل عملى يثبت ربوبيته وسيادته على السبت وعلى المرض أيضاً . ولم يكن اليهود يعترضون على الشفاء يوم السبت إذا ما كانت هناك مظنة خطر على الحياة ، وفسر واهناً بحرية . « حيثما وجد شك فى وجود خطر على حياة إنسان فهذا يبرر تجاوز وصية السبت » . أما فى حالة عدم وجود خطر فكانوا يتمسكون بالوصية . وعلى ضوء تفسيراتهم فمثل هذا الشفاء (بالنسبة للرجل الذى يده يابسة) لم يكن مسموحاً به .

٦ : يعد البشير لوقا المسرح . وللمرة الثانية لا يحدد تاريخ هذا الحدث

على وجه من الدقة ، بل يقول ببساطة « وفى سبت آخر » . كان يسوع يعلم فى المجمع ، وكان هناك رجل يده يابسة . ويقول البشير لوقا إنها كانت « يده اليمنى » . وكلمة « يابسة » تستعمل بالنسبة للنباتات أو الأخشاب الجافة . وقد تعنى هنا شكلاً من أشكال تصلب العضلات .

٧ : وهنا ، يَهُبُّ « الكتبة والفريسيون » لمعارضته . لقد كانوا « يراقبونه » (والفعل يعنى يشاهدون حركاته عن كثب) على أمل رؤيته وهو يشفى المريض ليجدوا تهمة ضده . لقد كان كل فكرهم مركزاً على الاتهام وليس على الشفاء .

٨ و ٩ : لقد عَلِم يسوع موقفهم وواجههم بحزم . لم يذكر لوقا كيف تم ذلك . « فعلم أفكارهم » ، وقد يكون هذا جزءاً من الطريقة التى يوضح بها لوقا لاهوت المسيح . لقد استدعى يسوع الرجل ذا اليد اليابسة كى يأتى ويقف معه ، ومن الجلى أن ذلك كان فى مكان بارز ظاهر للجميع حتى لا يترك مجالاً للتشكيك فيما حدث . ثم وجه كلامه للمعارضين ، وتحداهم متسائلاً « هل يحل فى السبت فعل الخير أو الشر ؟ » ولم يترك مجالاً للحياد فى هذا الموضوع . فطريقة عرضه تبين أنه ما من بديل لفعل الخير سوى فعل الشر . ورفض إنقاذ حياة يعادل إهلاكها (مانسون) . وما من حل وسط . فالرجل الذى أمامه يعيش عيشة الضنك والعناء . وعدم فعل شىء فى السبت معناه إهلاك حياة . ولقد جاء يسوع لا ليهلك بل ليخلص .

١٠ : وبعد أن وجه يسوع لهم سؤاله صمت برهة ، حيث « نظر حوله إلى جميعهم » . وهكذا أتاح لهم فرصة الإجابة على سؤاله ، بيد أنهم لم يستغلوها . ولذلك قال للرجل مد يدك . ففعل هكذا ووجدها « صحيحة » .

١١ : وكان تأثير ذلك على الفريسيين ومن يؤازرونهم أن « امتلأوا حمقاً » أى (امتلأوا غضباً) ، ونستطيع أن ندرك أنهم غضبوا لأن يسوع تحداهم ونجح فيما أراد . بيد أنه لم يكن فى وسعهم أن يفعلوا شيئاً . وهذا هو سبب حنقهم . لقد طرح يسوع القضية أمامهم ؟ وسألهم ، ما هو الصواب ؟ فلم يجبه أحد . ويمكن أن يقال وبحق ، إنه قد أتيحت لهم الفرصة كى يقولوا ما هو الواجب عمله ، لكنهم رفضوها .

ح ـ اختيار الاثنى عشر (لو ٦ : ١٢ ـ ١٦) .

١٢ : ومرة أخرى نجد إشارة لوقا إلى التاريخ غامضة (فى تلك الأيام) فهو لا يهتم بالتتابع الدقيق للأحداث . لقد كان يسوع يواجه اتخاذ قرار على جانب كبير من الخطورة . فالأحداث السابقة أظهرت بجلاء أن أعداءه كانوا يتزايدون وأنهم سيقتلونه يوماً ما . فماذا كان يجب أن يفعل ؟ وبطريقته المعهودة ، يخبرنا لوقا أنه « خرج ليصلى » . ثم اختار مجموعة صغيرة من الرجال الذين عهد إليهم متابعة رسالته بعد موته .

١٣ : ولما كان النهار « دعا تلاميذه » . وهؤلاء مجموعة من الأشخاص ارتبطوا به بمحض إرادتهم . والتلميذ هو طالب علم . وفى القرن الأول لم يكن التلميذ يذاكر مادة : بل كان يدرس تحت إشراف معلم . وثمة عنصر من العلاقة الشخصية من كلمة تلميذ الأمر الذى لا تجده فى كلمة « طالب » . ومن بين عدد كبير من الأتباع « اختار ... اثنى عشر » . وهذا هو عدد أسباط إسرائيل ، وهو عدد يشير إلى أن يسوع كان يؤسس شعب الله ، إسرائيل الحقيقى . لأنه فى يسوع وتلاميذه يستطيع الناس أن يروا تجسيماً للصورة التى رسمها العهد القديم عن الله الذى يقود أسباط إسرائيل الاثنى عشر إلى أرض الميعاد . ولم يؤسس يسوع تنظيماً . وهؤلاء الاثنا عشر كانوا هم كل العاملين مع يسوع . ومن الواضح أن بعضاً منهم كانوا من الرجال المبرزين ، ولكنهم ، فى مجموعهم لم يتعدوا المستوى المتوسط ومعظمهم لم يكن له إلا أثر ضئيل على تاريخ الكنيسة . لقد فضل يسوع أن يعمل وقتئذ ـ كما يعمل الآن ـ من خلال أناس بسطاء . وهؤلاء الاثنا عشر سماهم يسوع رسلاً . ولقد اشتق الاسم من الفعل « يرسل » ويعنى « شخصاً مرسلاً » ، أو « شخصاً يحمل رسالة » . ويستخدم لوقا هذه الكلمة ست مرات (وثمانية وعشرين مرة أخرى فى سفر الأعمال) ، بينما يستعملها كل من البشيرين الآخرين مرة واحدة فقط (ربما استعملها مرقس مرتين ، وهذا يعتمد على حل مشكلة فى النص) . وفى الأناجيل يشار إلى هذه المجموعة بكلمة « الاثنى عشر » . ويوضح مرقس البشير أن يسوع اختارهم « ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا ويكون لهم سلطان على إخراج الشياطين » (مر ٣ : ١٤ وما بعدها) . وهذا يوضح فكرة الإرسالية والتركيز على البشارة فى عملهم .

١٤ ـــ ١٦ : وثمة اختلافات طفيفة فى الترتيب ، لكننا إذا قسمنا الأسماء إلى ثلاث مجموعات كل منها أربعة ، تجد نفس الأسماء فى كل مجموعة . ونلاحظ أن نفس الاسم يتصدر كل مجموعة ، على الرغم من أن النظام داخل المجموعات يختلف . وأول اسم فى كل القوائم هو « سمعان » ، لقد سماه يسوع « بطرس » أى « صخرة » . ومن هنا ابتدأ البشير لوقا يستعمل هذا الاسم بصفة دائمة ، فلم يعد يسميه سمعان بعد . ولم يقل لنا متى أُعطى هذا الاسم (انظر يو ١ : ٤٢) . أما سمعان الآخر فسمى « الغيور » ربما كان ينتمى إلى المجموعة الراديكالية التى تسمى « الغيورون » ، وكانوا معروفين بمقاومتهم العنيفة للسلطات الرومانية ، وقد يشير الاسم إلى أنه كان يتميز بالغيرة الشديدة . أما بالنسبة إلى يهوذا أخى يعقوب (أع ١ : ١٣ أيضاً) نجده فى بشارتى متى ومرقس « تداوس » ويبدو أنه اسم آخر لنفس الشخص . والقوائم الثلاث تنتهى بيهوذا الإسخريوطى ، وتذكر خيانته ، لكن البشير لوقا وحده يقول إنه « الذى صار مسلماً أيضاً » ، ومن الواضح أنه كان مخلصاً فى البداية ، وكلمة « الإسخريوطى » تعنى « رجل من اسخريوط أو قريوت » وهى بلدة فى اليهودية (يش ١٥ : ٢٥) ، أو موآب (إر ٤٨ : ٢٤) ، وعلى هذا فيكون « يهوذا » هو الوحيد من بين الاثنى عشر الذى لم يكن جليلياً .

ط ــ الموعظة فى السهل (لو ٦ : ١٧ ــ ٤٩)

يخصص البشير متى ثلاثة أصحاحات للعظة على الجبل . أما العظة التى ذكرها البشير لوقا فهى « فى موضع سهل » وهى تناظر الأولى بيد أنها أكثر قصراً . كما أن هناك أجزاء أخرى مشابهة منتشرة فى أجزاء متفرقة من إنجيله . ويشعر الكثيرون أن نفس العظة تشكل خلفية الروايتين . وهم فى العادة يقولون إن متى البشير دعم ما ذكره بتجميع مادة من نصوص مختلفة من المصدر (Q) ، وهذا أمر محتمل ، بيد أن الاختلافات متعددة . وهذا ما يفعله الوعاظ عادة عندما يستخدمون نفس المادة فى عظات مختلفة خاصة إذا كانوا يعظون دون تحضير نص مكتوب للعظة . وهذا التشبيه يشرح سبب وجود أجزاء متشابهة دون الحاجة إلى اللجوء إلى العمل التحريرى الموسع .

وتبدأ هذه العظة بالتطويبات والويلات ، ثم تبين السلوك الذى يجب أن يتبعه أولئك الذين هم فى الملكوت ، ولقد تم التركيز بصفة خاصة على المحبة

وعلى أهمية عدم إدانة الآخرين . ووضح المبدأ الذى يقول إن كل شجرة تعرف من ثمارها ويختم يسوع العظة بتشبيه سلوك سامعيه بإنسان يبنى بيتاً . وعلى مدى العظة كلها نتبين ما تعنيه التلمذة ليسوع . فليس الموضوع كلاماً معسولاً ، بل هو أسلوب متكامل للحياة .

١ ــ جمهور كثير (لو ٦ : ١٧ ــ ١٩) .

يخبرنا البشير لوقا كيف تجمع جمهور كثير . وقف يسوع « فى موضع سهل » (ربما على جانب الجبل) ، وهذه ليست الكلمة المعتادة للسهل . ولحق به « جمع من تلاميذه » وأيضاً « جمهور كثير من الشعب » . والبعض ممن لم يكونوا قد آمنوا بالمسيح بعد ، تأثروا بما سمعوه عن تعاليمه وجاءوا وراءه ليسمعوه وآخرون جاءوا ليشفوا من أمراضهم . لقد جاءوا من جهات بعيدة ، من جنوب أورشليم ، وشمالها ومن صور وصيدا . وكثيرون كانوا يبرأون لكن البشير لوقا يذكر بصفة خاصة أولئك « المعذبون من أرواح نجسة » (انظر التعليق على لو ٤ : ٣٣) ، لقد كانت قوة تخرج منه « وتشفى الجميع » .

٢ ــ التطويبات (لو ٦ : ٢٠ ــ ٢٣) .

هذه التطويبات بالإضافة إلى الويلات الآتية تسخر من قيم العالم . لأنها تمجد ما يحتقره العالم وترفض ما يمجده .

٢٠ : ونظر يسوع إلى « تلاميذه » الذين وجه إليهم بلا شك الكلمات التالية . وطوب « المساكين » (بالمقارنة مع لو ٤ : ١٨) . وهو لم يطوب الفقر فى حد ذاته ، حيث يمكن أن يكون لعنة ، كما أنه قد يكون بركة . إن يسوع إنما يتكلم عن تلاميذه . فهم مساكين ، وهم يدركون جيداً أن ليس لهم أى مصدر مالى . ويتكلون على الله ويجب أن يتكلوا عليه ، لأنه ليس لديهم ما يستطيعون الإتكال عليه . وبهذا المفهوم نجد أنه فى العهد القديم كانت كلمة مسكين تستعمل كمرادف تقريباً لكلمة « تقى » (مز ٤٠ : ١٧ ، ٧٢ : ٢ و ٤ على سبيل المثال) . ويوضح البشير متى المعنى بكلمة « المساكين بالروح » . فأغنياء هذا العالم فى الغالب يتكلون على ذواتهم . لا كما يفعل المساكين . فهؤلاء المساكين المتواضعون لهم « ملكوت الله » (انظر التعليق على لو ٤ : ٤٣) . ولاحظ أن يسوع يقول « لكم » وليس « سيكون

لكم » . فالمساكين يدخلون ملكوت الله الآن .

٢١ : وتضيف بشارة متى عبارة « العطاش إلى البر » بعد تطويب « الجياع » . وما هذا إلا ليوضح ما ذكر هنا بوجه عام . لكن البشير لوقا كعادته يؤكد على المساكين . إن الجياع الآن هم الذين « يشبعون » ، ولا نجد فى بشارة متى مرادفاً للتطويبات الواردة فى بشارة لوقا بالنسبة لأولئك « الباكون الآن » . وهذه تتواءم مع التطويبتين السابقتين . ولا يمكن أن تعنى هذه التطويبة أولئك الذين يفرطون فى أحزانهم لأمور شخصية ، بيد أنها تشير إلى أولئك الذين لهم حساسية خاصة ضد الشر ، وضد عصيان العالم وما يتبع ذلك من أحزان . فأولئك الذين يدركون حقائق الحياة هذه سوف « يضحكون » فى النهاية .

٢٢ و ٢٣ : ويستمر يسوع فى تطويباته غير المتوقعة ، وهذه التطويبة خصصت للمضطهدين . وهو لا يتكلم عن المعاناة بشكل عام ، بل أولئك الذين يعانون ويتألمون من أجل اسم ابن الإنسان . وهؤلاء الذين يتألمون لهذا السبب لا يجب أن نحزن لأجلهم ، لأنهم سينالون الغبطة والبركة . يقول لهم يسوع « افرحوا وتهللوا » . إن لهم أجراً عظيماً فى السماء . لقد نالوا ميراثاً إلهياً . فهكذا كانوا يفعلون « بالأنبياء » . والمؤمنون لا يمكنهم أن يتوقعوا شيئاً خلاف ذلك . لقد وعد يسوع تلاميذه بسعادة لا توصف ، ولكنه مع ذلك لم يقل أنهم سيكونون فى منأى من المتاعب والضيقات .

٣ ــ الويلات (لو ٦ : ٢٤ ــ ٢٦) .

وهذه الويلات التى تفردت بها بشارة لوقا ، تشكل العلاقة التبادلية الطبعية بالتطويبات . فهى تدين بشكل مذهل نوعيات وحالات اعتبرها الناس عموماً أموراً مرغوباً فيها . بيد أن النعم الدنيوية قد تشجع على اتجاه استقلالى ضد الله واتجاه للاكتفاء الذاتى ، وهو أمر يعوق بل يقضى على النمو الروحى . وكلمة « ويل » لا تعطى المعنى الحقيقى لقوة كلمة يسوع ouai ، فإنها إلى حد كبير تشبه كلمة « يا للأسف » ، أو « يا للفظاعة » . إنها تعبير عن الأسف والإشفاق وليست تهديداً ووعيداً .

٢٤ : وأول هذه الويلات موجهة للأغنياء . وليست موجهة للتلاميذ ،

لأنهم لم يكونوا أغنياء . وربما تكون لفظاً مقابلاً « للمساكين » (٢٠) . أو أن يسوع كان يخاطب أغنياء الجمهور الكثير (١٧) . فالغنى والثروة تجعل الناس ينزعون إلى الاعتقاد أنهم فى غنى عن كل شيء . وهنا يتكلون على ثرواتهم لا على الله . ومسلكهم هذا يناقض تماماً المسلك الذى امتدح فى الآية (٢٠) . ويقول يسوع للأغنياء « لأنكم قد نلتم عزائكم » . والفعل هنا يستعمل فى الغالب عند تحرير الإيصالات ، ويعنى « دفع بالكامل » . والتعبير « نلتم » هو تصوير هام معاصر لهذا المعنى . وإذا ما كان كل ما يمتلكه الإنسان هو ثروة دنيوية فهو فى الواقع فقير . فهذا النوع من الثراء يلازمه فراغ داخلى . ولا يجب أن نخلط بين الراحة والبركة .

٢٥ : « أيها الشباعى » ، وتعنى إلى حد كبير « أيها الأغنياء » ولكن التركيز هنا على حالة المقصودين بهذا الكلام ، فهم ليسوا اغنياء فحسب ، بل عندهم فوق ما يريدون ، ولا يعوزهم شيء . فأولئك الذين يؤمنون حياتهم معتقدين أن ما يملكونه ، فيه كل الكفاية . والذين يعتبرون أن الممتلكات المادية هى هدفهم الأكبر وهى كل شيء فى حياتهم ويعتقدون أنهم فى غنى عن الله ، يؤكد الكتاب لهؤلاء بأنهم « سيجوعون » . وليس بالضرورة أن يكون المقصود هنا هو الجوع الجسدى . فالشباعى غالباً ما يظلون شباعى طوال الحياة . ويسوع يشير هنا إلى حقيقة جوهرية . ففى ملكوت الله يكون هؤلاء الناس هم الفقراء جداً والمحتاجين لمن يعولهم وسيأتى اليوم الذى يرون هذا بأنفسهم .

وثمة تعليق مماثل بالنسبة لأولئك « الضاحكين الآن » . ومن الجلى أن يسوع لا يعترض على الضحك . فكل إرساليته كانت تشكل إحتجاجاً على الاتجاه لقتل روح الضحك . لقد كان يسوع مستمتعاً بالحياة ولا بد أنه كان يضحك كثيراً . وهكذا كان تلاميذه . لكن هناك ضحك لا يعبر إلا عن السطحية والتفاهة ، وهذا المرح الضحل الذى يجب أن يحل محله الحزن والبكاء .

٢٦ : إنه لأمر خطير « إذا قال فيكم جميع الناس حسناً » ، لأن هذا لا يمكن أن يتأتى دون التضحية بالمبادىء على نحو ما . والحق ، أن ثمة موقفاً يكون من المهم فيه الإحساس بـ « شهادة حسنة من الذين هم من خارج » (١تيمو ٣ : ٧) . بيد أن هذا أمر يختلف عن الشعبية الشاملة . « فالأنبياء

الكذبة » هم الذين يكتسبون التهليل العريض (إر ٥ : ٣١) ، أما النبى الصادق فيشعر بضيق من التأييد المطلق .

٤ ــ المحبة (لو ٦ : ٢٧ ــ٣٦) .

لب هذه العظة هي الحاجة إلى المحبة ، ويشدد يسوع على أن تلاميذه يجب أن يحبوا من لا يحبهم أحد كما يحبون الأشخاص الذين يستحقون الحب . وثمة كلمات متعددة تعبر عن المحبة فى اللغة اليونانية . فلم يطلب يسوع من تلاميذه أن يحبوا محبة عاطفية طبيعية (Storgè) أو محبة رومانسية (eros) ولا محبة الأصدقاء philia بل كان يتكلم عن محبة agapè التى تعنى محبة من لا يستحقون الحب . فالمحبة هنا ليست مبنية على شمائل خاصة فى المحبوب بل محبة تنبع من حقيقة أن المحب اختار أن يكون محباً .

٢٧ : « أحبوا أعدائكم » وصية يجب أن تطبق بحذافيرها ، وليس هناك حلول وسط بشأنها . وكما يقول متى البشير ، إن الناس مستعدون أن يحبوا القريب . ويبغضوا العدو (مت ٥ : ٤٣) . لكن يسوع يذهب إلى أبعد من ذلك ، فكل تلميذ ليسوع ليس له أن يختار من يحبهم ومن يكرههم ، عليه أن يحب الجميع بما فيهم أعداءه ، وبروح سيدهم . وليس كافياً أن يكف عن الأعمال العدوانية . بل عليه أن « يحسن إلى مبغضيه » وبالنسبة لأولئك الذين يرزحون تحت الاحتلال قد تبدو مثل هذه الأقوال غريبة عليهم . ألا يجب أن يكون الرومان محل معارضة وكراهية بل واعتداء ؟ أما بالنسبة لأصحاب النزعة القومية المتشددة ، منهم من يجدون تعاليم المسيح لا تتفق بأية حال مع ميولهم واتجاهاتهم . لكن ، كما يقول كيرد Caird « من يلجأ للثأر ، يعتقد أنه بشجاعة يقاوم عدواناً » . والحقيقة أنه يستسلم للشر دون قيد أو شرط .

٢٨ : ومحبة المؤمن تفصح عنها كلماته . فالبعض قد « يلعنونه » أما هو « فيباركهم » ، وهذا عكس ما هو متوقع ، وما يفعله أهل العالم فى موقف مماثل . قد « يسيء » إليه أحدهم لكنه لا يرد الإساءة ، بل « يصلى » من أجل ذاك الذى أساء إليه .

٢٩ : ومن ناحية الاعتداءات البدنية ، وكلمة « خد » المقصود بها

« فك » . يتحدث يسوع عن لكمة فى جانب الفك وليس صفعة هينة على الوجه . ورد الفعل الطبيعى لمثل تلك اللطمة هو الرد بأقوى منها . لكن يسوع يفرض على تلميذه أن « يقدم الخد الآخر » . إنه يتحدث عن موقف سلوكى . فإذا ما تعرضنا لأذى يجب ألا نفكر فى الانتقام ، بل نكون مستعدين إذا ما دعت الضرورة أن نتحمل مرة أخرى . أما تعريض الخد الآخر فليس دائماً هو التنفيذ الأمثل للوصية (بالمقارنة مع سلوك يسوع عندما لطم ، يو ١٨ : ٢٢ وما بعدها) . قال أحد حكماء العالم ناصحاً : « اعف دائماً عن أعدائك . فلا شيء يغيظهم أكثر من ذلك » . ومن الممكن أن تكون متسامحاً فى الظاهر دون محبة حقيقية . لكن ما يحض عليه يسوع هو الحب ، من كل القلب ، وهذا هو الهدف الذى ابتغاه من حديثه عن « الرداء » و « الثوب » ولا يجب أن نتصرف بغضب إزاء من يريد أن يأخذ الرداء أيضاً .

٣٠ : ونعيد القول إن المهم هنا هو روح الوصية . وإذا ما أخذ المسيحيون الوصية حرفياً ، فسرعان ما تنشأ طبقة من الفقراء الأتقياء ، لا يملكون شروى نقير ، وطبقة أخرى من اللصوص الأثرياء والعاطلين ، بل هو يطالب باستعداد من جانب المؤمنين على العطاء ثم العطاء . ولا يجب أن يمتنع المسيحى عن العطاء حباً فى ماله . فالمحبة مستعدة أن تعطى كل مالها إذا دعت الحاجة . وبالطبع ، قد ينشأ موقف لا يقتضى أن يصاحب المحبة فيه عطاء . بيد أن المحبة هى التى تقرر ، هل يحتاج الأمر إلى عطاء أو كف عن العطاء ، بغض النظر عن إمكاناتنا المادية . والفعل « أعطه » وارد فى المضارع المستمر . لقد كان يسوع يتحدث عن السلوك المعتاد ، وليس عن نوبة كرم وقتية .

٣١ : ويلخص يسوع كل هذا فى قاعدة ذهبية : « وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا » . وهذا المبدأ يغطى كل مناحى الحياة . وإذا ما التزم الإنسان به فلن يحتاج إلى قيادة إلا فى مواقف محدودة . وهذا الشرط فى جانبه السلبى يعود إلى ما قبل المسيحية ، وعلى سبيل المثال ، قال هليل الكبير Hillel لأحد سائليه : « ما هو بغيض إلى نفسك لا تفعله لجارك » هذه هى التوراة كلها ، بينما الباقى هو تفسير لذلك . والجانب السلبى نجده أيضاً فى تعاليم مشابهة لعدة حكماء فى كثير من الثقافات . بيد أن الأمر الجوهرى هو أن يسوع يعطى الوصية من الناحية الإيجابية ، وهذا ما لم يفعله

أحد سواه . فلا يكفيه أن يمتنع المؤمنون عن الاتيان بأعمال لا يريدهم أن يعملوها ، بل يجب أن ينشطوا فى عمل الخير .

٣٢ — ٣٤ : وطبيعة سلوك المحبة توضحه ثلاثة نماذج تبين الطريقة التى يجب أن يسلكها المسيحيون لكى يتميزوا عن الخطاة . فحتى بعض الناس الذين لا يعبدون الله لهم بعض الفضائل . إنهم « يحبون الذين يحبونهم » ، ويحسنون إلى الذين يحسنون إليهم . ويقرضون الذين يرجون أن يستردوا منهم ، أو الذين ينتظرون أن يقرضوهم عند الحاجة (والفعل يقرض ، يعنى هنا — يقرض بفائدة) . فإذا ما فعل المسيحيون هذه الأمور فلا فضل لهم ، لأن أهل العالم يفعلون هذا أيضاً . إنه لأمر سهل أن يهنىء أحد نفسه على فضيلة يراها فى نفسه . بيد أنه قبل أن يدعى أحد أنه يطيع وصايا المسيح عليه أن يسأل نفسه هل هو يعمل أى شىء أكثر مما يفعله الخطاة فى نفس الظروف ؟

٣٥ و ٣٦ : وهناك أيضاً السلوك الإيجابى ، أولاً « أحبوا أعداءكم » ، ثم « أحسنوا » ثم « أقرضوا » . وثمة صعوبة بالنسبة للتعبير الآتى . ويبدو أن النص يتطلب معنى مثل « لا تتوقع شيئاً مقابل ذلك » لكن الفعل « يرجون » ليس له هذا المعنى فى موضع آخر . فلقد استعمل بمعنى ييأس من ، كى يعطى المعنى هنا « لا تيأسوا أبداً » أو « لا تيأسوا من أى إنسان » . وقد يكون من الأفضل أن نفهم الكلمة فى معناها العادى . يجب على المسيحيين أن يقرضوا ، وأن لا يقنطوا من أى شىء أو من أى شخص ، وإذا ما راعى المسيحيون هذا فى حياتهم ، يقول لهم يسوع : « فيكون أجركم عظيماً » . فلا يحث يسوع أبداً على الخدمة انتظار المكافأة . لأن هذا لا يعد إلا مبادلة الأنانية المادية بالأنانية الروحية . لكنه يصر على أن الأجر هناك . وهذه هى إحدى حقائق الحياة . ويلفت براونس Browning النظر إلى نقطة أثارها كيرك Kirk وهى « إن رفض توقع المكافأة يؤدى إلى شىء خبيث ، هو التركيز على الذات . فهى تحول العقل عن الله وترغمه على التركيز على النفس ونجاحاتها وفشلها » . وعلى أية حال فالمكافأة المسيحية يجب أن تفهم على ضوء الشركة مع الله وفرصة لخدمة تالية . ويلفت يسوع الانتباه إلى أنه من خلال الحياة بهذه الروح نستطيع أن نحقق ما دعينا إليه كأعضاء فى الأسرة السماوية . فالله منعم على غير الشاكرين والأشرار (وهذه الكلمة الأخيرة أكثر عمومية وتعنى

الشرير) . وهو « رحيم » وعطاياه ، مثل الشمس والمطر ، وموسم البذر والحصاد تعطى للجميع ، القديسين والأشرار دون تمييز . ومن شابه أباه فما ظلم . ويجب أن يكون هدف الأبناء أن يتحلوا بكل ما هو صالح فى الآب .

٥ ــ دينونة الآخرين (لو ٦ : ٣٧ ــ ٤٢) .

نجد هنا بعض الأقوال التى تبدو غير مترابطة . والفكرة التى تربط بينها هى القيادة . وفى أكثر من قول منها نجد تطبيقين محتملين . ولا نعلم بالضبط أيهما كان يقصد أو هل كان يقصدهما معاً ؟ وفى هذا القسم نجد تطبيقاً آخر للمحبة التى يقصدها يسوع نستشفه من اتجاهنا لدينونة الآخرين .

٣٧ : أما اعتراض يسوع على دينونتنا للآخرين فقد صيغ فى وصية قاطعة حاسمة . « لا تدينوا » . ويوضح لنا النتيجة « فلا تدانوا » . وأتبع ذلك بوصية مشابهة ، بألا نقضى على أحد ثم يأمرنا قائلاً « اغفروا » . (وليس فى فكر يسوع التقاضى أمام المحاكم بل السلوك العادى الذى نمارسه بإعطاء أنفسنا حق نقد وإدانة جيراننا) . وهذا أمر لا يسوغ لنا أن نفعله . وليس من الواضح تماماً ما إذا كان قوله « فلا يقضى عليكم » يشير إلى دينونة حالية من الناس أو دينونة الله المستقبلية أو كليهما معاً . وإذا ما نزعنا إلى القسوة فى حكمنا على الآخرين سنجد أن الآخرين بدورهم يعاملوننا بالمثل ، وسنجد أنفسنا مدانين من الكثيرين ، فى حين أن مراعاتنا عدم إدانة الآخرين ، تجعلهم يترددون فى إدانتنا . لكن الكلمات تشير أيضاً إلى عواقب دائمة و متعددة . إن من يدين الناس يجلب على نفسه دينونة الله . والله لايغفر إلا لمن لديه الاتجاه للغفران للآخرين . وهذا يختلف عن الخلاص الذى هو نعمة بدون استحقاق . ثم أن كل تلميذ حقيقى ليسوع يجب ألا يكون دياناً . والله عندما يقبل إنساناً فإن النعمة تحدث فيه تغييراً ، وروح التسامح دليل على أن الإنسان تمتع بالغفران .

٣٨ : والذى يغفر إنسان يتمتع بقلب متسع وهذا القلب له ثماره . ويطلب يسوع من سامعيه أن يستمروا فى العطاء ويذكرهم بأنه بالكيل الذى يكيلون به للناس يكال لهم . وليس بنفس الكيل لأنه يتحدث عن « كيلاً جيداً ، ملبدا ، مهزوزاً فائضاً » . والتشبيه مأخوذ من كيل القمح بطريقة

تؤكد أن المشترى أخذ حقه تماماً .

« أحضانكم » وتشير إلى طية فى الثوب الخارجى تنشأ عندما يُربط الثوبُ فوقا الحزام فينجم عن ذلك حضن للثوب . ويختم يسوع هذا الجزء بتذكرينا أن أمور الحياة تبادلية ولا نحصل من الحياة إلا ما تقدمه لها . وربما ورد هذا القول بشكل أو آخر فى أقوال معلمى اليهود .

٣٩ : ويتحدث يسوع عن مسئولية التلاميذ من ناحية تلمذتهم لآخرين . ويستخدم سلسلة من التشبيهات يوضح بها أهمية الحياة الفاضلة . فيتحدث أولاً عن « أعمى » يحاول أن يقود أعمى ، وحيث أن القائد أعمى لا يرى أكثر ممن يقوده ، فالمستقبل الوحيد المتوقع لهما هو الهلاك . وهذا نذير بالمتاعب التى تنتظر أولئك الذين يثقون فى أناس على شاكلة الفريسيين ، كما أنها تحذير لنا لكى ندقق فيمن نتبعه . بيد أن ثمة تحذير آخر بالنسبة للقيادة التى يمارسها تلاميذ المسيح . فلا يمكن للمسيحى أن يحاول قيادة الآخرين ما لم يعرف هو نفسه تمام المعرفة أين يذهب . وإذا ما افتقر إلى الحب ، فهو لا يعرف الطريق ، ومن يجهل شخصياً طريق الخلاص فلن يقود الآخرين إلا إلى التهلكة .

٤٠ : والتشبيه الثانى ينبه هذه المجموعة الصغيرة لمعرفة مركزهم كتلاميذ ، وثمة أقوال أخرى مماثلة إلى حد ما تجدها فى (لو ٢٢ : ٧ ، مت ١٠ : ٢٤ ، يو ١٣ : ١٦) . ومن الواضح أن هذا فكر عبر عنه يسوع أكثر من مرة وبطرق متباينة . فتقدم أى تلميذ محدود فى نطاق التعليم الذى يحصل عليه . ولن يستطيع تلميذ أن يبز معلمه . ولا يجب أن نفهم هذا على ضوء أحوالنا الحالية ، حيث توفر المكتبات والإمكانات الأخرى للتلميذ إمكانية لا حد لها من المعرفة . ولأن يسوع يتحدث عن زمن كان لا يتوافر فيه للتلميذ أى مصدر للمعرفة سوى ما يحصّله من معلمه . والإدعاء بأنه « أفضل من معلمه » هو قمة الإفتراء . فإن هدف التلميذ الوحيد أن يكون « مثل معلمه » وهو يحقق هذا الهدف إذا ما يحصل على كل التعليم « صار كاملاً » . وهذا التعبير الأخير Katartizo يترجم إلى « يجعله لائقاً مستعداً » أو « يتمم » . ويستعمل فى إصلاح ما كسر (مر ١ : ١٩) ، أو « يتقن » كما أتقنت العالمين (عب ١١ : ٣) . وكل تلميذ ليسوع عليه أن يبذل كل جهد ، ويضع نصب عينيه أن

يكون مثل سيده . ولا يمكنه أن يتجاهل وصية المحبة ، معتقداً أنه قد تجاوز هذه المرحلة . لكن المثل كان بصفة رئيسية يستهدف معلمين من البشر . ولأنه من غير المعقول أن يتوقع من تلميذ أن يعرف أكثر من معلمه ، فإنه من الأهمية بمكان .. أن يكون المعلم نفسه متقدماً إلى درجة الكمال فى النهج المسيحى ، وعليه بصفة خاصة أن يحذر العمى الروحى والإفتقاد إلى المحبة .

٤١ و ٤٢ : ويوبخ يسوع المرائين بمثل « القذى » و « الخشبة » ، وهذا موضوع آخر يطرقه أحياناً معلموا اليهود . ولا يجب أن تغفل حقيقة أن يسوع يضع أمثاله أحياناً فى قالب ساخر . وكثيراً ما نتأثر برزانة الموضوعات التى تناولتها كثير من تعاليمه حتى أننا ننسى معها أن يسوع كثيراً ما قال أقوالاً فيها نوع من المرح . وفى هذا الموضوع نجده مال إلى السخرية . فهو يصور المرائى وقد ترك **خشبة كبيرة** فى عينه بينما يحاول أن يزيح **قذى** من عين أخيه . بيد أن هذا التصوير الساخر يجب ألا يعمينا عن جدية وأهمية الدرس الذى يرمى إليه هذا المثل . فنقائص الآخرين الطفيفة نراها أمامنا بارزة واضحة ونعمى عن رؤية أخطائنا الكبيرة . ويحضنا يسوع على أن نفحص أنفسنا ونعرف حقيقة أمرنا قبل أن ندين الآخرين . إنه لأمر هام أن نخرج الخشبة الكبيرة من عيوننا بدلاً من أن نشغل أنفسنا بالقذى البسيط الذى فى عيون الآخرين . ولا يمكننا أن نصلح من شأن الآخرين قبل أن نتخلص أولاً من نقائصنا . نخرج الخشبة التى فى عيوننا حتى نستطيع أن نرى القذى الذى فى عيون الآخرين .

٦ ــ الشجرة والثمر (لو ٦ : ٤٣ ــ ٤٥) . إن أعمال الإنسان تنم عن حقيقة ما فى قلبه .

٤٣ و ٤٤ : لم يشرح يسوع ما كان يقصده بالشجرة الجيدة والشجرة الردية . بيد أن الكلمات التالية لها تبين أن نوع الثمر الذى تعطيه الشجرة هو المقصود . لقد جاءت كلمتا « التين » و « العنب » بالمقابلة مع « الشوك » و « العليق » . وعندما نتحدث عن الحياة النباتية فمن الواضح أن كل شجرة لها ثمرها الخاص بها . ولا نستطيع أن نقطف نوعاً معيناً من الفاكهة من أية شجرة نصادفها ، فلكل ثمرها . والأشجار الأخرى تأتى بثمر مختلف .

٤٥ : الإنسان الصالح ، كالشجرة الجيدة ، يعطي ثمراً صالحاً . « والإنسان الصالح » ، يعطي ثمرة « من كنز قلبه الصالح » وطبيعته من الداخل (فى القلب) تحدد نوع الثمر الذى ينتجه . وهكذا الحال بالنسبة « للإنسان الشرير » . شره الداخلي لا يخرج إلا الشر . وفى النهاية تقرر المبدأ القائل « إنه من فضلة القلب يتكلم الفم » . فهناك مبررات لكل ما نقوله . وكلامنا يكشف عما نخبئه فى قلوبنا .

٧ ــ الأساس (لو ٦ : ٤٦ ــ ٤٩) .

وتنتهى هذه العظة (كتلك التى فى بشارة متى) بتنبيه له أهميته من ناحية وجوب أن نسلك على ضوء تعاليم يسوع . وثمة اختلافات فى التفاصيل : ففى بشارة متى ، اختار الرجلان موقفين مختلفين كى يبنيا عليهما . أما هنا فهما يختلفان فيما يفعلانه فى هذه المواقع .

٤٦ : ولا شك أن البعض أظهروا أنفسهم كتلاميذ غير أمناء للمسيح . ولذا يتساءل الرب يسوع قائلاً : « لماذا تدعوننى يا رب يا رب ، وأنتم لا تفعلون ما أقوله » . أن تنادى أحداً يا « سيدى » معناه أنك تعهدت بطاعته . وأن تكرر الخطاب « يا رب ، يا رب » معناه أنك تؤكد هذا التعهد . بيد أن الكلمات ليست بديلة عن الطاعة .

٤٧ و ٤٨ : يتحدث يسوع الآن عن الإنسان الذى يسمع ويعمل ، وهو « يشبه إنساناً بنى بيتاً وحفر وعمق ووضع الأساس على الصخر » . وهذا أمر جوهرى بالنسبة للبناء المتين . بيد أن هذا يتطلب جهداً ووقتاً . ولذلك يتهرب البعض توفيراً للجهد والتعب . ولكن عندما تأتى العواصف والسيول ، يثبُتُ البيت الذى أقيم على الصخر ولا يتزعزع . وهذه قيمة الجهد والعرق . والمناظرة بالنسبة للحياة الروحية واضحة . عندما يأتى الامتحان الأخير يوم الدينونة فلا شيء يهم سوى الأساس الذى بنيت عليه حياتنا (بالمقارنة مع ١كو ٣ : ١١ وما بعدها) . ولا شك أن هذه الأقوال تنطبق على عواصف حياتنا . فالإنسان الذى شب على أساس متين لا يمكن أن تهزه متاعب الحياة ، وعلى كل ، فالاختبار النهائى الحاسم ، هو المقصود بهذا الكلام .

٤٩ : والأمر مختلف بالنسبة للبيت الذى بنى « على الأرض دون أساس »

فإنه عندما « صدم النهر » بيتاً بنى على هذا النحو « فسقط حالاً » . لم يستطع الصمود . وهكذا بالنسبة لمن يسمع تعاليم السيد المسيح ولا يعمل بها . يبنى حياته دون أساس سليم . فقد يبدو فى الظاهر شخصية تتمتع بالاحترام ، وربما يعرف عنه انتظامه فى القيام بواجباته الدينية ، بيد أن مثل هذا الشخص إذا ما افتقر إلى أساس روحى صلب فلا قيمة له .

ى ــ شفاء عبد قائد المئة (لو ٧ : ١ ــ ١٠) .

هذه قصة لها مغزاها بالنسبة لكاتب يهتم بالأمميين . فالقائد الأممى ، لم يذكر عنه فى بشارة لوقا أنه سبق ورأى يسوع ، بيد أنه قدم إليه خلال وسطاء من اليهود . وامتدح يسوع إيمانه . وكان فى هذا تشجيع لأعضاء الكنيسة من الأمميين الذين لم يروا يسوع ، لكنهم تسلموا الإنجيل من خلال رسل من اليهود . ويذكر متى الرسول أيضاً هذه القصة ، مع اختلاف بسيط . والبعض يقولون إن شفاء ابن خادم الملك (يو ٤ : ٤٦ وما بعدها) هو سرد مختلف لنفس هذ القصة ، بيد أن دليلهم على ذلك ضعيف .

١ و ٢ : ولما أكمل أقواله ، عاد يسوع إلى كفر ناحوم . ويستمر لوقا فى قصته فيحدثنا عن « قائد مئة » كان عبده مريضاً . وفى الأساس ، قائد المئة هو ضابط تحت إمرته مئة جندى ، بيد أنه بمضى الوقت اختلف العدد . ويتحدث المؤرخ اليهودى يوسيفوس عن تدرج للضباط بحيث يكون قواد العَشَرَة ، تحت إمرة قواد المئة (كما يخضع ضباط الصف للضباط حالياً ، كما أن قائد الألف والقائد العام أعلى منه رتبة كالعقيد واللواء) . ويترجمها موفات Moffatt ، إلى (رائد فى الجيش) . وقد تكون هذه أقرب ترجمة إلى الصحة . ويسرد باركلى Barclay نقلاً عن المؤرخ بوليبيوس Polybius قائمة بالمؤهلات الواجب توافرها فى قادة المائة : يجب ألا يكونوا « من الباحثين عن المغامرات » بصفتهم قادة ، يتمتعون بالثبات ، ويمكن الإعتماد عليهم ، ويجب ألاّ يغالوا فى تلهفهم للإندفاع إلى المعركة ، وعليهم أن يكونوا على أهبة الاستعداد للتمسك بمواقعهم ، بل وحتى الاستشهاد فى سبيل الواجب مهما واجهوا من ضغوط . ويجب أن يُختار لهذا المنصب رجال يتمتعون بالقوة والاستقامة . ويوافق هذا ، أن كلا من قادة المئة الذين جاء ذكرهم فى العهد الجديد كانوا ذوى خلق وسيرة طيبة (بالمقارنة مع لو ٢٣ : ٤٧ ، أع ١٠ :

٢٢ ، ٢٢ : ٢٦ ، ٢٣ : ١٧ و ٢٣ ، ٢٤ : ٢٣ ، ٢٧ : ١ ، ٤٣) . وقائد المئة هذا كان أممياً (لو ٧ : ٣ و ٩) ومن المحتمل أن يكون رومانياً كلف بالعمل مع قوات هيرودس انتيباس . ولكن هذا ليس أمراً مؤكداً . لأن بعض قواد المئة كانوا من أجناس أخرى . ثم أنه قد تكون هناك فرقة من الجيش الروماني في كفر ناحوم . وتظهر القصة هذا الرجل بأنه كان إنساناً ثرياً تقياً . ويقول البشير متى إن عبده كان مشلولاً ، بيد أن البشير لوقا لا يذكر نوع المرض ، إلا أنه يوضح أنه كان مرضاً خطيراً . وكان العبد « مشرفاً على الموت » . ولقد كان قائد المئة قلقاً لأن العبد كان « عزيزاً عنده » .

٣ ــ ٥ : أما قائد المئة فقد « سمع عن يسوع » ، بينما فحوى ما سمعه لم يرد عنه شيء ، وربما كان ذلك في معجزات الشفاء التي عملها يسوع . ولذلك أرسل قائد المئة بعض « شيوخ اليهود » يسألون يسوع أن يأتي ويشفي العبد المريض . ويبدو للوهلة الأولى أنه أمر غريب أن ضابطاً رومانياً استطاع أن يأمر شيوخ إسرائيل على هذا النحو ، بيد أن السبب أصبح واضحاً بعد أن تكلموا مع يسوع . ولم يكن هذا ضابطاً عادياً . قال عنه الشيوخ اليهود إنه « مستحق » أن يساعده يسوع . ولقد أوضحوا أمرين اثنين . أن هذا الضابط كانت نواياه طيبة تجاه الشعب المهزوم ، فهو « يحب أمتنا وهو بنى لنا المجمع » . وفي ذلك دلالة على نواياه الطيبة . وليس واضحاً إذا كان يعبد الله الحقيقي ، إلا أنه ما من أحد يقوم بكل ما عمله ، بما في ذلك بناء المجمع ، دون أن يكون له اهتمام بذاك الذي تقدم له العبادة في المجمع . حقاً إن بعض الرومانيين يساعدون في الناحية الدينية مدفوعين بتحقيق الصالح العام للدولة ، لكن هذا الضابط كان يتمتع بالإيمان (٩) . ولم يكن متبجحاً ، واستنتج البعض أنه كان « يخشى الله » ، رجل يعبد الله بيد أنه تردد في أن يتهود ، وهذا ليس أمراً بعيد الإحتمال .

٦ ــ ٨ : استجاب يسوع لهذا الرجل « وذهب معهم » . بيد أنه قبل أن يصل إلى البيت أرسل له قائد المئة رسالة مع أصدقائه كي لا يحضر . وهذا أمر يدعو إلى الدهشة ، لأنه سبق وطلب « أن يأتي » إليه (٣) . وحسب بشارة متى فإن الرجل تكلم مع يسوع مباشرة . ولا نجد ذكراً لشيوخ أو أصدقاء . وثمة طرق عدة لمعالجة هذا التباين . فالبعض يعتقد أنه لا يمكن التوفيق

بين الروايتين . بينما آخرون يوفقون بينهما بقولهم إن الرجل أرسل أصدقاءه أولاً ثم ذهب بنفسه بعد ذلك . بيد أنه من الأفضل أن ندرك أن البشير متى اختصر القصة وتغاضى عن تفصيلات لا تخدم الهدف الذى كان يرمى إليه . وما يعمله إنسان عن طريق وكلائه يمكن القول إنه عمله بنفسه . ولذلك اكتفى البشير متى بذكر لب الموضوع فيما يتعلق بالاتصال مع يسوع ، فى حين أن البشير لوقا ، وبتفصيل أكثر ، يذكر التتابع الفعلى للأحداث . وفى مقدورنا أن ندرك تبايناً فى الأهداف التى يرمى إليها كل من البشيرين فى معالجتهما للأصدقاء الذين أوفدهم ذلك القائد . فالبشير متى يهتم قبل كل شيء بالتركيز على إظهار إيمان ذلك القائد وجنسيته . وموضوع إرسال أصدقائه هذا لا أهمية له بالنسبة لهذه النقطة ، بل وربما يؤثر على توضيحها . لكن البشير لوقا كان مهتماً بإبراز ما يتمتع به هذا القائد من خصال حميدة ، وخاصة بما تميز به من تواضع جم . وبالنسبة لتوضيح هذه النقطة يشكل أصدقاؤه ركناً حيوياً فى القصة .

بدأت رسالة القائد : « يا سيد لا تتعب » ، « لأنى لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفى » . يا له من تواضع صادق . لم يسبق له أن تقابل مع يسوع ، لكنه كان يعرف الكثير عنه ، حتى أنه كان يكن له مثل هذا الاحترام والتبجيل . وربما كان يعتقد أن أى يهودى متدين قد يجد غضاضة فى أن يدخل منزل رجل أممى . ولذا قال فى رسالته : « لذلك لم أحسب نفسى أهلاً أن آتى إليك » . والمقصود بكلمة « أحسب » ، أى أكون مستحقاً (وهى كلمة أخرى ترجمت « مستحقاً » فى الآية (٦) . لقد أكد الشيوخ من قبل أنه « مستحق » (آية ٤) ، لكنه فى تواضعه لم ير نفسه أهلاً لذلك . ثم وضح أنه لم ير من ضرورة فى أن يحضر يسوع شخصياً كى يتم الشفاء . الأمر لم يكن يحتاج إلا إلى « كلمة » ينطق بها يسوع ، وكان يعتبر الكلمة ، أداة فعالة يحقق بها يسوع إرادته . فالقوة كانت كامنة فى الكلمة التى ينطق بها يسوع ، ولم يكن الأمر معها يحتاج إلى مزيد . وكان القائد يتكلم عن تجربة شخصية . ولأنه كان قائداً ، لم يكن يحتاج الأمر إلى حضوره شخصياً كى تنفذ الأوامر التى يصدرها . يستطيع أن يقول « إذهب » أو « إئت » ، « إفعل هذا » . وكان يعلم أن أوامره ستقابل بالطاعة الكاملة . ونلاحظ أنه لم يقل « أنا شخص له سلطان يأمر فيطاع » ، كما قد يتبادر إلى الأذهان ، بل قال « أنا

أيضاً مرتب تحت سلطان ». فتواضعه الجم اتضح حين تحدث عن رؤسائه ومرؤوسيه. فى حين أنه كان بمقدوره أن يتحدث فقط عن سلطانه بالنسبة لمن هم تحت إمرته. وقد تلمح كلماته إلى أن يسوع أيضاً كان يستمد سلطانه من مصدر أعلى. وقد لا تكون ثمة دلالة هامة فى إشارته إلى أن الجنود يذهبون ويأتون طبقاً لأوامره، كإشارته إلى عبده بقوله « إفعل هذا فيفعل » فالمقصود منها أنه ثمة أكثر من وسيلة لتنفيذ أوامره سواء كان ذلك بواسطة الجنود أم العبيد.

٩ : ولقد « تعجب منه » يسوع. ورد فى الإنجيل أن يسوع تعجب مرتين : هنا بسبب (إيمان) قائد المئة، وفى الناصرة بسبب « (عدم إيمانهم) (مر ٦ : ٦) ». ولقد أشرك يسوع الجمع معه فى تعجبه. فقد « التفت »، ربما ليتأكد أنهم فهموا قصده. ولذلك استهل كلامه بقوله « أقول لكم »، لتحقيق هذه الغاية. لقد كان هذا موقفاً فى غاية الغرابة. وكان يسوع يريد أن يدرك الجمع الحاضر من اليهود المغزى الذى كان يستهدفه بمدحه هذا القائد الأممى. ولذلك قال : « لم أجد ولا فى إسرائيل إيماناً بمقدار هذا ». ولم يكن فى ذلك نقداً لإسرائيل لأن المعنى يلمح إلى أن يسوع وجد إيماناً فيها، ولو أنه لم يكن يضاهى عظمة إيمان قائد المئة. لقد كان عجيباً حقاً أن يكون إيمان هذا القائد الأممى على هذا المقدار العظيم. إيمان يفوق إيمان الإسرائيليين الذين هم شعب الله. وثمة سؤال يثير الاهتمام يدور حول طبيعة إيمان ذلك القائد. لا شك أنه كان يؤمن بقدرة يسوع على شفاء عبده. ولكن هل هذا كان كل ما فى الأمر؟ وإذا ما تكلمت عن إيمان دون مبررات فى نص مسيحى، فهذا يعنى عادة الإيمان الواثق فى المسيح، وقبوله « سيداً » (بالمقارنة مع الآية ٦). وقد يعنى هذا أن ما سمعه ذلك الرجل عن يسوع جعل إيمانه يتعدى مجرد الثقة فى أنه يستطيع شفاء الأمراض. إلا أن الاحتمال يجب أن يظل قائماً فى أن القائد لم يكن إيمانه يتجاوز حدود ثقته فى أن يسوع يستطيع شفاء الأمراض فحسب، لأن تخطى حدود ذلك سيبرز الإيمان الذى أصبح للمسيحيين. ومع هذا يجب أن ندرك أن البشير لوقا يؤكد على أن الإيمان يتخطى هذه الحدود.

١٠ : لم يشر الرسول لوقا إلى أى كلمة شفاء نطق بها يسوع (فى حين

يذكر متى قوله : إذهب كما آمنت ليكن لك (مت ٨ : ١٣) ، بيد أنه حتى هذه ليست — كلمة شفاء — فهو يقول إنه عندما رجع الأصدقاء إلى البيت « فوجدوا العبد المريض قد صح » . ويقول البشير متى إن الشفاء تم حين كانوا مع يسوع ، لكن لوقا البشير يتركنا لنستنتج ذلك . ولا يشدد على هذه النقطة ، وإنما يركز على إيمان ذلك القائد . ويتركنا أمام السؤال « هل تجاوز يسوع الإيمان الفائق لهذا القائد وأتم عملية الشفاء دون حتى أن يكلفه جهداً سوى أن ينطق كلمة واحدة ؟ » .

ك — ابن أرملة نايين (لو ٧ : ١١ — ١٧) .

هذه القصة التى تتحدث عن إقامة شخص من الموت ، ينفرد بها إنجيل لوقا ، على الرغم من وجود معجزات إقامة موتى آخرين مثل إقامة ابنة يايرس ولعازر . ويشدد البشير لوقا على محبة يسوع وعطفه الفائق كما على سلطانه أيضاً . وربما تعمد لوقا أن يضع القصة فى هذا المكان بالذات تمهيداً للرد على رسل يوحنا (٢٢) .

١١ : « وفى اليوم التالى » ، عبارة تربط القصة بما سبقها . « نايين » لم يرد ذكرها إلا فى هذا الموقع فى العهد الجديد . ومن المعتقد أن موقعها هو موقع مدينة « نايين » الحديثة ، على بعد ستة أميال جنوب شرق الناصرة على منحدرات جبل حرمون **Hermon** . وعلى سفر يوم من كفر ناحوم (وبخصوص كلمة مدينة انظر التعليق على لو ١ : ٢٦) . وعبارة « جمع كثير » تظهر لنا مدى شعبية يسوع فى تلك الفترة . ضيفاً يتنقل من مدينة إلى أخرى ، كانت الجموع الغفيرة تتعلق به وتتبعه .

١٢ : لقد تصادف وصول يسوع إلى مدينة نايين ساعة خروج موكب جنازة ، ويحدد البشير لوقا موقع اللقاء عند « باب المدينة » ، وهو مكان يتجمع عنده فى العادة حشد كبير من الجماهير ، لأنه المكان المعتاد لتجمعهم . ويوضح البشير الصورة بقوله إن الميت « ابن وحيد لأمه » وهى « أرملة » . وهو موقف جد عصيب . لقد أصبحت المرأة وحيدة فى هذا العالم ، فلا عائل لها ولا نصير ، لكم كانت محنتها قاسية . وفى ذلك الحين ما كانت الفرصة متاحة إلا نادراً ، أمام المرأة لتكسب عيشها بنفسها ، ناهيك عن المعاناة

والشعور بالوحدة وألم الحزن ، بالإضافة إلى أن خط شجرة العائلة قد انقطع .
وتبين عبارة « ومعها جمع كثير من المدينة » أن الفاجعة كانت مدعاة أسف
جبهة عريضة من الجماهير ، الذين غمرهم الأسى لمصابها الجلل . ولم يذكر
البشير لوقا شيئاً عن معزين رسميين ، بيد أنه لا بد وأنهم كانوا حاضرين .
فحتى أكثر الناس فقراً فى إسرائيل كانوا يستأجرون مزمرين على أقل تقدير
مع إحدى النادبات فى مثل هذه المناسبات .

١٣ ــ ١٥ : ولأول مرة يشير لوقا إلى يسوع بقوله « الرب » (وهو
لقب يستعمله كثيراً فى المصادر غير المرقسية ، أما متى ومرقس فلا يستخدمانه
على هذا النحو ، ويستخدمه يوحنا من آن لآخر) . ولقد كان استعماله هنا
يناسب الحال تماماً حيث سيظهر يسوع نفسه أنه الرب الذى له سلطان على
الموت نفسه . لم يطلب أحد من يسوع أن يفعل شيئاً . لكنه من تلقاء نفسه
تصرف بدافع من محبته وحنانه . لقد تكلم مع الأرملة الباكية أولاً وقال لها
« لا تبكى » . ولا بد وأنها كانت تسير أمام النعش ولذا قابلها يسوع أولاً .
ثم تقدم إلى « النعش » حيث كان الميت ملفوفاً فى كفنه . والبعض يقول إن
الكلمة اليونانية ترجمتها « تابوت » ، بيد أن آخرين قالوا إنها تستعمل أيضاً
بمعنى « نعش » . وفى حين أن اليهود أحياناً يستعملون التوابيت ، إلا أنهم فى
العادة يستعملون نعشاً مفتوحاً (يوسيفوس) . ومن الواضح أن هذا هو ما
كان عليه الحال فى هذه الواقعة . أما وإن يسوع « لمس » النعش ، فمعناه أنه
« تنجس » طبقاً للشريعة (وحاشا ليسوع أن يتنجس ، فهو الوحيد الذى كان
يلمس الأبرص وبدلاً من أن يتنجس منه كان يطهره) ، وعلى كل كان يسوع
يهتم فى المقام الأول بسد أعواز الناس وانتشالهم من محنتهم غير مبال بالتفاهات
الطقسية . وعندما لمس النعش « وقف الحاملون » . لم يوجه لهم كلمة
واحدة ، لكنه من الوضح أنهم رأوا شيئاً غير عادى . تقدم يسوع وقال للميت
« أيها الشاب لك أقول قم » . وعند ذلك « جلس الميت » . بكلمة المسيح
وحدها دون شيء آخر تمت المعجزة . ويضيف البشير لوقا أن الميت « بدأ
يتكلم » . وهذا دليل واضح على عودته إلى الحياة . ولم يُسَجَل شيء مما تكلم
به الميت ، وهذا هو الحال أيضاً بالنسبة للمعجزتين الأخرتين اللتين أقام فيهما
يسوع ميتين وأعادهما إلى الحياة . أما اهتمام الرب بالأرملة فيظهر فيما ذكره
الإنجيل من أنه « دفع » الميت « إلى أمه » ، كما فعل إيليا النبى فى موقف مماثل

(١مل ١٧ : ٢٣) .

١٦ و ١٧ : وهؤلاء الذين شاهدوا هذه المعجزة تصرفوا كمن هم فى محضر الله فقد تملكهم « خوف » أى خشية ، و « مجدوا الله » ومن الملاحظ هنا ، أنه لم يذكر « أنهم مجدوا يسوع » . لقد عرفوا يد الله فيما حدث ، وأعطوا المجد لمن يستحقه . بيد أنهم امتدحوا يسوع ووصفوه بأنه « نبى عظيم » . وهذا وصف غير كاف ليسوع ، لكنه يمثل أعظم لقب يستطيع أهل تلك المدينة حسب مفهومهم أن يخلعوه على أحد . وقد يكون ذلك راجعاً إلى أن ما فعله يسوع أمامهم سبق وعمله إثنان من الأنبياء العظماء قديماً (١مل ١٧ : ١٧ وما بعدها ، ٢مل ٤ : ١٨ وما بعدها) . وقالوا أيضاً « وافتقد الله شعبه » . وهذا تعبير مألوف فى العهد القديم حيث يشير فى الغالب إلى البركة ، كما هو الحال هنا (راعوث ١ : ٦ ، ١صم ٢ : ٢١) ، على الرغم من أن هذا التعبير يشير أحياناً إلى الدينونة . والنتيجة الحتمية لكل هذا هو اضطراد شهرة يسوع حيث انتشر خبر عنه فى كل مكان . وربما ذكرت « اليهودية » هنا بمعناها الأوسع ، أى ، فلسطين بوجه عام ، بينما تدل عبارة « وفى جميع الكورة المحيطة » . إن شهرة يسوع كانت بالحق ذائعة طاغية .

ل ـــ أسئلة المعمدان (لو ٧ : ١٨ ـــ ٣٥) .

١ ـــ الأسئلة وإجاباتها (لو ٧ : ١٨ ـــ ٢٣) .

كان يوحنا المعمدان فى السجن . ومن الواضح أنه كان يتوقع أن يعمل يسوع شيئاً مثيراً . ولما لم يحدث ذلك أرسل إليه ليعرف السبب ، وربما ليستحثه على عمل شيء .

١٨ ـــ ٢٠ : وما كان يعمله يسوع كان معروفاً على نطاق واسع فى الريف ، ووصل خبر هذا أيضاً إلى يوحنا فى سجنه . ولذا دعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسلهم إلى يسوع ليسألوه « أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟ » « أنت هو الآتى » (بالمقارنة مع لو ٣ : ١٦ ، ١٣ : ٣٥ ، ١٩ : ٣٨ ، عب ١٠ : ٣٧) ، لم يكن تعبيراً متعارفاً عليه بالنسبة للمسيا ، إلا أنه واضح أن يوحنا كان يستعمله بهذا المعنى . ولكن ، بما أنه كان يشهد ليسوع منذ فترة طويلة مضت على أنه الأقوى الذى سيأتى (لو ٣ : ١٦) ، فليس مفهوماً

لماذا وجه هذا السؤال (على الرغم من أننا يجب أن نتذكر أن يوحنا لم يقل بوضوح فى إنجيل لوقا أن يسوع كان هو المنتظر) . وقد يكون التفسير الأقل احتمالاً هو الذى يرى أن يوحنا نفسه لم يكن مرتاباً فى شيء بل تلاميذه . ولذلك أرسل تلاميذه برسالة ، وهو يعلم أن إجابة يسوع ستكون شافية . وهذا رأى لا سند له ، كما أنه غير مقنع ، وقد لا يوجد أيضاً ما يؤيد الرأى القائل إن الأسئلة تمثل تفجر الإيمان فى قلب يوحنا . فقد قيل إنه حتى ذاك الوقت ، كان يوحنا مستمراً فى رسالته الشخصية المختلفة مع رسالة يسوع ، أما الآن فقد بدأ يتساءل عما إذا كان يسوع هو نفسه « الأقوى » الذى كان يوحنا يتوقع أنه سيأتى بعده ، وعما إذا كان عليه هو شخصياً أن ينسحب ويترك المجال ليسوع . ويهدم هذا الرأى حقيقة أن يوحنا كان سجيناً . ولذلك فمن المؤكد أنه لم يكن يعمل فى ذلك الحين لتكوين جماعة منافسة . ثم أنه هناك أيضاً حقيقة أن مصادرنا تشير إلى أن يوحنا وجه الناس بالفعل إلى يسوع (مت ٣ : ١٣ وما بعدها ، يو ١ : ٢٩ و ٣٥ ، ١٠ : ٤١ ، أع ١٨ : ٢٥ ، ١٩ : ٤) ، وآخرون يقولون إن إيمان يوحنا بيسوع كان قد فتر قليلاً . ولم يكن وجوده فى سجن هيرودس مجرد نزهة ، مع عدم تأكده من إمكان إطلاق سراحه ، فحتى هذا الرجل الشجاع قد يكون قد فقد بعضاً من شجاعته . والإعتراض على هذا الرأى يكمن فى شخصية يوحنا . ولو أن هذا التفسير محتمل ، رغم أنه لا يتفق إطلاقاً مع ما نعرفه عن يوحنا . أما الرأى الرابع فهو أن إيمان يوحنا لم يهن بل نفد صبره . وربما كان يقصد بأسئلته أن يقول « أنت هو الآتى ، أليس كذلك ؟ فلماذا لا تعمل شيئاً إذاً ؟ » . وهذا ما يمكن أن يكون احتمالاً قائماً . ولكن من الأرجح أن يوحنا كان فعلاً فى حيرة . لقد تنبأ أن « الآتى » سيقوم بأعمال واضحة لدينونة الخطاة (لو ٣ : ١٦ وما بعدها) . بيد أن يسوع لم يفعل شيئاً من هذا القبيل . كان منهمكاً فى أعمال الرحمة والشفقة . ترى هل يوجد شخص آخر هو الذى سيقوم بأعمال الدينونة هذه ؟ هذا هو ما أراد يوحنا معرفته .

٢١ ــ ٢٣ : كانت إجابة يسوع على المرسلين اللذين أرسلهما يوحنا إجابة عملية إذ وجه نظرهما إلى الأمور التى كانت تجرى . لقد كان يسوع يساعد العمى (إش ٣٥ : ٥) ، والعرج (إش ٣٥ : ٦) ، والصم (إش ٣٥ : ٥) ، والموتى والمساكين (إش ٦١ : ١) . وما يواكب ذلك فى العهد

القديم أى معجزات الشفاء والبشارة للمساكين يعطى معنى إرسالية المسيا . فهى تمثل التصديق الإلهى على إرسالية يسوع ، التى كان لها أن تتم من خلال معجزات رحمة لا من خلال انتصارات ظاهرة على الجيوش الرومانية . ولقد تكلم يسوع عن هذا فى المجمع فى مدينة الناصرة (لو ٤ : ١٨) ولكن ليس كل إنسان يستطيع إدراك هذه الحقيقة ، ولذلك قال يسوع « طوبى لمن لا يعثر فىّ » . والفعل الذى ترجم « يعثر فىّ » عبر عن المعنى بصورة رائعة . ولقد أخذ من عملية صيد الطيور بالفخ ، ويشير إلى حركة الضغط على عصا الطعم الذى يطبق المصيدة ، وهى طريقة لإعطاء صورة نابضة عن سبب المتاعب .

٢ ـ عظمة يوحنا المعدان (لو ٧ : ٢٤ ـ ٣٠) .

أولئك الذين سمعوا إجابة يسوع لتلميذى يوحنا قد يعتقدون أنه كان يؤنب يوحنا ويتبرأ منه . لكن يسوع قضى على هذه المظنة بقوله إن يوحنا هو أعظم الرجال .

٢٤ : وبعد أن مضى رسولا يوحنا ، وجه يسوع بعض الأسئلة للجموع ليعرفوا حقيقة يوحنا ومكانته ورسالته . وكان أول هذه الأسئلة « ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا ؟» تزاحمت الجموع لتسمع ما يقوله يوحنا، لماذا ؟ أجاب يسوع على هذا بقوله : « أقصبة تحركها الريح » . وقد تكون هذه إشارة مشهورة إلى شيء مألوف مما يمكن رؤيته فى أى مكان . والمرجح أن يسوع كان يقول إن يوحنا لم يكن كقصبة يمكن أن تتأرجح بسهولة . وعدم ملاءمة هذا التعبير لذلك الرجل الصارم الذى نشأ فى البرارى أمر واضح كل الوضوح .

٢٥ : وكان سؤال يسوع الثانى : « أإنساناً لابساً ثياباً ناعمة ؟ » ، وهذا القول أيضاً يمكن أخذه على محملين . هل كانوا يتوقعون أن يجدوا أحد رجال الحاشية فى البرية ؟ أو كان سؤال يسوع هو : هل يوحنا من رجال البلاط الملكى ؟ والكلمة « ناعمة » تشير إلى « نعومة الملمس » ، بيد أنها أخذت المعنى الثانوى « هل فيه نعومة الأنوثة ؟ » وهذا وصف لا يناسب يوحنا إطلاقاً . واستطرد يسوع قائلاً إن « الذين فى اللباس الفاخر والتنعم » يمكن أن نجدهم ، ليس فى برية يوحنا ، بل فى « قصور الملوك » وحيث أن يوحنا كان يعيش حياة التقشف ويتناول من الطعام أبسطه ، ويعيش فى أشد الأماكن

قسوة ، فهذا يستبعد كل الأفكار .

٢٦ و ٢٧ : أما السؤال الثالث فكان : « أنبياً ؟ » وكانت الإجابة هذه المرة : « بلى » ، لأن يوحنا كان نبياً ، بل وأفضل من نبي . والإضافة على ما اقتبس من (ملا ٣ : ١) تبين أن يوحنا حظى بشرف أن يكون معد الطريق للمسيح . ويذكرنا مانسون Manson ، أن هذه العبارة لا تشير إلى عظمة يوحنا فحسب ، بل تشير إلى أن رسالة يسوع هي النهائية لإسرائيل .

٢٨ : ثم يرفع يسوع يوحنا إلى أسمى مكانة يصل إليها إنسان « إنه بين المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنا . إذاً لم يكن يسوع يحط من قدر يوحنا . بل رفعه إلى أعلى منزله . هذه المنزلة التي ميزته على جميع الرجال . ولم يتوقف يسوع عند هذا بلْ قال « ولكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه » . لأن مجيء يسوع يمثل حداً فاصلاً . لقد جاء يوحنا ليعد الطريق للملكوت . أما الأصغر في هذا الملكوت فهو أعظم من أعظم الرجال . وهذه عبارة لها حقيقة تاريخية . فيوحنا كان ينتمي لزمن الموعد ، فالأصغر في الملكوت أعظم منه ، ليس من أجل خصال شخصية يتحلى بها ، بل لأنه ينتمي إلى زمن تحقيق الموعد . ولم يكن يسوع يقلل من أهمية يوحنا بل يضع عضوية الملكوت في منظورها الصحيح .

٢٩ : كثيراً ما يقال إن الآيتين ٢٩ ، ٣٠ تشكلان جملة اعتراضية أضافها لوقا البشير ووضعها في هذا المكان . بيد أن إضافة كهذه لأقوال السيد المسيح أمر ليس له نظير . ولقد ثارت الشكوك لأن الترجمة اليونانية ليس بها مفعول للفعل « سمعوا » وأما بعض الترجمات الحديثة ، فأضافت كلمة « ذلك »[1] مما استتبع أن يكون هذا الجزء بين قوسين . بيد أن البعض يقول إنه يمكن إضافة ضمير الغائب فتصبح الجملة « سمعوه » بدلاً من « سمعوا ذلك » . وفي هذه الحالة يكون يسوع بعد أن أشار إلى عظمة يوحنا أضاف عبارة تبين أثر كرازته وتعاليمه . ويبدو أن هذا هو الرأي الأفضل ... وعبارة « وجميع الشعب » يبدو أنها جامعة شاملة تتضمن « العشارين » . لكن العشارين كانوا مبغضين ومنبوذين وكانوا يشكلون فئة منعزلة (انظر التعليق على لو ٥ : ٢٧) ،

---

(١) انظر الإنجيل كتاب الحياة (المحرر)

ولذلك ذكروا بصفة خاصة من باب التأكيد . بيد أن هؤلاء النساء البسطاء « برروا الله » . وهذا معناه أنهم قالوا « الله بار » ، وتقبلوا طرق الله البارة كما هي دون أن يحاولوا وضعها فى قالب من صنعهم . وهذا واضح من قبولهم واعتمادهم « بمعمودية يوحنا » ، هذه المعمودية التى كانت للتوبة والتى تعدهم وتقدمهم للعمل الذى كان يسوع مزمعاً أن يعمله .

٣٠ : وعلى نقيض الفئة التائبة ، قيم يسوع « الفريسيين والناموسيين » . والناموسيون طائفة كرست نفسها لدراسة الناموس . وكانوا ماهرين فى معرفة تفاصيله ، لكنهم لم يفهموا رسالته الجوهرية . كانوا مهتمين بناموس الرب لا بمشيئته . ولذلك رفضوا هم والفريسيون « مشورة الله من جهة أنفسهم » . وبينما سمع البسطاء من الشعب نداء الرب بالتوبة واستجابوا له ، إلا أن هؤلاء المتعجرفين المغرورين والمعتدين ببرهم الذاتى لم يجدوا شيئاً يتوبون عنه . وهكذا رفضوا مشورة الله . ورفضوا معمودية يوحنا وأبعدوا أنفسهم عن طريق البركة ، ولم يعطوا يسوع أذناً صاغية . والعقل المغلق لا بد وأن يقود الإنسان من خطأ إلى خطأ .

٣ ــ تصرفات السامعين (لو ٧ : ٣١ ــ ٣٥) .

ابتدأ يسوع يبين اعوجاج أبناء جيله وذلك بالإشارة إلى رفضهم يوحنا المعمدان ، بل ورفضه هو أيضاً ، ولو أنهم استندوا فى ذلك على أسباب متناقضة تماماً . فما من شيء يحوز قبولهم .

٣١ و ٣٢ : وجه الرب سؤالاً بليغاً بقوله « فمن أشبه أناس هذا الجيل ؟ » . وفى إجابته « شبههم بأطفال يلعبون » ، واقتبس مقطعاً شعرياً كان الأولاد يقولونه لأقرانهم الذين لا يتجاوبون معهم فى لعبهم ، فلما زمروا لهم بفرح لم يرقصوا ، وعندما انتقلوا للشق الآخر من اللعبة و « ناحوا » لهم ، لم يبكوا . فلم يشاركوهم فرحاً أو حزناً . وليس من الواضح ما إذا كان « أناس هذا الجيل » شبهوا بأولئك الأطفال الذين « زمروا » و « ناحوا » أم بأولئك الذين رفضوا أن « يرقصوا » أو « ينوحوا » . وفى الحالة الأولى ، فإن الفكرة هى أنهم اشتكوا على يوحنا المعمدان أنه لم يكن ودوداً بشوشاً ، بيد أنهم غيروا النبرة عندما جاء يسوع ولاموه لأنه لم يكن مكتئباً . وفى الحالة

الثانية لم يستجيبوا لسماحة يسوع وبشاشته . أو صرامة يوحنا وشدته . وفى أى الحالتين فهم لن يقبلوا يسوع ولا يوحنا .

٣٣ : ويوضح يسوع هذا بحديثه عن يوحنا . إذ كان يوحنا زاهداً متقشفاً . لم يكن يأكل خبزاً (كان طعامه جراداً وعسلاً برياً مر ١ : ٦) ، ولم يكن يشرب خمراً . وعلى الرغم من أن حياة الزهد والتقشف كانت من سمات رجال الله فى كثير من الديانات ، إلا أنها لم تقرب يوحنا من مواطنيه . وكانت تعاليمه قاسية بالنسبة لهم ، ولذلك رفضوه قائلين إن « به شيطان » .

٣٤ : ولم يتبع يسوع نهج المعمدان من ناحية الزهد والتقشف ، كان يأكل ويشرب كعامة الناس . وأولئك الذين رفضوا يوحنا لخروجه عن المألوف كان عليهم أن يقبلوا يسوع . بيد أنهم لم يجعلوا هذا موضع تفكيرهم وقالوا إنه « أكول وشريب خمر » ولأسباب وجيهة من وجهة نظرهم ، اشتكوا عليه بسبب من يخالطهم وقالوا إنه « محب للعشارين والخطاة » . ومن المعروف أن المتدينين يتجنبون مثل هذه الصحبة . لكن يسوع لم يفقد رجاءه فى أى إنسان . ولكى يكسب الخطاة كان يخالطهم ، ليخلصهم . ومع ذلك انتقده اليهود . وسلوكهم تجاه يوحنا جعل موقفهم هذا مجرد حماقة وانحراف . ولا مبرر له على الإطلاق .

٣٥ : بيد أننا لا يجب أن نتجاهل الحكماء « والحكمة تبررت من جميع بنيها » . والفعل « تبررت » يعنى أعلن أنها حق » أو « أظهر أنها حق » أو « تُقبل كحق » . فأولئك الذين كانوا حكماء بالفعل « بنبى الحكمة » يعلنون الحق بالطريقة الصحيحة ، سواء كانت زهداً ، أو اختلاطاً بالناس . وسيرون حكمة الله فى المسيح ويوحنا كليهما . ولن يسيروا على نهج أولئك الذين ينتقدون كل شىء ، والذين لا يمكن إرضاؤهم بأى شكل كان .

م ــ المرأة الخاطئة تدهن يسوع بالطيب (لو ٧ : ٣٦ ــ ٥٠) .

كل بشارة تذكر قصة عن إمرأة تدهن يسوع بالطيب (مت ٢٦ : ٦ ــ ١٣ ، مر ١٤ : ٣ ــ ٩ ، يو ١٢ : ١ ــ ٨) . وثمة مبررات مقبولة ومعقولة للقول إن البشائر الثلاثة الأخرى تتحدث عن موضوع واحد ، لكن بشارة لوقا دون سواها تتحدث عن حدث آخر . فهم يشيرون إلى حدث وقع فى

الأسبوع الأخير من حياة يسوع بالجسد . أما البشير لوقا فيشير إلى حدث آخر كان قد وقع قبل ذلك بكثير . « فالخاطئة » فى قصة لوقا بللت قدمى يسوع بالدموع ، ومسحتهما بشعر رأسها ، قبلتهما ودهنتهما بالطيب ، وهذا يخالف ما ذكره البشيرون الآخرون ، وما تبع ذلك من مناقشة كان مختلفاً . وفى بشارة لوقا كان الاهتمام مركزاً على المحبة والغفران ، كان التركيز على بيع الطيب وإعطاء ثمنه للفقراء . وما من مبرر يدعو إلى الإعتقاد أن المرأة فى البشائر الأخرى كانت خاطئة (يقول يوحنا إنها كانت مريم من بيت عنيا يو ١٢ : ١ — ٨) ، والبعض قال إن الخاطئة فى بشارة لوقا هى « مريم المجدلية » . ولكن هذا مجرد تخمين .

٣٦ : أحد الفريسيين واسمه سمعان دعا يسوع أن يأكل معه . وفى بشارتى متى ومرقس يسمى المضيف أيضاً سمعان (سمعان الأبرص) ، بيد أن هذا الإسم كان شائعاً ولا يحدد لنا الشخصية المقصودة . إنما من علائم تعاطف يسوع الفياض أنه أكل قبل ذلك مع أحد العشارين (لو ٥ : ٢٩) ، والآن مع فريسى .

٣٧ و ٣٨ : « إمرأة فى المدينة » ، وصفت بأنها « خاطئة » . وربما المقصود أنها كانت عاهرة . عرفت المرأة بأمر هذه الوليمة ودخلت البيت . والوليمة التى حضرها يسوع لم تكن وليمة خاصة ، فكان الناس بمقدورهم أن يدخلوا ويشاهدوا ما كان يحدث أثناءها . وفى نفس الوقت ما كان لسمعان أن يسمح لعاهرة أن تدخل بيته ، ولذلك كانت شجاعة من تلك المرأة أن تتجرأ وتدخل . لقد أتت « بقارورة طيب » ، ولم يكن لها مقابض ولكنها ذات رقبة طويلة كانت تكسر عند تفريغ محتوياتها . ورغم الاسم فإن القارورة لم تكن تصنع دائماً من المرمر ، ويقول بلينى Pliny ، إن أفضل القوارير تلك التى كانت تصنع من المرمر . ويمكننا أن نستنتج ، أن الطيب كان غالى الثمن . والنساء اليهوديات كن يعلقن قارورات طيب حول رقابهن ، وكن لا يتخلين عنها أبداً للدرجة أنه سمح لهن بهذا حتى فى السبت .

والترجمة « طيب » ليست سليمة ، لأن المقصود هو عطر سائل لا جامد . تلك العطور كانت شائعة الاستعمال وخاصة فى المناسبات و الأعياد . والناس لا يجلسون إلى موائد ، بل يتكئون على أرائك ، ويستندون على الذراع الأيسر

حيث تكون الرأس ناحية المائدة والجسم ممتد على بعد منها . وكانوا يخلعون النعال قبل أن يتكئوا . وهكذا كان فى استطاعة المرأة أن تقترب من قدمى يسوع دون أية صعوبة . ومن الواضح أنها كانت تقصد دهنهما بالطيب ، لكنها عندما وقفت هناك فاضت عواطفها وابتدأت « دموعها » تنساب وتتساقط على قدمى يسوع . وبسرعة مسحتهما بشعرها ، وهو عمل له مغزاه ، لأن اليهوديات لم يكن يفردن شعرهن علانية . ومن الواضح أنها كانت مستغرقة فى مشاعرها العميقة الفياضة لدرجة أنها لم تعبأ بما يقال عنها . وهذا ما يفسر لنا أيضاً تقبيلها قدمى يسوع . ويقال إن ثمة نماذج سابقة لنساء كن يقبلن أرجل أحد معلمى اليهود البارزين ، بيد أنها لم تكن عادة شائعة على أية حال . وأخيراً دهنت قدمى يسوع بالطيب . وكانت العادة أن يصب الطيب فوق الرأس . أما وأنها دهنت القدمين فهذه ربما تكون دلالة على مدى اتضاع هذه المرأة . والوقوف عند القدمين ومسحهما كانت عملية وضيعة لا يقوم بها إلا العبيد . وأنها لمسة طيبة من يسوع إن غير وجدد تلك المرأة فتركت طرقها الردية وكل ما عملته كان تعبيراً عن حبها وامتنانها ليسوع . وليس من الواضح عما إذا كانت قد رأت يسوع من قبل ، ربما كان من بين الجموع المتزاحمة لسماع تعاليمه . ولذلك اقتنعت بأن حياتها قد تغيرت . أو أنها سبق وأن تقابلت مع يسوع دون أن يذكر هذا . ولا يمكن القطع بشيء فى هذا الصدد .

٣٩ : لقد رأى سمعان كل هذا وكان يحدث نفسه ، غير راض عن هذا الوضع . وصيغة الجملة الشرطية (لو كان ... لعلم ...) فى الأصل اليونانى تشير إلى (أ) أن يسوع لم يكن نبياً ، (ب) وأنه لم يعرف من هى هذه المرأة التى تلمسه .

٤٠ : بدأ يسوع يصحح هذه الأفكار الخاطئة . كان الفريسى يتكلم فى نفسه لكن يسوع أجابه عما كان يدور فى ذهنه . لقد أظهر يسوع أنه كان يعرف من هو سمعان ، وأى نوع من الرجال هو . وبدأ يسوع بالقول أن عنده « شيء يقوله » . وهنا ابتدأ سمعان يصغى إليه بانتباه . وأجاب سمعان الفريسى« قل » . كلمات تتسم بالأدب لكنها لم تكن مشجعة .

٤١ ــ ٤٣ : ابتدأ يسوع كلامه بقصة بسيطة عن مديونين أحدهما مدين ب « خمسمائة دينار » ، والآخر « خمسون » (والدينار كان يساوى أجرة

يوم للعامل ، مت ٢٠ : ٢) . وإذ لم يكن لهما ما يوفيان سامحهما الدائن . ولم يكن الأمر يحتاج إلى ذكاء كبير لمعرفة أيهما يحب الدائن أكثر ، ومع ذلك كانت إجابة سمعان على هذا تتسم بشيء من الحقد ، ولذلك صدّر إجابته بكلمة « أعتقد » . ولم يعلق يسوع بشيء على هذا بل وافق على أن سمعان أجاب بالصواب .

٤٤ — ٤٦ : ثم جاء وقت التطبيق العملي . التفت يسوع إلى المرأة وسأل سمعان قائلاً « أتنظر هذه المرأة ؟ » فهل نظر إليها سمعان ؟ هذه نقطة هامة . لم يكن سمعان يستطيع أن يرى تلك المرأة بحالتها التي أصبحت عليها وقتئذ . فقد كان يراها على الوضع الذي كانت عليه في الماضي . ثم ابتدأ يسوع يكشف عن وجوه الاختلاف بين سلوكها وسلوك مضيفه سمعان . وتبين أنه على الرغم من دعوة سمعان يسوع إلى بيته إلا أنه لم يعامله المعاملة اللائقة بضيف مبجل . كان من واجبه أن يوفر ماء للضيوف لغسل أقدامهم (بالمقارنة مع تك ١٨ : ٢٤ ، قض ١٩ : ٢١) . لم يلق يسوع واجب الضيافة هذا من سمعان . فغسلت المرأة قدميه بدموعها . وعلى غرار هذا لم يُقَبِّل سمعان يسوع ترحيباً بمقدمه حسبما هو متوقع ومتبع ، (بالمقارنة مع تك ٢٩ : ١٣ ، ٤٥ : ١٥) ، إلا أن المرأة قبلت قدميه ، وأخيراً ، بينما تجاهل سمعان أن يدهن رأس يسوع بالزيت (بالمقارنة مع مز ٢٣ : ٥ ، ١٤١ : ٥) دهنتهما المرأة بالطيب (والزيت ، هو زيت الزيتون ، وكان متوافراً ورخيصاً ، وثمة تناقض مع « دهن الطيب » الذي كان نادراً وغالي الثمن) .

٤٧ : ثم قال يسوع لسمعان ، إن خطايا هذه المرأة قد غفرت ، وكانت « كثيرة » ، بيد أن هذا يتمشى مع تعاليم الإنجيل بأنه مهما كانت الخطايا كثيرة ، ومهما كانت شناعتها ، إلا أن نعمة الرب تستطيع أن تغفرها ، ويجب أن نعي جيداً مغزى الكلمات « لأنها أحبت كثيراً » . فلا يعني قول يسوع إن المرأة قد استحقت مغفرة خطاياها بسبب أعمالها بل ولا حتى بسبب محبتها . وتمشياً مع هذا المثل البسيط وما تلاه من أقوال (٥٠) ، فقوله معناه أن حبها كان دليلاً على أن خطاياها سبق وغفرت لها . لقد كان حبها استجابة لنعمة الرب[1] . وإحدى الترجمات توضح المعنى ،أن خطاياها الكثيرة ، لا بد وأنها

---

(١) في إنجيل الحياة : « إن خطاياها الكثيرة قد غفرت لهذا أحبت كثيراً » المحرر .

سبق وغفرت ، وإلا ما كان لها أن تظهر هذه المحبة العظيمة . وبعكس ذلك ، « فإن الذى يغفر له قليل يحب قليلاً » . وواضح أن يسوع قصد أن يوجه هذه العبارة إلى سمعان . الذى أظهر قليلاً من المحبة .

٤٨ ـــ ٥٠ : ثم قال يسوع للمرأة « مغفورة لك خطاياك » (بالمقارنة مع لو ٥ : ٢١ ـــ ٢٤) . ويخبرنا البشير لوقا أن هذا قد أثار مناقشة بين الضيوف . فغفران الخطايا عمل لا يستطيعه إلا الله . ولذلك تساءل الضيوف قائلين « من هذا الذى يغفر خطايا أيضاً » . لكن يسوع تجاهلهم تماماً . كان اهتمامه مركزاً على تلك المرأة ، فقال لها « إيمانك قد خلصك » . وهذه نقطة هامة توضح أن ما أظهرته من محبة قبل ذلك كان نتيجة خلاصها وليس سبب خلاصها . وكما هو واضح فى موقع آخر فى العهد الجديد أن الإيمان هو وسيلة التمتع ببركات الرب وعطاياه . ثم صرفها يسوع قائلاً : « اذهبى بسلام » (بالمقارنة مع لو ٨ : ٤٨) . والترجمة اليونانية « اذهبى فى سلام » ومما يجدر ملاحظته أن معلمى اليهود يقولون إن « اذهب بسلام » هى التحية الأنسب بالنسبة للموتى ، بيد أنه بالنسبة للأحياء يجب القول « اذهب فى سلام » .

ن ـــ نساء ساعدن يسوع (لو ٨ : ١ ـــ ٣)

« وعلى أثر ذلك » ذهب يسوع فى جولة تبشيرية . ولا نجد ذكراً لأى مجمع ، وربما وجد يسوع أنه من المستحسن ، وقد ازدادت عداوة المجمع له ، أن يركز على الكرازة والتعليم فى الهواء الطلق . ولم يكن محتاجاً إلى مستمعين . فثمة إشارات متكررة إلى الجموع (بالمقارنة مع لو ٧ : ١١ و ٢٤ ، ٨ : ٤ و ١٩ و ٤٠ و ٤٥) . وفى هذه المناسبة كان يصحبه الإثنا عشر تلميذاً « وبعض النساء » ممن سبق وشفاهن من أسقامهن . كان معلمو اليهود يرفضون تعليم النساء ويعتبرونهن فى منزلة أقل . لكن يسوع سمح لهن بمرافقته ، كما فى هذه المناسبة ، وقبل خدمتهن . أول من ذكرت هى « مريم التى تدعى المجدلية » (اسم مكان معناه المجدل أى البرج) . لقد اعتاد المسيحيون تصور أن مريم المجدلية هى إمرأة جميلة أنقذها يسوع من حياة الشر . وما من شيء فى المصادر يشير إلى هذا . يقول البشير لوقا بأنه « خرج منها سبعة شياطين » ، وهذا يبين أن يسوع أنقذها من حياة صعبة كئيبة . ولكن ما من مبرر للربط بين الشياطين والسلوك اللا أخلاق ، فالشياطين ترتبط أكثر بالاختلال العقلى . وقد

ذكرت « يونا » مرة ثانية فى (لو ٢٤ : ١٠) . وخلاف ذلك لا يعرف عنها شيء . أما زوجها « خوذى » فلم يذكر إلا هُنا فقط . أما وأنه كان « وكيل هيرودس » فيُظهر أنه رجل غنى ، على الرغم من أن طبيعة وظيفته غير واضحة . فالكلمة التى ترجمت « وكيل » قد تعنى مدير ممتلكات هيرودس ، أو أنه يقصد بها وظيفة سياسية . ويخمن جودت Godet ، أن هذا الرجل قد يكون هو الضابط الذى شفا يسوع ابنه (يو ٤ : ٤٦ وما بعدها) . وإذا كان الأمر كذلك فهذا يفسر لنا لماذا كانت يونا من تلاميذ يسوع وسمح لها أن تصحبه فى هذه الجولة . ولا نعرف المزيد عن « سوسنة » فلم يذكر البشير لوقا تفصيلات عنها ، وكانت هناك « كثيرات » بيد أنه يضيف بحسب قوله « كن يخدمنه من أموالهن » . وهذه عبارة هامة حيث توضح لنا إحدى اللمحات القليلة التى نعرف منها كيف كان يسوع يواجه نفقاته أثناء إرساليته . ونقرأ عن الرسل أنه كان لهم صندوق مشترك يأخذون منه لشراء الطعام وتقدم منه العطايا للفقراء (يو ١٣ : ٢٩) ، بيد أنه لم يذكر شيء عن طبيعة تمويل هذا الصندوق . ونعرف من هذا أن هؤلاء النسوة ، أظهرن محبة وعرفاناً بالجميل إزاء ما سبق وعمله يسوع معهن (بالمقارنة مع مر ١٥ : ٤٠ وما بعدها) . ويبدو أنه كان أمراً معتاداً بالنسبة للنساء التقيات أن يساعدن المعلمين الدينيين ، ويتحدث يسوع عن بعض الفريسيين الذين كانوا ينهبون الأرامل (لو ٢٠ : ٤٧) ، أنه لمما يسعد ويثلج الصدر أن نقرأ عن هذه المجموعة من النسوة اللواتى كن يساعدن يسوع . ويجدر بالذكر أن الأناجيل لم تذكر أية إمرأة صدر منها ما يسيء إلى يسوع ، فكل أعدائه كانوا من الرجال .

س — مثل الزارع (لو ٨ : ٤ — ١٥)

والقسم الثانى الذى أخذه لوقا عن مرقس يبدأ هنا ويستمر حتى (لو ٩ : ٥٠) . وثمة اتفاق عام على أن المثل الذى يبدأ به القسم والذى أعطيت له أهمية فى الأناجيل الثلاثة المتشابهة يشكل إلى حد ما نقطة تحول . كانت الجماهير تحتشد حول يسوع . وأصبح يسوع من الوعاظ ذوى الشعبية العارمة ، ولكنه لم يكن يتطلع إلى مجرد ولاء مصطنع ، ولذلك أكثر من استخدام الأمثلة والقصص التى كان يفهمها فقط أولئك الذين كان لهم استعداد

لقبولها . وكانت الأمثال تتطلب إعمالاً للفكر وحماساً روحياً . إذ كانت تفصل بين ذاك الذى يبحث عن يسوع بإخلاص وذاك الذى كان يسمعه عرضاً . إتجه البعض فى سابق الزمان إلى تفسير الأمثال تفسيراً رمزياً ، أما فى العصور الحديثة فقد اتفق بوجه عام على أن هذا نهج خاطىء . لكن يبدو أن المغالاة فى عدم اللجوء إلى الرموز تطرف أيضاً كما حدث بالنسبة لرفض التفسير الذى أعطى لهذا المثل فى الأناجيل الثلاثة المتشابهة . وعلى أية حال ، فإنه من المعروف أن العهد القديم ، واليهودية المعاصرة والكنيسة الأولى قد استخدموا كلهم الرمز ، ولا مبرر على الإطلاق ألا يستخدم يسوع بعض الرمز أيضاً . والعلماء المحدثون كانوا على حق فى التحول عن الإفراط فى الرمزية الذى يرضى الروحيين . بيد أنه عندما يصل الأمر إلى القول بأن معظم التفسيرات الخاصة بالأمثال الواردة فى الأناجيل لم يذكرها المسيح بل بدأت بالكنيسة الأولى ، فهذا موضوع آخر . وكما يذكرنا تاسكر Tasker .

٤ : لا يخبرنا البشير لوقا على وجه الدقة أين قال يسوع هذا المثل . وقد جاءت فترة أصبحت شعبية يسوع فيها عريضة طاغية . وهذا واضح فى قول البشير : « اجتمع جمع كثير أيضاً من الذين جاءوا إليه من كل مدينة » .

٥ ــ ٧ : الزارع الفلسطينى ينثر البذار أولاً ثم يحرث بعد ذلك (وهو لا زال يفعل هذا) . لقد سقط بعض الحب « على الطريق » وربما تشير هذه العبارة إلى أن الزارع خطط أن يحرث الحب الذى سقط على الممر ، على الرغم من أن الإشارة إلى أنه « إنداس » ترجع إلى أن ذلك كان الطريق العادى . وفى الحالتين تستطيع الطيور أن تأكل الحب . أما « الصخر » فقد يعنى الأرض الصلبة حيث تغطيها طبقة خفيفة من التربة دون عمق يحفظ لها الرطوبة . ولذلك سرعان ما يجف الزرع الذى ينمو عليها . أما « الشوك » فيدل على نباتات شائكة تنمو بكثرة . كما أنها تنمو أسرع من القمح وتخنق الحنطة الجيدة .

٨ : وبعكس البذار السابقة ، سقط آخر على الأرض الصالحة ، فأعطى ثمراً كثيراً . يتحدث البشيران متى ومرقس عن زرع أنتج ثلاثين وستين ومائة ضعف . بيد أن البشير لوقا يتناول الموضوع باقتضاب ، فهو يقول ببساطة إنه فى الأرض الجيدة أنبتت ثمراً كثيراً . وتنتهى القصة بنداء ذا مغزى « من له أذنان للسمع فليسمع » .

٩ و ١٠ : بدأ يسوع إجابته على طلب التلميذ تفسيراً لهذا المثل بملاحظات عامة . وجعل للتلاميذ وصفاً ، وللآخرين وصفاً مختلفاً .. للتلاميذ « أعطى أن يعرفوا أسرار ملكوت الله » . « والأسرار » هى حقائق لا يستطيع الإنسان أن يكتشفها بنفسه ، ما لم يكشف له الله عنها ، وهذه الكلمة تتردد فى كتابات الرسول بولس ،إلا أننا نجدها فى الأناجيل مرتبطة بالملكوت . وأما « للباقين » فإنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يفهمون . يسمعون الأمثال ، بيد أنهم لا يتعمقون فى معانيها . فالأمثال تكشف الحق ، إلا أنها قد تخفيه أيضاً . تكشف الحقائق لأولئك الذين يسعون لها بصدق ، الذين يتجشمون عناء التعمق تحت السطح كى يكتشفوا المعنى ، بيد أنها تخفى عن ذاك الذى يجد كفايته فى مجرد الإصغاء إلى المثل . وهذه بوضوح هى نتيجة الأمثال ، لكن يسوع يقول إن هذا هو هدفها أيضاً . فالأمثال تشكل كنزاً للمعلومات بالنسبة لأولئك الذين يتشوقون إلى المعرفة ، غير أنها تشكل دينونة بالنسبة لمن يهملها أو لا يسمعها إلا عرضاً .

١١ — ١٥ : أما عن « المثل » ، فإن « كلام الله » هو الكلمة التى تتحدث عن الله ، بل على الأرجح هى الكلمة التى تأتى من قبل الله . والذين على الطريق هم الذين لم يفهموا الكلمة إطلاقاً . لقد سمعوا بيد أنهم لم يبالوا . لقد طمسها الشيطان من أذهانهم قبل أن يؤمنوا . « والذين هم على الصخر » أفضل بقدر يسير ، لأنهم قبلوا الكلمة بفرح (بالمقارنة مع خر ٣٣ : ٣٢ ، مر ٦ : ٢٠) . بيد أنه لم يكن لهم أصل . لذلك فى وقت التجربة يسقطون ويرتدون . « والذى سقط بين الشوك » يشير إلى الذين لهم قدرة على التقدم الروحى . لكن انغماسهم فى مغريات الحياة وملذاتها لا يترك لهم مجالاً لأن يثمروا من الناحية الروحية . وفوق كل هذه النوعيات نجد « الذى فى الأرض الجيدة » . « والقلب الصالح والامين » يتمشى مع كلمة « يحفظونها » . أما بالنسبة للذين « يسمعون » فأولئك الذين يسمعون الكلمة بقلب صالح ، أنهم فعلاً يحفظون الكلمة و « يثمرون » .

وثمة وسيلتين لفهم هذا المثل . فهناك من يرون فيه تشجيعاً للتلاميذ بالمقابلة بين البدايات الصغيرة والمحصول النهائى الوفير . فرغم سقوط البذور على أماكن مختلفة حتى على أماكن ليست منتجة ، إلا أن الناتج النهائى كان عظيم الأثر .

أما الآخرون فيرون أهمية رد الفعل السليم لسماع الكلمة ، إذا ما أخذناها على ضوء المحصول الوفير . أما إذا كان رد فعلنا مثل الطريق ، والصخر أو الأشواك ، فلسوف ننتهى إلى لا شىء . وثمة الكثير مما يقال بالنسبة للرأى الثانى . ويقول تينسلى Tensley إنه بالنظر إلى الأهمية التى أعطيت لهذا المثل وتفسيره فى الأناجيل الثلاثة المتشابهة . أن هذا المثل له أهميته الخاصة ، وعن التفسير يقول « إنه لم يسبق ليسوع أن تناول شخصه ورسالته على هذا النحو من التفسير . فيرى يسوع رسالته كأسلوب للكلام والعمل تتيح للإنسان أعظم فرصة للاستجابة لكلمة الله » .

ع ــ السراج والعطاء (لو ٨ : ١٦ ــ ١٨) .

١٦ و ١٧ : والهدف من إيقاد السراج هو الحصول على النور ، وهكذا لا يمكن أن يُخفى السراج تحت مكيال (بالمقارنة مع ١١ : ٣) أو تحت « سرير » . وتلاميذ المسيح مطالبون بأن يظهروا النور الذى فيهم أمام الناس . وهذا يقودنا إلى فكرة أنه فى الوقت المناسب ما من خفى إلا ويعرف (بالمقارنة مع لو ١٢ : ٢) . وليس مكتوم إلا ويعلن فى يوم الدينونة .

١٨ : هذا المثل يرتبط بمثل الزارع وبمثل الوزنات أيضاً (لو ١٩ : ٢٦) . والاستماع على نحو سليم من الأهمية بمكان ، حتى لا يكون كالبذار التى لم تأت بثمر فى ذلك المثل . واستهدف المثل نفس الدرس هنا مع التذكير بأن « من له سيعطى » . وهذه ليست بالطبع رسالة تشجيع للأثرياء ، بل الارتباط بسماع كلمة الرب . فإذا ما استعملنا ما يعطيه الله يزداد . والكلمات التالية تبين الحقيقة العكسية ، وإذا لم نستعمله ، سنخسر ما نعتقد أنه باق معنا . وهذه خسارة فادحة .

ف ــ أم يسوع وإخوته (لو ٨ : ١٩ ــ ٢١) .

والأناجيل المتشابهة الأخرى (متى ومرقس) ، تضع هذا الحدث قبل مثل الزارع (ولم يقل أحد صراحة أنه كان قبلها زمنياً) . وليس من المرجح أن يكون البشير لوقا قد وصفه هنا لكى يوضح بها الأمثال .. وما كتبه البشير لوقا هو أكثر الأناجيل الثلاثة إيجازاً فهو يحذف تفصيلات مثل « نظر حوله إلى

الجالسين » ، « مد يده نحو تلاميذه » ، إلا أنه يركز على « المثل » ، ويخبرنا أن أم يسوع وأخوته جاءوا كى يروه ، لكنهم لم يقدروا بسبب الجمع . والمفهوم العادى لكلمة « لأخوته » أنهم كانوا أبناء يوسف ومريم . أما اللاهوتيون فى الكنيسة الكاثوليكية فيتمسكون بأن مريم عذراء على الدوام ويفسرون هذه الكلمة بأنها إشارة إلى أبناء يوسف من زواج سابق ، أو ربما لأبناء خالته . وثمة أدلة قليلة تدعم هذه الآراء . وفى إشارة العائلة إلى وجوب تجاوب يسوع معهم نوع من الشعور بالملكية . ولكن يسوع أوضح بجلاء أنه نذر نفسه بالكامل لعمل الخدمة . فأمه وأخوته « هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها » . والإشارة إلى السمع « يسمعون » (والتى لا نجدها فى بشارتى متى ومرقس) تأتى مباشرة بعد مثل الزارع . ولكن التشديد كان على العمل « ويعملون » . فأقرباء يسوع هم أولئك الذين يلتزمون بواجباتهم نحو الله . وهذا ليس معناه التقليل من أهمية الروابط العائلية أو أنه تمكن تجاهلها . فيسوع لم يتبرأ من عائلته . بل كان يفكر فى أمه حتى عندما كان معلقاً على الصليب ، وفى خضم آلامه لفداء البشرية (يو ١٩ : ٢٦ وما بعده) . وما كان يعنيه هو أن واجباتنا نحو الله يجب أن تكون لها الأولوية على أى شىء آخر .

ص ــ انتهار الريح وإسكاتها (لو ٨ : ٢٢ ــ ٢٥).

كثيرون لديهم الاستعداد لتقبل معجزات الشفاء (ربما لشعورهم إن هذه تناسب معرفتنا باضطراب وظائف الأعضاء) ، إلا أنهم يجدون صعوبة فى تقبل المعجزات المتعلقة بالطبيعة ويطالبون بتفسيرات أخرى . وفى قصتنا هذه ، على سبيل المثال ، نجدهم يفضلون القول إن يسوع هدأ التلاميذ لا الأمواج . وهذا الاتجاه فى تناول معجزات السيد المسيح أمر يفتقر تماماً إلى الموضوعية . فإذا ما كان لنا أن نثق فى مصادرنا فلقد أتى صنع يسوع فعلاً بعض المعجزات فى إطار الطبيعة أحياناً . وأعظم معجزة على الإطلاق هى التجسد . فإذا كان الله قد أخذ صورة إنسان فى المسيح يسوع ، فليس لنا أن نتردد فى قبول قصص كهذه . وإذا لم يكن يسوع قد فعل هذا ، فلا مجال لمثل هذا السؤال .

٢٢ و ٢٣ : لا يحدد البشير لوقا هذا الحدث على نحو من الدقة (يقول البشير مرقس إنه كان فى مساء اليوم الذى قال فيه يسوع مثل الزارع) .

لقد دعا تلاميذه أن يعبروا البحيرة . وفيما هم سائرون نام يسوع ، وهذا ما يتفق مع قصة البشير مرقس . ولا بد وأن يسوع كان منهكاً بعد أن قضى نهاره كله فى التعليم . وعلى حين غرة هبت عاصفة ، وبحيرة الجليل معرضة دائماً لعواصف مفاجئة ، حيث تنخفض ٧٠٠ قدم عن سطح البحر ، كما أنها مجاورة لمناطق جبلية . والهواء البارد من المرتفعات كان متوقعاً أن يهب عبر المنحدرات الواقعة جهة الشرق ، ويمكنه أن يغطى البحار فى زمن قصير . وفى هذا الحدث امتلأت السفينة بالماء وكانوا فى خطر مبين .

٢٤ : ولذلك أيقظ التلاميذ يسوع قائلين « يا معلم ، يا معلم إننا نهلك » . ويحذف البشير لوقا العذاب الوارد فى بشارة مرقس « أما يهمك أننا نهلك » . والتوسل الذى ورد فى بشارة متى « يارب نجنى » . إلا أن البشيرين الثلاثة يذكرون أن يسوع انتهر الريح (بالمقارنة مع مز ١٠٦ : ٩) . والفعل الذى استخدمه قد يلمح إلى أنه كانت هناك قوة شريرة خلف العاصفة . وعلى كل فالنتيجة هى ، وصار « هدوء » . فسيادة يسوع على كل العناصر سيادة كاملة مطلقة (بالمقارنة مع مز ٨٩ : ٩١) .

٢٥ : أما استفسار يسوع « أين إيمانكم » ؟ فيشير إلى أنه ما كان للتلاميذ أن يرتاعوا ويسوع معهم . كان عليهم أن يثقوا فيه . وعلى كل فقد كان تصرفهم تصرفاً يليق بمن هم فى محضر الله . لقد « خافوا » و « تعجبوا » ، وتساءلوا من هو هذا؟ وهذا هو السؤال الهام الذى لا يريدنا البشير لوقا أن نغفله .

ق ــ مجنون كورة الجدريين (لو ٨ : ٢٦ ــ ٣٩) .

- طرد الشياطين (لو ٨ : ٢٦ ــ ٣٣) . لقد وقعت هذه المعجزة فى جهة الغالبية العظمى فيها من الأمميين . كان هناك بعض اليهود لكن السواد الأعظم كان من الأمم .

٢٦ و ٢٧ . « كورة الجدريين » ، وهى تمثل لنا مشكلة ، لأن « جرجسة » كانت تبعد أربعين ميلاً جنوب شرق البحيرة ، ويسميها متى البشير كورة الجدريين ، لكن جدرة على بعد ستة أميال وتفصلها منحدرات

اليرموك . والبشائر الثلاثة المتشابهة بها هذه الاختلافات ، بل وبها أيضاً اختلاف ثالث « كورة الجرجسيين » . ويفضل العلامة أوريجون هذا الإسم الأخير ، وهو يرى أن الاسمين الآخرين يشيران إلى أماكن بعيدة جداً . ويعتقد أن الاختلاف فى نطق الاسم راجع إلى أن الكُتّاب لم يكونوا يعرفون بلدة « جرجسة » الصغيرة ولذلك أبدلوها بأسماء يعرفونها . والدارسون فى العصر الحديث يشيرون إلى قرية خرسة Khersa ، ويعتقدون أنها ربما احتفظت بالإسم القديم . وقد يكون هذا صحيحاً ، ولكن الشكوك تظل باقية بأن الإسم موجود فقط فى المخطوطات لأن أوريجون هو الذى ذكره . وإذا كان أى من الإسمين الآخرين صحيحاً ، فيجب أن نفهم أن المدينة المقصودة تقع فى بقعة متاخمة لشاطىء البحيرة . وعندما وصل إليها يسوع قابله رجل به شياطين . لم يكن يرتدى شيئاً وكان يسكن بين القبور .

٢٨ و ٢٩ : كان الرجل هائجا عنيفاً ، ولذلك « رُبط » بسلاسل وقيود (سلاسل فى يديه وقدميه) . ولذلك « قطع الربط » وهذا يوضح مدى قوته . وعندما أمر يسوع الروح النجس أن يخرج منه ابتدأ يصرخ بصوت عظيم ، ويقول كلاماً مماثلاً لما قاله الرجل الذى به روح شيطان والذى ورد ذكره فى (لو ٤ : ٣٤) فيما عدا أنه أضاف قوله عن المسيح « ابن الله العلى » بدلاً من قدوس الله .

٣٠ : سأله يسوع عن اسمه . فأجابه « لجيئون » ، ويبدو أنه كان يريد بذلك أن يقول إن فرقة كاملة من الشياطين امتلكته (والفرقة فى الجيش الرومانى كانت مكونة من ٦٠٠٠ جندى) . ويعتقد البعض أن هذه قد تكون إشارة إلى الفرق الرومانية ، وإن صدمة نفسية لها علاقة بالجنود كانت وراء محنة هذا الرجل .

٣١ — ٣٣ : لقد أدركت الشياطين أنها ستخرج لا محالة من هذا الرجل ، وطلبت ألا ترسل إلى « الهاوية » ، وهى مكان تقيد فيه الأرواح حتى الشيطان (رؤ ٢٠ : ١ وما بعدها) ، وعوض ذلك طلبت أن يؤذن لها بالدخول فى « قطيع خنازير كثيرة كانت ترعى فى جبل مجاور . فسمح لها يسوع بذلك ، فخرجت الشياطين من ذلك الإنسان ودخلت فى الخنازير ، فاندفع القطيع من الجرف إلى البحيرة واختنق . وثمة غموض فى تقبل كيف

تدخل الشياطين فى الخنازير ، ولماذا تصرفت الخنازير على هذا النحو . ونظراً لأننا لا نعرف إلا القليل عما تستطيع الشياطين عمله ، فاعتقد أنه لا يجب علينا أن نثير هذه الأسئلة . والبعض يرى صعوبة أخرى تتمثل فى أن يسوع قد شفى الرجل ولكنه أضر بأصحاب قطيع الخنازير . والإجابة الأساسية على هذا الاعتراض تكمن فى معرفة أن أهمية شفاء الإنسان لا يمكن أن تقارن بقطيع من الخنازير . وهل هناك من يجرؤ على القول بأنه كان من المفروض ترك الرجل لمصيره التعس والحفاظ على القطيع ؟ ويقول فيرر Farrar إن خلاص المنطقة من الشر والفزع الذى كان يسببه ذلك المجنون الخطير ، كان ذا فائدة للمدينة بأسرها تهون معها التضحية بقطيع بل وأكثر . ويجب ألا ننسى أن يسوع لم يكن هو الذى أدخل الشياطين فى الخنازير (فقد اقتصر دوره على السماح لهم) ، ولم يغرق الخنازير فى البحيرة (ولا نجد فى القصة أن يسوع خطط لهلاك الخنازير) .

٢ ــ رد الفعل (لو ٨ : ٣٤ ــ ٣٩) .

ويتعرض البشير لوقا لأثر ونتيجة هذه المعجزة بالنسبة للرجل الذى تدور حوله القصة وسكان المنطقة أيضاً .

٣٤ ــ ٣٦ : هرب الرعاة . وهذا أمر طبيعى ، وأذاعوا الأخبار فجاء الناس ليتحققوا ما جرى بأنفسهم . فوجدوا الرجل الذى خرجت منه الشياطين « لابساً وعاقلاً وجالساً عند قدمى يسوع » . من الواضح أن أمراً غريباً قد وقع ، ولذلك « خافوا » .

٣٧ : ورغم هذه المعجزة العظيمة التى جرت أمامهم إلا أن هؤلاء الناس ، رفضوا أعظم فرصة لاحت لهم فى حياتهم ، كان من المفترض أن يرحبوا بيسوع ويتمسكوا به . « مخلص الناس من الشياطين » . ولكنهم ، على النقيض من ذلك « اعتراهم خوف عظيم » ، وطلبوا من يسوع أن يذهب عنهم . ولذلك تركهم يسوع . وربما كان خوفهم رد فعل للقوى التى تفوق الطبيعة والتى رأوها بكل جلاء عاملة أمامهم . وقد يكون ذلك راجعاً إلى الخسارة المادية المتمثلة فى هلاك الخنازير ، ولو صح هذا الافتراض ، فإنهم يكونون قد رأوا فى يسوع شخصاً مزعجاً ، يهتم بالدرجة الأولى بخلاص الإنسان أكثر مما يهتم

بالنجاح المادى . وكان الأفضل (فى عرفهم) أن يطلبوا منه الرحيل .

٣٨ و ٣٩ : وعلى النقيض من ذلك طلب الرجل الذى نعم بالشفاء من يسوع « أن يكون معه » . لم يكن فى وسعه أن يكون قريباً بما فيه الكفاية من صاحب الفضل عليه ، ذاك الذى أحسن إليه . بيد أنه كان عليه عملاً يؤديه فى مكان آخر . لقد أعاده يسوع إلى بيته وأمره قائلاً : « حدّث بكم صنع الله بك » . وبناء على ذلك مضى وهو ينادى بكم صنع به « يسوع » . والبشير لوقا يريد ألا يفوتنا مغزى هذا الكلام ألا وهو أن ما عمله يسوع هو عمل الرب . والأمر بالتحدث عن المعجزة يناقض الأمر بالصمت حيالها فى موضع آخر (لو ٤ : ٤١) . وقد يكون هذا راجعاً إلى أنه فى هذه البقعة التى تسودها أغلبية وثنية هناك خطر طفيف فى إثارة التصورات المسيانية . ثم أنه ، وقد طُلب من يسوع الرحيل ، أصبحت الحاجة أكثر إلحاحاً من ذى قبل ، بالنسبة لهذه المنطقة أن يتواجد فيها أحد يشهد بعمل الله فيه .

ح ـــ ابنة يايرس (لو ٨ : ٤٠ ـــ ٥٦) .

تذكر الأناجيل الثلاثة المتشابهة معجزة شفاء المرأة نازفة الدم فى وسط قصة يايرس . وتشكل المعجزات تصويراً قوياً للطريقة التى يتم بها يسوع معجزات الشفاء وكيف يفرض سلطانه على الموت .

١ ـــ طلب الشفاء (لو ٨ : ٤٠ ـــ ٤٢ أ) .

ولما رجع يسوع رحب به جمع كبير ، بينهم رجل اسمه يايرس (الاسم فى العهد القديم يائير ، عد ٣٢ : ٤١) . وكان « رئيس المجمع » ، أى أنه كان مكلفاً بالإشراف على الترتيبات اللازمة للصلوات والخدمات التى تؤدى فى المجمع . وكان عليه مثلاً ، أن يختار الذين يقودون الصلاة ، أو من يقرأون الكتاب ومن يقومون بخدمة الوعظ . وعلى هذا فهو رجل من رجالات المجتمع . ركع هذا الرجل أمام يسوع « فطلب إليه أن يدخل بيته » ، فقد كانت له « بنت وحيدة » (ولم يذكر إلا البشير لوقا هذه المعلومة) ، وكان سنها « اثنتى عشر سنة » وكانت فى « حال الموت » . ولم يذكر البشير لوقا أى طلب محدد ، بل كانت كلمات يايرس تتضمن « التماس الشفاء » . ويقول

البشير مرقس إنه طلب من يسوع أن يضع يده عليها لتشفى . بيد أن المشكلة تأتى فيما ذكره البشير متى ، من أن يايرس قال « ابنتى الآن ماتت ، لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا » . وهذا الاختلاف يمكن تفسيره ، لا بمناقضة ما ذكره البشيران مرقس ولوقا بل بمعرفة أنه راجع إلى الطريقة المختصرة للغاية التى سرد بها متى هذه القصة . فالبشيران الآخران قالا أولاً إن يايرس أتى أولاً إلى يسوع وأخبره أن ابنته على وشك الموت . وبعد ذلك جاء من يقول إنها قد ماتت . ويوجز البشير متى القصة بدمج القولين فى معنى واحد .

٢ ــ المرأة نازفة الدم (لو ٤٢ ب ــ ٤٨) .

وهنا حدث تدخل لا بد وأنه أثار مشاعر الإحباط لدى يايرس ، على الرغم من أن البشيرين لم يذكرا كلمة واحدة بهذا الخصوص .

٤٢ ب ــ ٤٤ : وفى الشوارع الضيقة لأية مدينة قديمة ، لا بد وأن يصاحب احتشاد الجماهير تزاحم وضغط شديدين . ويذكر البشير لوقا قول التلاميذ ليسوع ، إن الجماهير « يضيقون عليك ويزحمونك » . وهذا هو نفس الفعل الذى استخدمه البشير لوقا بالنسبة للشوك الذى يخنق الحنطة فى مثل الزارع (لو ٨ : ١٤) . ولا بد وأنه كان تزاحماً وضغطاً شديدين . وكانت بين الجماهير إمرأة مريضة « بنزف دم منذ اثنتى عشر سنة » . وكان هذا المرض بغيضاً ، وخيم العواقب من الناحيتين البدنية والاجتماعية . ولأن هذا المرض يعتبر نجاسة من الناحية الطقسية (لا ١٥ : ٢٥) ، فإن من يصاب به غير مسموح له أن يشترك فى العبادة فى المجمع وما إلى ذلك . ونجاسته تنتقل إلى الآخرين (ولمسة واحدة كفيلة بذلك ، لا ١٥ : ٢٧) . ولذلك كانوا يتجنبون هذه المرأة حتى لا يتنجس أحد من لمسها ، الأمر الذى ، رغم أنه يعتبر حالة مؤقتة ، إلا أنه كان يسبب الكثير من المضايقات . وقد تكون طبيعة مرضها هى التى فرضت عليها أن تلمس يسوع فى الخفاء . ولو كانت قد جاءت علانية ، لواجهت مشكلتين . أولاً : لم تكن الجماهير لتسمح لها أن تقترب من يسوع (أما فى وسط الزحام فهذا أمر ميسور) ، وثانياً : كان عليها أن تخبر يسوع عن مرضها (الذى تريد الشفاء منه) أمام الجمع كله . ولقد اختارت ، وهى تذوب خجلاً ، أن تلمس يسوع سراً . ولم يذكر لنا البشير لوقا ، على عكس مرقس ، أنها « قد تألمت كثيراً من أطباء كثيرين » ،

وكذلك لم يذكر أنها « أنفقت كل ما عندها ولم تنتفع شيئاً . بل صارت إلى حال أردأ . وقد يكون هذا أمراً طبيعياً لو كان من الأطباء . ثم أنه حذف أيضاً المعلومة التى تفيد أن سبب مجيئها وراء يسوع فى وسط الجمع أنها قالت « إن مسست ولو ثوبه شفيت » . فالبشير لوقا يركز على الشفاء . لقد لمست المرأة « هدب ثوبه » . و « الهدب » هو الشرابة التى على حافة القماش الذى كان يلقى على الكتف الأيسر ويتدلى على الظهر (الشال) (عد ١٥ : ٣٨ وما بعدها) . ولا يجب الإعتقاد أن المقصود هو الهدب الذى فى أسفل الثوب ، حيث كان من المتعذر أن تصل إليه المرأة فى مثل تلك الملابسات ، وحال لمسها هدب ثوبه « وقف نذف دمها » .

٤٥ : لقد سأل يسوع « من الذى لمسنى » . وقد يبدو هذا سؤالاً غريباً بالنسبة لأى شخص فى وسط هذه الجماهير الحاشدة حيث يزاحم الناس بعضهم بعضاً . وعلى كل ، لقد أنكر الجميع هذا . ربما اندفع البعض يزحمون يسوع ويضيقون عليه ، بيد أنهم لم يحاولوا أن يلمسوه . وهكذا كان كل واحد يدرك أنه ليس الشخص الذى يبحث عنه يسوع . وكالعادة تطوع بطرس بتوضيح أن الجموع كانوا يزحمون يسوع ويضيقون عليه . وما يعنيه بطرس بكلامه واضح أى أن كثيرين لمسوا يسوع فلا معنى لهذا السؤال .

٤٦ : لكن يسوع أصر على سؤاله وقال « لأنى علمت أن قوة قد خرجت منى » (بالمقارنة مع لو ٦ : ١٩) . وثمة سر فى هذا . هل تستطيع قوة أن تخرج من يسوع عند أية لمسة ؟ وهل فى الإمكان أن تخرج قوة على هذا النحو ولا يعرف يسوع من استقبل هذه القوة ؟ وماذا كان وراءها ؟ هذه أمور غير معقولة . لكن من السهل علينا أن ندرك أن يسوع قد عرف تماماً ما حدث . وهذا يتضح من معنى قول البشير بعد ذلك « رأت المرأة أنها لم تختف » (٤٧) لقد أراد أن تفصح المرأة عن نفسها . وثمة أكثر من سبب لذلك . ومن الأفضل لها ، بل إنها فى حاجة أن يعرف الجميع أمر شفائها . فكل معارفها لا بد وأنهم كانوا على دراية بنجاستها الدائمة طبقاً للشريعة . وإذا كان لها أن تعود لممارسة واجباتها الدينية والاجتماعية العادية فمن المحتم إذاً أن يعرف الجميع بأمر شفائها . ولذلك عمل يسوع على أن يعرف الجمع ما حدث . وربما أراد أن يفعل المزيد لصالح هذه المرأة . ومن الصعوبة بمكان إنكار وجود عنصر من الخرافة فى

فكرتها أن لمسة لهدب ثوب المسيح تحقق لها الشفاء . وعندما تحادث معها يسوع استطاع أن يعرفها أن إيمانها كان العامل الأهم فى الموضوع كما تمكن من إقامة علاقة شخصية معها . ويبدو أن الكلمات تشير أيضاً إلى أن يسوع لا يشفى دون أن يتحمل هو نفسه شيئاً ما . لقد خرجت قوة منه .

٤٧ : أدركت المرأة أنها لم « تختف » اعتقدت أنه يمكنها أن تلمس يسوع وتشفى ، وتعود أدراجها دون أن يدرك أمرها أحد . والحق ، أنها ربما قد بدأت فى العودة ، وذلك واضح من كلمة « جاءت » . لقد أدركت أن يسوع كان يعرف كل شيء ولم يكن أمامها إلا أن تتقدم إليه . بيد أنها فعلت ذلك « مرتعدة » مضطربة . هل ارتكبت خطأ بلمسها يسوع ؟ هل يسحب منها الشفاء وتعود كما كانت ؟ وماذا يعتقد كل هذا الجمع ؟ لا بد وأنها كانت لحظة سيئة بالنسبة لها . لكن يسوع تمهل ، ولذلك تقدمت وخرت له وأخبرته « قدام جميع الشعب » ما فعلت ، والسبب فى ذلك وكيف برئت . لقد كان هذا اعترافاً كاملاً . الجميع الآن يعرفون أنها قد برئت .

٤٨ : خاطبها يسوع برقة قائلاً لها « يا ابنة » . لقد كانت المرأة الوحيدة التى سجل الإنجيل أن يسوع خاطبها بهذه الطريقة . ثم استطرد وأشار إلى أن إيمانها قد شفاها ثم قال لها « إذهبى بسلام » . وباستثناء كلمة « إبنة » . فالكلمات مطابقة لما قيل للخاطىء فى (لو ٧ : ٥٠) ، وثمة اختلاف طفيف فى إحدى الترجمات ، بيد أن الترجمة اليونانية تتفق مع هذا تماماً .

٣ ــ إقامة ابنة يايرس من الموت (٨ : ٤٩ ــ ٥٦) .

لقد أدى اللقاء العارض إلى تأخير وصول يسوع إلى بيت يايرس . لكنه لم يمنعه تماماً ، واستمر لوقا يبين كيف أقيمت تلك الصبية الصغيرة .

٤٩ : يعرفنا كل من البشيرين مرقس ولوقا أنه بينما كان يسوع يتحدث مع المرأة وصلت أخبار من بيت يايرس أن ابنته قد ماتت ، ثم استطرد الرسول قائلاً : « لا تتعب المعلم » . ربما لم يعرف أن سلطان يسوع يمتد إلى ما وراء الموت . وهنا نجد فى الكلام « ليس هناك من داع لأن يأتى إلى المنزل » ، فهماً وتقديراً لمشغولية المعلم لكننا تلمح أيضاً محدودية للإيمان والفهم .

٥٠ : لم ينطق يايرس بكلمة واحدة ، لقد سمع يسوع ما قيل له وأخبره للتو ألاّ يخاف وقال له « آمن فقط ، فهى تشفى » ، وإذا تأملنا زمن الفعل فى اللغة اليونانية فإننا نجد أن كلمة آمن تعنى شيئاً ما مثل : إعمل عملاً يدل على الإيمان ، أو ضع ثقتك فىّ . ولو أنه لا ينبغى أن نتجاهل الفعل الذى استعمله الرسول مرقس فى المضارع « كن مؤمناً على الدوام » ، وكلاهما يشددان على أهمية الإيمان فى هذه اللحظة . وبكل تأكيد أوضح يسوع لرئيس المجمع ، أن عليه بالإيمان أن يواجه المصيبة التى ألمت به . فلن ينفعه سوى الإيمان .

٥١ : المعجزة السابقة وقعت دون أن يراها أحد ، لكن يسوع أصر على إعلانها بطريقة علنية ، وكان هذا كما علمنا ، تعبيراً عن اهتمامه بالمرأة . وقد اهتم أن لا تجد الصبية الصغيرة نفسها عند إقامتها من الموت أمام جماهير تحملق فيها . ولم يسمح يسوع لأحد بدخول البيت معه ما عدا ثلاثة من تلاميذه المقربين ووالدى الصبية . وهذه أول مرة يختار فيها يسوع بطرس ويوحنا ويعقوب دون بقية التلاميذ وبهذه الطريقة ، بيد أن هؤلاء الثلاثة ظهروا أيضاً فى مناسبات أخرى . وبالنسبة لترتيب ذكر أسمائهم (بالمقارنة مع لو ٩ : ٢٨ ، أع ١ : ١٣ ، فلقد سبق يعقوب يوحنا فى (لو ٥ : ١٠ ، ٦ : ١٤ ، ٩ : ٥٤) .

٥٢ و ٥٣ : ليس من الواضح مَن المقصود بكلمة « الجميع » فى قول البشير « وكان الجميع يبكون عليها ويلطمون . فلا بد أن من بينهم الجيران وأفراد العائلة وباستثناء الوالدين اللذين كانا مع يسوع . وكما سبق ورأينا فى لو ٧ : ١٢ كانت العادة تلزم وجود نادبات محترفات وأنه ، وكما سبق وتحدث البشير متى عن العازفين على المزمار ، يبدو وأنهم لم يدخروا وسعاً فى القيام بمهتمهم التى يتكسبون منها . وإلى أولئك الذين كانوا يعلنون حزنهم بهذه الطريقة المزعجة قال يسوع « لا تبكوا » توقفوا عن النواح (لا تبكوا ، يستخدم تركيباً يعنى التوقف عن الاستمرار فى عمل كان مستمراً من قبل ، بينما الفعل يشير إلى حزن مصحوب بضجة ، وليس دموعاً فحسب) . وشرح يسوع سبب قوله : « لم تمت لكنها نائمة » . والبعض يقولون ان هذه العبارة يجب أن تؤخذ بحرفيتها ويشعرون أن تحليل يسوع للموقف أدى به إلى نتيجة

نتيجة مفادها أن الصبية كانت لا تزال فى الواقع على قيد الحياة . ومع ذلك فإن من الصعب التوفيق بين هذا الرأى وبين ما ذكره لوقا صراحة ، « عارفين أنها ماتت » (لا مجرد معتقدينَ) ، أنها ماتت ، ومع كلماته التالية « فرجعت روحها (٥٥) » . ومن الأفضل أن نفهم الكلمة على أنها تعنى أن ما يعتبره الناس موتاً هو فى نظر يسوع مجرد نوم (بالمقارنة مع يو ١١ : ١١ — ١٤) . وفى العهد الجديد لا يقال مطلقاً عن المسيحيين أنهم ماتوا بل ناموا (بالمقارنة مع أع ٧ : ٦٠) . ومع ذلك قوبلت كلمات يسوع بضحك وسخرية (ومن العجيب أن هؤلاء النادبات هن فقط ودون غيرهن فى العهد الجديد كله الذين قيل عنهن صراحة أنهم « ضحكن ») . لقد عرفن أن الصبية ماتت قبل أن يدخل يسوع إلى البيت .

٥٤ و ٥٥ : وربما عند هذه النقطة دخل يسوع إلى الحجرة التى كانت الميتة مسجاة بها . وأمسك بيدها ونادى قائلاً « يا صبية قومى » . ولقد احتفظ البشير مرقس بالكلمات الآرامية التى كانت تستعملها أم الصبية عندما تنادى عليها فى الصباح . والرسول لوقا يترجم عادة المصطلحات الآرامية . وهذا هو ما عمله هنا . واستطرد يصف المعجزة بعبارات بسيطة للغاية : « فرجعت روحها وقامت فى الحال » . وأمر يسوع أن تعطى شيئاً لتأكل . وحتى فى وقت المعجزة المذهلة لم ينس يسوع أهمية التفصيلات العملية . وتظهر الكلمات مرة أخرى اهتمامات يسوع بالاحتياطات العادية لأولئك الذين يتعامل معهم .

٥٦ : وينهى البشير لوقا القصة ، كعادته ، بما نجم عن المعجزة من تأثير . « فبهت والداها » . وأوصاهما يسوع ألا يقولا لأحد عما كان . ولا يمكن أن يقصد بذلك ألا يعلم أحد عن المعجزة . وعلى كل فلقد كان فى المكان زمرة من النادبات ، كن يتوقعن الإشتراك فى جنازة ، وكان لا بد من اخبارهن أنه لن يتم شيء من هذا القبيل . وربما أراد يسوع أن يحول بين والدى الصبية وبين ميل طبيعى للخوض فى حديث مستمر عن المعجزة العجيبة التى وقعت أمامهم . لقد كان من الأفضل لهما أن يركزا على ما فيه صالح ابنتهما . وما من حاجة إلى الإعلان عن هذه المعجزة .

ش — إرسالية الإثنى عشر (لو ٩ : ١ — ٦) .

يقول البعض (مثل بولتمان ، Bultmann) ، إن هذه الجولة التبشيرية ليست حقيقة تاريخية . ويقولون إن الكنيسة الأولى فى محاولة لإثبات صحة ممارساتها أرجعتها إلى أيام المسيح . ومع ذلك ، فهذا كلام غير موضوعى ، ويشير آخرون إلى أنه ليس ثمة مبرر للإعتقاد أن يسوع لم يرسل تلاميذه فى هذه الإرسالية . فثمة مؤشرات على أن خدمته فى الجليل لن تستمر طويلاً . وكانت الحاجة تدعو إلى نشر رسالة الملكوت من جهة ، وإعطاء التلاميذ فرصة للتدريب من جهة أخرى .

١ : أولاً ، دعا يسوع تلاميذه الإثنى عشر . ولا يجب أن نبالغ فى طول المدة التى قضاها التلاميذ معاً . فبعضهم كانت لهم بيوت وعائلات فى كفر ناحوم ولا يجب أن نتشكك فى أنهم كانوا يمضون بعض الوقت فى منازلهم . بيد أنه فى هذه المناسبة الهامة استدعاهم يسوع جميعاً ، وتقول لنا الأناجيل المتشابهة الأخرى إن يسوع أعطى تلاميذه « سلطاناً » ، لكن البشير لوقا يدعم الكلام بالإشارة إلى « قوة » ، أيضاً ويعرفنا ، أن هذا السلطان وتلك القوة كانت « على جميع الشياطين » . ومع هذه القوة أعطاهم سلطاناً أيضاً على « شفاء أمراض » . وهكذا تجهزوا بما فيه الكفاية بالقوة والسلطان على استخدام ما أعطاهم المسيح من قوة إعجازية .

٢ : وبعد أن تجهزوا على هذا النحو أُرسلوا (« اثنين اثنين » كما يقول مرقس) . أرسلهم يسوع كى « يكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى » . ومن الواضح أن هذه الإرسالية امتداد لرسالته الشخصية ، لأن هذه الأعمال هى التى كان يعملها هو . لقد كان عليهم أن يهتموا باحتياجات الناس الزمنية والروحية .

٣ : كان على الرسل الاثنى عشر أن يسافروا دون أن يأخذوا معهم شيئاً البتة . قال لهم يسوع « لا تحملوا شيئاً » . وعليهم أن يوجهوا كل اهتماماتهم للمهمة التى كلفوا بها ، وليس على تفاصيل الإعداد لها . كان عليهم فى الواقع أن يضحوا حتى بما كان يعتبر استعدادات عادية للرحلة . وسيدبر لهم الله احتياجاتهم وعليهم أن يثقوا فيه ويتكلوا عليه . وهذه الثقة تأكدوا بعد ذلك

من فاعليتها (لو ٢٢ : ٣٥) . وثمة مشكلة بالنسبة لكلمة « لا عصا » ، لأنه ، فى المقام الأول ، ليس من السهولة أن نعرف كيف أن هذا سيعوق بأى حال فاعلية مهمتهم من ناحية التبشير وشفاء الأمراض ، ثم إنه بالنسبة لما جاء فى بشارة مرقس كان عليهم ألاّ يحملوا شيئاً سوى « عصا فقط » (مر ٦ : ٨) . ولقد بذلت محاولات عديدة للتوفيق بين النصين ، منها . ما قيل مثلاً عن أن البشير لوقا يقصد « لا عصا إضافية » (ولكن ، لماذا يحتاجون إلى عصا إضافية ؟) ، أو أن لدينا ترجمات مختلفة لأصل آرامى (ربما كان موجزاً ويجب أن يستوفى بأكثر من طريقة) . إلا أنه حتى الآن لم يظهر تفسير مرضى ومقبول . أما أخذ المعنى على المحملين معاً فهذا يعنى « اذهبوا كما أنتم » ، أى أن يسوع كان يطلب منهم ألا يعملوا استعدادات خاصة لهذه الرحلة . و « الكيس » هو « حقيبة سفر » . وحيث أنهم لن يقوموا بأية ترتيبات فلا حاجة بهم إلى حقيبة . فالمهمة عاجلة ، وعليهم أن يذهبوا للقيام بها . ومع ذلك ، فالبعض يرى أن كلمة « كيس » تعنى شيئاً مثل حقيبة الشحاذ (المتسول) التى كان يستعملها على سبيل المثال ، الوعاظ المتجولون من طائفة الفلاسفة الكلبيين التى كانت فى اليونان قديماً . ويبدو أن بعضهم كان يحقق كسباً كبيراً بالظهور للجماهير بهذه الوسيلة . أما رسل المسيح فما كان لهم أن يقلدوا هؤلاء . ومنع أخذ ثوب ثان يتلاءم مع بقية التعليمات . وما كان لهم أن يعملوا حتى أبسط الاستعدادات لرحلتهم ويربط إدرشيم Edersheim كل هذا بالقاعدة التى كان يتّبعها معلمو اليهود ، أنه لا يجب على أحد الدخول إلى فناء المعبد بعصا أو حذاء أو كيس . « والمبررات الرمزية لجوهر هذا الأمر هى ، فى كلتا الحالتين ، قد تكون واحدة : تجنب مجرد الظهور بمظهر من يهتم بعمل آخر ، فى حين يجب أن يكرس الكيان كله لخدمة الرب .

٤ : لقد عرفنا الآن كيف سيعالون . فى كل مكان يزورونه عليهم أن يدخلوا بيتاً واحداً « ويقيموا هناك » . ولسوف يتواجد من هو مهتم وكريم إلى الدرجة التى يقدم لهم كل ما يحتاجونه . وعليهم ألا يذهبوا إلى بيوت أخرى . وعندما يغادرون المدينة كان عليهم أن يفعلوا ذلك من نفس البيت الذى جاءوا إليه أولاً : وتحديد استضافتهم فى بيت واحد وضع حداً لطول بقائهم فيه .

٥ : وبعد ذلك أعطاهم يسوع تعليمات بشأن ما يجب عليهم عمله إذا لم يقبلهم أحد . فما عليهم سوى أن « ينفضوا الغبار » عن أرجلهم . وكانت هناك فكرة سائدة بين معلمي اليهود مؤداها أن غبار أراضي الوثنيين دنس يجب تجنبه . وقيل إن اليهود المتعصبين كانوا يزيلون الغبار من أحذيتهم عند عودتهم من الخارج إلى فلسطين . أما نفض التلاميذ الغبار عن أرجلهم فهذا « شهادة عليهم » . وهو أمر يرمز إلى أن الإسرائيليين الذين يرفضون الملكوت لا يفضلون الوثنيين . ولا ينتمون إلى شعب الله (ولتطبيق هذا انظر أع ١٣ : ٥١) .

٦ : ويذكر البشير لوقا أن التلاميذ نفذوا ما أمروا به . فقد « كانوا يجتازون فى كل قرية » ، وهذه إشارة إلى جولة واسعة شملت مدناً وقرى كثيرة ، ولا يذكر البشير لوقا التفصيلات ، بيد أنه يخبرنا فعلاً أنهم كانوا يبشرون ويشفون . أما وأنهم فعلوا هذا فى « كل موضع » فهذا يشير إلى أنهم ذهبوا إلى أماكن كثيرة .

ويجب أن نضيف أن التعليمات الواردة هنا لم يكن المقصود تطبيقها بصفة عامة . لأنه فى وقت لاحق قال يسوع لتلاميذه من له كيس فليأخذه ومزود كذلك (لو ٢٢ : ٣٦) . فما كانت هذه التعليمات لتطبق إلا على هذه الإرسالية وحدها .

ت ــ هيرودس رئيس الربع (لو ٩ : ٧ ــ ٩) .

وبينما توجه التلاميذ يؤدون مهمتهم ، بدأ لوقا يحدثنا بإيجاز عن هيرودس ، رئيس الربع . لقد سمع هذا الرجل عن يسوع وتملكته ريبة وداخلته الشكوك .

٧ و ٨ : بالنسبة لـ « هيرودس رئيس الربع » انظر ملاحظاتنا عن لو ٣ : ١ و ١٩ . لقد كان والياً على الجليل حيث عمل يسوع معظم معجزاته ، ولذلك اهتم بكل ما وصله من أخبار عن يسوع . فأربكه ما سمعه . إعتقد بعض الناس أن يسوع هو يوحنا المعمدان وقد قام من الأموات . ويخبرنا البشيران متى ومرقس أن هذا كان رأى هيرودس نفسه وقد يعنى البشير لوقا أنه انتهى أخيراً إلى ذلك ، وآخرون قالوا عن يسوع إنه « إيليا أو نبى آخر من القدماء » . وكل هذه قد تعنى آراء وتكهنات حول المسيح ، لأن إيليا

كان من المتوقع أن يسبق المسيح (ملا ٤ : ٥) ، واعتقد اليهود أن أنبياء آخرين سيأتون أيضاً . ومن الواضح أن إرسالية المسيح أثارت كثيراً من الاهتمام ، وتسببت فى كثير من الأقاويل . ومن المرجح بالأكثر أن هيرودس قد سمع أيضاً عن مجموعة المبشرين من الرسل الذين انطلقوا يبشرون باسم المسيح . ولكن على الرغم من كل ما قيل عن يسوع ، وكل ما أبدوه من اهتمام ، إلا أن الناس لم يستطيعوا أن يعينوا « من هو يسوع » .

٩ : كان هيرودس يحدث نفسه قائلاً : « أنا قد قطعت رأس يوحنا » . أما وإنه رجع ثانية للتفكير فى يوحنا بعد أن فحص الآراء الأخرى بدقة فهذا يشير إلى أن الفكر القائل بأن المعمدان ربما قام من الأموات أزعجه كثيراً . ربما كان ضميره يعذبه كلما فكر فى ذلك الرجل التقى الورع . ولذلك طلب أن « يراه » (أى يرى يسوع) بنفسه ، ربما ليتأكد ما إذا كان هو يوحنا .

ث ــ إطعام الخمسة آلاف رجل (لو ٩ : ١٠ ــ ١٧) .

وهذه هى المعجزة (باستثناء القيامة) التى ذكرت فى البشائر الأربعة جميعاً . ومن الجلى أنها كانت تروق بصفة خاصة للكنيسة الأولى . بيد أن البعض فى عصور قريبة استصعبوها . واقترحوا أنها ربما تكون قد حدثت فى أذهان الناس فقط . وعندما استعد تلاميذ المسيح لمشاركة الآخرين فيما لديهم ، خجلوا من أنفسهم وقدموا الطعام الذى كان فى حوزتهم ، بيد أنهم عزفوا عن المشاركة فيه . وعندما فعلوا هذا تبين وجود طعام أكثر مما يكفى الجميع . واعتقد آخرون أنها كانت وليمة رمزية ، مثل العشاء الربانى ، ويشيرون إلى تشابه اللغة مع تلك التى استعملت للعشاء الربانى . والمشكلة بالنسبة لهذه الآراء هى أنها كلها آراء شخصية ليست موضوعية ، بأى شكل من الأشكال . وما لم يكن فى المعجزة أكثر من هذا ، فمن الصعوبة بمكان أن نعرف كيف أن هذه القصة تركت بصمتها على التقليد الكتابى وعلى الكنيسة الأولى (بالمقارنة مع الفكرة الرئيسية للأرغفة والسمك فى الفن المسيحى) . وهذه الأفكار لم يذكرها أى من البشيرين . فكلهم وصفوا معجزة ، ومن المستحيل أن ننتقص من الحدث ، وننزل به إلى مستوى الأفكار البشرية العادية . وهذا لا يعنى أن المعجزة لم تكن رمزية . فيحدثنا الرسول يوحنا

عنها باعتبارها آية (أو علامة) ويجب أن يؤخذ هذا المعنى بجدية تامة . لقد أوضحت المعجزة حقيقية أن الله فى المسيح يسد كل حاجة بل ويمكننا أن نتقبل الرأى القائل أنه كان هناك شىء خاص بالنسبة لهذه الوليمة . ربما كانت تمثل توقعاً للوليمة المسيانية Messianic banquet حفل المسيا مع شعبه ، أو ربما كان معناها حفلة وداع لأن يسوع أدرك أنه لن يكون فى استطاعته التحرك بحرية فى الجليل لفترة أطول . بيد أن مثل هذه المعانى لا يجب الأخذ بها إلى الحد الذى يحجب الناحية الإعجازية فيها .

١٠ : لقد رجع الرسل فى الوقت المناسب وأخبروا يسوع بما فعلوا ، إنها لبادرة أخرى تنم عن محبة يسوع وحنانه العظيم ، أنه بعد رحلتهم الشاقة ، أخذهم جميعاً إلى مكان هادىء لينالوا قسطاً من الراحة . لقد ذهبوا إلى مدينة « بيت صيدا » ، وقد يعنى هذا أنهم ذهبوا إلى أقرب منطقة عامة مجاورة للمدينة ، لأن البشير لوقا يصفها بقوله : « موضع خلاء » (١٢) ، وهكذا لم تكن المدينة نفسها .

١١ : وربما شعر التلاميذ بخيبة أمل ، لأنهم بعد أن عبروا البحيرة وحدهم قاصدين مكاناً منعزلاً يتجمعون فيه . إلا أنهم فوجئوا بأنهم أمام حشد كبير (ومن بشارة مرقس نعرف أن البعض سبقوهم ولذلك كانوا فى انتظارهم عند نزولهم مع يسوع من السفينة) . إنه أمر غريب أن تتبع الجموع يسوع عبر البحيرة . وكان الأيسر لهم لو انتظروا عودته كما فعلوا فى مرة سابقة (لو ٨ :٤٠) . لكن بيت صيدا تقع خارج نطاق سلطة هيرودس ، وربما قام هيرودس بعمل لم يذكره الإنجيل جعل الناس يعرفون أن يسوع قد لا يظهر ثانية فى الجليل . ربما لم يكن قد مضى على موت المعمدان وقت طويل . وهذه الجريمة أظهرت للناس مدى عداوة هيرودس لمثل هذه الموضوعات التبشيرية التى أصبح يسوع وتلاميذه أيضاً مستغرقين فيها . ولذلك خرجت الجموع لتقابله . ورغم أن يسوع كان ينشد مكاناً منعزلاً ، إلا أنه لم تصدر منه أية بادرة تنم عن ضيقه أو تبرمه من الجماهير . وعلى العكس من ذلك فقد « قبلهم » . واستمر فى العمل الذى كان يعمله بواسطة تلاميذه ، لقد « كلمهم عن ملكوت الله والمحتاجون إلى الشفاء شفاهم » .

١٢ : ولا نعرف متى بدأ كل هذا ، بيد أن ذلك استمر بقية النهار .

وقرب المساء رأى التلاميذ أنه قد آن الوقت لاتخاذ موقف . ولذلك طلبوا من يسوع أن يصرف الجمع ، لأنه فى الموضع الخلاء ، حيث كانوا ، لا يوجد طعام ، وكان على الجمع أن يذهب إلى القرى المحيطة إذا ما كانوا يريدون أن يأكلوا .

١٣ : لقد أجاب يسوع بأن طلب من التلاميذ أن يقدموا للجمع ما يحتاجه ، وكلمة (أنتم) ، تأكيد لذلك . بيد أنهم قالوا إنه ليس معهم أكثر من « خمسة أرغفة وسمكتين » . ولقد عرفنا من بشارة يوحنا ، أن الأرغفة كانت من شعير (طعام المعدمين) ، وأن اندراوس وجدها مع صبى صغير . (ومن الواضح أنها كانت طعام ذلك الصبى) . ولكن ، ماذا كانت تعمل هذه الأرغفة الخمسة والسمكتان بالنسبة لهذا الحشد الغفير . كان الإقتراح البديل لصرف الجموع هو ما عرضه التلاميذ بقولهم « إلا أن نذهب نحن ونبتاع طعاماً » . لكن التلاميذ رأوا فى هذا أمراً مستحيلاً ، أولاً من ناحية أنهم على مسافة بعيدة من الأمكنة التى يمكن شراء الطعام منها ، وثانياً : لأنه تعوزهم النقود اللازمة للشراء (وقال فيلبس أنه لا يكفيهم خبز بمائتى دينار ، يو ٦ : ٧) .

١٤ و ١٥ : هنا يخبرنا البشير لوقا أنهم كانوا « نحو خمسة آلاف رجل » . (وكلمة « نحو » تشير إلى أن العدد لا يشمل النساء والأطفال ، على الرغم من أنه قد يكون عددهم كبيراً) . لقد طلب يسوع من التلاميذ أن يتكئوهم فرقاً خمسين خمسين ، ومن الواضح أنه قصد بذلك سهولة توزيع الطعام .

١٦ و ١٧ : بدأ يسوع بنفس الطريقة التى يبدأ بها اليهود طعامهم . أخذ الطعام « وباركهن » حيث كان ينظر صوب السماء . والفعل « باركهن » لا يعنى أن يسوع بطريقة ما أعطى بركة لهذه الأشياء المادية . فلا يوجد هذا المعنى فى أى جزء من الكتاب المقدس . والمعنى هو أن يسوع صلى صلاة شكر ، وهى صلاة لا بد وأن تبدأ بعبارة « لك البركة يا رب » ثم يتبعها الشىء الذى أوجب تقديم الشكر ، وفى هذه الحالة ، كانت الأرغفة والسمكتين . وكثيراً ما يكسر الخبز أثناء تلاوة هذه الصلاة ، على الرغم من أنها تشير هنا إلى كسر الأرغفة إلى قطع صغيرة لتوزيعها على الشعب . لقد

أعطى يسوع الطعام للتلاميذ ، الذين قدموه بدورهم إلى الشعب حتى « أكلوا وشبعوا جميعاً » . وهذا يعنى أنهم أكلوا وجبة كاملة وليس شيئاً رمزياً . وبعد ذلك جمع التلاميذ ما فضل عنهم ، فملأ « اثنتا عشر قفة » مملوءة من الكسر . ومع أن الغذاء كان وفيراً إلا أنه لا مجال لرمى الفضل .

خ ــ التلمذة ليسوع (لو ٩ : ١٨ ــ ٢٧) .

وعند هذه النقطة يحذف البشير لوقا ، قسماً كاملاً ورد فى (مر ٦ : ٤٥ ــ ٨ : ٢٦) . ومهما كان مبرر ذلك فقد كانت له نتيجة هامة . كما يشير لينى Leaney . لقد تساءل هيرودس « فمن هو هذا ؟ » . وبعض الإجابات اقترحت فى ضوء إطعام الجماهير (بالمقارنة مع يو ٦ : ١٤ وما بعدها) . ويذكر التلاميذ ثلاثة إجابات أخرى « رددتها الجماهير » . ثم أضاف الرسول بطرس إجابة خاصة به (١٩ وما بعدها) ، وتأتى الذروة بإجابة إلهية مرهبة (٣٥) . ويجب علينا أيضاً أن نلاحظ نتيجة تالية : إن إدراك التلاميذ أن يسوع هو المسيح تبعه فى الحال تعليم بأن هذا معناه الصليب للمسيح ولهم أيضاً .

١ ــ اعتراف بطرس (لو ٩ : ١٨ ــ ٢٠) .

جاء فى بشارتى متى ومرقس أن هذا الحدث وقع فى نواحى قيصرية فيلبس بالقرب من سفح جبل حرمون . ولقد كانت هذه منطقة يؤمها الوثنيون ، حيث كانت تسود عبادة إله الوثنيين (بان Pan) . لقد ابتعد يسوع عن منطقة نفوذ هيرودس وعن الجماهير الغفيرة التى كانت تحتشد حوله . وكان يستطيع هنا فى قيصرية فيلبس أن يتحدث فى هدوء مع تلاميذه ، حيث كانت الفرصة سانحة للتفكير السليم . وكما هى عادة البشير لوقا يخبرنا أن يسوع كان « يصلى على انفراد » . ثم بدأ حديثه مع تلاميذه فسألهم قائلاً « من تقول الجموع إنى أنا ؟ » ، وكانت إجاباتهم تتفق مع الأخبار التى سمعها هيرودس (آية ٧ وما بعدها) . والترجمة اليونانية يبدو وأنها تعنى أن الإجابة على وجه العموم هى أنه « يوحنا المعمدان » على الرغم من أن البعض كانت لهم آراء أخرى . كما قيل إنه إيليا أو نبى من القدماء . ثم سألهم يسوع « وأنتم من تقولون إنى أنا ؟ » . وفى الأناجيل المتشابهة تم التركيز على قول المسيح

« وأنتم » . وتمييزاً لهم عن الآخرين ، قال يسوع « وأنتم » ماذا تعتقدون ؟ ومعرفة المسيح هي دائماً اختبار شخصى ، وليس نتيجة كلام يقوله أناس آخرون . وكما هى العادة كان الرسول بطرس هو المتكلم باسم الرسل جميعاً . وكان يعبر عن رأيهم جميعاً عندما قال « مسيح الله » . وبالنسبة لكلمة « المسيح » أنظر الملاحظات عن (لو ٢ : ١١) . وما قاله بطرس يفيد أن يسوع هو المخلص الذى كان ينتظره شعب الله لزمن طويل . أما وأن يعرف هو وزملاؤه التلاميذ هذه الحقيقة فلم يكن ذلك نتيجة تفكير بشرى ، بل كان إعلاناً من الله (مت ١٦ : ١٧) . ولكن ماذا يعنى فى الواقع لفظ « المسيح » . هذا هو ما لم يدركوه . ولذلك استمر يسوع فى كلامه ليشرح أن هذا يعنى الآلام حتى الموت . وكان درساً يصعب عليهم استيعابه . والحق ، أنهم لم يكونوا قد استوعبوه ، حتى بعد أن صلب يسوع .

٢ ــ نبوءة عن آلام المسيح (لو ٩ : ٢١ و ٢٢) .

وكان رد يسوع على ما قاله الرسول بطرس هو أن يلزموا الصمت التام . « فانتهرهم وأوصى » ــ أو حسب ترجمة أخرى ــ « أصدر لهم تعليمات صريحة » . وسبب ذلك بكل تأكيد الثقة فى أن هذا الإعتراف سيقابل بسوء الفهم إذا ما أذيع على الغير . لقد كان اليهود يكرهون خضوعهم للدولة الرومانية . وكانوا يتلهفون على الخلاص من هذه العبودية . وكانوا على أهبة الاستعداد أن يصدقوا أى شخص يدعى أنه المسيح ، وفى الواقع تمرد اليهود أكثر من مرة ضد الاحتلال الرومانى . وإذا ما عرفت حقيقة المسيح على نطاق واسع ، سيأخذ الناس هذه الحقيقة باتجاه سياسى وعسكرى . وما كان لهم أن يفهموا أبداً ما ترمى إليه تعاليم المسيح بالنسبة لهم .

٢٢ : واستمر يسوع فى كلامه يشرح بإيجاز شديد ماذا يعنى كونه المسيح . فهو « ينبغى أن يتألم » . والآلام بالنسبة للمسيح لم تكن أمراً عارضاً ، بل هى ضرورة إلهية ملحة . لقد كان الصليب يشير إلى المهمة الإلهية التى تجسد يسوع خصيصاً لإنجازها . ومن ثم ، فمن بين الكثير والكثير مما سيعانيه يسوع ، لم يتحدث إلى عن رفضه النهائى . ويبدو أن الكلمة « ويرفض » هى اصطلاح فنى يشير إلى رفض يجيء بعد فحص قانونى دقيق يجرى لمعرفة ما إذا كان أحد المرشحين لتولى وظيفة يصلح لها أو لا يصلح .

أما هنا فهى تشير إلى أن هيئة كهنوتية ستنظر فى دعوى يسوع بيد أنها تصدر حكمها ضده . والأداة الوحيدة فى القول « الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة » تشير إلى حقيقة أن الثلاثة يشكلون جبهة واحدة فى السنهدريم . ولا شك أنه لم يكن هناك سوى رئيس كهنة واحد ، أما الجمع فيعنى كل أعضاء عائلات رؤساء الكهنة . فقادة الشعب كان من المزمع أن يتقدموا صفوف الرافضين ليسوع . بل ولن تكون هذه مجرد كلمات تقال . لا بد وأن يقتل يسوع . ولم يترك يسوع أدنى شك لديهم فى أن « المسيح » يعنى « الصليب » لكن الصليب ليس آخر المطاف . لأنه « فى اليوم الثالث » سيقوم . والقيامة هى حقيقة مثل الصلب .

٣ ــ حمل الصليب (لو ٩ : ٢٣ ــ ٢٧) .

وفور إعلان يسوع عن صليبه اتبع ذلك بإشارة إلى صليب آخر ، هذا الصليب يحمله تلاميذه والمؤمنون به . وثمة اختلاف بين الصليبين . فصليبهم ليس حرفياً ، وآلامهم ليست كفارية ، بيد أنه كان (ولا زال) صليباً حقيقياً .

٢٣ : ومن أراد أن يكون للمسيح تلميذاً « فلينكر نفسه » . وليس ثمة إتباع أهواء ذاتية بالنسبة للمسيحى . وربما رأى التلاميذ رجلاً « يحمل صليبه » وعرفوا ما هو المقصود بذلك . عندما حمل رجل من إحدى قراهم صليبه وخرج فى صحبة زمرة من الجنود الرومانيين ، أو أنه كان فى رحلة اللا عودة ، أى أنه لن يعود ثانية . فحمل الصليب هو إنكار الذات بكل ما يحمله هذا التعبير من معنى . وهذه هى أول مرة يستعمل فيها البشير لوقا هذه الكلمة « الصليب » فتأتى بتأثير أخاذ . فكل تلميذ للمسيح يعتبر نفسه ميتاً بالنسبة لكثير من أمور الحياة الدنيا (بالمقارنة مع لو ١٤ : ٢٧) . ويعرفنا البشير لوقا أن حمل الصليب لا يعنى شيئاً يمكن إنجازه مرة واحدة ، أو أنه واجب يعمل مرة ويعتبر بعد ذلك أمراً منتهياً . بل هو أمر يجب أن نحيا فيه يومياً . فكل من أراد أن يأتى وراء يسوع عليه أن يعمل هذا ، كما قال يسوع « ويتبعنى » .

٢٤ و ٢٥ : ومن ناحية التناقض الظاهرى يستطيع الإنسان أن يهلك نفسه

فى محاولة أن يخلصها (بالمقارنة مع لو ١٧ : ٣٣ ، مت ١٠ : ٣٩ ، يو ١٢ : ٢٥) . و « يخلص » هى بالحرى « يعزم أن يخلصها » . فهى تشير إلى سلوك الإنسان الذى يركز على الحصول على الأفضل من هذه الحياة لنفسه . وهذا الأسلوب يعد خسارة مؤكدة . فكل من يهلك نفسه (وليس يريد أن يهلك) لكنه يهلك بالفعل ، من أجل المسيح هو الذى يخلصها . وعندما يضحى بكل شىء وبالجميع من أجل المسيح يجد أنه قد دخل تلك الحياة التى هى « حياة بالفعل » . ويقول باركلى Barcley « يجب أن يدرك كل مسيحى أنه قد أعطى حياة ، ليس لنفسه ، بل ليبذلها فى سبيل الآخرين ، لا يسخر شعلتها لنفسه ، بل ليحترق من أجل المسيح ومن أجل الناس » .

ولا يمكن أن تقاس الحياة بالأمور المادية . وفى تعبير رائع ، قال يسوع : « ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وأهلك نفسه أو خسرها » . فما من شىء فى العالم يمكن أن يعوض خسارة النفس .

٢٦ : ويدعم يسوع هذا بإشارته إلى موضوعات تتعلق بالأبدية . فهو يتحدث الآن عن وقت سيأتى فيه فى مجد (٢٥) و « مجد الآب والملائكة القديسين » . وهذا يشير بوضوح إلى نهاية هذا العالم الحاضر وظهور شىء جديد للغاية ، نهاية كل شىء . ويقول يسوع : « إن من ينكره ، وينكر تعاليمه الآن فى هذا العالم الحاضر ، عليه أن يتأكد أنه (أى يسوع) سينكره فى اليوم الأخير .

٢٧ : وتنتهى هذه الفقرة بقول غامض : « إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله » . ومن المؤكد أن عبارة « يذوقون الموت » أى يموتون ، بيد أنه ليس من الواضح فى هذا النص ماذا تعنى عبارة « حتى يروا ملكوت الله » . يقول البعض إن يسوع يشير إلى مجيئه الثانى وبهذا يصبح الكلام غير صحيح . بيد أن هذا لا يتمشى مع اللغة المستعملة . فإذا كان البعض لن يموتوا قبل الحدث الذى تكلم عنه يسوع ، فالمعنى المتضمن هو أنهم سيموتون بعده ، وهذا لا يمكن أن يكون بعد « المجىء الثانى للمسيح » . ولكن هذا أمر غاية فى البساطة . ويقدم بلمر Plummer سبع تفسيرات محتملة . التجلى ، القيامة والصعود ، حلول الروح القدس يوم

الخمسين ، انتشار المسيحية ، انتشار الإنجيل ، خراب أورشليم والمجيء الثانى . ويرى أن عبارة « من القيام ههنا » تعنى أن البعض (أى من بين أولئك الذين شهدوا تلك المناسبة الخاصة) . سيتمتعون بميزة شخصية عكس بقية الناس عامة . وهذا يستبعد كل الاقتراحات السبع ما عدا التجلى وخراب أورشليم ، ويفضل بلمر Plummer الحدث الأخير . وقد يكون مصيباً فى ذلك ، لأن وقوعه كعقاب يتناسب مع صيغة الكلام ، وهو فى هذا يتساوى مع أى من الاقتراحات الأخرى ، إلا أنه هناك المزيد مما يمكن قوله بالنسبة للرأى القائل إن يسوع كان يشير إلى الأوقات الحاسمة الخاصة بصلبه وقيامته ومجىء الروح القدس ، وإن كان الكلام بدون معلومات أخرى غامضاً فلا يمكن التأكد من المعنى المحدد المقصود .

ذ ــ التجلى (لو ٩ : ٢٨ ــ ٣٦) .

ليس من السهل معرفة حقيقة ما حدث أثناء التجلى ، ولماذا حدث . وربما نعتقد أنه نوع من إظهار مجد العالم الآخر ، وربما قصد به تشجيع التلاميذ بعد الكلمات الصعبة المتعلقة بموضوع حمل الصليب . والربط بين المجد والحديث عن موت المسيح هو طريقة لتعليم التلاميذ أن المجد الحقيقى والصليب صنوان لا يفترقان . لكننا يجب أن نأخذ الحدث كله على أنه ذا مغزى بالنسبة ليسوع ، فحيث السكون والهدوء لا بد وأنه فكر ملياً فى تدعيم العمل الذى هو مقبل عليه . لقد كان مزمعاً أن يصعد إلى أورشليم ويقدم نفسه للموت فداء للبشر . وهذا التجلى على الجبل يمثل القبول الإلهى لهذه الخطوة التى كان يسوع على وشك القيام بها .

٢٨ و ٢٩ : ويقول التقليد إن التجلى كان على جبل تابور . ولكن هذا خطأ أكيد . فالجبل بعيد جداً فى قيصرية فيلبس ، ويبدو أنه كان تحت الاحتلال فى ذلك الوقت ، وعلى هذا فلن يوفر العزلة التى أراد يسوع أن يأخذ تلاميذه إليها كى يصلى فى هدوء . ويمكن القول إنه بالنسبة لجبل حرمون ربما يكون الاقتراح مقبولاً ، ولو أن ذلك أمر غير مؤكد . ويقول البشير لوقا كعادته إن يسوع صعد إلى جبل ليصلى . وفيما هو يصلى صارت هيئة وجهه متغيرة . ولا يضيف المزيد من التفاصيل ، لكننا نعرف من البشائر الأخرى

أن وجهه أضاء كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور ، لا يقدر قصار على الأرض أن يبيض مثل ذلك .

٣٠ و ٣١ : والأناجيل الثلاثة المتشابهة تذكر أن موسى وإيليا كانا « يتكلمان معه » ، موسى ممثلاً للناموس وإيليا ممثلاً للأنبياء . وهما معاً يشيران إلى الوقت الذى تتحقق فيه كل نبوءات العهد القديم . ولكن البشير لوقا وحده هو الذى يخبرنا أن الحديث كان يدور حول « خروجه » ، أى موته (بالمقارنة مع ٢بط ١ : ١٥) . أما وأن موضوعاً كهذا قد أُختير ليكون محور الحديث فى مثل هذا الوقت ، فذلك يبين كيف أن موت المسيح هو المحور الرئيسى . واستخدام كلمة « خروج » بمعنى موت ، أمر غير معتاد ، وربما نلمح هنا بعضاً من رموز سفر الخروج . لقد خلص الخروج إسرائيل من العبودية فى مصر . أما يسوع « فبخروجه » يخلص شعبه من عبودية أسوأ وأمر .

٣٢ و ٣٣ : لقد « تثقل » التلاميذ بالنوم ، لكنهم استيقظوا . ومن الأرجح أن ذلك كان ليلاً (لو ٩ : ٣٧ بالمقارنة مع ٦ : ١٢) . ومن الواضح أن التلاميذ كانوا نياماً بينما كان يسوع يصلى ، لكن الضوء القوى أيقظهم . فرأوا مجد يسوع وضيفيه السمائيين . وفيما كان موسى وإيليا يفارقانه حاول بطرس أن يطيل بقاء هذا الوضع وذلك بأن يصنع « مظال » لهم ، أى فروع أشجار واقية ، أو أكواخاً مؤقتة ، والكلمة تؤخذ أحياناً بمعنى خيمة . ولم يكن بطرس فى الواقع يعى ما يقوله . لأن التجربة كانت طاغية غطت على كل شىء .

٣٤ و ٣٥ : « كانت سحابة فظللتهم » . السحابة فى العهد القديم كانت تشير عادة إلى وجود الله (خر ٤٠ : ٣٤ وما بعدها ، مثلاً) ، ولا مجال إلى الشك بأن هذا هو ما ترمز إليه هنا أيضاً ، وخاصة مع وجود الصوت السمائى . وليس من الواضح تماماً من الذى دخل السحابة . وثمة ترجمة تعطى الانطباع أن التلاميذ كانوا بين من دخلوها . بيد أنه من الأرجح أن السحابة غطت يسوع وضيفيه السمائيين ، ويقول نوكس Knox : « إنهم رأوا الآخرين يختفون فى السحابة ، وخافوا . أما وأن التلاميذ كانوا خارج السحابة فيبدو أن ذلك ما تشير إليه حقيقة أن الصوت جاءهم (من) السحابة . وقال

الصوت « هذا هو ابنى الحبيب له اسمعوا » . وفى البشائر الأخرى « الذى به سررت » . وذلك ما جاء أيضاً فى بعض المخطوطات القديمة لإنجيل لوقا . وكلمة « مختارى » تؤكد ناحية أخرى من شخص يسوع ، باعتباره المسيا ، فقد اختار الله يسوع ومسحه للخدمة . وهذا ما يميز بينه وبين موسى وإيليا بوضوح (مقابل الآراء فى لو ٩ : ٨ و ١٩) . فله يجب أن يسمع البشر .

٣٦ : هنا أنهى الرؤية . ولم يذكر البشير لوقا أن يسوع « جاء ولمسهم » بعد أن « سقطوا على وجوههم » بل قال إنه بعد الصوت « وُجد يسوعُ وحده » . ثم أضاف أن التلاميذ سكتوا ولم يخبروا أحداً فى تلك الأيام بشىء مما أبصروه . لقد كانت تجربة عجيبة ، بيد أنها لم تكن مما يشجع على الثرثرة بشأنها .

ظ ــ يسوع وتلاميذه (لو ٩ : ٣٧ ــ ٥٠) .

يذكر لوقا البشير فى هذا القسم أربعة أحداث تشير إلى عدم إيمان التلاميذ ، وبطء فهمهم ، وتكبرهم وتعصبهم . وهو تتابع مؤثر يشكل خاتمة حزينة للقسم الخاص بالأحداث التى وقعت بالجليل . ما زال أمام التلاميذ الكثير ليتعلموه .

١ ــ الصبى الذى به روح نجس (لو ٩ : ٣٧ ــ ٤٣ أ) .

وبعد التجربة التى عايشوها فى قمة الجبل ، ذكرت فى الأناجيل الثلاثة المتشابهة أحداث تدعو إلى الأسى لأنها أوضحت عدم قدرة التلاميذ على التعامل مع حالة الصبى الذى كان يتملكه روح نجس . والتباين واضح صارخ . ونحن إزاء حالة أولئك الذين ابتهجوا فى نور الرب على قمة الجبل ، هذا من ناحية ، ثم أولئك الذين هزمتهم قوى الظلمة فى السهل ، من ناحية أخرى . لكن سمو يسوع وسيادته كانت جلية واضحة فى كلا الموضعين .

٣٧ : يقول البشير لوقا إن هذا الحدث وقع اليوم التالى . ويحذف المناقشات الخاصة بمجىء إيليا ويتحدث مباشرة عن الصبى الذى يصرعه روح . وكان « جمع كثير » مع الصبى حيث استقبلوا يسوع .

٣٨ — ٤٠ : صرخ رجل من الجمع إلى يسوع موضحاً حاجته . كان له ابن وحيد (بالمقارنة مع لو ٧ : ١٢ ، ٨ : ٤٢) ، يأخذه روح بين وقت وآخر ، والأعراض تشبه إلى حد كبير داء الصرع ، وكثيرون شخصوا الحالة على أنها كذلك دون أية مناقشات أخرى . ومع ذلك ، وبالنظر إلى أنها عزيت إلى سيطرة روح نجس فإن اعتبارها صرعا قرار مبالغ فيه . وأنهى الرجل قصته الموجعة بقوله ليسوع إنه سبق والتمس من تلاميذه أن يخرجوا الروح الذى يصرع ابنه « فلم يقدروا » . وليس واضحاً ما إذا كان هؤلاء « التلاميذ » من بينهم بعض الرسل أم لا . وحيث أنه لم يكن مع يسوع سوى ثلاثة فقط من الاثنى عشر ، فربما كان بين هؤلاء التلاميذ بعض الرسل . وهنا تثار مشكلة ، لأنه سبق لهم أن تعاملوا بنجاح مع أرواح شريرة إبان جولتهم التبشيرية (لو ٩ : ١ — ٦) . أما الآن فقد فارقهم هذا السلطان . ولابد أنه كانت هناك بعض حالات الفشل فى حياتهم الروحية (مر ٩ : ٢٩ يشير إلى الحاجة إلى الصلاة) . وليس من السهل معرفة من كان المقصود بقول السيد المسيح « أيها الجيل غير المؤمن والملتوى » (بالمقارنة مع تث ٣٢ : ٥) . ولا يمكن أن نظن أن المقصود هو والد الصبى المسكين ، لأنه فى المقام الأول ليس « جيلاً » ، ثم إنه أحضر ابنه وهو مؤمن بشفائه ، حتى لو لم يكن إيماناً كاملاً (مر ٩ : ٢٤) . ولكن ربما حضر البعض وهم يقولون « دعنا نرى بأنفسنا ماذا يمكن لهؤلاء التلاميذ أن يفعلوا » . وقد « نرى » ما لا يستطيعون عمله . وربما كان هذا محور النقاش الذى جرى بين الكتبة والتلاميذ (مر ٩ : ١٤) . ولذلك يجب أن نعتبر هذا الكلام موجهاً لكل أولئك الذين كانوا موجودين ولم يظهروا إيماناً كافياً بأن الصبى سيشفى . وهذه العبارة لها أهميتها ، لأن الرسول لوقا هو الذى جعلها هكذا بإيجازه الشديد فى سرد هذه الواقعة . فقد حذف كلاماً له أهمية كبيرة مثل قول يسوع « كل شىء مستطاع للمؤمن » ، وقول والد الصبى « أؤمن يا سيد فأعن عدم إيمانى » (مر ٩ : ٢٣ ، ٢٤) . والسؤال « إلى متى ... ؟ » (بالمقارنة مع عد ١٤ : ٢٧) ، يظهر أن يسوع كان مهتماً بموضوع نقص الإيمان والهدف وهو ما كان يتحدث عنه . وكان الناس يرون المعجزات كأمور خارقة ، وليس كعلامات على وجود الله ، وأنه يدعو الناس إلى التوبة ، ولكن يسوع تحول بسرعة إلى الرجل وحاجته وطلب منه أن يقدم إليه إبنه .

٤٢ و ٤٣ : وبينما الصبى آت « مزقه » الشيطان .. (والأفضل طرحه أرضاً) و « صرعه » . ويروى البشير مرقس محادثة قصيرة جرت بعد ذلك ، لكن لوقا ركز — كما فعل متى — على عملية الشفاء . انتهر يسوع الروح النجس (بالمقارنة مع لو ٤ : ٣٥ و ٣٩ و ٤١ ، ٨ : ٢٤) وشفى الصبى . ويتضح ثانية اهتمامه بالناس حيث « سلمه إلى أبيه » ، وكان من نتيجة هذه المعجزة أن بهت الجميع « من عظمة الله » فلم يجذب يسوع الانتباه إلى شخصه ، بل مجد الله الآب .

٢ — نبوءة أخرى عن آلام المسيح (لو ٩ : ٤٣ ب — ٤٥) .

لقد حول يسوع اهتمام التلاميذ من التعجب « من كل ما فعل » إلى موضوع آلامه . « ضعوا أنتم هذا الكلام فى آذانكم » ، وهو قول يدعو إلى الاهتمام التام . وموجه بصفة خاصة إلى التلاميذ ، كما يتضح ذلك من الضمير « أنتم » . موضع التلاميذ كان يختلف عن الجمع الكثير الذى لم يفعل شيئاً أكثر من التعجب من المعجزات . وبعد هذه المقدمة الوقورة ، أخبر يسوع تلاميذه أنه « سوف يسلم إلى أيدى الناس » وهذا قول غير واضح ، وقد يكون من بين الأسباب التى أدت إلى « أنهم لم يفهموا هذا القول » . ولكن الأمر الذى يتسم بأهمية كبرى أنه « كان مُخفى عنهم » ، مما قد يعنى أنه كانت هناك معارضة من قوى الشر . ويخرج الرسول لوقا عن عادته فيؤكد عدم قدرتهم على فهم هذا القول ، لأن كلماته كانت أقوى من تلك التى فى الأناجيل الأخرى . « وخافوا أن يسألوا » يسوع « عن هذا القول » . وهذا السلوك لم يكن له ما يبرره وخاصة أن يسوع كان قد سبق وتكلم عن نفس هذه الأمور ليس من فترة طويلة مضت (٢٢) ، بيد أنهم حتى فى ذلك الوقت لم يفهموه أيضاً ، وهذا القول أقصر وربما أكثر غموضاً . وبالنسبة للجانب الآخر من الصليب . فقد كان الأمر من الصعوبة بمكان أن يفهموا الحقيقة فى أن كون يسوع « هو المسيا » فهذا يعنى موته .

٣ — التلاميذ وفكر العظمة (لو ٩ : ٤٦ — ٤٨) .

يذكرنا رايل Ryle أن فكر العظمة يظل يراود الإنسان ، على الرغم من أنه ، « من بين كل المخلوقات ، ما من مخلوق ليس له أدنى حق فى التفاخر

مثل الإنسان » . ويضيف « ومن بين كل الناس » ليس أحد ملزم بأن يكون متواضعاً مثل المسيحى .

٤٦ : أما وأن التلاميذ كانوا بعيدين عن فكر المسيح فهذا يظهر فى « مجادلتهم » (والكلمة قد تعنى « فكر » أو « مناقشة ») ، « من عسى أن يكون أعظم فيهم » . وكان يسوع قد انتهى من قبل ذلك مباشرة من الكلام عن موته الكفارى عن البشر . أما هم فكانوا يتكلمون عمن يكون عظيماً فيهم . وقد يكون هذا من بين الأسباب التى جعلتهم عاجزين عن الفهم . كانوا يفكرون فى أنفسهم أما يسوع فكان يفكر فى الآخرين .

٤٧ و ٤٨ : « فعلم يسوع فكر قلبهم » الكلمة التى ترجمت « فكر » ترجمت « جدال »[1] فى الآية السابقة . ولذلك وبخهم بأن أخذ ولداً وأقامه عنده (وبالنسبة لسلوك يسوع تجاه الأطفال ، بالمقارنة مع لو ١٠ : ٢١ ، ١٧ : ٢ ، ١٨ : ١٦) ، وقال لهم « من قبل هذا الولد باسمى يقبلنى » . والولد هنا يرمز إلى الضعفاء والمغمورين . واختبار محبة الخدمة ، يلزمنا أن نقبل مثل هؤلاء الناس فى اسم يسوع المسيح . فمن يقبل ولداً يقبل المسيح ، وأن تقبل المسيح تقبل الله الآب (لاحظ الإشارة إلى إرسالية فى عبارة « الذى أرسلنى ») . فالعظمة الحقيقية ليست هى عظمة الأمور الدنيوية بل نقيضها . والعظيم حقيقة هو الأكثر اتضاعاً . ولم يقل يسوع إن الرجل العظيم هو الذى يؤدى مهمته فى مكان وضيع ، بل هو بالأحرى « الأصغر » ، وهو يكون عظيماً . ولم يقل « الأعظم » لأنه فى الملكوت لا تفاضل بين إنسان وآخر . و العظمة الحقيقية تكمن فى التواضع .

٤ ـــ غريب يخرج الشياطين (لو ٩ : ٤٩ ، ٥٠) .

لقد استأثرت إرسالية يسوع باهتمام عريض ، والبعض من الذين لم يسبق لهم أية علاقة بدائرة التلمذة كانوا على استعداد لخدمة الرب واسمه . ولقد استلفت واحد من هؤلاء نظر الرسل إليه حيث كان يخرج الشياطين باسم السيد المسيح .

---

(١) انظر الإنجيل كتاب الحياة وبعض الترجمات الإنجليزية (المحرر) .

٤٩ : « فأجاب يوحنا » ومعنى هذا أنه كان يجيب على كلمات الرب يسوع . وقد يعنى : « لكن لا بد وأن تكون ثمة حدود لذلك » . وهذا لا ينطبق على مثل هذه الحالة . أو ربما يكون قد عرف أن أعماله شجبت فأقلقه ذلك . ومهما كان السبب فإنه الآن يخبر يسوع عن رجل رأوه « يخرج الشياطين » باسم يسوع . وبعض المفسرين يرفضون هذا الرأى ، ويقولون إن إخراج الشياطين باستخدام اسم المسيح من غير المحتمل أنه قد حدث أثناء حياة السيد المسيح بالجسد . وهم يعتقدون أن البشير لوقا كان يعيد ذكر تجربة الكنيسة أثناء تواجد يسوع بالجسد . بيد أن هذا يبدو تفكيراً سطحياً ... لأنه إذا كان يسوع يخرج الشياطين بمثل ذلك النجاح الساحق كما جاء فى الأصحاحات السابقة ، يصبح الأمر معقولاً للغاية أن يحاول أحد عمل نفس الشيء باسم المسيح . لكن « يوحنا » وأى واحد من الآخرين الذين أشار إليهم ضمير الجماعة فى قوله « رأينا » ومعناه (وقد تعنى صيغة الفعل) « حاولنا منعه » أو « واصلنا منعه » ، « لأنه ليس يتبعنا » . ولم يقل البشير لوقا إن الرجل إدعى أنه من التلاميذ . فكل ما فعله هو أنه كان يخرج الشياطين باسم المسيح . بيد أنه بالنسبة لهؤلاء التلاميذ لم يكن كافياً أن يستطيع ذلك الرجل أن يعمل باسم المسيح ما سبق وفشلوا من أنفسهم فى عمله فشلاً ذريعاً منذ فترة وجيزة . بل كان عليه فى رأيهم أن يتتلمذ ليسوع . وهذا هو الخطأ الذى يرتكبه المسيحيون فى كل عصر . وهو أمر مثير نراه أيضاً فى الجيل الأول من تلاميذ المسيح .

٥٠ : بيد أن السيد لن يسمح بشيء من هذا القبيل . قال لهم : « لا تمنعوه » . وأضاف القاعدة الهامة « لأن من ليس علينا فهو معنا » . فلا مكان للحياد فى المعركة ضد الشيطان . فمن يقاوم الشياطين باسم المسيح يجب الترحيب به لا مقاومته . لأنه فى الجانب السليم . ويشير بلمر Plummer : هذا هو المحك الذى يجب أن يطبقه الإنسان على الآخرين . أما القول « لأن من ليس معى فهو علىّ » (لو ١١ : ٢٣) فيطبقه الإنسان على نفسه .

خامساً : من الجليل إلى أورشليم

(لو ٩ : ٥١ ــ ١٩ : ٤٤)

لا يوجد نظير حقيقى لهذا القسم فى أى من البشائر الأخرى ، على الرغم من أن بعض أجزائه تشبه فقرات وردت فى بشارة متى ، وما بعد لو ١٨ : ١٥ نجد أجزاء منه فى بشارة مرقس أيضاً . يتحدث البشير لوقا عن يسوع حيث كان منطلقاً إلى أورشليم ، بيد أن إرساليته كانت أبعد ما تكون عن نهايتها ، فأمامه الكثير جداً مما كان يريد أن يعلمه لتلاميذه . وهذا القسم يختص إلى حد كبير (ولو بشكل غير قاطع) بالتعليم ، كما كان القسم السابق يركز على أعمال السيد المسيح . ولا مجال للشك فيما يتعلق بالرحلة .

ويتحدث البشير لوقا بكل وضوح عن توجه يسوع إلى أورشليم عدة مرات (لو ٩ : ٥١ و ٥٣ ، ١٣ : ٢٢ و ٣٣ ، ١٧ : ١١ ، ١٨ : ٣١ ، ١٩ : ١١ و ٢٨) . وثمة إشارات أخرى أقل وضوحاً عن رحلته (لو ٩ : ٥٧ ، ١٠ : ١ و ٣٨ ، ١٤ : ٢٥) . بيد أننا سنواجه صعوبة إذا ما حاولنا تتبع مسارها . ومن (لو ٩ : ٥١ وما بعدها) ، يبدو يسوع منطلقاً فى الطريق الأقصر عبر السامرة ، إلا أننا نجده بعد ذلك مجتازاً فى أريحا (لو ١٩ : ١) التى تقع على الطريق الأطول عبر بيريه ، فى ١٠ : ٣٨ نراه فى قرية مرثا ومريم (بيت عنيا : يو ١١ : ١) وهى على بعد ميلين تقريباً من أورشليم . إلا أننا فى لو ١٧ : ١١ نجده فى « وسط السامرة والجليل » .

ويعتقد جوديت Godet ، أن هذا كله يشكل وحدة مترابطة . ويراها جزءاً من رحلة واحدة تمت على غير عجلة من الجليل إلى أورشليم نشر فيها يسوع الكثير من تعاليمه .

وآخرون يعتقدون أن ثمة رحلتين واضحتين ، ويرون تلك التى بدأت فى لو ٩ : ٥١ كالرحلة التى ربما كانت للاحتفال بعيد المظال (يوحنا ٧) ، بينما رحلته الأخيرة إلى العاصمة بدأت فى لو ١٧ : ١١ (إلى أين ، انظر الملحوظة) .

ثم أن هناك من يقولون إن البشير لوقا كان يعرف قصتين فيما يختص برحلة

يسوع الأخيرة إلى أورشليم (لو ٩ : ٥١ ــ ١٠ : ٤٢ ولو ١٧ : ١١ ــ ١٩ : ٢٨) ، وأنه وضع فى وسطها مادة كان لا يعرف شيئاً عن تواريخها ومواقعها . وثمة من يعتقدون أن « الرحلة » غير حقيقية ويدعون أن لوقا وضع هنا كثيراً من مواد متنوعة من الواضح أنها ليست موجودة فى أى موضع آخر . ويعتقد معظم الكتّاب أن الرحلة تتضمن هدفاً ذا مغزى لا هوتى ، على الرغم من أن هناك خلافاً بالنسبة لماهيته . ولهذا يذكر كوميل Kummel سبعة كتّاب مختلفين لهم ستة آراء فيما يتعلق بهذا المغزى اللاهوتى . ولذلك لا يمكن القول إن رأياً منها بذاته كان له وجاهته الواضحة . وعلى ضوء هذه التقديرات المتباينة لما قدمه من أدلة ، فمن الصعوبة أن نعرف كيف يمكن رفض ما توصل إليه (كومل) من نتائج ، عندما لا يقول فى هذا القسم أكثر من « أن الرب الذى ذهب فى طريق آلامه حسب القصد الإلهى ، يجهز تلاميذه لمهمة الكرازة بعد موته » . لقد انتهت مناشدة الجليليين . والآلام تنتظر يسوع وهو يسير بثبات فى الطريق إليها . بيد أنه حتى تأتى ساعتها عليه أن يستمر فى عمله .

أ ــ دروس أخرى عن التلمذة (لو ٩ : ٥١ ــ ٦٢)

١ ــ أهل السامرة يرفضون يسوع (لو ٩ : ٥١ ــ ٥٦) .

يبرز البشير لوقا تعارض موقفى يسوع من جهة وتلاميذه من جهة أخرى فيما يتعلق برفض أهل السامرة استقبالهم .

٥١ : وعندما قاربت إرساليته على الانتهاء « ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم » . والتعبير « لارتفاعه » تعبير غير عادى . وهو فى الواقع اسم (أيام ارتفاعه) ، ولا نجده إلا فى هذا الموضع فى العهد الجديد . والفعل المناظر استخدم عدة مرات فى سفر الأعمال ، أحياناً عن صعود المسيح . والبعض يرون الكلمة كإشارة غير مباشرة إلى اختطاف إيليا إلى السماء . وهذا الرأى تعززه إشارة وردت بعد ذلك عن نزول نار من السماء كما فعل إيليا (٥٤ بالمقارنة مع ٢مل ١ : ١٠ و ١٢) . ومهما كان وجه الحقيقة فى هذا ، فإن لوقا سيتذكر إكمال عمل المسيح فى الصلب والقيامة والصعود . بيد أن بداية هذا التتابع هو الصليب ، ولهذا ، فثمة شجاعة فى أن يسوع « ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم .

٥٢ و ٥٣ : لم يذكر الإنجيل من هم رسل المسيح إلى السامرة ، لكن من المحتمل ، أنهم كانوا من بين الاثنى عشر الذين ذهبوا أولاً كى يعدوا مكاناً لإقامة هذه الجماعة الصغيرة .- لأن مجموعة من اثنى عشر ، أو ما إلى ذلك ، ربما لا تقوى إمكانات قرية على مواجهة احتياجاتها إذا ما وصلت على حين غرة . وبالطبع قد يكونون أكثر من ذلك عدداً . ولا نعرف عدد التلاميذ الذين كانوا فى معية المسيح . لكن أهل السامرة القرويين ، عندما رأوا أن « وجهه كان متجهاً نحو أورشليم » لم يقبلوه ، لأن عداوتهم لليهود كانت مريرة حتى أنهم كانوا يأبون مساعدة أى شخص متجه نحو أورشليم ، على الرغم من أنهم على ما يبدو كانوا لا يبالون بقبول الجليليين فى حد ذاتهم . ويخبرنا المؤرخ اليهودى يوسيفوس أن السامريين لم يمانعوا فى إساءة معاملة الحجاج الصاعدين إلى أورشليم ، ومن الممكن أن يتمادوا فى عداوتهم إلى حد القتل أحياناً (وهذه الفقرة الأخيرة تخبرنا أنه كان من عادة الجليليين أن يمروا عبر السامرة فى أيام الأعياد) .

٥٤ : ولم يستطع يعقوب ويوحنا أن يتحملا هذه السلوك الرهيب . ولذلك سأل ابنا الرعد (مر ٣ : ١٧) يسوع عما إذا كان يريد أن يقول « أن تنزل نار من السماء فتفنيهم » . وهذا السؤال يفصح عن إيمانهم العظيم فى يسوع . وإزاء الإهانة التى لحقت سيدهما شعرا أنه ليس عليهما سوى أن يطلبا باسم يسوع أن تنزل نار وأن ذلك لا بد وأن يتحقق . لكن هذا يدل على مقدار غيرتهم وإخلاصهم ليسوع أكثر مما ينم عن فهمهم لطبيعة رسالة المسيح .

٥٥ و ٥٦ : « انتهرهما » يسوع . فهذا الأسلوب الذى ينهجه تلاميذه ، ودون إتخاذ أى إجراء بالنسبة لمقاومة السامريين مضوا إلى قرية أخرى ، وربما إلى قرية يهودية .

٢ ــ من كل القلب « (لو ٩ : ٥٧ ــ ٦٢) .

هذه الفقرة تقع « فى الطريق » . أثناء سفر يسوع يخبرنا البشير لوقا أن البعض أعلنوا رغبتهم أن يتبعوا يسوع . من الواضح أنهم كانوا سليمى النية والقصد ، لكنهم لم يدركوا طبيعة المتطلبات التى يفرضها الملكوت عليهم .

٥٧ و ٥٨ : لقد عبر الأول عن رغبته أن يتبع يسوع . وليس ثمة خطأ فى الطريقة التى عرض بها رغبته . فهو مستعد أن يتبع يسوع أينما يمضى ، لكن إجابته تظهر أنه لم يكن قد أدرك ما وراء طلبه هذا . للحيوانات والطيور أماكن لسكناها ، « وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه » . وهذه لمحة عارضة عن متطلبات أو تبعات التجسد وهى تبين أن تلاميذ المسيح لا يجب أن يتوقعوا عيشة رغدة مرفهة .

٥٩ و ٦٠ : أما الرجل الآخر فقال له يسوع « اتبعنى » . فيطلب من يسوع أن يأذن له أولاً أن يدفن أبيه . ويقول البعض لو أن الأب كان ميتاً ولا تزال جثته فى البيت ، لما جاء الرجل لمقابلة يسوع فى تلك اللحظة بأى حال ، لأنه والحالة هذه ، سيكون غارقاً فى الأمور المتعلقة بالجنازة والمآتم . وهذا يعنى تأخير لمدة غير محددة ولا يمكن تأجيل ما هو متعلق بملكوت الله . بيد أنه إذا كان الأب ميتاً بالفعل فقد كان الأمر يستحق الأولوية المطلقة . وإجراءات الدفن السليمة لها أهميتها القصوى عند اليهود . فواجبات دفن الميت تفوق فى أسبقيتها دراسة الناموس ، وخدمة الهيكل ، أو نحر ذبيحة الفصح ، بيد أنه لا تزال لمتطلبات الملكوت أولويتها من حيث الأهمية ، وما لم ينتظر يسوع حتى ينتهى الرجل من إجراءات الدفن والجنازة وكل ما يتبع ذلك من أمور . ولذلك قال : « دع الموتى يدفنون موتاهم » لقد دعا يسوع الرجل ، فكان عليه أن يذهب وينادى « بملكوت الله » . دع أولئك الذين ليست لهم بصيرة روحية أن يؤدوا ذلك النوع من الواجبات التى يجيدون أداءها . والدفن أمر ينتظر بالأكثر أولئك الذين يموتون من الناحية الروحية . لكن الإنسان الذى يُدعى لخدمة الملكوت لا يجب أن يرفض أو يؤخر هذه الدعوة السمائية .

٦١ و ٦٢ : والرجل الثالث كالأول أبدى استعداده للخدمة . لكنه طلب الاذن كى يذهب أولاً و « يودع » الذين هم فى بيته . وهذا يبدو أمراً معقولاً (بالمقارنة مع لو ٥ : ٢٩) . إلا أنه من الواضح أن هذه الحالة تضمر قدراً من التردد فى اتخاذ الخطوة الحاسمة . ويشير يسوع إلى أنه ليس من مكان فى الملكوت لأولئك الذين ينظرون للخلف عندما يدعون للتقدم إلى الأمام .

ب ــ إرسالية السبعين (لو ١٠ : ١ ــ ٢٤) .

ينفرد البشير لوقا بذكر إرسالية هذا العدد الكبير من التلاميذ ، وبعض التعليمات الخاصة بهذه الإرسالية تشابه تلك المتعلقة بإرسالية الاثنى عشر التى وردت فى إنجيل متى . وهذا ما حمل الكثيرين على الإعتقاد بأن هذه الفقرة ما هى إلا صياغة مختلفة لما كتبه البشير متى بشأن إرسالية الاثنى عشر . ومع ذلك ، فهذا حسب قول بلمر Plummer ، « ليس مدعاة للنقد » . أما وأن البشير لوقا قد سجل هذه الإرسالية على هذا النحو من التشابه الكبير لإرسالية الاثنى عشر (التى سجلها فى لو ٩ : ١ ــ ٦) فهذا يبين أن الإرساليتين كانتا متميزتين . وكل منهما مفهومة فى موضعها ، وكما يقول مانسون ، « إنه من المحتمل أن يسوع كلف آخرين أيضاً بالخدمة علاوة على الاثنى عشر » ، ومن المحتمل بنفس القدر أن هؤلاء قد تم نسيانهم تماماً بالمقارنة بالمكانة السامية التى يتمتع بها الاثنى عشر فى الذاكرة المسيحية .

١ ــ الإرسالية والرسالة (لو ١٠ : ١ ــ ١٢) .

يسجل البشير لوقا تعليمات ووصايا الرب يسوع لهذه المجموعة الأكبر بشكل أكثر تفصيلاً عما فعله قبل ذلك بالنسبة لإرسالية الاثنى عشر .

١ : وأحد أكثر المشاكل صعوبة من ناحية النص فى العهد الجديد هى مسألة عدد أولئك الذين أرسلهم يسوع فى هذه الإرسالية . فثمة مخطوطات متعددة جاء بها أن العدد (سبعين) ، بيد أن هناك الكثير أيضاً مما يحدده بـ « اثنين وسبعين » (كالهوامش) . وبالنسبة لما هو فى متناول أيدينا يستحيل تحديد العدد (ولو أنى أعتقد أن العدد « اثنين وسبعين » هو المرجح ولو بدرجة قليلة) . ويبدو أن العدد يرمز إلى أمم العالم ، وهو رأى استند فيه اليهود إلى ما جاء فى (تك ١٠) ، حيث نجد سبعين إسماً فى النص العبرى ، أما فى الترجمة السبعينية نجد العدد اثنين وسبعين . والإنجيل مقدم للعالم أجمع . ومع ذلك ، يربط آخرون العدد بالشيوخ الذين عينهم موسى (عد ١١ : ١٦ وما بعده ، ٢٤ وما بعده، اثنين وسبعين بما فى ذلك الرجلين اللذين بقيا فى المحلة) . وهم يرون فى يسوع موسى الثانى . إلا أن هناك آخرين أيضاً يفكرون فى أعضاء السنهدريم السبعين ، وهم القادة الدينيون الذين كانوا يعدون لمجىء

المسيا . ومهما كانت الحقيقة بالنسبة لهذه الآراء ، فقد أرسل يسوع التلاميذ أمامه فى إرسالية ، وأرسلهم اثنين اثنين . أما وأنه أرسل أمامه هذا العدد الكبير فذلك يدل على أن أمامه برنامجاً حافلاً لهذه الرحلة .

٢ : استهل يسوع تعاليمه بكلمات من الواضح أنه سبق واستعملها فى أكثر من مناسبة مع تغيير طفيف فى الصياغة (بالمقارنة مع مت ٩ : ٣٧ وما بعدها ، يو ٤ : ٣٥) . أما وأن « الحصاد كثير » فهذا يعنى أن هناك الكثير مما يجب إنجازه . وقوله « الفعلة قليلون » يشير إلى أن الرسل عليهم البدء دون إبطاء . كما يفيد أيضاً أن عليهم أن « يطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده » وأن يتطلعوا إليه أيضاً كى يهبهم القوة والهداية . والصلاة كى يرسل الله فعلة إلى حصاده وهذا واجب أولئك الذين يعملون لأجله .

٣ و ٤ : ولم تكن المهمة سهلة ميسرة . فوجود « حملان بين ذئاب » يشكل موقفاً لا يحسد عليه . والتشبيه يشير إلى الخطورة وقلة الحيلة . فخدام الرب هم دوماً ، من ناحية ما ، تحت رحمة العالم ، وإذا ما اعتمدوا على قوتهم الذاتية لن يستطيعوا أن يتعاملوا مع المواقف التى يصادفونها . عليهم أن يتطلعوا إلى الله ، ولذلك طلب منهم يسوع ألا يحملوا أية معدات (بالمقارنة مع لو ٩ : ٣) ، و « الكيس » هو كيس النقود . وهذه الكلمة لم يستعملها إلا البشير لوقا فقط . و « المزود » هو حقيبة سفر (انظر التعليق على ٩ : ٣) . أما قوله « لا أحذية » فهذا قد يعنى ألا يحملوا أحذية إضافية . عليهم أن يذهبوا بحالتهم كما هم . « ولا تسلموا على أحد فى الطريق » وهذا ليس حضاً على الفظاظة أو الغلظة ، إنما هو لتذكيرهم أن أمامهم مهمة عاجلة وعليهم ألا يؤخروا إنجازها بإضاعة الوقت سدى مع أولئك الذين يصادفونهم من معارف أو أصدقاء . فالعادات الشرقية بالنسبة للتحيات مبالغ فيها وتشكل ضياعاً للوقت .

٥ و ٦ : وأى بيت « دخلتموه » . هذه إشارة إلى اتخاذهم مكاناً يقيمون فيه عندما يحلون فى مدينة أو قرية . عليهم أن يبادروا أهله بتحية السلام . فإن كان هناك « ابن السلام » (رجل تميز بالسلام وطبقاً للعرف السامى يقال « رجل سلام » فإن سلامهم « يحل عليه » . وستوجد حالة من التآلف . أما إذا كان الأمر خلاف ذلك « فيرجع إليكم سلامكم » . وهذه لغة مجازية

تؤكد للتلاميذ أنه ليس عليهم أن يأملوا بركة شخص لا يبدى ترحيباً لقبولها . وبركات الله الصالحة لا تعطى عن طريق السحر والخداع .

٧ : لقد طلب من الاثنى عشر ألا يمكثوا إلا فى بيت واحد فقط فى أية مدينة (لو ٩ : ٤) . وهذا أيضاً ينطبق على إرسالية السبعين . ولا جناح عليهم ألا يدفعوا ثمن ما يقدم لهم من طعام فى هذا البيت لأن « الفاعل مستحق أجرته » (بالمقارنة مع ١ تيمو ٥ : ١٨) . وهذا مبدأ يطبق على نطاق واسع إلا أنه قد يهمل أحياناً فى الأنشطة المسيحية . ولكن إذا كان الفاعل مستحق أجرته ، فهو إذاً لا يستحق أكثر من ذلك . وليس على التلاميذ أن ينتقلوا من « بيت إلى بيت » . لأن هذا يعنى الإنهماك فى علاقات اجتماعية والإستضافة طويلاً بعد إنجاز مهمتهم . وهى مهمة تتسم بالعجالة . وعليهم المثابرة والنشاط .

٨ و ٩ : أما الآن فيعطى يسوع تعليماته فيما يتعلق بالإجراءات الواجب مراعاتها عندما يقابلون بترحاب . عليهم أن يتقبلوا الضيافة وأن يأكلوا مما يقدم لهم . وفيما وراء الأردن ، حيث كانوا ذاهبين ، يبدو أنه كان هناك وثنيون كثيرون . وقد لا يكون الطعام فى بعض الأحيان متمشياً مع المتشددين بالنسبة للطهارة الطقسية . فعليهم فى هذه الحالة أن يتجنبوا الدخول فى مناقشات وجدال متعلق بالطعام . عليهم القيام بمهمتهم من جهة شفاء المرضى والبشارة بالملكوت ، وجوهر كلامهم يجب أن يتركز فى قولهم « قد اقترب منكم ملكوت الله » ويجب أن تقبل البشارة ويمتثل لها أولئك الذين يتسلمونها . بيد أن الملكوت « قريب » . واليوم يوم قبول .

١٠ و ١١ : وقد لا تقبلهم مدينة ما . عليهم إذاً أن يخرجوا إلى « شوارعها » برسالتهم . وعليهم أن يقولوا للناس شيئين اثنين : أولاً ، عليهم أن ينفضوا لهم الغبار من على أقدامهم (ولهذا العمل الرمزى انظر التعليق على لو ٩ : ٥) . فهذا يعرّف أهل المدينة رمزاً أنهم استبعدوا أنفسهم من زمرة شعب الله . والأمر الثانى هو ألاّ يغيروا الحقائق . وأن عدم قبول أية مدينة لهم ، لن يغير من حقيقة أن ما « اقترب » منهم هو أهم شيء « ملكوت الله » . وهم برفضهم المبشرين ، لم يرفضوا فى الواقع اثنين من المبشرين البسطاء

فحسب ، بل رفضوا « ملكوت الله » وهذا أمر له من العواقب أوخمها . لقد جلبوا على أنفسهم دينونة الله . و لم يشرح معنى عبارة « فى ذلك اليوم » بيد أنه من الواضح أنها تشير إلى أن « يوم الدينونة » هو يوم رهيب (بالمقارنة مع لو ٢١ : ٣٤ ، مت ٧ : ٢٢ ، ٢تس ١ : ١٠ ، ٢تيمو ١ : ١٢ و ١٨ ، ٤ : ٨) . ثم أنه سيكون أكثر احتمالاً .. لسدوم « أكثر مما لهؤلاء الرافضين » . وهلاك سدوم (تك ١٩ : ١٣ ، ٢٤ وما بعدها) أصبح يضرب به المثل عن دينونة الله للأشرار . وعاقبة أولئك الذين رفضوا رسل ملكوت الله أكدها هذا التلميح .

٢ ــ دينونة مدن الجليل (لو ١٠ : ١٣ ــ ١٦) .

وذكر أولئك الذين يرفضون يسوع يأخذنا بالتالى إلى ذكر أولئك الذين سبق ورفضوه من قبل . وهذه الكلمات قد تكون قد قيلت أو لم تقل فى نفس المناسبة (ذكرها متى فى نص مختلف ، مت ١١ : ٢٠ ــ ٢٤) ، لكنها تناسب موضوع الدينونة .

١٣ و ١٤ : وكلمة « ويل » ليست تهديداً بالانتقام ، بل هى تعبير عن الأسف العميق ، بمعنى « واحسرتاه » (بالمقارنة مع لو ٦ : ٢٤ ــ ٢٦) . ومدن كورزين فلم تذكر (فى العهد الجديد إلا هنا فقط وفى المقطع المناظر فى بشارة متى) ، وبيت صيدا تجعلنا ندرك حقيقة قلة ما نعرفه عن حياة يسوع . ولا يعرف شىء البتة عن رسالته فى المدينة السابقة ، أما بالنسبة للمدينة الأخيرة ، فلا نعرف إلا القليل ، لكن هذه الكلمات تبين أنه عمل على نطاق واسع فى كلا المدينتين ، وأنه عمل معجزات فيهما . والواقع ، أن « القوات المصنوعة » التى عملها كانت من طبيعة لا بد وأن تؤدى إلى التوبة بالنسبة لصور وصيدا . وكانت تلك المدن الواقعة على الساحل شمال الجليل تشكل قلب الامبراطورية الفينيقية . وكانت مراكز تجارية عظيمة ، لكنها ارتكبت أبشع الخطايا والآثام وكانت محل نداءات الرب من خلال الأنبياء ، ودينونة عند رفضها (بالمقارنة مع إش ٢٣ ، حز ٢٦ ــ ٢٨) . ومع ذلك ، فإن حالة هذه المدن ستكون أكثر احتمالاً « فى الدينونة » مما ستكون عليه حالة كورزين وبيت صيدا . ولذلك فإنه أمر جد خطير أن يرفض ابن الله .

١٥ : كانت « كفر ناحوم » هى المدينة التى أمضى فيها يسوع أكثر أوقات خدمته وقال فيها كثيراً من تعاليمه . وبالنسبة لطول المدة التى قضاها يسوع فيها فقد كان يطلق عليها مدينته (مت ٩ : ١) ورغم أنها شهدت كثيراً من معجزات المسيح وسمعت الكثير من تعاليمه إلا أن كل ذلك لم يلق منها استجابة أو تأثيراً . ومن الجلى أن سكانها كانوا متعالين ويعتقدون أن مدينتهم « مرتفعة إلى السماء » لكن هذا لن يكون لأنها « ستهبط إلى الهاوية » (بالمقارنة مع إش ١٤ : ١٣ و ١٥) . ومن الواضح أن كلمتى « السماء » و « الهاوية » استعملتا هنا للإشارة إلى ارتفاع المجد وعمق الهاوية . لقد تنبأ يسوع عن خراب المدينة وموتها فى المستقبل . واليوم تقف هذه المدينة الخربة المهجورة شاهدة على صلف أهلها وعدم إيمانهم وتؤكد فى سكونها الرهيب صحة نبوءة السيد المسيح ، حيث سبق أن تنبأ بخرابها الكامل .

١٦ : لقد تحدث يسوع بمثل هذه الأقوال البسيطة فى عدة مناسبات (مت ١٠ : ٤٠ ، يو ١٣ : ٢٠) ، ولقد وصفها البشير لوقا هنا لمناسبتها بوجه عام لسياق الكلام وليس بقصد الإشارة إلى أنها قيلت فى تلك المناسبة . وهى تؤكد أهمية هؤلاء الرسل الموفدين من قبل يسوع . فعندما يكلف يسوع أحداً بالكلام فهو يتكلم بسلطان . ومن يسمع منه يسمع من يسوع ومن يرفضه يرفض الرب . وهذا يضع مسئولية كبيرة على كاهل أولئك الذين يسمعون رسالة المسيح ، ولن يتوقف الأمر عند هذا الحد . فإن من يرفض يسوع ، يرفض « ذاك الذى أرسله » . لقد خرج تلاميذ المسيح ومعهم تفويض كامل . ويجب أن تقابل رسالتهم بأعظم قدر من الاهتمام والإستجابة والجدية والتقدير .

٣ ــ عودة السبعين (لو ١٠ : ١٧ ــ ٢٠) .

عاد الرسل فى الوقت المناسب . ولم يخبرنا البشير لوقا عن المدة التى استغرقوها فى إرساليتهم ، فأين تجمعوا فور عودتهم ، إلا أنه فى الوقت المناسب ارتبطوا ثانية بيسوع .

١٧ : تختلف المخطوطات من ناحية عدد الذين أرسلهم يسوع ، بين « سبعين » و « اثنين وسبعين » بنفس الطريقة كما فى (لو ١٠ : ١٠) . لقد رجع الرسل بفرح ويبدو أن الإرسالية لم تواجه بكثير من الرفض فقد كانوا

سعداء وهم يتحدثون عنها . والأمر الوحيد الذى ركزوا عليه هو أن الشياطين كانت تخضع لهم باسم المسيح . ومن المعتقد أن هذا يعنى أنهم أخرجوا أرواحاً نجسة كانت تعذب كثيرين ، وشعروا أنهم يشاركون يسوع إنتصاره على الشياطين . ونظراً لأن هذا الأمر لم يذكر عند تكليفهم بهذه الإرسالية ، فلم يكونوا يتوقعونه وجاء كإضافة بهيجة ومفرحة لإرساليتهم .

١٨ : ليس من السهل معرفة معنى قول يسوع « رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء » . وكلمة « السماء » ترمز هنا لقمة السلطان (بالمقارنة مع إش ١٤ : ١٢) . وربما تشير إلى أن يسوع فى إرساليته للسبعين رأى هزيمة الشيطان ، وهى هزيمة مفاجئة (لقوى الشيطان) جاءت مريعة كالبرق . وبالنسبة للمراقب العادى فإن كل ما حدث هو أن قلة من المبشرين المعدمين كانوا يبشرون فى عدد قليل من المدن الصغيرة وشفوا قلة من المرضى . بيد أن الشيطان تكبد هزيمة ساحقة . وثمة رأى آخر يقول إن ذلك يشير إلى سقوط الشيطان الذى رآه يسوع فى عصور ما قبل التجسد . وعلى كل ، فقد حذر يسوع التلاميذ ألاّ يسمحوا للكبرياء أن تتسرب إلى قلوبهم نتيجة نجاح إرساليتهم . عليهم أن يتذكروا أنه حتى الشيطان سقط . والرأى السابق هو الأفضل .

١٩ و ٢٠ : لقد أعطى يسوع السبعين رسولاً « سلطاناً » (والكلمة تفيد تصريحاً باستخدام السلطان وليس أن يتسلطوا) . « لتدوسوا الحيّات والعقارب (بالمقارنة مع مز ٩١ : ١٣ ، مر ١٦ : ١٨) . ولقد كانت لهم حصانة من الأذى من أشياء كثيرة إبان قيامهم بالمهمة التى أرسلوا من أجلها . وليس من المؤكد عما إذا كانت هذه الكلمات حرفية أم رمزية . والأمر الأخير هو المحتمل ، لأنه ما من مصدر جاء به أن أحد المبشرين المسيحيين كان يدوس حيّات وعقارب حقيقية دون أن يمسه شر (على الرغم من أن بولس لم يصب بسوء عندما نشبت أفعى فى يده : أع ٢٨ : ٣ — ٥) . وعلاوة على ذلك ، كان لهم سلطان على « كل قوة العدو » . والشيطان نفسه لا يستطيع أن يغلبهم . لقد تأكد أمنهم . يقول يسوع « ولا يضركم شىء » . وكل هذا يعطى صورة مبهرة لمثل هؤلاء الناس البسطاء . لكن يسوع يستطرد فى أقواله بأن عليهم أن يعرفوا أن مصدر فرحهم ليس فى انتصارهم على « الشياطين » . لأن

الناس الذين أخرجوا منهم الشياطين سيموتون حين تجيء ساعتهم ، بل أن الأرض نفسها ستتلاشى ، وهى التى شاهدت انتصارهم . فالشيء الذى له أهمية قصوى هو أن « أسماءهم قد كتبت فى السموات (بالمقارنة مع حز ٣٢ : ٣٢ ، دا ١٢ : ١ ، عب ١٢ : ٢٣ ، رؤ ٣ : ٥ ... إلخ) . لقد وجه يسوع اهتمامهم إلى الحقائق الأبدية .

٤ ــ فرح يسوع (لو ١٠ : ٢١ ــ ٢٤) .

يقول كيرد Caird عن هذا بأنه قول ملهم وبهيج نطق به يسوع ، يحوى ملخصاً بليغاً لمعظم تعاليمه ، وهذا القسم به الكثير مما يشبه إلى حد كبير ما ورد فى بشارة يوحنا حتى قيل عنه أنه من كتابات يوحنا المأخوذة من أصول الأناجيل المتشابهة . وهذا يذكرنا بما يقوله البعض إن أسلوب بشارة يوحنا ليس غريباً عن أسلوب الأناجيل المتشابهة .

٢١ : « تهلل » وهى ترجمة غير واضحة للكلمة اليونانية Egalliasato وتعنى تهلل إيجابى (ابتهاج بفرح) . وحسب عادته يقول الرسول لوقا إن « التهلل » كان « بالروح » . والصلاة هى صلاة شكر . تخاطب الله فى محبته وحنوه (الآب) وفى عظمته (رب السماء والأرض) . لقد شكر يسوع الآب من أجل إعلانه ، وما هو هذا الإعلان ، فهذا ما لم يفصح عنه ، بيد أنه من الطبيعى أن تشير كلمة « هذه » إلى ما عرفه أو تعلمه السبعون الآن . والإعلان الإلهى تم ليس على أساس الحكمة البشرية ، وهذا هو ما يقدم يسوع الشكر بشأنه . « فالحكماء والفهماء » غالباً ما يشعرون أنهم عظماء إلى الدرجة التى لا يستطيعون معها تقبل الإعلان الإلهى . لكن الله أعلن هذه الأمور إلى البسطاء الذين يشابهون الأطفال بساطة ووداعة .

٢٢ : قال يسوع « كل شيء قد دفع إلىّ من أبى » (بالمقارنة مع يو ٣ : ٣٥ ، ١٣ : ٣) . فيسوع له المكانة الأسمى ولا ينقصه شيء . بيد أن هذه عبارة يشوبها الغموض . فليس أحد يعرف « من هو الإبن إلا الآب » . فثمة أعماق فى شخصية الرب يسوع لا يستطيع التلاميذ أن يسبروا غورها . ويسمى يسوع نفسه الابن فى هذا الموضع فقط (مع الجزء المناظر فى بشارة متى) وفى مر ١٣ : ٣٢ ، على الرغم من أن هذا التعبير شائع جداً فى بشارة

يوحنا . ويتمشى هذا مع قول الإنجيل « ليس أحد يعرف من هو الآب إلا الإبن » . ولكننا نجد هنا إضافة هامة « ومن أراد الابن أن يعلن له » . إنه من خلال يسوع ، ومن خلاله وحده يستطيع الناس أن يعرفوا الآب كما هو . أما قول الكتاب (الله أبو ربنا يسوع المسيح : ٢كو ١١ : ٣١) فهو تعبير ذو معنى متكامل للغاية . فالله ، كما أعلنه لنا يسوع ، هو حقيقة هامة جداً .

٢٣ و ٢٤ : وبعد صلاته تحدث يسوع مع تلاميذه ، وكان ذلك ، على انفراد ، مما يوحى بأن الكلمات السابقة قيلت على مسمع التلاميذ وغيرهم . بيد أن ما سيقوله الآن قصدهم به وحدهم . إنها لبركة عظيمة أن ينظروا هذه الأمور ، لأن « أنبياء كثيرين وملوكاً » اشتهوا أن ينظروا وأن يسمعوا ما سمعه التلاميذ ورأوه ، ولكن ذلك ما لم يتحقق لهم . كان يسوع هو المسيا الذى طال انتظاره ، كان موضع توقعاتهم ولهفتهم ورجاءهم واشتياقاتهم . ولكن أُعطى للتلاميذ أن ينظروا كل هذا يتحقق أمامهم وهذا ما لم يحظ به أى جيل سابق .

ج ــ مثل السامرى الصالح (لو ١٠ : ٢٥ ــ ٣٧) .

هذا المثل ينفرد بذكره الرسول لوقا . ولكن هناك نظائر للمحادثة التى جرت مع الناموسى الذى بدأها . وخاصة تلخيص الناموس فى وصية المحبة (مت ٢٢ : ٣٤ ــ ٤٠) ، (مر ١٢ : ٢٨ ــ ٣١) . بيد أن ثمة اختلافات وخاصة فى التوقيت وفى حقيقة أنه فى المحادثات الأخرى ، يسوع هو الذى لخص الناموس ، بيد أن الناموس هو الذى قدم التلخيص فى هذه الفقرة . وليس من المعتقد وجود أى ارتباط بينهما .

٢٥ : وفى وقت غير محدد ، « قام ناموسى » (وهذا ما يوحى بأن الناس كانوا جلوساً : ومن الواضح أن يسوع كان يعلم الجموع) و « الناموسى » لم يكن يهتم بالدراسات الدنيوية ، بل بالناموس بمعناه اليهودى ، أى الخمسة أسفار الأولى من العهد القديم . ولا بد أن يؤدى هذا إلى دراسة بقية الكتاب المقدس والمواد الأخرى ولو بطريقة عارضة . وهكذا من المتوقع أن يكون مهتماً بالشئون الدينية وعلى معرفة بها . لقد قام « يجرب » يسوع . وهذا يعنى أنه وجه سؤالاً ، ليس بقصد الرغبة فى معرفة معلومات يجهلها ، بل ليرى

نوعية الإجابة التي سيعطيها يسوع . وربما توقع أن يجيب يسوع إجابة خاطئة وبذا تتاح له الفرصة ليكشفه ويحرجه أمام الجماهير . وسؤاله ، ماذا أعمل ...؟ يظهر أنه كان يفكر في نوع من الخلاص يتحقق بالأعمال ولم يكن يفهم شيئاً عن نعمة الله المخلصة . والحياة الأبدية حياة تناسب الدهر الآتي . وهي تشير إلى حياة سعيدة لا نهاية لها . ولكنها ، في المفهوم المسيحي ، حياة من نوعية خاصة ، حياة هي هبة من الله ومع الله .

٢٦ و ٢٧ : والسائل كان ناموسياً فكان من المناسب جداً أن يحيله يسوع إلى الناموس . ولقد أجاب بمجموعة من الفقرات كان يسوع أيضاً قد استعملها ملخصاً فيها متطلبات الناموس (تث ٦ : ٥ ، لا ١٩ : ١٨ بالمقارنة مع مر ١٢ : ٣٠ وما بعدها) . وكل من الترجمتين ، العبرية والسبعينية (ومت ٢٢ : ٣٧ أيضاً) تحددان ثلاثة إمكانات يجب أن يسخرها الإنسان لمحبة الله ، بينما نجدها في بشارتي لوقا ومرقس أربعة . ولكن الاختلاف ليس بذي أهمية . فكلا النهجين يتلخصان في أن الإنسان يجب أن يحب الله بكل وجوده . وبكل ما في كيانه . ومن الجلي أن الناموسي كان متعمقاً في معرفة الكتاب المقدس حتى أنه استطاع أن يوجز الناموس على هذا النحو . « قريبك » : والمقصود بها يتعدى حدود الجار والقريب (كما استعملت في لو ١ : ٥٨ مثلاً) إلى معنى أوسع وأرحب .

٢٨ : امتدح يسوع إجابة السامري ، ثم قال له : « إفعل هذا فتحيا » والبعض رأى في هذا إطراء منهجياً لأسلوب القيام بالأعمال الصالحة . وإذا ما أردت طريقاً للخلاص بالأعمال ، فها هي الطريقة (والمعنى الضمني أنك لن تستطيع أن تفعل هذا) . لكن الاحتمال الأكبر أن هذا يتضمن رفض أثر الأعمال . والمهم في هذا الخصوص ، ليست الأعمال التي تعملها ، ولو أنها أعمال صالحة ممدوحة ، بل المهم هو اتجاهاتنا . فإذا ما كنا نحب الرب بحق وبالطريقة التي تحدث عنها يسوع ، إذاً فلنتكل عليه ، لا على أنفسنا . وحبنا للرب على هذا النحو هو الاستجابة لمحبة الرب لنا وليس للسبب الذي لأجله أحببنا الله (بالمقارنة مع لو ٦ : ٤٧ — ٤٩) . ويسوع لا يقدم لنا هنا نظاماً جديداً للتمسك بحرفية الناموس أو الوصايا يختلف إلى حد ما عن القديم ، بل يشير إلى نهاية التمسك بحرفية الناموس . لقد كان الناموسي يريد قاعدة أو

بجموعة من القواعد يمكنه السلوك بمقتضاها فيستحق الحياة الأبدية . فرد يسوع عليه بأن الحياة الأبدية لا يمكن الحصول عليها إطلاقاً بالمحافظة على الوصايا . أن تحيا حياة المحبة معناها أنك تحيا حياة ملكوت الله . ويقول أرندت Arndt ، إن هذا القول فيه اعتراف بأهمية حقيقة الروح والنفس . فإذا ما كانت الروح والنفس سليمين ، صح كيان الإنسان كله . وموقفنا من الله يحدد كل ما تبقى ... فإذا ما كنا نحب الله حقاً ، فنحن نحب القريب أيضاً (١يو ٤ : ٢٠) .

٢٩ : ولكن الناموسى لم تهدأ ثائرته بعد . لقد أراد أن « يبرر نفسه » فموقفه الأساسى لا يزال خطأ : ولم يدرك مضمون ما قاله هو بنفسه . ولذلك سأل يسوع « ومن هو قريبى ؟ » لقد كان يرى أن هذا يتخطى حدود الجار . ولكن إلى أى حد ؟ كانت لليهود أراء مختلفة بالنسبة لهذه النقطة ، بيد أنها كلها كانت محصورة فى نطاق إسرائيل . ففكرة محبة الناس بغض النظر عن جنسهم أو عرقهم لم تكن قد خطرت ببالهم . وبينما نقترب من المثل ، يجب ألا ننسى أنه قيل للناموسى إجابة لسؤاله : « ومن هو قريبى ؟ » وليس « ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ » .

٣٠ : لم يجب يسوع على السؤال بطريقة مباشرة ، بل قال قصةً . ومن الواضح أن المسافر فى هذه القصة كان من اليهود ، ولو أن النص لم يشر إلى ذلك صراحة . لقد ذكر أنه « إنسان » . فالمهم هنا الحاجة وليست الجنسية . والطريق من « أورشليم إلى أريحا » يمر عبر منخفض شديد الإنحدار حيث أورشليم مرتفعة جداً بينما أريحا غاية فى الإنحدار . والطريق منعزل مقفر . والمسافة تقارب سبعة عشر ميلاً ، ويهبط الطريق أكثر من ٣٠٠٠ قدم . وهى منطقة وعرة موحشة يجد اللصوص فيها مكاناً مناسباً . ولم يقل يسوع إن « اللصوص » سرقوا الرجل ، فهذا أمر يفهم من سياق الكلام ، لكنه ركز على معاملتهم الوحشية القاسية لذلك المسافر . لقد تركوه « بين حى وميت » .

٣١ : وتصادف أن « كاهناً » مر فى ذلك الطريق ، وكان الرجل لا زال طريحاً على الأرض . ونظراً لأنه كان « بين حى وميت » فيظن أن الكاهن لم يكن فى وسعه التحقق إذا كان الرجل حياً أو ميتاً دون أن يلمسه . بيد

أنه إذا ما لمسه ، وكان الرجل ميتاً حقاً ، لجلب على نفسه نجاسة طقسية حرمها الشرع (لا ٢١ : ١ وما بعده) وكان لا يسعه المحافظة على طهارته الطقسية إلا بأن يترك الرجل لحاله . وكان واثقاً أنه لم يتخل عن مبدأ إغاثة الملهوف ، لأن الظروف لم تتح له معرفة حقيقة أمره . وفى خضم هذا الصراع ، انتصرت متطلبات الطهارة الطقسية . ولم يقتصر تصرفه على رفض المساعدة ، بل إنه انتقل إلى الجانب الآخر من الطريق . لقد تعمد تجنب شبهة الاتصال به . وقد تكون قد نازعته نوازع أخرى ، كاحتمال عودة اللصوص ، وطبيعة عمله وما إلى ذلك . وهذا ما لا نقطع به . وإنما نعرف أن الكاهن ترك الرجل حيث كان يعانى آلامه وما من منقذ .

٣٢ : وتكرر الأمر عندما مر « لاوى » . وكان هو أيضاً من الشخصيات الدينية . وكان من المؤمل أن يبذل كل جهده لإغاثة ذلك الملهوف . لكنه كان أيضاً ممن يتمسكون بأمور الطهارة الطقسية ولذلك اختار هو أيضاً ألا يقحم نفسه فى هذا الموضوع . ولذلك ما كان منه إلا أن « جاز مقابله » ومضى .

٣٣ و ٣٤ : وربما توقع الحاضرون ـــ بعد الكاهن واللاوى ـــ أن يمر رجل إسرائيلى عادى . وكانوا على ثقة أن القصة ستأخذ منعطفاً مضاداً للكهنوت . ولكن حديث يسوع عن السامرى بعد ذلك قضى على كل توقعاتهم وخيب رجاءهم . وعلى ضوء العداوة القديمة بين اليهود والسامريين ، فآخر ما كانوا يتوقعونه هو قيام « السامرى » بتقديم المساعدة . ولكن هذا السامرى « تحنن » على المصاب حين رآه . وقدم له كل عون مستطاع فى ظروف كهذه . واستخدم « خمراً » ربما لتطهير الجروح (لأن الكحول فى الخمر له تأثير مطهر مانع للتقيح ، على الرغم من أن الرجل قد لا يعى هذا : فكل ما يعرفه أنها مفيدة لحالة كهذه) ، أما بشأن « الزيت » ، زيت الزيتون ، فربما لتخفيف الألم . ويبدو أنهما كانا يستعملان بكثرة عند اليهود واليونانيين . كان الرجل الجريح عاجزاً عن السير ، ولذلك « أركبه » السامرى على دابته (وقد يعنى هذا أنه اضطر هو نفسه أن يترجل) ، وهكذا « أتى به إلى فندق » وهنا « إعتنى به » . وليس واضحاً ما هو المقصود بذلك ، ولكن السامرى لم يحسب نفسه قد أدى واجبه عند هذا الحد . بل استمر يرعاه ، حتى بعد ذلك .

٣٥ : استمر فى عطفه وحدبه ، حتى بعد أن ألزمته ظروفه أن يغادره ، فأعطى صاحب الفندق « دينارين » دفعة تحت الحساب ، وأمر بأن يُعتنى بالجريح مهما كانت النفقات . وطبقاً لما يقوله المؤرخ بوليبوس ، فأى شخص كان يستطيع الإقامة فى فنادق إيطاليا فى ذلك الحين مقابل نصف (آس) يومياً ، وهكذا يعادل $\frac{١}{٣٢}$ من الدينار . وبمقابلة ذلك بأسعار فلسطين فى تلك الفترة ، يكون السامرى قد سدد تكاليف إقامة الجريح فى الفندق مدة شهر تقريباً . ومع ذلك يقدم يواكيم جرمايا دليلاً يبين أن تكلفة الطعام كانت $\frac{١}{١٢}$ من الدينار يومياً . وطبقاً لذلك ، تقل المدة التى دفع السامرى نفقاتها . ومع ذلك تظل مدة لا بأس بها . بل وما انتهى الأمر عند هذا الحد ، فالسامرى تعهد أيضاً ، أنه فور عودته ، يتكفل بدفع أية تكاليف أخرى ينفقها صاحب الفندق فى هذا الشأن . وهذه صورة رائعة لرجل عمل أكثر مما هو مطلوب . لقد رأى رجلاً فى شدة فبذل كل ما فى وسعه لإنقاذه .

٣٦ و ٣٧ : لم يجب يسوع على سؤال الناموسى ، بل وجه له سؤالاً : « أى هؤلاء الثلاثة ... تراه صار قريباً للذى وقع بين اللصوص ؟ والإجابة ، لم تكن موضع تخمين . لقد جعل يسوع الدرس واضحاً جلياً ثم يقول للناموسى « اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا » . لقد سأل الرجل : من هو قريبى ؟ فواجهه يسوع بالسؤال : وأنا قريب من ؟ كان خبيراً فى الناموس . وعليه الآن أن يفكر ما إذا كان الكاهن واللاوى اللذان تمسكا بقوة بالطهارة الطقسية ، هل حقاً حفظا الناموس الذى يقضى أيضاً بمحبة القريب ؟ لقد سر البعض ، خلال قرون طويلة ، بأن يروا فى السامرى الصالح صورة الرب يسوع . ولا شك أنه يمكن عمل دراسة مؤثرة ومخلصة تركز على يسوع السامرى الصالح الذى يخلص أرواح البشر . بل ربما كان لوقا البشير نفسه يفكر فى يسوع على هذا النحو . إلا أنه أمر مختلف تماماً أن نأخذ هذا على أنه المعنى الذى رمى إليه يسوع .

د ــ مرثا ومريم (لو ١٠ : ٣٨ ــ ٤٢) .

لا نجد هذه القصة فى أى موضع آخر فى الإنجيل . ويظن أن البشير لوقا لم يراع الترتيب الزمنى فى سردها ، لأن بيت عنيا كان قريباً من أورشليم . وفى

وقت لاحق كان يسوع لا يزال بعيداً عن العاصمة (لو ١٧ : ١١) . وربما يكون قد ذكرها بعد المثل السابق مباشرة حتى لا يقع أحد تحت الفهم الخاطىء بأن الخلاص يكون بالأعمال . فهو يوضح أن خدمة الرب بهدوء أكثر أهمية من الإرتباك بأمور كثيرة .

٣٨ : وعبارة « وفيما هم سائرون » ، وكلمة « قرية » تركتا غامضتين . وفى موضع آخر نعرف أن مرثا ومريم من بيت عنيا (يو ١١ : ١) ، على بعد ميلين من أورشليم . أما هنا فذكر أن البيت هو بيت مرثا ، وهذا يعطى الانطباع بأن مرثا كانت أكبر الأختين وكانت هى المضيفة .

٣٩ و ٤٠ : « مريم » ، « جلست عند قدمى يسوع وكانت تسمع كلامه » لقد كانت تستغل هذه الفرصة التى واتتها أطيب استغلال . أما « مرثا » فكانت « مرتبكة فى خدمة كثيرة » ، ولم تستصوب موقف مريم . وهذا يعنى رغبتها فى إعداد شىء متميز ليسوع . ومن ثم فقد أعدت طعاماً جيداً كثيراً لا داعى له . و « خدمة كثيرة أيضاً » . ومرثا الغارقة فى عملها كانت « مضطربة » وعندما فاق تعبها احتمالها طلبت تدخل يسوع . ووجهت إليه فى قولها « أما تبالى ...؟ » ، وكذلك لمريم عندما قالت « أختى قد تركتنى أخدم وحدى » . والحل الذى ارتأته هو « فقل لها أن تعيننى » .

٤١ و ٤٢ : كانت إجابة يسوع فى رقة النسيم . « مرثا ، مرثا » . وهذا يبين أن يسوع كان يميل أحياناً إلى استخدام كلمات مزدوجة (بالمقارنة مع لو ٢٢ : ٣١ ، يو ١ : ٥١ ... إلخ) . لقد كشف يسوع الفرق بين اضطرابها وقلقها لأجل أمور كثيرة ، وبين « الواحد » الذى تدعو إليه الحاجة . وبعض المخطوطات جاء بها « الحاجة تدعو إلى أمور قليلة ، بل إلى واحد » . وأى قراءة نفضلها ، مفادها أن يسوع يقول إن مرثا تضطرب وتقلق لأمور كثيرة . فالحياة لا تتطلب إلا قلة من الضرورات الملحة ، وعند الحاجة نستطيع الاستغناء عن الكثير مما نضيع فيه الوقت . « والواحد » لم يحدد ، إلا أنه من الواضح أن جلوس مريم عند قدمى يسوع تستمع إليه ، يلمح إلى المعنى المقصود ، فالأمر الهام هو موقفنا من الاعتماد على يسوع ، ويشير بعض المفسرين بذلك إلى الطعام . ويعتقدون إن المسيح يقول أن حاجة الإنسان إنما هى « طبق واحد » بدلاً من إنشغال مرثا فى إعداد كل هذا الطعام الفاخر

الوفير . ولكن اللغة لا تؤيد هذا وخاصة تلك التى تشير إلى اختيار مريم . لقد اختارت « النصيب الصالح الذى لا ينزع منها » . فاتجاهنا الروحى ملك لنا لا نخشى أن ينزع منا .

هـ ــ الصلاة (لو ١١ : ١ ــ ١٣) .

يبدى البشير لوقا اهتماماً عميقاً بالصلاة (انظر المقدمة) ، وهو يرجح هنا بين الصلاة الربانية وبعض التعاليم الخاصة بالصلاة .

١ ــ صلاة الرب (لو ١١ : ١ ــ ٤) .

وعلاقة هذا النص بذاك الذى وردّ بشكل أكمل فى (مت ٦ : ١٩ ــ ١٣) ، كان موضوع الكثير من المناقشات . والبعض يقول إن يسوع علم هذه الصلاة أكثر من مرة . ويقولون إنه من المحتمل أن الصورة قد أدت إلى ذلك . وكانت الصلاة ، حسب إنجيل متى ، فى أثناء خدمة كانت فى بداية الإرسالية . أما هنا (فى بشارة لوقا) فمن الواضح أنها كانت بعد ذلك بكثير . وكانت إجابة يسوع بناء على طلب أحد تلاميذه الذى ربما كان غائباً فى المرة الأولى . والاختلاف كان يعتبر طبيعياً لو كان يسوع مهتماً بنموذج خاص للصلاة ، لا بالإصرار وبشدة على صيغة واحدة . وآخرون يقولون إن يسوع لم يعلم هذه الصلاة إلا مرة واحدة (لماذا ؟) ، فإذا كان يسوع قصدها نموذجاً فيبدو من الغريب ألاّ يكررها . وهم يعتقدون عادة أن النص بحسب بشارة لوقا هو الأصل ، ولكنهم يدعون أن البشير متى فى بعض الأماكن احتفظ وإلى حد كبير بالصيغة الآرامية . أما علماء العصر الحديث فيرون فى هذا اهتمام الصلاة بالأخرويات بشكل أساسى . ويعتبرون القول « ليأت ملكوتك » ، كالصلاة الأساسية ، أما البقية فهى نواح تفصيلية للملكوت الآتى . وعلى هذا الأساس فالصلاة تلتمس من الله أن يقدس اسمه بإهلاك كل أعدائه نهائياً ، ثم يتطلعون إلى « الوليمة السمائية » (المسيح خبزنا : خبز الحياة) ، ثم يسألون مغفرة الله التى يعطيها يوم الدينونة ، وخلاصهم يوم الحساب الأخير . ومع ذلك ، فيبدو هذا تفسيراً غير طبيعى للغة المستعملة ، ومن الأفضل أن نأخذ الصلاة ، على أنها صلاة يستخدمها المسيحيون عندما يطلبون معونة الرب فى حياتهم اليومية العادية .

وليس مستحيلاً بالطبع ، أن يجمع المسيحيون (الذين يرون أنهم يعيشون فى « الأيام الأخيرة ») بين المعانى الخاصة بالحياة اليومية والمتطلبات الخاصة بحياة الدهر الآتى . ولكن لا أرى مبرراً لاعتبار أن الرأى الذى يركز على الأخرويات يعتبر كافياً فى حد ذاته . أما النقطة الأخيرة التى يجب ملاحظتها فهى ، أنه ، فى حين أن هذه الصلاة قد تكون صلاة إنفرادية ، فهى بالضرورة صلاة شركة أيضاً.وكل ما جاء بها من ضمائر جاء بصيغة الجمع .

١ : وتأثراً بشىء ما من طريقة أداء يسوع الصلاة ، طلب منه « واحد من تلاميذه » أن يعلمهم الصلاة كما علم يوحنا المعمدان تلاميذه . والقادة الدينيون فى تلك الأيام كانوا يعلمون تلاميذهم كيفية الصلاة . وطلبة « يارب علمنا أن نصلى » قد يعنى أنه طلب صيغة يستعملها ، أو نموذجاً يصوغ على نمطه الصلوات ، أو تعليمات عامة فى الموضوع .

٢ : أجاب يسوع بتقديمه صيغة للصلاة . وقول يسوع فى البداية « متى صليتم فقولوا ... » يوضح أنه قصد أن تقال الصلاة بالصيغة التى قالها بها . وقدمت فى بشارة متى يقول السيد المسيح « فصلوا أنتم هكذا ... » مما يجعل هذه الصلاة الربانية نموذجاً يمكننا أن نصيغ صلوات أخرى على هديها . ولقد رأى المسيحيون أن كلا الأمرين نافع مفيد . ولقد بدأ يسوع الصلاة بالقول « أبانا ... » وهذا يماثل الكلمة الآرامية « أبا » وهى نداء الطفل لوالديه . ويستخدم اليهود فى الصلاة الصيغة « أبانا » (نجدها ، على سبيل المثال فى البركة الرابعة والسادسة من « البركات الثمانى عشر ») ويضيفون عادة « فى السماء » أو ما يماثلها . وهذا يميل إلى أن يجعل الإنسان بعيداً عن الله العظيم ، بينما علّم يسوع تلاميذه أن يعتبروا الله أباهم (أما وأنهم فهموا هذا فواضح من رو ٨ : ١٥ ، غل ٤ : ٦) . « ليتقدس » وتعنى « ليكن مقدساً » ، « مبجلاً مكرماً » . وكان « الاسم » فى العصور القديمة يعنى أكثر بكثير مما يعنيه لنا . فكان يلخص شخصية الإنسان بأكملها ، كل ما هو معروف أو خفى عنه . والصلاة تعنى أكثر بدرجة كبيرة مما يعتقده الإنسان من ذكر اسم الله على ألسنتهم (ولو أن الصلاة تتضمن هذا) . فهى تشير إلى ماهية الله ، وما أعلنه عن ذاته ، وتتطلب موقفاً لائقاً حيال ذلك . وليس من المحتمل أن تفهم الصلاة بمعنى أن الله يُقدِس اسمَه (بالمقارنة مع حز ٣٦ : ٢٣) . بل

بالحرى يجب أن يقدس الإنسان الله . إنها صلاة تعنى أن « الله هو الإله الأزلى » ، وأن الإنسان لن ينزل بالله إلى الحجم والشكل الذى يستطيع تحديده . « ليأت ملكوتك » : يتطلع إلى إتيان الملكوت الذى كان دائماً موضع تعاليم المسيح . وثمة حالة يتحقق فيها الإنسان ، فى الزمان الحاضر ، فى قلوب وحياة أولئك الذين يخصصون ذواتهم لله ويتقبلون إرادته الصالحة نحوهم . إلا أنه فى معنى آخر ، فإنه لن يأتى إلا بعد أن تتم فعلاً إرادة الله بالنسبة للعالم كله (بالمقارنة مع الإضافة الواردة فى بشارة متى : لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض) . إن هذا هو ما نصلى من أجله .

٣ : أما الرجاء التالى فهو من أجل الخبز ، أى من أجل تدبير احتياجاتنا اليومية . وكلمتى « أعطنا » و « كل يوم » ، توضحان أننا يجب أن نتوجه دوماً إلى الله . لا أن نسأله احتياجاتنا لفترة طويلة ثم نبدأ فى نسيانه . فالمسيحيون يحيون حياة الإعتماد الدائم المستمر على الله . بيد أن المعنى الدقيق لكلمة « كل يوم » ليس واضحاً . إنها كلمة نادرة جداً (فى اللغة اليونانية) . ومعظم المناقشات تدور حول مشتقات محتملة ، لأنه لا يوجد فى الواقع مثال نرجع إليه وأكثر المعانى قبولاً « كل يوم » ، « الذى للغد » و « خبزنا كفافنا » أو « الخبز الضرورى » بالمقارنة مع (أمثال ٣٠ : ٨) . وأول هذه المعانى هو ما يناسب الصياغة ويتناغم بأفضل وجه مع اتجاه الصلاة .

٤ : أما الصلاة « واغفر لنا خطايانا » (ما علينا) ، تتبعها تأكيد بأننا نغفر أيضاً لكل من يذنب إلينا (أى كل من هو مدين لنا) . ولا يشير هذا إلى معاملات مالية بل إلى الخطية ، التى اعتبرت (ديناً) . وهذا لا يجعل عملاً بشرياً ، متمثلاً فى المغفرة للآخرين ، أساساً للغفران . والعهد الجديد واضح فى أن الغفران إنما هو نابع من نعمة الله وليس ناجماً عن أى استحقاق فى البشر . وعلى الأصح ينتقل الفكر من الأدنى إلى الأعظم . ونظراً إلى أنه حتى البشر الخطاة مثلنا يغفرون ، فإننا بكل ثقة نتقدم إلى إله رحيم . والبعض يأخذون « لا تدخلنا فى تجربة » بمعنى « لا تدخلنا فى يوم الاختبار » ، ولكن هذا المعنى له أفضلية إذا ما أخذنا الصلاة كلها على أنها تتعلق بالأخرويات . والكلمة اليونانية **Peirasmos** هى الترجمة العادية لكلمة « تجربة » أو اختبار ، وكلمة تجربة هى الأفضل هنا . وهذا لا يعنى أن الله يتسبب فى أن يواجه

الإنسان تجربة ، بل إنه فى الواقع يؤكد لنا القديس يعقوب أنه لا يجرب أحداً أبداً (يع ١ : ١٣) . بل إن يسوع يشجع الإتجاه للهروب من التجربة (بالمقارنة مع ١كو ٦ : ١٨ ، ١٠ : ١٤ ، ١تيمو ٦ : ١١ ، ٢تيمو ٢ : ٢٢) . وكل مسيحى يدرك مدى ضعفه ، ويعلم أيضاً السهولة التى يستسلم بها لتحارب العالم والجسد والشيطان . ولذلك فهو يصلى كى ينجيه الله من كل هذه الشرور .

٢ ـ مثل صديق نصف الليل (لو ١١ : ٥ ـ ٨) .

وأتبع يسوع ذلك بمثل طريف يوضح أن الصلاة يجب أن تكون بلجاجة ، وأن الله مستعد أن يعطى كل حين .

٥ ـ ٧ : المكان هو قرية صغيرة ، لا حوانيت فيها . حيث يخبز كل بيت حاجته من الخبز كل صباح . ويصور لنا يسوع رجلاً استنفذ أهل بيته ما لديهم من خبز ثم حضر إليه على حين غرة صديق من بلد غريب . وكان الوقت « منتصف الليل » وهذا قد يعنى أن الصديق بدأ سفره بعد الظلام كى يتفادى حرارة الشمس ، وكان على صاحب البيت أن يطعم صديقه ، لأن الضيافة واجب مقدس . ولذا ذهب إلى صديق آخر كى يطلب منه « ثلاثة أرغفة » والمقصود هنا ثلاثة أرغفة صغيرة تكفى شخصاً واحداً . بيد أن صاحب البيت الثانى هذا أغلق بابه وأخلد للنوم مع أطفاله . ومن الواضح أنه كان رجلاً فقيراً يسكن بيتاً ذى غرفة واحدة . والعائلة كلها تنام على ما يشبه مصطبة مرتفعة فى أحد جوانب هذه الحجرة ، ومن المحتمل أن الحيوانات كانت أيضاً فى نفس الحجرة معهم ، ولكن على مستوى سطح الأرض . ورجل فى موقف كهذا لا يمكنه أن ينهض دون أن تقلق العائلة كلها . وتقديم الخبز لا يشكل عنده أية صعوبة ، بيد أن مشقة وجلبة النهوض هى موضوع آخر . ومن الأسهل له البقاء حيث هو .

٨ : لكن الرجل لحوح ولن يعود أدراجه خاوياً ، بل ولن يدع صديقه يعاود نومه . وحيث لا تنجح الصداقة ، تنجح لجاجته (حرفياً : عدم خجله) . والدرس واضح . لا يجب أن نجعل من الصلاة مقامرة ، بل يجب أن نثابر ونلح إذا لم تستجب فى وقت قريب . وهذا لا يعنى أن الله راغب

عن العطاء ، وأنه لا بد من الإلحاح عليه حتى يستجيب ، فالنص كله يوضح أن الله تواق للعطاء . ولكن ما لم يكن ما نريده يستحق أن نلح فى طلبه ، فلن تكون حاجتنا إليه كبيرة . والصلاة الفاترة لا تؤدى إلى نتيجة .

٣ ـ السؤال والعطاء (لو ١١ : ٩ ـ ١٣) .

يقودنا المثل بالطبع إلى الطريقة التى يعطى بها الله أولئك الذين يسألونه .

٩ و ١٠ : يطلب يسوع من تلاميذه أن يسألوا « يطلبوا » ، يقرعوا . ويؤكد لهم أنهم فى كل حالة سيجدون الإستجابة المناسبة . والأفعال الثلاثة كلها مستمرة . ولا يتكلم يسوع عن نشاطات مفردة بعينها ، بل عن أنشطة مستمرة . وهو يتكلم عن سلوك مشابه لما يدعو إليه المثل . والتكرار فى الآية (١٠) إنما جاء ليؤكد الإستجابة . ولا ينبغى الإعتقاد أن الله عازف عن الإستجابة . ولكن من المهم جداً أن يقوم الناس بدورهم ، ألا وهو أن يسألوا . ولم يقل يسوع ولم يقصد أنه إذا ما صلينا ، سنحصل دوماً على كل ما نطلبه تماماً كما طلبناه . فالرفض إجابة والإستجابة إجابة أيضاً . فهو يقول إن الصلاة الحقيقية لا تهمل ولا يمكن ألا تسمع . وهى تستجاب دائماً بالطريقة التى يراها الله أنها حسنة .

١١ و ١٢ : لقد تم توضيح ذلك بمثلين من السلوك الإنسانى . يتساءل يسوع ، إذا ما سأل طفل والده شيئاً يأكله هل يعطيه شيئاً ضاراً : حية أو عقرباً ؟

١٣ : إنه لمن المستبعد تماماً أن يعطى أحد مثل هذه العطايا الشريرة الرديئة لأبنائه . بل على نقيض ذلك تماماً . فهم يعطون أبناءهم عطايا جيدة حتى لو كانوا أشراراً . فحتى عندما يتكلم يسوع عن الأمور الطيبة التى يعملها الإنسان ، لا تغيب عنه حقيقة أنهم أشرار « فطبيعة الخطية المتأصلة فى الإنسان أمر ضمنى » . لكن ، إذا كان الأشرار لا يضرون أولادهم ، بل على العكس من ذلك ، يعطونهم عطايا جيدة ، فكم بالحرى يعطى الله أولاده ؟ والخير الذى يصنعه الله ليس خيراً غير محدد وإنما عينة : « الله سيعطى الروح القدس » . ويقوم القديس لوقا بتوضيح عمل الروح القدس وهو يرى هنا

عطية الروح القدس كأعظم عطية للإنسان . وليس من مبرر يدعو إلى فهم هذا على أنه مواهب غير طبيعية يعطيها الروح القدس . فالإشارة بالحرى إنما هى لعمل الروح فى حياة كل مسيحى بصفة عامة ، كما جاء فى رومية ٨ .

و ــ يسوع والأرواح الشريرة (لو ١١ : ١٤ ــ ٢٦) .

١ ــ الجدال الخاص ببعلزبول (لو ١١ : ١٤ ــ ٢٣) .

الأناجيل الثلاثة المتشابهة تصف كلها الصراع بين يسوع وقوى الشر جزئياً ، ببيان أن يسوع يطرد الشياطين دوماً . أما وأنه كان له سلطان على الأرواح الشريرة ، فهذا ما لم يشك فيه أحد البتة ، حتى أعداؤه . لكنهم حاولوا الانتقاص من قدره بقولهم إنه يستمد سلطانه ، ليس من الله ، بل من الشيطان . ويقدم لنا البشير لوقا مثالاً لهذا النقد وكيف واجهه يسوع .

١٤ : لم يوضع هذا الحدث فى تسلسله الزمنى . فالبشير لوقا يخبرنا أن يسوع كان يخرج شيطاناً ، وكان الرجل أخرس (يقول البشير متى إنه كان أعمى أيضاً) . وبعد أن أخرج يسوع ذلك الشيطان « تكلم الأخرس » . والتركيز ينصب على الجدل الذى تبع ذلك ، ومن ثم يروى البشير لوقا قصة المعجزة باقتضاب ولا يضيف سوى قوله « فتعجبت الجموع » .

١٥ و ١٦ : أما قوم منهم ، فنسبوا المعجزة إلى « بعلزبول رئيس الشياطين » ويوضح البشير متى أن هؤلاء الناس كانوا من الفريسيين ، ويقول البشير مرقس ، إنهم كانوا كتبة من أورشليم . واسم رئيس الشياطين حسبما جاء فى بعض المخطوطات هو « بيلزبوب » (ومن الواضح أن ذلك لا يعدو أكثر من سهولة النطق) ، وفى الفلجاتا « بعلزبوب » وواضح تماماً أن الإسم كان بعلزبول . لكن لماذا استعمل هذا الاسم وماذا يعنيه فهذا أمر يصعب الإجابة عليه . فالإسم « بعلزبوب » ورد كاسم إله عقرون (٢مل ١ : ٢ و ٣ و ٦ و ١٦) هذا فى (النسخة العبرية ، وليس فى الترجمة السبعينية) . وهذا الإسم معناه « ملك الذباب » . وقد يكون تورية عبرية لإسم فلسطينى مشابه فى النطق (مثل رأس الشامرة الذى سيرد فيما يلى) . والبعض يقولون إن اليهود حرفوا هذا أيضاً إلى الصوت المشابه « بعلزبول » . « بعل الأقذار »

للإشارة إلى إله الوثنيين ، ثم حُول هذا الإسم إلى شيطان . لكن الإسم بلعزبول يرد أيضاً فى ألواح رأس الشامرة ، كإسم أحد الآلهة الكنعانيين ، ويبدو أنه يسمى عندهم « إله المساكن » ، أو « إله المكان العالى » . ويظهر — على حسب ما قدم من دلائل — أن اليهود أخذوا هذا الإسم مكان لأحد آلهة الوثنيين وفهموه على حسب النطق العبرانى « سيد الأقذار » . وأطلقوه على شيطان مشهور ، ربما على الشيطان نفسه . وهذا ما فهمه يسوع من قصدهم .

واتجه البعض اتجاهاً مختلفاً إلى حد ما ، فلكي يجربوه طلبوا منه « آية من السماء » . وهذا ليس أمراً مختلفاً بالضرورة ، لأنه يعنى ضمناً أنهم لم يعتبروا المعجزة التى رأوها للتو معجزة للملكوت . ويرد يسوع على الاتهام الخاص ببعلزبول بصفة مباشرة ، وبالنسبة لطلب آية فيرد عليه فى الآية (٢٩) .

١٧ و ١٨ : ومن الواضح أن هذه التعليقات كانت تقال سراً ولا توجه ليسوع . بيد أنه كان يعرف ماذا يدور بخلد هؤلاء القوم . ولذلك قال : « إذا كانوا على حق ، فإن قوى الشر ستنقسم على نفسها وتخرب . وهو يرتكن إلى القاعدة العامة التى تقول « كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب » ويضيف البشير مرقس تعليقاً مشابهاً عن أهل بيت ، ويضيف متى مدينة أيضاً . وما جاء فى بشارة لوقا « وكل بيت منقسم على بيت يسقط » يبدو أنه تفسير لما سبق . وعندما تسقط مملكة لإنقسامها « يسقط بيت تلو الآخر » . وينتقل يسوع من العام إلى الخاص بسؤال : فإن كان الشيطان أيضاً ينقسم على ذاته ، فكيف تثبت مملكته ؟ فإن قوى الشر تهلك الخير ولا تهلك بعضها بعضاً .

١٩ : ويدعم يسوع قوله بالإشارة إلى الذين يُخرجون الشياطين من اليهود . فإذا كان إخراج الشياطين يعنى التحالف معهم ، فإن الذين يفعلون ذلك من اليهود يكونون فى نفس الوضع . والجدل يثبت الكثير لقد ركز يسوع على قوله « فأبناؤكم » . فقد تشير هذه الكلمة إلى الأبناء الحقيقيين لأولئك الذين كان يسوع يتحدث معهم ، أو قد تعنى « شعبكم » أو « تلاميذكم » .

٢٠ : لقد كان يسوع يخرج الشياطين « بأصبع الله » وهو يدعو أعداءه إلى التفكير فى العواقب . ومن الغريب أن يكتب لوقا « أصبع الله » ، بينما يقول متى « بروح الله » . مع أن لوقا يركز عادة على الروح القدس . ولكن

القولين يؤكدان على أن سلطان المسيح على الشياطين هو من الله وليس من أى مصدر سواه . ومن ثم « فقد أقبل عليكم ملكوت الله » . فإن مجىء ملكوت الله لا يرى فى النصائح أو أعمال التقوى ، بل فى القوة التى تطرد قوى الشر .

٢١ و ٢٢ : يوضح يسوع هذا بطريقة مبسطة يبين فيها الشيطان بأنه « القوى » الذى يحرس ممتلكاته ، أى أن الشيطان تسلط على إنسان والشيطان مسيطر آمن ، بيد أن « القوى » يمكن هزيمته عندما يتغلب عليه « من هو أقوى منه » ، تماماً كما فعل يسوع أمامهم عندما أخرج الشيطان ، فالموقف كله قد تغير تماماً . لقد نُزعت أسلحة الشيطان ووزعت غنائمه (ربما تكون تلك التى أخذها من أسراه) ، وهى تعبيرات تصويرية تبين عجز الشيطان الكامل عن الوقوف فى مواجهة الله . فقبضة الشيطان على البشر قوية . بيد أن هذه القبضة الحديدية تتحطم بشكل حاسم ونهائى عند مجىء ملكوت الله . وملكوت الله ليس كلاماً منمقاً ، إنه القضاء على الشر والشيطان .

٢٣ : ولا حياد إزاء هذا الموقف . فعندما يرى الإنسان ما يعنيه ملكوت الله فإنه أما أن يكون معه أو عليه . والإنسان الذى لا ينضم إلى يسوع فى المعركة ضد الشر ، هو ضد يسوع . فالذى لا « يجمع » مع يسوع ، فهو يفرق (والتشبيه مأخوذ من جمع القطيع معاً) .

٢ ــ عودة الروح النجس (لو ١١ : ٢٤ ــ ٢٦) .

ويضيف يسوع قصة صغيرة ليبين أنه لا يتحدث عن إصلاح أخلاقى هام مؤقت ، بل عن هزيمة كاملة ونهائية للشر على يد قوى الصلاح .

٢٤ : لم يطرد الروح النجس هنا من الرجل ، لكنه غادره فقط . والأماكن الصحراوية كانت تعتبر ، وعلى نطاق واسع ، الأماكن التى تسكنها الأرواح الشريرة ويصور يسوع هذا الروح النجس بأنه يتجول فى مثل هذه المناطق الجافة دون أن يجد فيها « راحة » ولذلك يقرر العودة ثانية إلى المكان الذى خرج منه . وعلى الرغم من أنه ترك الرجل ، إلا أنه ما انفك يقول عنه « بيتى » .

٢٥ : وعندما يعود ثانية يجد المنزل « مكنوساً مزيناً » . أى أنه دون وجود الروح النجس كانت حياة الرجل أفضل . ويكون قادراً على ترتيب الأشياء على نحو سليم . وكان يسوع يصف الترتيب الأخلاق .

٢٦ : لكن الروح النجس يُحضر معه « سبعة أرواح أخر أشر منه » فتدخل كلها وتسكن فى الرجل . و « تسكن » معناها « تستقر » ، « تعيش بصفة دائمة » . والآن ، وقد مكثت ثمانية أوراح شريرة فى ذلك الرجل فإن حالته أصبحت أشر مما كانت عليه سابقاً ، حيث كان عليه قبلاً روح نجس واحد . وعندما يتخلص إنسان من روح نجس ولا يشغل مكانه بشيء ، فهو فى خطر أدبى عميق . فما من إنسان يستطيع أن يعيش طويلاً فى ظل فراغ أدبى أخلاق . وملكوت الله لا يحدث مثل هذا الفراغ فى الإنسان . فهو يعنى انتصار على الشرير إلى الحد الذى يستبدل فيه الشر بالصلاح بل بالله نفسه .

ز ــ يسوع يعلم الجموع (لو ١١ : ٢٧ ــ ١٢ : ٥٩) .

وعند هذه النقطة يخصص البشير لوقا قسماً تعليمياً كبيراً ، متضمناً بعض الفقرات الهامة المثيرة للجدل . ولا نجد إلا إشارات قليلة جداً فيما يتعلق بالزمان والمكان ، على الرغم من أن بعض الأقسام مترابطة معاً .

١ ــ الطوبى الحقيقية (لو ١١ : ٢٧ و ٢٨) .

وبأسلوبه الخاص انفرد البشير لوقا بالحديث عن هذا الهتاف التلقائى من جانب إمرأة كانت وسط الجماهير . وواضح أنها بُهرت بيسوع لدرجة أنها تمنت أن يكون لها إبن مثله . ثم هتفت مطوبة تلك التى حملته . لقد كانت كلماتها تتضمن إعترافاً بأنه المسيا ، كما تتضمن أيضاً مدحاً وتعظيماً ليسوع . لم يرفض ما قالته المرأة بل وجهها إلى ما هو أكثر أهمية . لا يناقش حقيقة العبارة السابقة لكنه يؤكد العلاقة العظيمة لما يتبع ذلك . فليست العلاقة الجسدية بيسوع هى التى لها الأهمية الغالبة ، بل سلوك الإنسان تجاه كلمة الله . فالأهم هو الإستماع إلى كلام الله وحفظه . وهذا يشير إلى الممارسات الدينية التى تتميز بالصبر والمثابرة والبعد عن المظهرية . « وكلام الله » كان يصل إلى الناس فى ذلك الوقت عن طريق تعاليم السيد المسيح وأيضاً من خلال

دراسة الكتاب المقدس . ولقد كانت لهم ميزة معينة عن الآخرين ، لكن يسوع يقول حيثما توجد كلمة الله بين يدى الناس فإن باب البركة مفتوح أمامهم .

٢ ـ آية يونان (لو ١١ : ٢٩ ـ ٣٢) .

طلبت الجموع آية من يسوع (١٦) . كما أنهم أصروا على أنه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين . ولقد فنّد لهم يسوع الاتهام الأول الخاص ببعلزبول ، بيد أنه يبدأ الآن الرد على طلبهم آية .

٢٩ : وفيما كان الجموع مزدحمين أجاب يسوع على طلبهم آية . ومن الجلى أن هذا كان طلباً جماعياً وعرف يسوع أن هذا هو طابع « هذا الجيل » . أما وأنه يطلب آية ، فهو « جيل شرير » . فالإنسان يجب أن تكون ثقته كاملة فى الله ولا يجربه بطلب آيات . « آية » ، لم تحدد ، لكن من الواضح أنهم كانوا يطلبون عملاً إلهياً معجزياً . ومثل هذه الآية لا يمكن أن يعطيها الله . فالآية الوحيدة التى تعطى لهؤلاء الناس هى « آية يونان » . وفى بشارة مرقس ، يقول يسوع فى هذا الصدد « لن يعطى هذا الجيل آية » (مر ٨ : ١٢) . والمعنى واحد . ويقول جرمايا J . Jermius : « ولا يوجد تعارض فى الواقع بين الرفض المطلق لإعطاء آية (مر ٨ : ١١) وعمل معجزة شبيهة بآية يونان . فكلاهما يوضح أن الله لن يعطى آية بعيدة عن شخص يسوع وهنا الرد لن يسىء لأحد .

٣٠ : ولقد شرح يسوع ذلك قائلاً : لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الإنسان أيضاً آية « لهذا الجيل » . ومن الأفضل أن تعرف أن هذا يشير إلى القيامة ، كما توضح ذلك فى الفقرة المناظرة فى بشارة متى . لقد كان يونان فى جوف الحوت ثلاثة أيام (يون ١ : ١٧) ، قبل أن يعود إلى الحياة ثانية (إذا جاز لنا هذا التعبير) . وبالنسبة لأهل نينوى كانت المعجزة هى ظهور رجل من جديد رغم أنه كان ميتاً مدة ثلاثة أيام . أما بالنسبة لمعاصرى يسوع فالمعجزة ستكون فى ظهور « ابن الإنسان » من جديد فى اليوم الثالث بعد موته . وكثيرون من مفكرى العصر الحديث يعتقدون أن المعجزة هنا ليست نفسها الموجودة فى بشارة متى ، بل هى مجرد احتكام إلى حقيقة أن يونان نادى بكلمة الله الحقيقية ، وأدرك أهل نينوى الحقيقة وتابوا .

وبنفس الطريقة أعلن يسوع كلمة الله وكان يجب على الناس أن يتوبوا . والصعوبة الأولى التى تعترض قبول هذا الرأى الشائع هو كيفية اعتبار التبشير والمناداة آية . أما الصعوبة الثانية فتتمثل فى أن يسوع لم يتحدث عن يونان وما قاله كمعجزات ، بل عن يونان نفسه . فالمعجزة فى كل حالة هى الشخص نفسه . والصعوبة الثالثة تتمثل فى استخدام صيغة الزمن المستقبل . و لم يقل يسوع إنه هو نفسه آية ، بل سيكون آية . وهذا ينسجم مع ما ورد فى بشارة متى وأيضاً مع حقيقة أن يوحنا يخبرنا أنه ، عندما طلب من يسوع آية فى مناسبة أخرى ، أشار مقدماً إلى القيامة (يو ٢ : ١٩) . وأوضح يسوع حينئذ أنه عندما يعطى آية ستكون من اختياره هو ، وليس من اختيار جيل غير مؤمن .

٣١ : ولقد أظهر خطيئة ذلك الجيل بإشارته إلى ملكة سبأ التى قامت برحلة طويلة شاقة لتسمع حكمة سليمان .. (سبأ كانت فى جنوب الجزيرة العربية ، وهى جمهورية اليمن الآن) . وفى يوم الدينونة سيقف الناس من معاصرى يسوع مدانين بمثل هذا المثل . فلم يكن عليهم القيام برحلة ، لأن يسوع كان فى وسطهم ، وفى عصر كانت السيادة فيه للذكر نجد أن استخدام كلمة andron للحديث عن الرجال بدلاً من اللفظ الشائع anthropon أمر له أهميته . فقد كانت إمرأة لكن سامعيه كانوا رجالاً ومع ذلك لم يتجاوبوا معه . « وهوذا أعظم » (وفى اليونانية تعنى شخصاً أعظم) ، ويبدو أن هذه العبارة تشير إلى كل ما تضمنه تجسد المسيح وبدء ملكوت الله . وهذا عمل إلهى ، أقوى بكثير من أى شىء عمله الله بسليمان .

٣٢ : ورجال نينوى أيضاً سيدينون الجيل الذى كان معاصراً ليسوع ، لأنهم تابوا بمناداة يونان . ونظراً لأن عمل الله فى المسيح كان أعظم من سليمان فهو أيضاً « أعظم من يونان » .

٣ — « النور الذى فيك » (لو ١١ : ٣٣ — ٣٦) .

وبعد ذلك بدأ يسوع تعليماً عن النور . وقد بدأ بالنور المادى ثم استمر فى كلامه مستخدماً المجاز عن النور الذى فى داخل الإنسان .

٣٣ : وظيفة النور هى الإضاءة . وما من أحد يوقد مصباحاً ويضعه فى

مكان حيث لا يمكن رؤيته ، بل على العكس ، يوضع حيث يمكن رؤية نوره على أفضل وجه (بالمقارنة مع لو ٨ : ١٦) .

٣٤ : العين هي العضو الذى يتلقى الضوء ويتحدث عنها يسوع بقوله أنها « سراج الجسد » . وعندما تتجاوب العين مع النور بالطريقة العادية ينتفع بذلك الجسد كله . ويمكن للإنسان فى الغالب أداء أية وظيفة جسمية عند ما يكون لديه استنارة طيبة . ولكن إذا ما تلفت عيناه إلى الدرجة التى لا تمكنه من الانتفاع من النور ، فلا بد أن تتلف وظائفه الجسمية . ففشل العيون فى القيام بوظيفتها يؤثر سلباً وإلى الأسوأ على كل ما يعمله الإنسان وهنا نجد تطبيقاً روحياً . فمن الممكن أن تكون العين « سليمة » حيث تعنى الكلمة اليونانية ، وتتجه اتجاهاً واحداً . وقد ترتكز العين على شيء واحد هو الخير : وفى هذه الحالة يكون « الجسد كله نيراً » . ولكن ما لم تكن العين سليمة (= الكلمة اليونانية قد تعنى شريرة) ، حينما يكون انتباه الإنسان مركزاً على الشر ، حينئذ يفسد الجسد كله « ويكون مظلماً » .

٣٥ و ٣٦ : ونظراً لأن الأمر متعلق بالحياة كلها ويمكن أن توجه للصواب أو للخطأ ، يجب أن يهتم الإنسان لئلا يكون النور الذى فيه « ظلمة » وهذه هى الطامة الكبرى . لأنه هنا يفسد تماماً كل ما فيه من خير . ولكن يسوع ينهى حديثه بتشجيع الناس بقوله إنه قد يكون الإنسان « كله نيراً » ليس فيه « جزء مظلم » . والسراج المنير مثال لذلك .

٤ ـــ الطهارة الحقيقية (لو ١١ : ٣٧ ـــ ٤١) .

قبول يسوع دعوة أحد الفريسيين للغداء عنده نجم عنها تعاليم انتقد فيها يسوع وبشدة بعض نواحي الممارسات الفريسية .

٣٧ و ٣٨ : يذكر البشير لوقا بإيجاز دعوة الفريسى للغداء وقبول يسوع هذه الدعوة (والكلمة اليونانية ترجمتها فطور صباحي وليس غداء) . ولم يعط سبب لهذه الدعوة . وحيث أنها كانت بعد عظة تبشيرية (وفيما هو يتكلم) أنه أمر بعيد الإحتمال أن توجه الدعوة بينما كان يسوع يتكلم ،والأفضل أن تكون : « وإذ قد انتهى للتو من كلامه » ، وهو استنتاج سليم أن المضيف

كان مهتماً بتعاليم السيد المسيح . وعندما دخل يسوع « تعجب » الفريسى أنه لم يغتسل أولاً قبل الأكل . وهذا أمر ليس له علاقة بالنواحى الصحية ، لكنها تقاليد مرعية للطهارة الطقسية . فقبل تناول الطعام ، كان المتشددون اليهود يصبون ماء على أيديهم ليزيلوا النجاسة التى لحقت بهم من جراء تعاملهم مع الخطاة . وكمية الماء ، وطريقة الغسل موصوفة بالتفصيل فى المشنا . لقد توقع الفريسى من يسوع ، بوصفه معلماً دينياً بارزاً ، أنه سيلتزم بهذا التقليد .

٣٩ ـــ ٤١ : لم يسجل هنا ما قاله الفريسى . لكن يسوع لاحظ دهشته وأدلى بتعليقه . لقد ركز يسوع على أهمية « الداخل » فى حين أن الكثير من القواعد المحببة لدى الفريسيين ، كانت تهتم بالخارج فقط . ونتيجة لذلك أنهم كانوا يحافظون على قوانينهم ، لكنهم كانوا ممتلئين « اختطافاً وخبثاً » . لقد كانوا يهتمون بما يفعله الإنسان ، ويهتم يسوع بشخص الإنسان نفسه . وبكل صراحة وصفهم بأنهم « أغبياء » . ثم انتقل للحديث عن قضية العطاء ، والمعنى الدقيق لها محل جدل ونقاش . تقول أحد الترجمات « أعطوا مما فى الداخل صدقة » ، وهى ترجمة حرفية تماماً . ولكن ما هى الأشياء التى « فى الداخل » ؟ البعض يفهمونها على أنها الأشياء التى فى داخل الكأس والصحفة : ويكون معنى التعبير فى هذه الحالة ، أن الإنسان يجب أن يقدم للفقير طعاماً بدلاً من أن يقيم الناس ولائم فخمة لأنفسهم ، وذلك بالمقارنة مع الترجمة الإنجليزية الحديثة « أعطوا ما فى داخل الكأس صدقة فهوذا كل شىء يصير نقياً » . وآخرون يعتبرون كلمتى الكأس والصحفة كرموز للممتلكات بصفة عامة ، كما يقول نوكس Knox « يجب أن تعطوا صدقة مما فى مخزنكم ، فيصبح كل ما تملكونه نقياً » . وآخرون يرون أنه قول ساخر معناه « بالنسبة للروح (وهو ما فى الداخل) أعط صدقة فيصير كل شىء نقياً (هذا ما تظنه أنت) . ويقول موفات Moffatt : الأفضل أن تنقى الداخل ، وهذا يعطى معنى معقولاً ، بيد أن هذا يرتكز على تخمين المعنى الأساسى فى اللغة الآرامية . ومثل هذه المعانى لا يمكن رفضها بحجة أنها غير ممكنة . ويبدو أن يسوع كان يشدد على إبراز أهمية الداخل بالنسبة للخارج ، ومن الأفضل أن نفهم أن الكلمات تشير إلى أهمية الحالة الداخلية السليمة عندما نقدم عطايا . يجب أن نعطى من القلب وليس مجرد صورة خارجية . فالعطية دون العاطى لا قيمة لها . وعندما تكون العطية من القلب ، يكون كل شىء نقياً . ومهما كانت

كمية المياه التى تصب على اليدين فلا يمكنها أن تصلح الخطأ الذى فى الداخل .

٥ — ويل للفريسيين (لو ١١ : ٤٢ — ٤٤) .

ثم يواصل يسوع حديثه فيتناول بعض ممارسات الفريسيين الأخرى حيث أدى بهم تمسكهم بالشكليات والمظاهر الخارجية إلى الوقوع فى الخطأ .

٤٢ : « ويل » . كلمة يُعبر بها عن الأسف وليس الحقد . وقد تعنى « وأسفاه » (انظر التعليق على لو ٦ : ٢٤ — ٢٦) . لقد أحزنت تصرفات الفريسيين بالنسبة للعشور قلب يسوع ، وطبقاً للناموس (لا ٢٧ : ٣٠ ، تث ١٤ : ٢٢ الخ) . كان ينبغى تقديم العشور . وكان يُقصد بها أن تكون تقدمة حُب من قلب مفعم بالسرور ، بيد أن حساب العُشر للتوافه حتى للنعنع والسّذاب جعل هذه التقدمة عبءاً يدعو إلى السخرية . والواقع أن الناموس لم يكن يطلب تصرفاً من هذا القبيل ، ثم أن المشنا أوضحت بجلاء أن السّذاب كان على أية حال يستثنى من العشور .

كان الفريسيون يتجاوزون ما هو مطلوب بالفعل . ولم يكن هذا يُشكل خطأ ما ، ولم يقل يسوع إنه ما كان عليهم أن يفعلوا هذا . لكنه عندما يركز الناسُ على التوافه من الأمور ، يكونون عرضة للتغاضى عن الأمور الهامة . أما وأن يسوع أدان الفريسيين فلم يكن ذلك مرجعه أنهم يعشرون النعنع والسّذاب ، وإنما لأنهم باهتمامهم الزائد بالتوافه تجاوزوا عن « الحق ومحبة الله » .

٤٣ و ٤٤ : وثمة نتيجة أخرى لاستغراق الفريسيين فى الأمور السطحية تمثلت فى تلهفهم لأن يكونوا محط الأنظار ، وحبهم للتفاخر والظهور . كانوا يحبون « المجلس الأول فى المجامع » كى تراهم الجماهير . حيث أن من يجلس فى هذا المكان يكون دائماً فى الصورة ، ويعرف الناس أنه من علية القوم . أما « التحيات فى الأسواق » فمن الواضح أنها تحيات فى الأماكن العامة تشير إلى أن من توجه إليهم هم أناس من الأجلاء والكبراء . وكل هذه الأمور لم تكن تساعد عامة الناس بل تعثرهم .

وبقلب ملؤه الأسف ، يُشبّه يسوع الفريسيين بأنهم « مثل القبور المختفية » . ومن يلمس قبراً كان يجلب على نفسه نجاسة طقسية .

كان بعض الناس يُدفَنون أحياناً فى قبور غير واضحة أو معروفة ، ومن هنا كانت تبرز مشكلة من ناحية أن المسافر ما لم يأخذ حذره قد يسير ، دون قصد ، فوق قبر كهذا فيجلب على نفسه ، دون أن يدرى ، نجاسة طقسية . وثمة سخرية لاذعة فى تشبيه الفريسيين المتزمتين ، الذين كانوا يتباهون ببرهم الذاتى ، بمصادرَ النجاسة هذه التى لا يدرى بها أحد . فالناس الذين يسيرون فوق قبور غير واضحة يتنجسون من الناحية الطقسية . وأولئك الذين كانوا يسيرون على نهج تعاليم الفريسيين وأساليبهم يصبحون نجسين ، نجاسة أدبية .

٦ ــ الويل للناموسيين (لو ١١ : ٤٥ ــ ٥٤) .

وكما لاحظنا فيما سبق ، نجد أن الناموسيين قوم كرسوا أنفسهم لدراسة ناموس العهد القديم . كانوا من رجال الدين ، والكثير منهم فريسيون . وثمة فرق بينهما فى أن مثل هذا الناموسى كان عضواً فى هيئة ثقافية . أما الفريسيون فيشكلون هيئة دينية . وثمة رابطة بينهما تتمثل فى أنه من الضرورى على الفريسى أن يدرس الناموس دراسة دقيقة .

٤٥ : وليس من الواضح ، ما الذى حمل الفريسى على الإعتقاد أن يسوع لم يكن يقصده هو وأقرانه . لكن الإشارة إلى تقديم العشور (وبها لمسة قانونية) ، ربما بدت كسبب محتمل لسوء الفهم . ونظراً لأنه إعتقد أنه لا يمكن ليسوع أن يكون قد قصد أن يشمل الناموسيين فى توبيخه وإدانته وأعطى يسوع الفرصة لاستثنائهم من هذه الويلات . « إنك تشتمنا ». وهذا هو المعنى الحقيقى للكلمة اليونانية .

٤٦ : بيد أن يسوع لم يكن لديه النية فى استثناء الفريسيين . بل على النقيض من ذلك استثناهم من ناحية تخصيص نقد عنيف وجهه لهم دون غيرهم . أولاً : هم يطالبون الآخرين أداء أعمال صعبة دون أية مساعدة من جانبهم . « أحمالاً عسرة الحمل » . وهذا عن طريق تفسير الكتبة للناموس وتقاليد الشيوخ . لقد غالوا فى التشديد إلى أقصى الحدود . بل إن المشنا توضح أن تفسيرات الكتبة لها من الأهمية ما لا تعادله أهمية الناموس نفسه ، وتبرر ذلك أنه إذا كان أمراً خطيراً أن تخطىء ضد الناموس الذى يصعب فهمه

أحياناً ، فإنه لأمر أكثر خطورة أن تخطىء أمام التفسيرات الواضحة تماماً ، كما يعتقد الكتبة . كان الواجب على الناموسيين أن يشرحوا ناموس الرب بطريقة واعية تساعد على الاستيعاب وتلهم القلوب ، إلا أنهم بدلاً من ذلك جعلوه حملاً عسيراً . أما قول يسوع للناموسيين « أنتم لا تمسون الأحمال بإحدى أصابعكم » يعنى أنهم لا يحركون إصبعاً واحداً لمساعدة الآخرين ، أو أن تفسيراتهم للناموس أتاحت لهم فرصة استثناء أنفسهم . فما كانوا فى حاجة لاستعمال أصبع واحد . وقد نستطيع أن نعرف شيئاً عن هذا الموقف ، من المثال التالى : فى السبت ، وحسب تعليمهم ، كان لا يجوز أن يحمل أحد حملاً فى يده اليمنى أو اليسرى ، أو فى حضنه أو على كتفه . بيد أنه يستطيع أن يحمله على ظهر يده ، أو بقدمه أو بفمه أو بمرفقه أو فى أذنه أو فى شعره أو محفظته أو تحت قميصه أو فى عبه أو فى حذائه . وإذا طبقنا هذا على كل وصايا الناموس ، سيجد الناس العاديون حملاً لا يمكن احتماله بالنسبة لمعرفة ما يجب عمله وما لا يجب . بيد أنه ثمة منافذ عديدة بالنسبة للناموسى الذى يعرف التقاليد التى تمكنه بسهولة تامة من عمل كل ما يروقه .

٤٧ و ٤٨ : وثمة اتهام ثان يكمن فى معاملة الناموسيين للأنبياء ، فهم يتباهون بأنهم يكرمون أبطال الإيمان هؤلاء ، وذلك ببناء أفخم المقابر لهم . لكنهم فى الواقع لم يفعلوا شيئاً أكثر من اتمام عمل آبائهم الذين قتلوا أولئك الأنبياء . فهم يسيرون على وتيرة آبائهم . لقد أيدوا بعملهم القتلة دون أن يدروا . وتكريم القديسين الراحلين يكون عادة أسهل منه بالنسبة للأحياء منهم . وحياة بناة مقابر الأنبياء هؤلاء أظهرت بكل جلاء أنهم مع الذين قتلوا الأنبياء قلباً وقالباً .

٤٩ ــ ٥١ : ليس من الواضح من أى سفر اقتبس يسوع كلامه عن حكمة الله ــ إن كان قد اقتبس . ولا نجد هذا القول فى العهد القديم . لكن البعض يقولون إن يسوع اقتبسه من سفر غير قانونى . ولا يمكن بالطبع أن نرفض هذا الرأى . ولكن يجب أن نعرف أن يسوع لم يقتبس من كتاب كهذا فى أى مكان آخر . ولم نسمع عن أى كتاب وردت فيه هذه الكلمات . بالإضافة إلى أن الإشارة إلى الرسل فى قوله « أنبياء ورسلاً » هو قول ينسب للمسيح وليس إلى أى سفر غير قانونى . ربما لا يقول يسوع هذا الكلام

اقتباساً ، بل يقول إنه طبقاً لحكمة الله (بالمقارنة مع لو ٧ : ٣٥) . لقد كانت مشيئة الله أن يرسل « أنبياء ورسلاً » كما كانت كلمة الله التى أعلنت للناس . وعلى الرغم من أن الله كان يعرف بعلمه السابق أن الإنسان سيرفض رسله ، إلا أن هذا الرفض لن يمر بدون حساب . فإن أناس هذا الجيل جلبوا على أنفسهم الدينونة ، لأنهم رفضوا الأنبياء وتحالفوا مع كل أولئك الذين اضطهدوهم وقتلوهم . وهكذا يطلب « دم جميع الأنبياء » منهم . وكان « هابيل » بالطبع أول شهيد (تك ٤ : ٨) وليس من الواضح لماذا (دعى نبياً) . وموت « زكريا » كان آخر ما ذكر عن موت الأنبياء فى العهد القديم ، إذا ما أخذنا الأسفار بترتيبها العبرى العادى (٢أخ ٢٤ : ٢١ وما بعده) . ويقول يسوع إنه سيطلب دم كل هؤلاء الذين قتلوا بسبب أمانتهم للرب . ولسوف يطلب من « هذا الجيل » ، لأنهم فى جيلهم شاركوا بالكامل فى الموقف الذى أدى إلى موتهم .

٥٢ : أما التوبيخ والويل الأخير فيكشف عن عبارة أخرى توهم بالتناقض . لقد تعهد الناموسيون أن يفسروا معنى الناموس . وهكذا أصبحوا معلمى الشعب . لكنهم فى الواقع « أخذوا مفتاح المعرفة » أى أنهم أخذوا المفتاح الذى يفتح معانى الكتاب ويأتى بالناس إلى معرفة الله . ولكن أساليبهم صعَّبت على الناس الوصول إلى المعنى الحقيقى لكلمة الله . وبدلاً من فتح كنوز المعرفة ، أغلق الناموسيون عليها بإحكام ، وحوَّلوا الكتاب المقدس إلى كتاب ألغاز أو فوازير . وأصبح فهم الكتاب قاصراً على الخبراء ، بل أن الخبراء أنفسهم صاروا معجبين ومشغولين بالألغاز التى وضعوها بأنفسهم حتى أنهم لم يفهموا أقوال الله الرائعة . فلم يدخلوا هم أنفسهم ولا سمحوا للآخرين أن يدخلوا . كان هناك أناس بسطاء فى طريقهم إلى معرفة الله حتى جاء معلموهم وحولوهم عن هذا الطريق .

٥٣ و ٥٤ : تملك الغضب خصوم يسوع . وحاول « الكتبة (اسم آخر للناموسيين) » و « الفريسيون » ، أن يصطادوا يسوع . أما وأنهم « يحنقون جداً» فهذا يبين شدة حقدهم. وحاولوا أن يثيروه حتى ينطق بكلمة يصطادونه بها ويشتكون بها عليه . والكلمة التى ترجمت « يصطادوا » تستعمل فى صيد الوحوش . إنها صورة حية للمقاومة الشديدة .

٧ – خمير الفريسيين (لو ١٢ : ١ – ٣) .

ومثل الخمير جاء فى الأناجيل المتشابهة الثلاثة . أما القول « ليس مكتوم لن يستعلن » فلم يرد فى بشارة مرقس . وجاء فى بشارة متى فى نص مختلف . ولن يزعجنا هذا . وليس من سبب للإعتقاد بأن اختيار المادة أو ترتيبها يجب أن يكون على نفس هذا النسق فى الأناجيل الثلاثة معاً . وعلى أية حال هناك سبب وجيه للإعتقاد أن يسوع كرر تعليمه فى مناسبات مختلفة مع تغيير طفيف .

١ : تحدث البشير لوقا فقط عن تجمع « ربوات الشعب » . والكلمة ربوة تعنى على الأصح « عشرة آلاف » فى سفر الأعمال ١٩ : ١٩ نجد خمس ربوات أى ٥٠,٠٠٠ وهذا المصطلح يستعمل فى الغالب للتعبير بطريقة غير محددة عن كبر عدد الجمهور ، وهذا هو المعنى المقصود هنا . أما الأداة التى جاءت مع هذه الكلمة فتعنى فى اللغة اليونانية « الجمهور الكبير المعتاد » . والبشير لوقا أيضاً هو الوحيد الذى ذكر أن الشعب « كان بعضهم يدوس بعضاً » ، لقد كان الضغط شديداً ، وعلى الرغم من أن يسوع كان دون شك يريد أن يسمع الشعب ما يقوله ، إلا أنه وجّه تعليمه لتلاميذه أولاً . ولا يستطيع أولئك الذين كرسوا أنفسهم لاتباع يسوع أن يجلسوا متكاسلين وينصتون بينما يقدم يسوع تعاليمه ومطالبيه لأناس خارج دائرتهم . ويجب أن يعتبر التلاميذ تعليم سيدهم موجهاً لهم بالدرجة الأولى مهما كانت تطبيقاته بالنسبة للآخرين مختلفة . وفى هذه المناسبة « ابتدأ » يسوع يحذر من « خمير الفريسيين » والاستعارة لا بد وأنها كانت أكثر وضوحاً فى ذلك الحين أكثر مما هى عليه الآن ، لأن الناس عندئذ كانوا يعملون خبزهم بمعرفتهم وكل واحد لا بد وأنه كان على معرفة بالطريقة التى تخمر بها قطعة صغيرة من الخمير كتلة كبيرة من العجين . والخمير يشير إلى سريان بطىء ، ماكر ودائم . وفى هذه الحالة فالخمير هو « الرياء » . وعادة يمثل قول شىء وعمل شىء آخر ينخر فى الحياة الأخلاقية مثل القرحة .

٢ و ٣ : والكثير يمكن قوله بالنسبة للرياء ، إلا أنه فى هذه المناسبة اختار يسوع أن يشير إلى أن الرياء سياسة قصيرة النظر ، لأنه فى النهاية كل شىء سيعرف . والرائى يعتمد على قدرته على إخفاء الأمور . وعندما يصبح الإخفاء

عسيراً لا بد وأن يسقط قناع الرياء . وربما كان عند الفريسيين أمور معينة « مكتومة » أو « خفية » . بيد أنه فى النهاية ، فى يوم الدينونة ، سيعرف كل شيء . وربما يعتقد الناس أنهم قالوا أشياء فى الخفاء هامسين « فى المخادع » . وهذه الكلمة الأخيرة تعنى « مخازن » . ولكن ، بحيث يمكن نقب الجدران ، يفضل عمل المخازن فى حجرات داخلية بعيدة عن الأمور الخارجية ، وهكذا تطور معنى « الحجرات الداخلية » (المخادع) . ولكن ما هُمِس به على هذا النحو من السرية « ينادى به على السطوح » . وسطح المنزل يوفر للمتكلم منصة من الدرجة الأولى ، يمكن منها أن يسمع صوته جيداً : فقد كان يسوع يشير بذلك إلى العلانية التامة .

٨ ــ كن مستعداً للدينونة (القضاء) ــ (لو ١٢ : ٤ ــ ١٢)

والتعليم عن الفريسيين والدينونة يؤدى بالتالى إلى قسم أكثر عمومية يتحدث عن الدينونة وأهمية الاستعداد لها .

٤ و ٥ : لا يخاطب يسوع تلاميذه بقوله « يا أحبائى » فى الأناجيل المتشابهة إلا فى هذا القول فحسب (لكن بالمقارنة مع يو ١٥ :١٤) ، وهو يطلب منهم أولاً أن يسلكوا حسب قيمهم السامية دون خوف أو وجل . فثمة ميل طبيعى للخوف ممن قد « يقتل الجسد » . والناس يعتبرون نهاية حياتهم الحاضرة (الموت) ، أعظم كارثة يمكن أن تحيق بهم ، لذلك هم يخشونه . لكن يسوع يعرفنا أن أولئك الذين يقتلون الجسد ليس لهم ما يفعلونه أكثر . فإن قتل الجسد هو أقصى ما يستطيعونه ، وسلطانهم لا يتعدى هذه الحدود . ولا يجب أن نخاف ممن كانت قدرته محدودة ، بل بالأحرى نخاف الله الذى يمتد سلطانه إلى ما وراء الموت ، والذى له سلطان أن يلقى فى جهنم ، ونحن نفضل التركيز ليس على خوف الرب بل بالأحرى محبته (١يو ٤ : ١٨) . ولكن ، فى حين أن المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج ، إلا أنه أحياناً قد يكون الخوف ناجماً عن المحبة . وهذا النوع من الخوف ينظر إليه دائماً فى الكتاب كأحد مقومات الحياة السوية . وهو موقف قائم على الاعتراف بعظمة الرب وصلاحه من ناحية ، وقابليتنا للخطية من ناحية أخرى . والخوف هنا يعتبر سداً منيعاً ضد الجرأة والتكبر . ويجب أن يأخذ مكانه فى الإيمان الصحيح . « وجهنم » ، هنا هى « النار الأبدية » ولا يجب

الخلط بينها وبين الجحيم . « فالجحيم » هو الاسم الذى يطلق على مكان الأرواح المتنقلة ، بينما جهنم هى مكان العقاب الأبدى والكلمة مشتقة من الكلمة العبرية « وادى هنوم » وكان هذا الوادى متاخماً لأورشليم ، كانوا — فى العصور القديمة — يقدمون فيه الأطفال ذبائح للإله ملكوم (لا ١٨ : ٢١ — ١مل ١١ : ١٧ .. الخ) . ولقد قضى يوشيا على كل هذا (٢مل ٢٣ : ١) ، لكن الوادى اعتبر ملعوناً (إر ٧ : ٣١ وما بعده ، ١٩ : ٦) . وقال واحد على الأقل من الكتّاب الأقدمين إنه كان هكذا دوماً .

— « هذا الوادى الملعون كان لأولئك الملعونين إلى الأبد » . وفى عصور العهد الجديد استعمل الوادى مقلباً للنافايات وكانت النار تتقد فيه بصفة مستمرة . وتداعى المعانى جعل هذا الإصطلاح رمزاً مناسباً لعذاب النار الأبدية . وثمة قلة من المفسرين يرون أن ذاك الذى له سلطان أن يلقى فى جهنم هو الشيطان ، ولكن هذا فكر مرفوض تماماً . فالشيطان لا يستطيع أن يعمل إلا فى الحدود التى سمح له الله بها . وما من إشارة تلمح إلى أن الله قد أعطاه فى أى وقت هذا السلطان . وعلينا ألا نخشى الشيطان بل نقاومه (يع ٤ : ٧ ، ١بط ٥ : ٩) . فالله فقط هو الذى له السلطان فيما يتعلق بالأمور الأبدية ، ويكرر يسوع قوله ، « نعم » ، أقول لكم من هذا خافوا .

٦ و ٧ : بيد أن اهتمامه الأساسى كان طمأنة أحبائه لا تخويفهم ، فهو يتكلم مباشرة عن العناية التى يوليها الله شعبه . ويضرب لهم المثل بالعصافير . « فخمسة عصافير » تباع « بفلسين » . وجاء في بشارة متى أن عصفورين يباعان بفلس . ومن الواضح أن عصفوراً كان يعطى مجاناً لكل من يشترى بفلسين . ولكن « واحداً منها ليس منسياً أمام الله » حتى العصفور الذى يعطى مجاناً . فالله يهتم بأبسط المخلوقات . وإذا كانت هذه عناية الله بتلك الكائنات البسيطة فكم بالحرى تكون عنايته . بالبشر ؟ . ويوضح يسوع هذه النقطة بقوله إنه حتى شعور رؤوسنا جميعها محصاة . وأهمية هذا ليس فى العدد الصحيح ، بل فى حقيقة أن الله فى عنايته الفائقة بشعبه تجده ملماً بأدق التفاصيل المتعلقة به . وهو يعرف أموراً لا يعرفونها هم عن أنفسهم . ولذا ، فأولئك الذين هم « أفضل من عصافير كثيرة . عليهم أن يقبلوا على هذه الحياة دون خوف أو وجل .

٨ و ٩ : أما موقفنا تجاه يسوع فله كل الأهمية ، فإذا ما اعترف إنسان بيسوع قدام الناس ، سيعترف به يسوع قدام « ملائكة الله » (وحسب بشارة متى : قدام أبي الذى فى السموات) وهذا تشجيع حار ليوم الدينونة . أما بالنسبة لمن « ينكر » يسوع ، فلسوف ينكره تماماً . لأن من ينكر يسوع معناه أنه رفض أن يحسب نفسه من تلاميذ المسيح . وعندما يقف أمام الله — سيبقى له اختياره هذا . ويُعرِّفُ يسوع سامعيه أن كل ما هو متعلق بالأبدية مرهون بموقفهم تجاهه . ويذكرنا Moorman مورمان أنه ثمة أكثر من طريقة لإنكار يسوع . ويعتقد ، أنه فى أيامنا هذه ، ليس من المحتمل أن ننكره ، مثلاً ، بنفس الطريقة التى أنكره بها بطرس . بيد أننا قد ننكر « ما يتميز به تعليمه من سلطان فريد ، متخيلين ، أنه بالنسبة لبعض النقاط ، نحن أعلم منه بها ، أو أن كثيراً مما قاله يمكن تبريره وإيجاد عذر له . وقد ننكر لاهوته أو أقواله . وفى الحالتين نقع فى خطية التكبر والخيلاء والاعتماد على الذات ... وهى التى تؤدى بالإنسان فى النهاية إلى إنكار سيادة المسيح و سيادة الله .

١٠ : وهذا يأتى بنا إلى الفكر الرزين بأن هناك خطية خطيرة لا يمكن غفرانها . قال عنها يسوع « إن كل كلمة تقال عنه (أى عن يسوع) يمكن أن تغفر » وهذا لا يعنى أن الكلمة تقال عن المسيح شيئاً بسيطاً . فالآية السابقة لها بينت لنا بعضاً من جلال ومكانة ابن الإنسان : فلا يجب أن يستهان به . ومع ذلك ، فإنه حتى الخطية ضد شخصية يسوع المهيبة ربما تغفر . قد يجدف الناس لكنهم يتوبون : فالتجديف لم يكن قرارهم النهائى . « أما من جدف على الروح القدس » سيجد نفسه فى موقف أسوأ من ذلك إلى حد كبير . علينا أن نعى هذا ، أى أن الأمر ليس مجرد كلام يقال ، بل من موقف فعلى فى الحياة . وهذا التجديف له خطورته القصوى ، لأنه يخص الإنسان بكليته ولا يقتصر على أنه كان مجرد كلمات قليلة قيلت فى ظرف معين . يضع البشيران متى ومرقس هذه الكلمات بالارتباط مع الجدل بشأن بعلزبول ، وهذا يساعدنا على فهم المقصود بها . فهناك ، نسب معارضو يسوع إلى الشيطان معجزات الرحمة والشفقة التى عملها يسوع . واعتبروا الخير شراً . ومن هم على هذه الشاكلة لا يمكنهم أن يتوبوا ويطلبوا الغفران ، فهم يرتكبون الخطية وما يشعرون ، ويرفضون حق الله فى إعلان كل ما هو حق . وهذا الموقف الثابت من جانبهم هو الذى يشكل أعظم خطية . وسلطان الله

بالنسبة للغفران لم ينتقص . بيد أن هذا النوع من الخطاة ، لم تعد له القدرة على التوبة والإيمان

١١ و ١٢ : بيد أنه لا يجب علينا أن نقصر معرفتنا عن الروح القدس أساساً على أنه يجب أن نكون حريصين لئلا نجدف عليه ، بل يجب أن نعرف أن الروح القدس هو الذى يقوينا ويعزينا . فهو دائم الحضور مع شعب الله ، وخاصة مع المضطهدين من أجل البر ، كى يعينهم عند مثولهم أمام السلطات . لقد تكلم يسوع أولاً عن المثول أمام « المجامع » ، وهذا يشير إلى الإضطهاد من جانب اليهود . والمجمع يمكن أن يكون محكمة أو مدرسة أو مكاناً للعبادة أيضاً . ويتكلم كذلك عن « الرؤساء والسلاطين » ، وهى عبارة شاملة قد تشير إلى اليهود أو الوثنيين أو كليهما معاً ، لكن يسوع يطلب من خاصته ألا يهتموا فى تلك الساعة بما يقولون (الاصطلاح فى اللغة اليونانية يستعمل غالباً بمعناه الفنى أن يقدم دفاعاً قانونياً) . والسبب ؟ « لأن الروح القدس يعلمكم فى تلك الساعة ما يجب أن تقولوه » (بالمقارنة مع لو ٢١ : ١٤ وما بعده) . لاحظ أن الروح القدس يعمل كمعلم فى تلك اللحظة . فهو لن يعلِّم الناس قبل ذلك . وما « يجب أن تقولوا » ، يمكن أن يترجم أيضاً « ما يلزم قوله » . فيسوع يهتم بما يجب أن يلتزم به المؤمنون حتى فى أوقات الشدة . فهؤلاء لا يخبرهم كيف يحصلون على براءتهم . بل يخبرهم كيف يخدمون الله على أفضل وجه حتى وهم فى موقف المحاكمة . ولسوف يلهمهم الروح القدس بدفاع يتم من خلاله إعلان بشارة الإنجيل ويقدم من خلاله مشيئة الرب .

٩ ــ مثل الغنى الغبى (لو ١٢ : ١٣ ــ ٢١) .

وثمة تدخل من قبل الجمع أتاح الفرصة لتعليم يختص بالاستعمال الصحيح للممتلكات المادية .

١٣ و ١٤ : كان من بين من يستمعون إلى يسوع واحد كان فى نزاع مع أخيه بشأن تقسيم « الميراث » على نحو سليم . والقوانين اليهودية فيما يتعلق بالميراث تغطى معظم هذه الحالات (بالمقارنة مع تث ٢١ : ١٧) ، إلا أنه توجد أحياناً ثغرة للشك . وفى حالة هذا الرجل الذى تكلم شعر بأن ظلماً

قد وقع . ومن الواضح أن أخاه كان مسيطراً على نصيبه ، وطلب من يسوع أن يقنعه بالرجوع عن الظلم . وهو لم يطلب من يسوع أن يقرر استحقاق كل منهما ، بل كان يطلب قراراً فى صالحه . وكان تصرفه من جانب واحد . وما من شيء يشير إلى أن الأخ قد وافق على أن يحكم يسوع فى هذه الدعوى . وبكل بساطة طلب هذا الرجل من يسوع التدخل لصالحه . وهو فى هذا كان يطلب أن يتصرف يسوع كمعلم يهودى . لأن معلمى اليهود كانوا عادة يصدرون قرارات بشأن النقاط القانونية المتنازع عليها . ومع ذلك ، رفض يسوع أن تكون له أية علاقة بهذا الموضوع . ومخاطبته للرجل بقوله « يا إنسان » إنما تشكل أسلوباً لا يعبر عن الود . (وكما قال أحدهم إنه خاطبه كغريب) . لقد جاء يسوع ليأت بالإنسان إلى الله ، لا ليأتى ليستعيد الممتلكات للإنسان . وفى هذا الموقف كان يهتم باتجاهات الناس المتداخلين فى المشكلة وليس بمن يأخذ وما الذى يأخذه .

١٥ : لقد أصدر يسوع تحذيراً قوياً ضد « الطمع » ، بدأ تحذيره بقوله « أنظروا وتحفظوا » ، وهذا ما يحيط التحذير بهالة من الجدية التامة . وكلمة « احترس » أو « احذر » فى الواقع لا تكاد تكون كافية لترجمة هذه الكلمة **Phulassesthe** ، والتى هى بالأحرى (احترزوا) والتى تعنى إتخاذ عمل إيجابى لصد العدو . وأتبع يسوع ذلك بتقرير مبدأ هام وهو أن « الإنسان » ليست حياته من أمواله . وفى هذا تحذير خطير لأولئك الذين يعيشون فى عصر الثراء والغنى الفاحش .

١٦ و ١٧ : وكعادة يسوع أوضح هذه النقطة بمثل . فتحدث عن مزارع ثرى كان له محصول وفير . امتلأت مخازنه ولم يكن له مكان آخر يضع فيه محصوله الأخير الوفير .

١٨ و ١٩ : فماذا يفعل ؟ يهدم مخازنه ويبنى أكبر منها . وهذا يحل مشكلة التخزين . أما بعد تخزين محصوله كله فإنه يستطيع أن يهدأ بالاً ، ويعيش فى رغد من العيش . وكان يتطلع إلى سنين طويلة مفعمة بالسعادة والهناء . لاحظ تكراره لضمير الملكية (أثمارى ، مخازنى ، غلاتى ..) والتى تشير إلى أنانيته المتأصلة . فلم يكن يهمه استعمال ثروته بحكمة ، ولم يفكر

فى مساعدة أحد . بل وما كان مهتماً بأن تكون له حياة أرحب وأرفع . كل همه كان محصوراً فى الانغماس فى رغباته وأهوائه .

٢٠ : « يا غبى » قال له الله . إن حياة الإنسان ليست شيئاً مضموناً حتى فى أحسن الأحوال وما من إنسان تأكد أنه سيعيش العمر الذى يريده . فالأمر الغبى حقاً كان تأكد الغنى التام وبكل بساطة أن المستقبل أصبح مضموناً مأموناً . فقال له الله « هذه الليلة تطلب نفسك منك » . والفعل حرفياً هو « يطلبون » وهى عبارة شائعة يستعملها معلمو اليهود للإشارة إلى عمل الله ، بمعنى « الله يطلب روحك » فالإنسان الذى تتعلق حياته بخيط واه ، والذى قد يطلب منه فى أى وقت أن يقدم حساباً عن نفسه ، يكون غبياً إذا ما كان متكله على الأمور المادية .

٢١ : وينهى يسوع هذا بمقابلة بين من يكتنز لنفسه وبين من يكون « غنياً لله » (أى يكون غنياً فى كل ما هو لله) ، والأمر الأخير هو المطلوب والمفروض . وغبى هو ذاك الإنسان الذى لا يسعى كى يكون « غنياً لله » .

١٠ ـ اطلبوا ملكوت الله (لو ١٢ : ٢٢ ـ ٣٤) .

تحول يسوع من خطايا الطمع والأنانية إلى خطية القلق والهم ، والتى هى فى أحد نواحيها مرتبطة بالخطيتين الأخريين . فالطمع لا يَشبع ولا يَقنع . والقلق هو الخوف من احتمال عدم وجود ما يكفى . والمال قد يكون خطراً بالنسبة لمن يعوزهم المال بل وأيضاً بالنسبة لمن يملكونه . ويؤكد يسوع أهمية الثقة فى الرب وعدم الاتكال على الماديات .

٢٢ و ٢٣ : الكلمات السابقة قيلت للشعب أما هذه فقيلت لتلاميذ المسيح . وما يقوله يسوع الآن له صلة بكلامه السابق ، حيث أن عبارة « من أجل هذا أقول لكم » توضح ذلك . بيد أن هذا ليس تعليماً للجماهير . لأن قول يسوع « لا تهتموا لحياتكم » موجه لخاصته . والمؤمن قد يفكر أو يتدبر بشكل معقول فى احتياجاته ، بيد أنه ليس له أن يقلق بخصوص طعامه ولباسه . فالحياة أكبر من هذه الأمور (بالمقارنة مع لو ١٢ : ١٥) .

٢٤ : ودعم يسوع أقواله بمثل عن الغربان ، والتى لم يرد ذكرها إلا فى هذه الآية فقط فى العهد الجديد (فهى محل رعاية الله فى مز ١٤٧ : ٩) . والطيور لا تشغل بالها بأية نشاطات متعلقة بالزراعة ، ولكنها لا تحتاج شيئاً ، الله يطعمها . ومن المحتمل أنه ثمة مغزى فى حقيقة أن الغربان ليست طاهرة (لا ١١ : ١٥) ، إلا أن الله يدبر لها احتياجاتها رغم نجاستها . وبعد ذلك يذكر يسوع سامعيه أنهم « أفضل من الطيور » (بالمقارنة مع لو ١٢ : ٧) .

٢٥ : وعلى أية حال فالإنسان مخلوق محدود وليس من الواضح ما هو نوع المحدودية الذى قصده يسوع : فالكلمة العبرية المترجمة « قامة » قد تشير إما إلى السن (يو ٩ : ٢١) ، أو إلى القامة (لو ١٩ : ٣) . والذراع هو قياس للطول (المسافة من طرف الأصابع إلى المرفق) . بيد أن مقاييس الطول كانت تستعمل أحياناً بالنسبة للزمن (مثل كلمة « أشياء » التى جاءت فى مز ٣٩ : ٥) . ولذلك فقد يعنى التعبير « يقدر أن يزيد فترة قصيرة من الزمن لحياته » ، أو قد يعنى يقدر أن يضيف ١٨ بوصة إلى طوله . وأولئك الذين يروق لهم المعنى الأول يقولون إن قلة من الناس تهتم بزيادة طول قامتهم بمقدار ١٨ بوصة ، لكن كثيرين يهتمون بزيادة أعمارهم . والغنى الغبى لم يقدر أن يضيف دقيقة واحدة إلى عمره عندما جاءه نداء الرب . ويقولون أيضاً إن هذا المعنى يتلاءم بشكل أفضل مع الإشارة إلى « الأصغر » فى الآية التالية . وعلى الرغم من أن زيادة فى العمر تبدو أمراً كبيراً بالنسبة لنا ، فقد تكون نقطة تافهة فى نظر الرب . أما أولئك الذين يجدون إشارة إلى « الإرتفاع » يشيرون إلى أن هذا يتلاءم تماماً مع نمو النباتات الوارد فى النص . والعشب والنبات لا تعرف قلقاً بيد أنها تزداد فى الارتفاع إلى درجة كبيرة . واستعمال المصطلحات بشكل عادى يبدو وأنه فى صالح الرأى الثانى .

٢٦ : لقد وضحت الفكرة . إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يعمل مثل هذه الأمور البسيطة ، فلماذا إذاً يقلقون من ناحية أمور أخرى ؟ الله الذى يهتم بنا سيوفر لنا كل احتياجاتنا .

٢٧ و ٢٨ : لقد ضرب يسوع مثلاً بالعصافير . والآن يتحول إلى الحياة النباتية . « الزنابق » ليست هى الزنابق بالمعنى الذى نفهمه الآن . ويقترح

أحدهم أنه قد يكون المقصود هو نبات الزعفران الخريفي ، أو السوسن أو شقائق النعمان القرمزى (enemone) أو زهر الجلاديولس . ويضيف كوبر Cooper زهر سوسن المارتيجون . واستخدم فى العهد القديم بالنسبة للون الشفاة جعل البعض يرجح*شقائق النعمان القرمزى . بيد أن ثمة شك ، وأن هناك الكثير مما يقال من أن الاصطلاح غامض . وعلى كل فإن يسوع كان يشير حينئذ إلى « الزهور » بصفة عامة . وهذه لا تغزل ولا تصنع ملابس كالإنسان ، لكن الله يكسوها بجمال رائع حتى أن سليمان فى أوج زهوه لم تكن ملابسه الفخيمة الرائعة تضاهيها جمالاً . ومع ذلك فالزهر الذى يقال عنه الآن « العشب » (ما يدعم الرأى القائل إنه ما من نبات مقصود بذاته) هو نبات مؤقت عمره قصير جداً . فهو « يوجد اليوم فى الحقل ويطرح غداً فى التنور » ، والحجة قوية لا تقبل مناقشة . فإذا كان الله يفعل كل هذه الأمور لمثل هذه النباتات البسيطة التى تختفى بسرعة ، فكم بالحرى يلبس شعبه ؟ أما عبارة « يا قليلى الإيمان » فتبين أن بعضاً من التلاميذ وقعوا فى خطية القلق والاهتمام .

٢٩ و ٣٠ : يأمر يسوع تلاميذه ــ ولا يكتفى بالنصح ــ ألا يحملوا هماً . فالهم يعوق العمل . ومن يعيش فى قلق لا يجد للحياة معنى . وليس للتلاميذ أن يهتموا بما يأكلون ، وهذا بالطبع لا يستبعد المجهود المشروع ، ولكن المحرم هو ألا يكون كل تركيزهم على هذه الأمور . ويفسر فيلبس Phillips هذا بقوله « لا يجب أن يكون شغلك الشاغل ماذا تأكل وماذا تشرب » (بالمقارنة مع الغنى الغبى لو ١٢ : ١٦ ــ ...) . وبناء على ذلك يجب على التلاميذ « ألا يقلقوا » . فالقلق بالنسبة للطعام والملبس أمر يليق « بأمم العالم » (اصطلاح يطلقه معلمو اليهود على الوثنيين) ، بيد أنه لا يليق بشعب الله « فأبوكم يعلم جيداً » أنكم تحتاجون إلى هذه ، وهو الذي يعرف الاحتياجات وهو أيضاً الذى سيوفرها .

٣١ : ومن الناحية السلبية يتحول يسوع إلى الناحية الإيجابية ويعلم تلاميذه كيف يعيشون . علمهم أن « يطلبوا ملكوته » وهذا يشير إلى التركيز على كل ما يشمله الملكوت . لقد وضع التلاميذ أنفسهم « فى مشيئة سيدهم » . وطبقاً لذلك عليهم أن يقضوا وقتهم فى أداء عمله وطلب ملكوته . وهذا قد

يعني محاولة إيجاد صيغة سلوك لحياتهم تتفق مع مبادىء الملكوت . ويعني هذا أيضاً العمل على قيادة الآخرين إلى حياة مشابهة لحياتهم ، لأنه بهذه الطريقة ينمو الملكوت . وأضاف يسوع أنه عندما يركز تلاميذه على الملكوت ، فإن « هذه كلها تزاد لكم » . وعندما يجل الناس الله ، فإن الله يقدر إيمانهم . وخدامه لا يجب أن يصبحوا أغنياء بالمعنى الذى يفهمه العالم ، ورغم ذلك لن يعوزهم شيء .

٣٢ : « القطيع الصغير » : عبارة غريبة للمخاطبة ، لا توجد إلا فى هذا المكان فقط فى العهد الجديد . ويشير به إلى العدد الصغير من تلاميذه الحقيقيين ، بل ويشير أيضاً إلى العناية التى يتوقعونها من راعيهم .

والواقع أن يسوع ، وبطريقة مباشرة ، يتحدث عن عطايا الآب لشعبه . فهذه لا تنزع منه انتزاعاً كما لو أنه عازف عن العطاء . لقد « سر » أن يعطى . وعطيته هى « الملكوت » ، وهو نفس الملكوت الذى نصحواللتو أن يطلبوه .

٣٣ و ٣٤ : ويجرى يسوع مقارنة بين الكنوز الأرضية والسمائية ، وهو ينصح تلاميذه بالتركيز على الكنوز الحقيقية ، ألا وهى الكنوز السماوية . وهذا قد يتضمن بيع « ما لهم » وتوزيع العائد . بيد أننا لا يجب أن نفهم الكلام كما لو أنه يعنى أن تلاميذ المسيح عليهم أن يبيعوا كل ما لهم . فإيجاد طبقة من المعوزين الأتقياء على هذا النحو يشكل خطية ضد المحبة ، لأن هؤلاء المعوزين يصبحون عبئاً على جيرانهم ، وعلى كل ، فمن المناسب أن نذكر أن مرثا ومريم استضافتا يسوع (لو ١٠ : ٣٨) ، وأنه بعد ذلك أوصى تلميذه الحبيب بأمه مريم كى يرعاها فأخذها إلى بيته (يو ١٩ : ٢٧) . وفى كلتا الحالتين لم يوبخ يسوع أيا منهما بسبب ممتلكاته . والحقيقة ، لقد كان عند يسوع والتلاميذ أنفسهم نقوداً استعملوها في شراء الطعام وتقديم العطايا (يو ١٣ : ٢٩) . ويبدو واضحاً أن يسوع لا يرفض الملكية الفردية ، إلا أنه يؤكد أن المؤمنين لا يجب أن يستعبدوا لممتلكاتهم . والإتكال على المال يحول دون الإتكال على الرب . وعندما تتحول الممتلكات إلى عثرات مميتة ، فالكنوز الحقيقية ، هى « كنوز لا تنفد » ، وتوجد فى « أكياس لا تفنى » . ومثل هذه الكنوز فى منأى عن السرقة والعث (الذى يأكل النفائس الأرضية ، مثل الملابس الفاخرة) . وحيث يكون كنزك هناك يكون قلبك . وقلب الإنسان

هو مركز نشاطه واهتماماته ، دائماً مع كنزه ، أى ، الأشياء التى يوليها التقدير الأعظم .

١١ ــ مجيء ابن الإنسان (لو ١٢ : ٣٥ ــ ٤٠) .

لقد دعم يسوع تعليمه عن استخدام المال بحكمة بالتذكير أن الأشياء الأرضية وقتية ومجيء ابن الإنسان أمر حتمى . ومن الطبيعى أن تفسر هذا على أنه المجيء الثانى ، بيد أن الكثيرين يشعرون أنه لو كان ذلك صحيحاً لعسر فهمه على سامعيه . ويقولون إن يسوع يحذرهم أن يكونوا مستعدين لكارثة ما ، ربما يقصد الأحداث التى أحاطت بالصلب . ومن الصعوبة استبعاد هذا المعنى . وقد يكون هذا مفاده أن تلاميذ المسيح يجب أن يكونوا على أهبة الاستعداد كل حين لمواجهة نوائب الزمن بروح التلمذة الحقة . بيد أنه من المستحيل القول إن هذا يحمل المعنى فوق ما لا يحتمل . ثم إن هناك إشارة مباشرة خاصة بالمجيء الثانى .

٣٥ و ٣٦ : ويطلب يسوع من التلاميذ أن يكونوا مستعدين . وضمائر المخاطب في هاتين الآيتين جاءت لتؤكد هذه الحقيقة . ومهما كان الحال بالنسبة للآخرين ، فأنتم لا بد وأن تكونوا على أهبة الاستعداد ، والأحقاء الممنطقة إنما هى خطوة على طريق الاستعداد . وثياب الفلاحين الشرقيين ، الطويلة التى تتدلى أكثر من اللازم ، تعطى صورة واضحة للاستعداد ، لأنه عند الحاجة ، وحتى لا تعوق الملابس العمل السريع ، فإنها تثنى على هيئة حزام حول الوسط . ثم يصور يسوع خدماً ذهب سيدهم إلى عرس وينتظرون عودته فى أية لحظة . وعليهم الاحتراس من عدم الاستعداد ، بل عليهم أن يفتحوا الباب بمجرد أن يقرع السيد ويظهروا أنهم مستعدون لتنفيذ كل ما يطلبه .

٣٧ : و « السيد » الذى يجد عبيده على هذا النحو من الاستعداد لا بد وأن يُسر بهم . وهذا السيد فى سروره ، وعكس ما هو معتاد منه ، أجلسهم إلى مائدة بينما قام هو على خدمتهم . وهذا التبادل غير المتوقع لا يمكن أن يقع فى حقيقة الحياة ، بل هو شيء إضافى أعد لشعب الله (بالمقارنة مع لو ٢٢ : ٢٧) . وحينئذ لا يمكن أن تكون مكافأة شعب الله شيئاً مألوفاً . إنما هى دائماً ما لا يخطر على بال .

٣٨ ــ ٤٠ : لقد شدد الآن على أهمية الاستعداد للمجيء الثانى . ويطوب يسوع أولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين « فى الهزيع الثانى أو فى الهزيع الثالث » . ويقسم الرومانيون الليل إلى أربعة أقسام ، بيد أن اليهود يقسمونه إلى ثلاثة فقط (بالمقارنة مع قض ٧ : ١٩) . وهكذا يتحدث يسوع عن عبيد سهروا طوال الليل ينتظرون سيدهم . وهم لا يعرفون موعد عودته ، لكنهم يعرفون أنه قد يعود متأخراً . ويفيد استعمال اللغة المجازية (التشبيهية) يذكرنا أن رب البيت لا يمكن أن تحيق به خسارة إذا عرف فى أية ساعة يأتى السارق . والبيت المقصود هنا هو ذاك الذى بنى من اللبِنْ ولذا يمكن أن ينقب . ورب البيت لا بد وأن يكون مستعداً . هذه هى الوسيلة الوحيدة التى يؤمن بها بيته ضد سرقة على هذا المنوال . وينهى يسوع هذا القسم بتصريح واضح مفاده أن التلاميذ لا يعرفون متى يجيء ابن الإنسان . ومجيئه مؤكد « ساعة غير معلومة » . ولذلك وجب عليهم أن يعيشوا عيشة الاستعداد الدائم ، وذلك ما أوضحه القسم السابق كله .

١٢ ــ مسؤلية العبد (لو ١٢ : ٤١ ــ ٤٨) .

ربما قُصد من سؤال بطرس أن يثير موضوع ميزات ومسئوليات الرسل . ولا شك أن هذا له علاقة بعمل الإرسالية ، وهو موضوع كان سيحظى بأهمية لدى قارئ بشارة لوقا . ولم يجب يسوع مباشرة ، لكنه لفت الانتباه إلى مسئولية كل العبيد ، ويركز على أنه كلما زادت المسئولية زادت المجازاة .

٤١ ــ ٤٤ : وينفرد لوقا بتوضيح أن بطرس هو الذى وجه هذا السؤال ، وهو سؤال مناسب . وكعادته ، قابل يسوع هذا السؤال بسؤال آخر ، حتى يقود السائل إلى التفكير . « والوكيل » كان عبداً (هكذا وصف فى الآية ٤٣) ، كلف بإدارة أملاك سيده ، وهذا أعفى السيد من مهام الإدارة الروتينية مما أدى بالتالى إلى تمتع الوكيل بحرية الحركة فى العمل . فإذا ما كان « الأمين الحكيم » ، سيدير مصالح سيده على نحو سليم ، وهذا يتضمن التأكيد من أن جميع أهل البيت قد أطعموا فى حينه وعلى أكمل وجه . ويتحدث يسوع عن وضع كان خلاله « السيد » غائباً ، إلا أنه عاد على غير انتظار (٤٣) . والوكيل المُجد الذى يجده سيده يعمل بكفاءة وأمانة عند عودته دون توقع ، لا بد وأن يكافئه سيده (٤٤) .

٤٥ و ٤٦ : بيد أن فترة غياب السيد ، وقد طالت ، قد تغرى الوكيل المهمل بشعور زائف بالاستقلال ، فلن يوقفه شيء عن الإنغماس فى نزواته . وعلى كل فقد كان مسؤلاً . وعندما يستغل الوكيل الثقة التى أولاها له سيده ،تشكل له عودة سيده مفاجأة ما كان يتوقعها . ولسوف تكون النتيجة هى عقاب ذلك الوكيل وإذلاله . وكلمة « عقاب » هى الكلمة التى توضح الموقف ، وتشير إلى جزاء رادع . أما وأن يسوع كان يفكر أساساً فى تلاميذه وليس فى مجرد سرد قصة بسيطة ، فهذا ما نعرفه من قوله عن هذا العبد المسيء وأنه يجعل نصيبه « مع الخائنين » . وهذا أمر لا يزعج وكيلا منغمساً فى شهواته (ما لم يعنى هذا أن الخدم يعاقبون جزاء خيانتهم) . لكن هذا أمر هام بالنسبة لكل مسيحى .

٤٧ و ٤٨ : وينهى يسوع هذا الجزء بتأكيد حتمية العقاب بالنسبة لأولئك الذين يقصرون فى آداء واجبهم والمسئولية تقع على أولئك الذين تسلموا كثيراً (عا ٣ : ٢) ، ويجب ملاحظة أن الناس يعاقبون ليس لأنهم يرتكبون الأخطاء ، بل لتقصيرهم فى عمل ما هو صواب (بالمقارنة مع يو ٤ : ١٧) . ومن الأهمية بمكان أن ينشط خدام المسيح فى عمل مشيئته . ونحن معرضون لأن يزعجنا فكر أن الإنسان الذى يخطيء فى جهل سيلقى جزاءه (٤٨) ، وهنا يقول فارر Farrar « علينا أن نتذكر أنه ليس هناك ما يسمى جهل أدبى مطلق » (رو ١ : ٢٠ ، ٢ : ١٤ و ١٥) . ويقول رايلى Ryle أيضاً « إن جهلنا نفسه يشكل جزءاً من خطيتنا » . والتأكيد بالطبع ينصب على حقيقة أن الطرق « خفيف » . بيد أنه لا يجب أن نقلل من أهمية عمل مشيئة الله . بل يجب أن نبذل قصارى جهدنا كى نكتشف ما هى مشيئة الله ونعملها . وكلنا مسئولون .

١٣ ــ نار على الأرض (لو ١٢ : ٤٩ ــ ٥٣) .

وثمة شعور بأن يسوع قد جاء من أجل السلام . بيد أن هناك بعض الأمور تفوق السلام أهمية ، وأحياناً نجد أن رسالته والطريقة التى تتقبل بها تعنى الإنقسام . ويفسر يسوع معنى هذا القول .

٤٩ و ٥٠ : ومعنى هذه الفقرة غير واضح . فالبعض اعتبر أن « ناراً »

تشير إلى الانقسام ، وآخرون قالوا إن المقصود بها « قداسة أو إيمان » . بيد أن العبارة تعنى بالأكثر « الدينونة » . وقد يكون هذا معناها فى هذه الآية . ومجيء المسيح يعني الدينونة بالنسبة لغير المؤمنين مثلاً . وهو يتطلع إلى إيقادها (اضطرامها) ، على الصليب الذى هو مركز كل رسالته . والبعض وهذا حق ، يأخذ الكلمة بمعنى « وماذا أريد إذا ما كانت قد اضطرمت من قبل ؟ وقد يرجع هذا إلى قلة فهم للنص اليونانى » . وبالنسبة للمواكبة فيما يتعلق بما يليه . يقول يسوع إن خطة الله من ناحية الإنسان هى الخلاص الذى يشمل الدينونة . بيد أنها دينونة يتحملها يسوع عن الآخرين ، وليست دينونة ينزلها بهم . وهذا ليس أمراً جذاباً يتطلع إليه الناس لكن يسوع يتوق إلى مجيئه ، لأنه من خلال هذا وحده يمكن إتمام عملية الخلاص . وهو يذهب إلى اعتبار أن الصليب ما هو إلا « معمودية » . وهو تصوير استخدمه فى مواضع أخرى (مر ١٠ : ٣٨ وما بعدها) . كما يناسب الصلة المألوفة لكلمتى « المعمودية » و « يعمد » بالموت . وقد نرى لمحة لما يكلفه الصليب بالنسبة ليسوع فى قوله « وكيف انحصر حتى تكمل » ، أو « ما أشد ما أعانى حتى تتم » . فظل الصليب يخيم فوقه . وهو يعلم أن هذا أمر لا مفر منه . وهو أساس تجسده . بيد أنه على الرغم من قبول حتميته فلا شيء يجعله جذاباً .

٥١ — ٥٣ : وبالنسبة للسؤال عما إذا كنا نعتقد أن يسوع قد جاء ليلقى سلاماً ، فمعظمنا سيجيب دون تردد « بلى » . بيد أن قول المسيح « كلا » يؤكد ذلك . ولا شك أن ثمة معنى فى أنه جاء ليعطى سلاماً ، ذلك السلام العميق مع الله الذى يؤدى إلى سلام حقيقى مع الناس . ولكنه فى معنى آخر ، رسالة حاسمة . فالصليب يتحدى البشر ، ويطلب يسوع من تلاميذه أن يحملوا صليبهم ويتبعوه (لو ٩ : ٢٣ وما بعده ، ١٤ : ٢٧) . وما لم يصل الناس إلى مستوى مواجهة هذا التحدى ، فليس من الغريب أن ينتقدوا أولئك الذين وصلوا . والإنقسامات التى ستنجم عن هذا الموقف قد تسرى بين العائلات (بالمقارنة مع ميخا ٧ : ٦) . وبالمصادفة فإن « الخمسة » فى الآية (٥٢) لم تصل إلى ستة فى الآية التالية ، لأن « الأم » ، « الحماة » كلمتان متطابقتان . والعائلة هى الأب ، الأم ، الابن ، زوجة الابن (التى ستأتى وتعيش معهم) وابنه .

١٤ ـ علامات الأزمنة (لو ١٢ : ٥٤ ـ ٥٩) .

ليس من الواضح عما إذا كانت هذه الكلمات قد قيلت فى نفس المناسبة مثل سابقاتها . وليس من ثمة ارتباط واضح ، ويذكر البشير متى قولاً مماثلاً رداً على طلب آية . ومن المحتمل أن البشير لوقا يذكر قولاً دون أن يشير إلى قرينته .

٥٤ و ٥٥ : يعلق يسوع على قدرة مواطنيه على التنبوء بالأحوال الجوية . لقد تعلموا كيف يفسرون السحب والرياح ، وكانت تنبؤاتهم صحيحة ودقيقة .

٥٦ : بيد أنهم « مراؤون » . لقد ركزوا على السطحيات ، اهتموا بالطقس المبهر ، لكنهم تجاهلوا الأمور الهامة . لم يستطيعوا رؤية السمة الحقيقية للأزمنة ، لأنهم لم يقصدوا أن يروها . كانوا بارعين فى التنبؤ بالأحوال الجوية ، بيد أنهم لم يستطيعوا أن يميزوا سحب العاصفة الهوجاء التى كانت فى ذلك الوقت تزأر حتى انفجرت فى الضيقة العظيمة فى الفترة من ٦٦ ـ ٧٠م والتى انتهت بخراب أورشليم وتدميرالهيكل . فهموا رياح الأرض ، وتجاهلوا رياح الله ، استطاعوا أن يميزوا سحب الجو ، لا السماء . وكان إفراطهم فى التعلق بالمظاهر الخارجية المتعلقة بالتدين حائلاً دون رؤيتهم وإدراكهم لمعنى ومغزى مجىء المسيح .

٥٧ ـ ٥٩ : لقد حفز يسوع تابعيه على أن يسعوا إلى المصالحة مع الله . لأنه إذا ما كان الناس فى الأمور الدنيوية يسعون للحصول على أفضل تسوية ممكنة بعيداً عن المحاكم ، بدلاً من الإصرار على نظر قضية لا أمل فيها ، أما الاتكال على مثل ما يحدث فى بلاد مثل اليهودية حين كانت هناك سلطتان قضائيتان ، الرومانية واليهودية ، وإذا ما وجد شخص أنه من المحتمل أن يواجه صعوبات مع إحداها كان يلجأ إلى الأخرى وينجح فى مرماه . بيد أن الخطاة لا يجب أن يخدعوا بالأمن المزيف ، معتقدين أنه على الرغم من أن قضيتهم أمام الرب لا أمل فيها ، فإن أمامهم قضية مضمونة فى التشريعات الأرضية . لأنهم إذا ما اتكلوا على هذا السراب سيفقدون فى النهاية كل شىء أمام المحكمة الوحيدة ذات الأهمية القصوى ، المحكمة الإلهية ، لأنه لا يمكنهم فى النهاية

تفادى قضاءها . ولا يجب أن يدخروا جهداً أمام هذه الحقيقة فى أن يتصالحوا مع الله . لأنه إذا ما حكم الله على إنسان فى النهاية ، ستوقع العقوبة وبحدها الأقصى .

ح ـــ التوبة (لو ١٣ : ١ ـــ ٩) .

١ ـــ أولئك الذين يهلكون (لو ١٣ : ١ ـــ ٥) .

لم يذكر البشير لوقا السبب الذى دعا البعض أن يخبروا يسوع عن المذبحة التى تعرض لها بعض الجليليين . ربما كان هؤلاء من اليهودية وذكروا هذا شماتة وتشفياً كمثال لنوع الدينونة التى كان يسوع يتحدث عنها ، ولكن يسوع لم يأخذ بهذا ، بل انتهز الفرصة لإيضاح مدى الحاجة الملحة إلى التوبة .

١ ـــ هذا الحدث لم يذكره أى مصدر آخر ، بيد أنه يتفق وما تعرفه عن أخلاق بيلاطس . ومن الواضح أن بعض الجليليين صعدوا إلى أورشليم للعبادة وَقَتلهم الحاكمُ بينما كانوا يقدمون ذبائحهم فى هيكل أورشليم . أما وإن دماءهم خلطت بذبائحهم فهذا ما يشكل أمراً رهيباً فظيعاً . ومن الصعوبة أن نجد مبرراً لقتلهم فى مثل تلك المناسبة .

٢ و ٣ : كان من المعتقد أن الكارثة تأتى كعقوبة للخطية (بالمقارنة مع يو ٩ : ٢) . ولذلك أوضح لهم يسوع فى الحال أن هؤلاء الجليليين لم يلقوا هذه النهاية المروعة لأنهم كانوا أكثر خطأً من الآخرين . ودعا سامعيه إلى التوبة ، وإلا فإن « جميعهم كذلك يهلكون » . ومن الجلى أنه لم ير حاجة للقول إنهم جميعاً خطاة وفى حاجة إلى التوبة ، لأن الجميع أساساً من الخطاة . وقوله « كذلك » لا تعنى أنهم سيهلكون بنفس الطريقة كالجليليين . وقد يكون المقصود هو أن طريقة الموت التى كابدها الجليليون لم تعطهم فرصة للتوبة . غير التائبين الذين كانوا يسمعون تعاليم ووضعوا أنفسهم فى موقف يعرضهم لمواجهة ميتة غير التائبين فى الوقت المناسب . أو قد تتضمن الفكرة الهلاك على أيدى الرومانيين . وما لم يتوبوا سيواجهون نفس المصير على أيدى الرومان .

٤ و ٥ : ثم تحدث يسوع عن نكبة أخرى وقعت فى أورشليم ولم نسمع

عنها إلا من خلال هذه الإشارة فقط . فعلى سامعيه ألا يفترضوا أن الثمانية عشر الذين لقوا حتفهم عندما سقط عليهم برج سلوام كانوا « خطاة أكثر » من كل الساكنين فى سلوام (والترجمة الواقعية : مدينون ، فالناس مدينون بالطاعة للرب) . لكن مصيرهم كان يشكل تحذيراً للسامعين ويبين لهم ضرورة التوبة . أما حقيقة الفعل ، فتبين أن التوبة هى عمل حاسم ، وهى أمر نهائى يشكل مجرى الحياة بعد ذلك ، كذلك هى مطاردة يومية للخطية .

٢ ـــ مثل شجرة التين التى لا تعطى ثمراً (لو ١٣ : ٦ ـــ ٩) .

ويذكر البشير لوقا مثلاً يبين الحاجة إلى التوبة من ناحية ، وتمهل الله فى العقاب من ناحية أخرى . والفقرة السابقة شددت على أهمية التوبة ، أما هذه الفقرة فتركز على إبراز حقيقة أن الفرصة المتاحة للتوبة لا تنتظر إلى ما لا نهاية .

٦ و ٧ : والمنظر الذى يتحدث عنه يسوع يبين شجرة تين مغروسة فى كرم (إذا هى فى تربة خصبة) . لقد انتظر صاحب الكرم ثمر هذه الشجرة مدة ثلاث سنوات ، يبدو أنها تشير إلى شجرة مغروسة منذ مدة . أما كونها لم تعط ثمراً لسنوات ثلاث فقد كان ذلك نذير سوء لها . وليس من المحتمل أن تثمر بعد ذلك . ومن ثم أصدر صاحب الكرم أمره « اقطعها » . لأن ضررها لم يقتصر على أنها لم تعط ثمراً فحسب ، بل كانت تعطل إنتاجية الأرض أيضاً .

٨ و ٩ : كانت نصيحة الكرام هى التذرع بالصبر إزاءها . ربما معالجة الأرض واستخدام السماد مدة سنة أخرى تأتى بنتيجة طيبة . وهذا يتيح للشجرة فرصة أخيرة للإنتاج . لكن الكرام يعرف الحقائق جيداً . إذا لم تصنع ثمراً رغم ذلك فيجب أن تقطع . مع ذلك فهو لا يقول « سأقوم بقطعها » ، بل قال « تقطعها » . فلن يبادر هو بالهلاك . ويعلمنا يسوع أن الله رحوم إلى آخر المدى .

ط ـــ شفاء المرأة المنحنية (لو ١٣ : ١٠ ـــ ١٧).

حفظ السبت كان محل نزاع مستمر بين يسوع ومعارضيه . ويكتب البشير لوقا عن معجزة شفاء تمت يوم سبت فأثارت جدلاً بخصوص الاستعمال السليم للسبت .

١٠ و ١١ : لم يوضح البشير لوقا زمن هذه المعجزة واقتصر على قوله « فى السبت » . ولم يذكر مكان حدوثها ما خلا قوله « أحد المجامع » . وهذه آخر مرة قيل فيها إن يسوع كان يعلم فى أحد المجامع . ووصفت حالة تلك المرأة بأنها « التهابات بالفقرات Spondylitis تؤدى إلى الإنحناء . فقد تصلبت عظام العمود الفقرى (هذا ما ذكره رندل شورت Rendle Short) .

١٢ و ١٣ : ولا توجد أية إشارة إلى أن المرأة كانت تؤمن بيسوع ، أو أنها كانت فى الحقيقة تعرفه البتة . وجاءت المبادرة من جانب يسوع نفسه . لقد أعلن شفاءها ، وضع يديه عليها وفى الحال « استقامت » . ولم يكن يسوع فى العادة يضع يده على أولئك الذين يشفيهم . وربما قصد البشير لوقا أن الروح (١١) كان قد طرح بعيداً (١٢) وأن يسوع قد أكمل عندئذ الشفاء بوضع يديه . وأنه لأمر جدير بالاهتمام أن تلك المرأة أظهرت امتنانها بأن « مجدت الله » وليس يسوع .

١٤ : لقد أغاظت معجزة الشفاء « رئيس المجمع » (انظر لو ٨ : ٤١) ، ويركز البشير لوقا فى شرحه على ذكر اليوم « لأن يسوع أبرأ فى السبت » . وربما شعر رئيس المجمع أيضاً أن ثمة انتهاك لسلطته ، لأنه يوجه ويشرف على كل ما يدور فى المجمع إلا أن ما وقع قد تم دون الرجوع إليه . ولم يؤنب يسوع ، بل وجه كلامه للمجمع بصفة عامة . وتذرع بالوصية الرابعة ليمنع معجزات الشفاء المماثلة . فالناس يجب أن يعالجوا أنفسهم فى ستة أيام فقط .

١٥ و ١٦ : واستخدام يسوع كلمة « مرائى » ، أخجل ليس رئيس المجمع فحسب ، بل كل الذين كانوا يؤيدونه . وقد تمثل رياء رئيس المجمع فى أنه خاطب الجمع فى حين أنه فى الواقع كان يستهدف توبيخ يسوع ، بيد أن رياءه ظهر بالأكثر فيما ادعاه من غيرته على الناموس بمعارضته عملاً استوفى متطلبات الناموس روحاً وهدفاً . ولقد اختار يسوع أن يوبخ الرياء الذى يمثله هذا المسلك وذلك بالإشارة إلى عادة اليهود بالنسبة للعناية بحيواناتهم . لقد كان معلمو اليهود يهتمون اهتماماً كبيراً بحسن معاملة الحيوان . وفى السبت ، يمكن أن تقاد الحيوانات بحبل أو ما شابه ، طالما أنها لا تحمل أثقالاً . ويمكن أن يُجلب لها الماءُ ويصب فى الإناء ، على الرغم من أنه لا يجب أن يمسك

الإنسان للحيوان دلواً ليشرب منه . وإذا ما كانت الحيوانات تلقى هذا القدر من العناية ، فبالأولى أن تحرر « ابنة ابراهيم » من رُبُط الشيطان فى السبت . والحق أن يسوع استخدم عبارة قوية حيث قال « أما كان ينبغى أن تحل » . فمرض هذه المرأة كان نتيجة « ربط الشيطان » . ويجب أن يقهر الشيطان حتى يتم شفاؤها . وهذا لا يعنى بالطبع أن المرأة كانت شريرة ، فقد كانت تشارك فى العبادة ، وما وصفه بها يسوع يشير إلى أنها كانت إمرأة تقية ، لكن مرضها كان شريراً .

١٧ : وتأثير المعجزة كان مضاعفاً . لقد « أخجل » جميع الذين كانوا يعاندون يسوع ، و « فرح كل الجمع » (الأفعال فى الزمن المستمر) . ولا شك أن الرأى العام ساند يسوع بقوة . لقد بهرت الجموع لا بهذه المعجزة وحدها فحسب ، بل « بجميع الأعمال المجيدة الصادرة منه » .

ى ـ ملكوت الله (لو ١٣ : ١٨ ـ ٣٠) .

المثلان المختصران اللذان بدىء بهما هذا القسم يشكلان ثنائياً ورد أيضاً فى بشارة متى (حبة الخردل لا الخمير فى بشارة مرقس) .

١ ـ مثل حبة الخردل (لو ١٣ : ١٨ و ١٩) .

وكلمة « ثم » التى بدأ بها البشير لوقا تبين أن هذا التعليم نتج عما سبقه . ومعارضة رئيس المجمع ومن كانوا يساندونه لا تعنى أن الملكوت سيتعثر من ناحية إكماله . فالترحيب الحار الذى استقبلت به الجموع رد يسوع على رئيس المجمع ، وفرحهم بجميع أعماله (١٧) ، أظهر أن الملكوت كان يحقق غايته . وأورد البشيران متى ومرقس هذا المثل بشكل مختلف . ولكن لا يجب أن يؤخذ هذا مبرراً لرفض الوضع الذى ورد فى بشارة لوقا . وهذا هو النوع من الأمثال المقتضبة الذى يمكن أن يكرر بسهولة ويستعمل بطرق مختلفة . والتناقض بين حجم حبة الخردل بالغة الصغر والنبات الكبير الذى تنتجه هو فى الواقع ما يركز عليه البشيران متى ومرقس . أما هنا فى بشارة لوقا فالتركيز على المحصلة النهائية : ينمو النبات بدرجة كبيرة حتى أن الطيور تتآوى فى أغصانه . والنبات المقصود ليس معروفاً على وجه الدقة ، ولكن الغالبية يعتقدون أنه الخردل الأسود Sinapis nigra . وهو فى الحقيقة ليس شجرة ، إلا أنه فى ظروف

مواتية يسمو إلى ارتفاع قد يصل إلى عشرة أو اثنتى عشر قدماً . والطيور التى تأوى فى الأغصان هى فى الغالب رمز لأمم الأرض (حز ١٧ : ٢٣ ، ٣١ : ٦ ، دا ٤ : ١٢ ، ٢١) . فالملكوت سيكون شاملاً والناس من جميع الأمم سيجدون أنفسهم فيه .

٢ ـ مثل الخميرة (لو ١٣ : ٢٠ و ٢١) .

المثل السابق كان يتعلق بنمو الملكوت واتساع رقعته فى العالم كله . أما هذا المثل فيهتم بالأحرى بقوة التحويل الخاصة بالملكوت . وفى الجهات التى يُعمل فيها الخبزُ بالمنزل يفهم الناس هذا المثل بسهولة أكثر مما يُفهم الآن . ويبدو أنه لم يكن هناك تشديد على حقيقة أن النساء استعملن « ثلاث كيلات » دقيق ، على الرغم من أن هذ الكمية هى التى استعملتها سارة (تك ١٨ : ٦) . وربما كانت هذه هى الكمية المعتادة ، لكنها لم تكن كمية صغيرة حوالى خمسين رطلاً من الدقيق ، ولا يحتاج الأمر إلا إلى كمية صغيرة من الخميرة لعمل كمية كبيرة من العجين . ويستعمل « الخمير » دائماً فى الكتاب المقدس ليشير إلى التأثير السيء ، بيد أنه ما من مبرر لفهمه بهذا المعنى فى هذا المثل . والنقطة الأساسية هنا هى أن كمية صغيرة من الخمير تعطى تأثيراً كبيراً فى كتلة أكبر . هكذا الملكوت ، فالخميرة تعمل فى سكون دون أن يراها أحد ، والملكوت يعمل من خلال سلطان المسيح على قلوب البشر ، وليس على شيء خارجى مرئى . وربما يجدر أيضاً ملاحظة أن الخميرة تعمل من الداخل . ولا تستطيع أن تغير أو تؤثر فى العجين وهى فى الخارج . بيد أنه من المهم أيضاً أن تأتى القوة على التغير من الخارج . فالخمير لا يغير نفسه .

٣ ـ من هم الذين يخلصون ؟ (لو ٣ : ٢٢ ـ ٣٠) .

الحدث التالى كان فى مناسبة أخرى ، بيد أنه مرتبط من حيث الموضوع . لقد أوضح يسوع بجلاء أنه ستكون هناك مفاجآت كثيرة بالنسبة لمن يدخلون الملكوت (يخلصون) .

٢٢ و ٢٣ : والإنطباع الذى نستشعره هنا ، أن يسوع كان يسافر قاصداً أورشليم على غير عجلة ، وتخللت رحلته كثير من فترات تعليمية فى مدن كبيرة،

بل وفى قرى صغيرة أيضاً . وفى إحداها سأله أحدهم « ياسيد أقليل هم الذين يخلصون ؟ » وكان السؤال يناسب المجال ، نظراً للتشويش الذى كان يسود النواحى الدينية فى ذلك الحين . وثمة دلائل (غير كتابية) أنها كانت موضع مناقشة ، وأن معلمى اليهود كانت لهم أراء شديدة التباين . بيد أن الإعتقاد كان راسخاً أن إسرائيل كلها ستنال الخلاص عدا حفنة من الخطاة المشاغبين .

٢٤ و ٢٥ : لم تكن إجابة يسوع مباشرة ، لكنه حتى السائل والآخرين (اجتهدوا . وردت بصيغة الجمع) أن يجتهدوا أن يكونوا ضمن الداخلين ، سواء كانوا كثيرين أم قليلين . لأن السعى والاهتمام بمصيرهم الأبدى له أهميته القصوى ، لا تقارن بإجراء عمليات حسابية لمعرفة أعداد الذين يخلصون . والكلمة « اجتهدوا » تشير إلى عمل مخلص من كل القلب . وهى كلمة فنية تستعمل فى المباريات ، ومنها استخلصت الكلمة « يتعذب » . وهى لا تشير إلى مجهود فاتر . وهذا لا يعنى أن الإنجاز البشرى يؤهل للدخول إلى الملكوت . والمعنى هنا هو الموقف . ولم يشرح من الباب الضيق ، ومن الواضح أنه الباب المؤدى إلى الخلاص . وأن « الكثيرين » الذين لن يقدروا على الدخول هم الذين لا يحاولون ذلك إلا بعد أن تفوت الفرصة . وثمة مغزى فى صيغة الفعل (المستقبل) ، « سيطلبون » والتى تعارض صيغة الفعل « اجتهدوا » التى تدل على الحاضر . فالدين يجتهدون الآن يدخلون . ولا توجد أية إشارة هنا أو فى أى موضع آخر تدل على أن الطالبين الحقيقيين يجدون أنفسهم مبعدين من الملكوت . بيد أن هناك ولا شك حداً للوقت الخاص بمنح الخلاص . وعندما يُغلق باب الفرصة نهائياً سيكون الوقت قد مضى . فالإنسان يجب أن يجتهد أن يدخل الملكوت الآن قبل فوات الأوان .

٢٦ : ثم تصور يسوع بعضاً من الذين رفضوا حيث يتوسلون قائلين إنهم سبق وعرفوا الرب « أكلنا قدامك وشربنا » لقد علم يسوع فى شوارعهم . وبالمصادقة ، يحرم بعض معلمى اليهود التعليم فى الشوارع ، إلا أن يسوع كان يفعل هذا . لقد أتاح تعليمه لكل الناس ، وحيثما كانوا . بيد أن كل ما استند إليه هؤلاء الناس كان مجرد قرب مادى . ولا يستطيعون الإدعاء بأنهم تعاطفوا على أى وجه مع تعاليمه .

٢٧ : والنتيجة أنهم سيواجهون بالرفض الكامل . يقول رب البيت إنه

لا يعرفهم من أين أتوا ويسميهم « فاعلى الإثم » (بالمقارنة مع مز ٦ : ٨) . ولم يذكر عمل الإثم بصفة محددة . ولكن لن يكون فى النهاية إلا طائفتان : أولئك الذين دخلوا ، وأولئك الذين ظلوا خارجاً . ونظراً لأن هؤلاء الناس لم يبذلوا ولم يسعوا وراء ما هو لازم للدخول ، وسوف يحسبون ضمن طبقة فاعلى الإثم الذين فى الخارج .

٢٨ : لسوف ينتحبون (وهكذا يعبرون عن الأسى والحسرة والشعور بالرعب) ويصرون أسنانهم (فى غضبهم) . وهذه تدل على أقصى درجات الإحباط والقنوط . يشعرون بهذا أيضاً عندما يرون أبطال الإيمان العظام فى الملكوت وقد اعتقدوا دائماً أنهم سيشاركونهم ، بينما يجدون أنفسهم مطروحين خارجاً . وهذا التعبير الأخير يشير إلى استعمال قوة ما لطرحهم . والنتيجة الختامية لموقفهم أنهم يجلبون على أنفسهم مقاومة الرب الفعالة لهم .

٢٩ و ٣٠ : وينهى هذه الفقرة بأنه ستكون ثمة مفاجآت كثيرة بالنسبة لأبناء الملكوت . سيأتى الناس من جميع أرجاء العالم ، وهذا يعنى أن الأمميين سيكونون ممثلين بشكل جيد (بالمقارنة مع إش ٤٥ : ٦ ، ٤٩ : ١٢) . وهذا سيكون مدعاة دهشة أولئك اليهود الذين يعتقدون بأن لهم ولاية على الملكوت . « ويتكئون » ، وهنا يستخدمون تشبيهاً لوليمة المسيح السمائية ، رمز لفرح الأيام الأخيرة الذى يحبه اليهود حباً عظيماً . ولا بد وأنهم ذهلوا تماماً عندما سمعوا أن الشعوب الأممية (غير اليهود) يشاركون فيها . فى حين أنهم هم الذين استبعدوا . وسيواجهون عذاباً مضاعفاً ، لأنهم هم الذين استبعدوا ، من جهة ، ورؤيتهم الأممين وقد شاركوا فى الوليمة السمائية من جهة أخرى . ولسوف يكتمل الوضع العكسى كما يظهر ذلك جلياً من كلمتى « أولين » ، « آخرين » . فطرق الله ليست كطرقنا .

ك ــ الأنبياء يهلكون فى أورشليم (لو ١٣ : ٣١ ــ ٣٥) .

١ ــ ذلك الثعلب « هيرودس » (لو ١٣ : ٣١ ــ ٣٣) .

٣١ : إنه لأمر غريب أن يحذر « بعض الفريسيين » يسوع من هيرودس على الرغم من مقاومتهم بكل شدة لكل ما كان يقوله ويعمله ، ربما أدركوا أنهم أكثر قرباً ليسوع من هيرودس . ومن الأرجح أنهم كانوا عملاء هيرودس

سواء عن قصد أو غير قصد . وبعد تجربته مع يوحنا المعمدان لم يرد هيرودس أن يقتل نبياً آخر حيث لم يعد يحتمل ذلك ، لكنه يريد التخلص من يسوع . ولذلك استخدم الفريسيين كي يلمحوا إلى يسوع أن حياته مهددة بالموت . وربما أبدو استعدادهم للتعاون آملين أن يثوا الخوف فى نفس يسوع حتى يرحل إلى اليهودية ، حيث نفوذهم هناك أقوى .

٣٢ : « الثعلب » . كلمة استعملها اليهود كرمز لكل خبيث ماكر ، بيد أنهم استخدموها فى الغالب الأعم كناية عن الشخص التافه الحقير . وكانت أحياناً تتخذ رمزاً للقدرة على التدمير أو الإهلاك .

ويقول مانسون Manson « الإشارة إلى هيرودس بعبارة ذلك الثعلب » تفيد أنه ليس عظيماً ولا أهلاً للثقة ، فقد كان يفتقر إلى مقومات العظمة والشرف . ولذلك فهذا تعبير يدعو إلى الازدراء . وهيرودس هو الشخص الوحيد الذى كتب عنه أن يسوع عامله بازدراء . ونقرأ بعد ذلك أنه ترجى أن يرى يسوع وهو يعمل آية ، وأنه عندما وقف يسوع أمامه ، لم يجبه بشىء (لو ٢٣ : ٨ وما بعدها) . وعندما لا يقول يسوع شيئاً لإنسان ، فلا بد أن حالة هذا الإنسان ميئوس منها . أما وأن يسوع يقول للفريسيين أن يمضوا إلى هيرودس ، فهنا نرى ما يؤيد الرأى القائل أنهم كانوا على صلة به . وقد لا يعنى سوى أن يسوع يوضح أنه لا يهمه أن يحضر هيرودس ليسمعه . وأما إخراج الشياطين ومعجزات الشفاء فتعنى أن يسوع مستمر فى رسالته . بيد أنه أوضح أن ذلك لن يستمر لأجل غير محدد . « فى اليوم الثالث » تعنى « فى زمن قصير » أو « فى نهاية فترة محددة » أو قد تعنى التعبيرين معاً . وبعد ذلك « يكمل » يسوع . والكلمة « أكمل » قد تعنى نهاية عمل يسوع فى هذه المنطقة أو إكمال عمله الخلاصى . ويقول يسوع إنه هو الذى سيكمل مسيرته . فالله وليس هيرودس هو الذى يحدد متى « يموت » يسوع .

٣٣ : وتتكرر نفس الإشارة الزمنية ، ونفس المشكلة التفسيرية (ونفس الحل) . كان يسوع يتبع الطريق الذى خططه له الله . وهذا ما تؤيده كلمة « ينبغى » ، والتى تشير إلى الناحية الإلهية التى تملى على يسوع خطواته . وتأتى الآية إلى ذروة تهكمية « لا يمكن أن يهلك نبى خارجاً عن أورشليم » . وهى كعاصمة تمثل قلب الأمة . ويتحدد فيها مصيرها ومصير أنبيائها . وفيها

أمام السنهدريم ، كانت تجرى محاكات الأنبياء . وفيها أخذ موقف الأمة تجاه يسوع شكله النهائى وفيها وقع الموت الذى أتم خطة الله بالنسبة لمسيحه .

٢ ـ رثاء أورشليم (لو ١٣ : ٣٤ و ٣٥) .

من المحتمل أن يكون البشير لوقا قد سجل رثاء أورشليم هنا ، لا لشيء سوى صلته بالموضوع . ويبدو من الأرجح أن ذلك حدث عندما كان يسوع يقترب من المدينة ، كما جاء فى بشارة متى ، والبديل لذلك أن يسوع ربما قال هذه الكلمات مرتين . وهذا لا يبدو محتملاً . والخطاب الرقيق يبين مدى اهتمام يسوع الفائق بمصير المدينة النهائى . كما يظهر أيضاً أنه كانت له معاملات كثيرة مع أورشليم أكثر مما جاء فى الأناجيل المتشابهة ، لأن كلمة « كم مرة » تعتبر كلمة غريبة إذا ما قصد بها اتصالاته القليلة بالمدينة والتى تحدث عنها .

لقد وصف يسوع المدينة أنها معتادة على الرفض ، بل وعلى قتل رسل الله إليها سواء كانوا أنبياء أو غير ذلك (بالمقارنة مع ٢مل ٢١ : ١٦ ، ٢أخ ٢٤ : ٢١ ، إر ٢٦ : ٢٠ وما بعدها .. الخ) . ومع ذلك لم يتخل الله عنها وتحملها . فكم من مرة أراد ابن الإنسان « أن يجمع أولادها معاً ولكنهم لم يريدوا (والموقف مغاير : بالمقارنة مع مز ٥٧ : ١) . وثمة دقة فى التشبيه بالدجاجة وفراخها . لقد حسمت مسئولية اليهود عن مصيرهم الأبدى ، بالقول القاطع « ولم تريدوا » . أراد يسوع خلاصهم أكثر من مرة . لكنهم هم « لم يريدوا » .

٣٥ : جلبت الأمة اليهودية على نفسها تلك العاقبة الحاسمة . وعندما يصر شعب أو شخص على رفض مشيئة الله ، فالنهاية محتومة . لذلك قال يسوع « هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » . كثيرون يقولون إن البيت المقصود هنا هو « الهيكل » ، إلا أنه من الأرجح أن المقصود مدينة أورشليم بأكملها . ومهما كانت الحقيقة فى ذلك ، فالمهم هنا أن أورشليم قد أصبحت خراباً (بالمقارنة مع إر ٢٢ : ٥) . ولم يعد الرب يسكن فى وسطها . وهذه هى الطامة الكبرى . واستطرد يسوع قائلاً : إن المدينة لن تراه ثانية حتى تهتف له بما جاء فى المزمور ١١٨ : ٢٦ . والبعض يرون فى هذا إشارة إلى دخول المسيح منتصراً حيث قيلت هذه الكلمات ليسوع بالفعل . ولكن هذا لا يبدو تحقيقاً

كاملاً لمثل هذه النبوءة المجيدة . وعلى كل ، فلم يكن أهل المدينة بل الحجاج من الجليليين هم الذين نطقوا بهذه الكلمات فى ذلك الحين . وبالإضافة إلى ذلك جاء فى بشارة متى أن هذه النبوءة نطق بها يسوع بعد دخوله (مت ٢٣ : ٣٩ ، والدخول فى مت ٢١ : ١ — ١١) . وآخرون يقولون إن الكلمات كانت استجابة من المؤمنين اليهود فى تحول أورشليم إلى الإيمان مستقبلاً ، لكن من الصعوبة أن نفهم هذا سواء من منطوق الكلمات نفسها أو من الأحداث التاريخية . ومن الأفضل أن نأخذها على أنها تتحدث عن المجىء الثانى . ومجىء يسوع فى المجد سيتبعه اعتراف أورشليم بحقيقة المسيح ، مهما كانت راغبة عن ذلك .

ل — الغذاء مع أحد الفريسيين (لو ١٤ : ١ — ٢٤) .

يقول بعض الكتّاب إنه كان على البشير لوقا أن يجمع هنا عدداً من قصص « الولائم » . لكن ، لا يستبعد أن يكون البشير فى الواقع يتحدث عما وقع فى وليمة مثيرة حفلت بأمور غير عادية من كل الوجوه .

١ — شفاء رجل مصاب بالاستسقاء (لو ١٤ : ١ — ١٦) .

وها نحن مرة أخرى بصدد معجزة شفاء تمت فى يوم سبت (انظر ملاحظاتنا على لو ٤ : ٣١) . وكما كان الحال بالنسبة لمعجزة الرجل ذى اليد اليابسة (لو ٦ : ٦ وما بعدها) أفحم يسوع منتقديه بسؤالهم أولاً هل يحل الإبراء فى السبت أم لا ؟

١ : لم يشر البشير لوقا إلى مكان أو زمان (بخلاف كلمة السبت) . وكان المضيف رجلاً ذا أهمية . وقد تعنى الكلمة فى الترجمة اليونانية « رئيساً » (ربما عضواً فى السنهدريم) ، وكان أيضاً من الفريسيين . أو قد تعنى الكلمة « فريسياً من المبرزين » ، وعلى أية حال ، كان شخصية مرموقة . وغذاء السبت يبدو وأنه كان وجبة مميزة (الطعام سبق إعداده كله مقدماً) ، ودعوة الضيوف كانت عادة مألوفة فى هذه المناسبة . وكان معارضو يسوع لهم حضور قوى ، ومن ثم راحوا « يراقبونه » . ومن الواضح أنهم كانوا يأملون أن يمسكوه وقد أتى عملاً يبرر تقديمه للمحاكمة .

٢ ــ ٤ : ومن المحتمل أن حضور الرجل الذى يعانى من الاستسقاء كان يشكل فخاً نصبه مقاومو يسوع آملين أن يكسر الشريعة . واستعمال الفعل « فأجاب » يؤيد هذا الرأى . لم يكن أحد قد تكلم ، ولذلك كانت إجابة يسوع على العمل ، أو ربما قرأ ما يدور فى ذهن أعدائه . أو أن الرجل دخل البيت طالباً العون ، ولذلك فقد كان مجرد حضوره يشكل « رجاء والتماساً » . « أجاب » عليه يسوع . لم يخبرنا البشير لوقا شيئاً بهذا الخصوص . فهو يقول « وإذا إنسان كان قدامه » ، ويجب علينا بالطبع أن نتذكر أن كلمة « أجاب » يمكن أن يستعملها علماء العبرية عند الاقتضاء بمعنى لا يفيد أكثر من « استمر فى القصة » . ويبدو أن يسوع هنا كان « يجيب » على مناقضة من مناوئيه . وقبل أن يعمل شيئاً سأل يسوع عما إذا كان يحل الإبراء فى السبت . كان سؤالاً محرجاً لمن يحاول إجابته . وطبقاً لتعاليم الكتبة اليهود لم يكن يحل هذا بكل تأكيد . فالإبراء لا يكون فى السبت إلا إذا كان هناك خطر على الحياة . وبالنسبة لهذا الرجل ، لم يكن من المحتمل أن يموت إذا ما انتظر حتى غروب الشمس . والموافقة على الإبراء فى مثل هذه الظروف تعرضهم لتهمة « التساهل » فى تنفيذ الناموس . بيد أنه على صعيد آخر ، كلمة « يحل » قد تعنى « طبقاً لشريعة موسى » . وما من شىء فى الكتاب المقدس يمنع هذا الإبراء . لقد قام هذا الحكم على أساس تفاسير معلمى اليهود . والإصرار علانية على هذا التفسير قد يؤدى إلى اتهامهم بعدم المبالاة بمعاناة الناس . ويتعجب (سمول Small) من أنهم « سكتوا » . بيد أن سكوتهم قبل المعجزة جعل الأمر أكثر صعوبة بالنسبة لهم إذا ما أرادوا أن يشتكوا على يسوع بعد ذلك . أما بالنسبة للرجل « فقد أبرأه » يسوع « وأطلقه » .

٥ و ٦ : ثم بدأ يبرر عمله مستنداً إلى ما يفعلونه هم أنفسهم . وليس من المؤكد ما إذا كان يسوع يشير إلى « إبن » أم « حمار » وإذا ما كان يقصد حماراً فيكون قد لجأ إلى ممارساتهم مع الحيوانات . حقاً إن الناس فى بلدة قمران Qumran على الأقل فى بعض الحالات يرفضون انتشال حيوان من حفرة فى يوم السبت . بيد أن هذا على ما يبدو ليس التصرف اليهودى المعتاد فى مثل هذه الحالة ، حيث كان يتسم بالاهتمام بالحيوانات . ولست على علم أية تعليمات تنطبق بنوع خاص على الحالة التى ذكرها يسوع ، على الرغم من أنه مسموح فى السبت بإلقاء أى شىء فى الحفرة تساعد الحيوان على الاندفاع

خارها ، وثمة مناقشة حول كيفية تبرير سحب حيوانات معنية فى السبت . وربما كان يسوع يقصد أنه فى حالة غياب حكم أو وصية يجب على الإنسان أن يجد طريقة ما لتبرير تصرفه ، على ألاّ يترك حيواناً فى حفرة يوم السبت . وعلى كل ، من جهة النص يجب أن يكون فى صالح كلمة « ابن » حيث يكون المعنى « من منكم يسقط له ابن أو حتى ثور ... ؟ » وحتى أهل « قمران » لا يقولون بأن على الإنسان أن يترك ابنه فى بئر إذا ما سقط فى إحداها يوم سبت . وما تستخلصه من كل هذا هو أن أعمال الرحمة يحل عملها فى السبت . ولم يستطع منتقدو يسوع « أن يجيبوه » . ويمكن أن نتصور أنهم كانوا يجادلون فى أن يسوع كان يتحدث عن الطوارىء غير العادية ، بينما انصب اعتراضهم على الشفاء الروتينى . ولكنهم ربما أدركوا أن يسوع يركز على حقيقة أن السبت وجد لخير الإنسان . وإجراءات الطوارىء الخاصة بهم تؤيد ذلك ، كما أن معجزات الشفاء التى يعملها يسوع تؤيد ذلك أيضاً .

٢ ــ الدعوة إلى وليمة (لو ١٤ : ٧ ــ ١٤) .

سلوك الضيوف فى الولائم أعطى يسوع فرصة ملائمة لتلقينهم درساً فى التواضع .

٧ : الأريكة هى أهم قطعة أثاث فى الولائم ، فكان يجلس عليها ثلاثة أشخاص . ويُصَفُّ عدد من هذه الأرائك على شكل حدوة الفرس (U) ويتكىء الضيوف على مرافقهم اليسرى ، ومكان الشرف هو المكان المركزى على الأريكة عند قاعدة الشكل (U) . أما ثانى وثالث الأمكنة من حيث الأهمية ، فأحدهما على يسار الشخصية الرئيسية (أى المتكئين خلفه) ، والآخر على يمينه (متكئاً والرأس على صدره) . ويلى هذا فى الأهمية الأريكة التى على اليسار ، حيث يشغل وسطها أكثر الناس هيبة ، والأماكن التالية خلفه وأمامه تكون كما فى حالة الأريكة الأولى والأريكة الثالثة ، بترتيب مشابه لشاغليها ، توضع على يمين الأولى ، والرابعة على يسار الثانية وهكذا . وكثير من المفسرين يتبنون وجهة نظر بلومر فى أنه لا يمكننا التأكد فيما يتعلق بترتيبات الجلوس نظراً للعادات شديدة التباين بين اليهود واليونان والرومان وآخرين . أما وأن هناك تنوعاً فهذا أمر محتمل ، بيد أنه ما من مبرر للشك فى صحة المعلومات المتعلقة بعادة اليهود الواردة فى المصادر الخاصة بمعلميهم (حتى لو

كانت فى وقت لاحق للفترة التى نتحدث عنها) ، بل وما يجب الشك فى أن فريسياً بارزاً لا بد وأن يتبع العرف اليهودى وليس الأجنبى . وفى هذه الوليمة بالذات كان هناك تزاحم مهين على المتكآت الأولى . وعقب يسوع على ذلك :

٨ و ٩ : بدأ يسوع بالإشارة إلى دعوة « عرس » . وربما كانت هذه المناسبة هى التى تتخذ شكلاً رسمياً دون سائر الولائم . بيد أن هذه الكلمات تنطبق على أية وليمة . وأشار يسوع إلى ضرر التزاحم . فإذا ما نجح أحد فى الحصول على أحد الأماكن الأولى يعرض نفسه لمهانة أن يأتى بعد ذلك ضيف يكون أكثر استحقاقاً منه بذلك المتكأ . وعندما يصر المضيف على مطالبته باخلاء مكانه فقد يجد بقية الأماكن الأخرى مشغولة ، ولن يكون أمامه إلا أن يتكىء فى الموضع الأخير ، ويعرض نفسه للمهانة (بالمقارنة مع أمثال ٢٥ : ٧) .

١٠ : من الأفضل الذهاب إلى الموضع الأخير أولاً . فالطريق إلى القمة هو البدء من القاع . فإذا ما اختار شخص الموضع الأخير ، فالطريق الوحيد أمامه هو أن يرتفع . قيل أن عقيبه Akiba نصح ضيوفاً أن يأخذوا مكاناً فى موضع أقل مستوى من المخصص لهم بمقعدين أو ثلاثة . ويقول « أفضل أن يقول لك الناس اصعد ، اصعد ، بدلاً من أن يقولوا لك انزل ، انزل ! » . لكن يسوع لا يعطى نصيحة من أجل أمور عالمية : إنه يعلم الناس فضيلة التواضع ، ليكونوا حقاً متواضعين . ويذكرنا أن المتواضعين الحقيقيين سينتهى بهم الأمر إلى حيثما كان ينبغى أن يكونوا ، ويكون لهم الشرف الذى يستحقونه . ويشير جودت Godet إلى أنه ، باتباع نصيحة يسوع « لن نخاطر بشىء سوى أننا سنكرم » .

١١ : والمبدأ الذى يجب أن يحكم سلوكنا نجده عدة مرات بصيغ مختلفة إلى حد ما فى (لو ١٨ : ١٤ ، مت ٢٣ : ١٢ بالمقارنة مع مت ١٨ : ٤ ، ١بط ٥ : ٦) . وتمجيد الذات يؤدى فى النهاية إلى المهانة . والطريق إلى المجد الحقيقى هو التواضع .

١٢ : لقد وجه يسوع نصيحة إلى المضيف : عليه ألا يقصر دعوته على

الأصدقاء والأقارب والجيران . وإذا ما اقتصر كرمه على هؤلاء فحسب ، فسوف يتلقى دعوات مقابل دعوته . وبهذه الطريقة ، تكون له مكافأة . ولا يحتاج الأمر لتوضيح أن يسوع لا يمنع الحياة الاجتماعية العادية بل هو يؤكد أنه ليس كرماً أن تعطى أولئك الذين يكافئونك .

١٣ و ١٤ : فالكرم الحقيقى لا يكون إلا مع « المساكين ، والجُدْع ، والعرج ، والعمى » . فأمثال هؤلاء ليس فى مقدورهم أن يردوا على كرم مضيفهم . ومثل هذا العمل سيكافأ « فى قيامة الأبرار » . ولن تكون المكافأة قاصرة على بهجة الاحتفال بين أصدقاء يحبون اللهو والمرح .

٣ ـ مثل الاعتذارات (لو ١٤ : ١٥ ـ ٢٤) .

وهذه قصة وليمة تؤكد أن الناس يخلصون ، ليس بجهودهم الذاتية ، بل بقبول الدعوة ، ومع ذلك ، إذا ما هلكوا ، فذلك راجع إلى خطئهم . ومن المفجع أنه يمكن رفض هذه الدعوة الكريمة . وفى هذا المثل ، ثمة تشابهات بالوليمة العظيمة (مت ٢٢ : ١ ـ ١٤) . والبعض يرى هذه القصة كسرد مختلف لنفس القصة السابقة . بيد أن الاختلافات ملحوظة كالتشابهات . ومن الأفضل اعتبارهما مختلفين .

١٥ : أثارت إشارة يسوع إلى القيامة حماساً دينياً فهتف أحد الضيوف « طوبى لمن يأكل خبزاً فى ملكوت الله » . ومن الواضح أنه لم يكن يشك فى أنه سيكون هناك ، مهما كان مصير الآخرين . والمثل الذى ذكره يسوع يتحدى إخلاصه . فعندما تأتى اللحظة الحاسمة ، هل سيقبل فعلاً دعوة الرب ؟ أم أنه سيكون مشغولاً بعمل ما يتعلق باهتماماته الأهم ؟

١٦ و ١٧ : وقصة يسوع عن إنسان « صنع عشاء عظيماً ودعا كثيرين » ويبدو أنهم قبلوا الدعوة . وعلى كل لم يذكر أن أحداً منهم رفضها . وبعد أن أعد كل شىء، أرسل عبده ليدعو المدعوين . وفى عصر لم يكن الناس يعرفون الساعات ، وكان الوقت مرناً إلى حد كبير ، وكان إعداد الوليمة يستغرق وقتاً طويلاً ، فالإعلان أن كل شىء أصبح جاهزاً كان مفيداً للجميع . ونقرأ فى العهد القديم عن الدعوة المزدوجة (استير ٥ : ٨ ، ٦ : ١٤) .

بينما تُبينُ ملحوظة فى المِدْرَس الخاص بالمراثى أنه بعد ذلك بكثير أخذها سكان أورشليم بشكل جدى ، ولم يكن أحد منهم يحضر وليمة ما لم يدع مرتين .

١٨ : بيد أن المدعوين ابتدأوا يستعفون . وأعطى يسوع نماذج مما قالوه تبريراً لعدم حضورهم وابتدأ برجل قال إنه اشترى حقلاً وإنه مضطر أن يخرج وينظره . ومن الواضح أن هذا عذر زائف . فما من أحد يشترى حقلاً دون أن يفحصه جيداً قبل الشراء . وإذا ما حدث ذلك صدفة ، فما كانت هناك حاجة للاستعجال . فالحقل لن يتحرك من مكانه . ومن الجلى أن الرجل لم يكن راغباً فى المجىء .

١٩ : هكذا كان الحال مع الرجل الثانى . فقد اشترى خمسة أزواج بقر . وقوله « أنا ماض » معناه « إنى ذاهب الآن » إننى فى طريقى .. والفعل الذى قاله « لأمتحنها » معناه « لأختبرها » . وليس أحد يشترى بقراً دون أن يقتنع أولاً أنها توفى بالغرض . وإذا كان قد اشتراها فعلاً ، فما من حاجة ملحة لفحصها . فالبقر باق فى الحظيرة ويمكن فحصه بعد ذلك .

٢٠ : أما عذر الرجل الثالث فكان عذراً حقيقياً . وكان يمكنه أن يستند إلى ما جاء فى الكتاب المقدس ، لأن العهد القديم يوضح أن الرجل يجب أن يكون فى بيته أول سنة من حياته الزوجية (تث ٢٤ : ٥) . بيد أن هذا قُصد به إعفاؤه من الخدمة العسكرية ، وليس اعتزاله الارتباطات الاجتماعية . وهذا العذر كسابقيه . فمن المؤكد أن هناك التزامات للزواج . بيد أنها لا تلغى التزاماتنا الأخرى وخاصة تلك التى كنا على معرفة مسبقة بها .

٢١ : غضب « السيد » مما أخبره عبده . ومن الواضح أنه كان مصراً على إقامة هذه الوليمة فى الموعد المحدد ولن يسمح لمقدمى الاعتذارات بأن يفسدوا عليه خططه . ولذلك أرسل عبده إلى الأماكن الفقيرة فى المدينة ليحضر « المساكين والجُدْعَ والعرج والعمى » (نفس الفئات المذكورة فى الآية ١٣) .

٢٢ و ٢٣ : بيد أن البحث فى المدينة لم يأت بما يكفى من مدعوين . لقد فعل العبد كما أمر وأخبر سيده أنه يوجد أيضاً مكان . ولذلك أرسله سيده

إلى « الطرق والساحات » . وهذه هى الطرق الرئيسية خارج المدينة والساحات المتاخمة لها ، والتى قد يجد فيها المتبوذون مأوى لهم . ولم يكن من السهل أن تجد أناساً هناك ، لأنهم سيكونون مبعثرين فى مساحات شاسعة . واتساع البحث فى مثل هذه المجالات التى يندر وجود أناس فيها إنما تظهر أن السيد يعنى ما يقول . وكذلك استعمال الكلمة « ألزمهم » . وهى لا تلمح إلى استعمال القوة . فالمذكور هنا عبد واحد فقط ولا يستطيع أن يستخدم القوة لتحقيق غرضه . واستخدام هذه الآية لتبرير الاضطهاد أمر غير مشروع . فالأمر يتطلب جهداً شاقاً لإقناع المتجولين فى هذه الأماكن بأنهم مدعوون فعلاً لحضور وليمة فى المدينة . وكان على العبد ألا يسمح لأى منهم بالرفض ، لأن البيت يجب أن يمتلىء . وثمة قليل من الشك بأننا نلمح إشارة هنا إلى مهمة الكنيسة ، فدعوة الله وصلت إلى كل الناس على لسان الأنبياء . والآن توجه الدعوة ثانية فى شخص السيد المسيح . وعندما رفضها غلاة المتدينين ، كان على الكنيسة أن تجذب إليها أولئك الذين كانوا فى المدينة (اليهود) ، وأولئك الذين كانوا خارجها (الأمم) . فجذب الوثنيين إلى الكنيسة كان عندئذ موضوعاً يتعلق بالمستقبل عندما تكلم يسوع ، والحقيقة أنه هكذا كان الحال بالنسبة لأمور كثيرة عندما كتب البشير لوقا بشارته .

٢٤ : ويختتم المثل بحكم غامض على أولئك الذين دعوا أولاً وقدموا اعتذاراتهم . فلن يعطوا فرصة ثانية . لقد ضيعوا الفرصة التى لاحت لهم دون أن يستغلوها . ومرة ثانية يركز يسوع على أن الموضوع عاجل وملّح . فالله رؤوف رحوم يقبل كل من يأتى إليه ، إلا أنه مفروض من الناس ألا يتباطأوا أو يتهاونوا . فأولئك الذين دعوا أولاً لم يعيروا الدعوة اهتماماً ، بيد أن آخرين سيهتمون ، سواء من اليهود أو الأمم ، ولقد يكون هناك من يقاوم مشيئة الله ، ولكن مشيئته لا يمكن أن تحبط أو تقهر .

م ــ التلمذة ليسوع (لو ١٤ : ٢٥ ــ ٣٥) .

١ ــ تكلفة التلمذة (لو ١٤ : ٢٥ ــ ٣٣) .

٢٥ : لا يزال يسوع فى رحلته . « وكانت جموع كثيرة » تسير معه . وقد يثبت هذا أنه كان مسافراً عبر بيريه Perea ، وعلى قدر علمنا فإنه لم

يسبق له أن زارها من قبل . ولابد أن غريزة حب الاستطلاع ستجذب الناس لرؤية المعلم الناصرى . لكن البشير لوقا لم يذكر أين كان هذا ، واكتفى بقوله « فالتفت » يسوع (بالمقارنة مع لو ٧ : ٩ ، ٩ : ٥٥ ، ١٠ : ٢٣ ، ٢٢ : ٦١ ، ٢٣ : ٢٨) وقال لهم .

٢٦ : التلمذة تعنى أن الولاء أولاً يجب أن يكون لمن تتلمذ له . وليس هناك مكان للكراهية فى تعاليم يسوع . لقد أوصى تلاميذه بمحبة كل الناس حتى الأعداء (لو ٦ : ٢٧) ، ولذلك فمن المستحيل أن نعتقد أن يخبرهم هنا حرفياً أن يبغضوا أقرب المقربين إليهم (بالمقارنة مع لو ٨ : ٢٠ وما بعده) . ولكن البغضة هنا تعنى أن تكون المحبة بدرجة أقل (تك ٢٩ : ٣١ ، ٣٣ ، تث ٢١ : ١٥) حيث الكلمة العبرية تعنى « يكره » وليس « لا يحب » . ومعنى قول المسيح بكل تأكيد هو أن محبة تلاميذه له يجب أن تكون عظيمة إلى درجة أن أعظم محبة أرضية تعتبر كراهية بالمقارنة مع المحبة التى يكنها له تلاميذه (بالمقارنة مع مت ١٠ : ٣٧) . أما ذكر أقرب الأقربين وأعز الأحياء فيفسر لنا ذلك بكل جلال . يجب على الإنسان أن يحب يسوع أكثر من حياته نفسها (بالمقارنة مع يو ١٢ : ٢٥) . فالقلب كله لا بد وأن يمتلىء تماماً بمحبته .

٢٧ : وبالنسبة لهذا القول أنظر التعليق على (لو ٩ : ٢٣) حيث نجد الناحية الإيجابية كما جاء هنا سلباً . حمل الصليب هو جوهر التلمذة ليسوع .

٢٨ ــ ٣٠ : ولا يريد يسوع تلاميذ لا يعرفون ما نذروا أنفسهم لأجله . وحساب التكلفة أمر هام . وهو يستعمل مثلين متشابهين (وهذا هو أسلوبه الغالب) كى يوضح هذه النقطة . على كل من يقرر أن يبنى « برجاً » أن يفكر أولاً ، « لأن من يضع الأساس ولا يقدر أن يكمل يعرض نفسه للسخرية » . ولذلك عليه أولاً أن « يجلس » (فالموضوع لا يحتمل التسرع) و « يحسب النفقة » حينئذ يمكنه توقع النجاح .

٣١ و ٣٢ : أما المثل الثانى فكان عن ملك فى حرب . ليس سهلاً عليه أن يهزم « بعشرة آلاف » جندى ، ملكاً يلاقيه « بعشرين ألفاً » ، عليه أن يفكر ملياً . وما لم يجد طريقة للتغلب على هذه المشكلة لا يجلس ساكناً منتظراً الهزيمة

لبلاده . عليه أن يحاول تحقيق السلام والصلح مع العدو وهو لا يزال بعيداً . والمثلان متشابهان لكنهما يوضحان اختلافاً طفيفاً . فمن سيبني برجاً له حرية فى أن يبنيه أو لا يبنيه ، لكن الملك قد تعرض لغزو (ملك آخر آت لملاقاته) . فهو ملزم باتخاذ إجراء ما . (بالمقارنة مع هنتر M - Hunter)، فى المثال الأول يقول يسوع « اجلس أولاً واحسب التكلفة هل يمكنك أن تتبعنى » وفى المثل الثانى يقول « اجلس أولاً واحسب التكلفة هل تستطيع أن ترفض طلباتى » . وكلتا الطريقتين فى النظر إلى المشكلة على جانب كبير من الأهمية .

٣٣ : الدرس واضح . لا يريد يسوع تلاميذ يندفعون للتلمذة دون التفكير فيما تتطلبه . وهو واضح فيما يتعلق بالتكلفة . وكل من يقبل إليه عليه أن « يترك جميع أمواله » . وللمرة الثالثة يذكر يسوع اللازمة الوقورة « لا يقدر أن يكون لى تلميذاً » (٢٦ ، ٢٧) . وهذه الكلمات تدين كل فتور . وليس معنى هذا أن يسوع يثبط الهمم من ناحية التلمذة . بل هو يحذر من كل شىء نندفع إليه دون تفكير وروية . والتمسك بالجبن حتى يعرف الناس الأمر على حقيقته . يريد الإنسان أن يحسب التكلفة ويحسب كل خسارة من أجل المسيح حتى يمكنه الدخول لبهجة التلمذة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى .

٢ ــ مثل الملح (لو ١٤ : ٣٤ و ٣٥) .

وأضاف يسوع مثلاً صغيراً عن الملح . « الملح جيدٌ » على الرغم من أن يسوع لم يفصح عن الميزات التى كان يقصدها فى الملح . يشير المفسرون الى ما يتميز به الملح من خواص الحفظ من الفساد والتعفن وإعطاء النكهة أوالمذاق ، ومن الطبيعى أنه لا يمكن للملح (ملح الطعام) أن يفقد مذاقه ، لكن الملح الذى كان يستعمل فى فلسطين فى القرن الأول لم يكن نقياً . فكان من الممكن أن يستخرج ملح الطعام بسهولة من الملح غير النقى الشائع الاستعمال ولذلك ما يتبقى بعد التصفية لا يكون ذا نفع للتربة ولا يصلح كسماد ، « فيطرحونه خارجاً » . وثمة صفة ضرورية بالنسبة للتلمذة ، ما لم تتوفر فى الإنسان ، لا يصلح أن يكون تلميذاً مهما كانت الصفات الأخرى متوافرة فيه .

ن ــ ثلاثة أمثال عن المفقودين (لو ١٥ : ١ ــ ٣٢) .

هذا أحد أكثر الأصحاحات شهرة وأحبها فى الإنجيل كله . وهذه الأمثال الثلاثة توضح سرور الله عندما يعود إليه المفقودون والخطاة .

١ ــ تجمع الخطاة (لو ١٥ : ١ و ٢) .

لم يكن ينظر إلى العشارين نظرة محترمة لأن الخطاة والعشارين كانوا يساعدون الدولة الرومانية المكروهة على إدارة أعمالها فى المناطق المحتلة كما كانوا يكوِّنون لأنفسهم ثروات على حساب مواطنيهم . كان كثيرون يتجنبونهم ، وكان رجال الدين يعتبرونهم منبوذين . « والخطاة » هم الذين يرتكبون الإثم والمعصية أو هم أولئك الذين يقومون بأعمال يراها رجال الدين متعارضة مع الشريعة . ولقد تذمر « الكتبة والفريسيون » لأن يسوع كان يجلس مع هذه الفئة من الناس . ولقد ذكر أحدهم قاعدة قديمة مفادها : « لا يجب على الإنسان أن يخالط الأشرار » ، ويقول إن هذه القاعدة طبقت بشكل جدى حتى أن معلمى اليهود كانوا لا يتعاملون مع مثل هذا الشخص حتى بشأن تعليمه الناموس (بالمقارنة مع أع ١٠ : ٢٨) . ومشاركة هؤلاء الناس الطعام اعتبر أسوأ من مجرد مخالطتهم ، فقد كان هذا بمثابة اعتراف وترحيب بهم . أما يسوع فلم يكن يسمح لاعتراضات الفريسيين أن تعوق رسالته . لقد جاء من أجل الخطاة ، وما كان يستطيع مساعدتهم دون مقابلتهم . ولا يجب أن يؤدى بنا التقسيم الحديث للأصحاح أن نغفل عن نقطة هامة . فمنذ وقت قصير طلب يسوع أن يسلم له الإنسان قلبه بالكامل ودون تردد أو إبطاء . وذلك عندما وضح معنى التلمذة . وأنهى كلامه بقوله « من له أذنان للسمع فليسمع » . وكلمات البشير لوقا التى تلى ذلك مباشرة تعرفنا أن الخطاة كانوا يدنون منه « ليسمعوه » . مهما كان من أمر الفريسيين ومن هم على شاكلتهم . لقد اهتم يسوع بهم لأنهم خطاة . وأوضح لهم موقفهم وعرفوا حقيقة ما تعنيه التلمذة وطلب منهم أن يسمعوا ، وسمعوا .

٢ ــ مثل الخروف الضال (لو ١٥ : ٣ ــ ٧) .

لقد رأى أحد كبار علماء اليهود (ج . منتيفيور Montefiore) فى هذا بادرة واضحة وثورية : الله لا يكف عن البحث عن الخطاة وإرجاعهم إليه .

ويوافق معلمو اليهود على أن الله يرحب بالخاطىء التائب . لكن الجديد هنا هو أن الله هو الإله الذى يسعى وراء الخاطىء ، الله هو الذى يأخذ المبادرة . وهنا يستند يسوع إلى ممارساتهم من واقع حياتهم العملية . فإذا ما فقد خروف ، يترك الراعى « التسعة والتسعين » ، ويذهب للبحث عن الخروف الضال ، فالتسعة والتسعون خروفاً ليست فى خطر ، فهى موجودة فى أمان . بيد أن هذا ليس بديلاً عن الخروف الضال ... ولذلك يستمر الراعى فى البحث عنه « حتى يجده » . فهو لا يقف عند حدود البحث لمجرد البحث . إنه يريد خروفه ، لذلك يوالى البحث إلى أن يجده .

٥ و ٦ : والعثور على الخروف الضال أمر مبهج . والراعى بعد أن يجده يعود به « على منكبيه فرحاً » . ولم يتذمر الراعى لاضطراره لحمل الخروف . فقد حمله « فرحاً » . وفرحه بالعثور على خروفه الضال طغى على كل ما عداه . وفى سعادته الغامرة يطلب من الآخرين أن يشاركوه فرحته .

٧ : وتفسير ذلك أنه ثمة « فرح فى السماء » بخاطىء واحد يتوب ويذكر إدرشام Edersheim مثلاً يهودياً يقول : « إن الله يسر عندما يهلك معاندوه » . بيد أن المسيح أعطانا صورة مختلفة عن الله . إنه يفرح بخاطىء واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة . إنه يفرح بهؤلاء ، بيد أن فرحه « بالخاطىء التائب أكثر » .

٣ ـــ مثل الدرهم المفقود (لو ١٥ : ٨ ـــ ١٠) .

وها نحن نجد مرة أخرى أمثلة مزدوجة . وفى هذه القصة الثانية يتحدث يسوع عن امرأة لها « عشرة دراهم » . والعملة المقصودة هنا هى الدراخمة اليونانية (لم تذكر فى العهد الجديد إلا فى هذه الآية) ، وهى أجر العامل مقابل يوم عمل واحد . وهى قد تمثل مدخرات امرأة فقيرة ، كما يظن البعض ، أن المرأة صنعت منها عقداً للزينة . وهذا ليس له أية دلالة خاصة . وعلى كل فإن فقد الدرهم يشكل خسارة ومشكلة لامرأة مسكينة . ولذلك بحثت عنه بجد وإصرار . والبيت الشرقى لم يكن له نوافذ ، أو كانت نوافذه صغيرة جداً . ولذلك اضطرت لاستخدام نور السراج لمساعدتها فى البحث على الرغم مع أن ذلك كان فى ساعات النهار . استمرت المرأة فى كنس البيت وتفتيشه حتى

عثرت على الدرهم المفقود . وكما الحالة مع الراعى ، أشركت الآخرين فى فرحها عندما نجحت فى سعيها . وتحدث يسوع هذه المرة عن « فرح قدام ملائكة الله » (قبل ذلك تحدث عن فرح فى السماء) ، بيد أن المعنى واحد . ونجد بين كتابات معلمى اليهود موضوع الدرهم المفقود ، بيد أنه يختلف فى قصده أيما اختلاف . وإذا ما كان الإنسان يبحث عن درهم مفقود ، عليه بالأولى أن يبحث عن الناموس ، وليس هناك بين تعاليم معلمى اليهود شيئاً يماثل بحث الله عن الخطاة .

٤ ــ مثل الابن الضال (لو ١٥ : ١١ ــ ٣٢) .

كثيرون يعتبرون هذه القصة الرائعة أفضل الأمثلة على وجه الإطلاق . ولا شك أنها من أحب الأمثلة جميعاً . فقلوب البشر تستجيب لرسالة المحبة الغافرة التى يوجهها الله للخطاة والتى ظهرت فى هذا المثل بجلاء . ولا يتحدث يسوع هنا عن رسالة الإنجيل كله ، بل يتحدث عن الحقيقة العظمى المتعلقة بمحبة الله الآب الغافرة . والقصة لا تشكل موجزاً وافياً للاهوت . ويقول البعض ، إنه نظراً لأنها تتضمن ذبيحة كفارية ، فلا حاجة للكفارة أو الفداء . بيد أن هذا استنتاج واه . وكما يقول مانسون « إذا ما كان تتميم قصد الله يؤدى إلى الصليب » ، وهذا هو ما حدث فعلاً ، إذاً يصبح على المسيحيين أن يُضَمِّنوا الصليب مشيئة الله ويتفكروا ، على أفضل وجه يستطيعونه ، كيف أن خطة الله تتضمن موت المسيح لخلاص الخطاة . وهذا لا يعنى التقليل من أهمية هذا المثل ، بل أن نراه فى إظهاره وبقوة لمحبة الله الغامرة للخطاة وهى النبض الرئيسى للإنجيل . لقد قيل إن القسم الختامى (الآية ٢٥ وما بعدها) يجب إغفاله باعتباره لا يشكل جزءاً من المثل فى شكله الأصلى . ولم يذكر مبرر معقول لهذا ، وهناك الكثير مما يدحضه . فليس هناك أوهى دليل على أن المثل كان فى السابق خلواً من هذا الجزء ، والهدف من ورائه له أهميته . والحق أنه يمكن بسهولة اعتبار أن ما يهدف إليه أساساً هو كشف تباين ردود فعل الأب والأخ الأكبر تجاه الابن الضال . ففى الظروف التى كانت تحيط بيسوع ، بينما كان أمراً حيوياً توضيح ترحيب الله بالخطاة ، إلا أنه بنفس القدر من الأهمية أكد على أن أولئك الذين يلفظون الخطاة يخرجون على مشيئة الله . والمثل يتضمن رسالة « للعشارين والخطاة » . بيد أنه يوجه رسالة « للفريسيين

والكتبة » أيضاً .

١١ و ١٢ : لا يجب أن نغفل الإشارة الافتتاحية إلى « الابنين » . والابن الأكبر فى القصة له تواجد منذ البداية . والابن الأصغر حدد طلبه بقوله « القسم الذى يخصنى من المال » . ويلاحظ ديزمان **Deissmann** أن هذه صيغة فنية ، وردت فى البرديات عن « ميراث الأب » ، فالإنسان قد يترك ممتلكاته لورثته بوصية وإقرار أخير (بالمقارنة مع عب ٩ : ١٦ وما بعده) . وفى هذه الحالة كان يلتزم بالقانون . وهذا يعنى أن الابن البكر له ثلثى الميراث (تث ٢١ : ١٧) . لكن الأب يستطيع أن يعطى هبات مما يعطيه حرية أكبر فى التوزيع . وتنظم المشنا قواعد توزيع الميراث (الملكية) . وإذا ما قدر أحد أن يعطى هبات ، فهو فى العادة يعطى رأس المال ، بيد أنه يحتفظ بالدخل . وفى هذه الحالة لا يكون له حق التصرف فى الأصول (رأس المال) بل نصيبه فى الدخل فقط . لكن المستفيد لا يحصل على ما وُهب له إلا بعد وفاة الموصى . قد يستطيع أن يبيع الأصول (رأس المال) إذا ما ارتأى ذلك ، بيد أن المشترى ليس له حق وضع اليد إلا بعد وفاة الموصى . ونرى هذا بالنسبة للابن الأكبر ، فمن الواضح أن الأب احتفظ بإدارته لممتلكاته والانتفاع بما تدره من عائد . لكنه يستطيع أن يقول « وكل مالى فهو لك » (٣١) . ويعتقد يشوع بن سيراخ أنه ليس من الحكمة فى شىء أن تعطى أموالك لآخر فى وقت مبكر جداً ، وهو يحذر من هذا التصرف (سفر يشوع بن سيراخ ٣٣ : ١٩ — ٢١) . بيد أن تحذيره هذا يوضح أن مثل هذه التصرفات كانت موجودة بالفعل . أما الغريب فى طلب الابن الأصغر هو أنه طلب أن ينتفع بالأصول بشكل فورى . وهذا طلب قد يمكن تلبيته ، وقد تم فعلاً بالنسبة لهذه الحالة التى نحن بصددها ، ولو أنها حالة نادرة .

١٣ : لم يعط الابن الأصغر سبباً لطلبه ، بيد أنه فور موافقة الأب وضح هدفه . فعندما حاز على نصيبه من الميراث ذهب وفى عجالة لينفقه على ملذاته . « جمع كل شىء » ، ولم يترك شيئاً يستند إليه وينفعه إذا ما وقع فى شدة . ولذا فمع المال الوفير الذى كان معه ، ومع تعدد مجالات الإسراف المتاحة لمثله « بذر ماله » ، « بعيش مسرف » . بيد أن الكلمة المترجمة « مسرف » يجب أن تفهم « طياشة وتهور » ويفسر فيلبس **Phillips** المعنى بقوله « إنه بدد أمواله بإسراف وبذخ » .

١٤ : حاقت به كارثتان فى وقت واحد . نفدت نقوده وألمت مجاعة بتلك الكورة التى قصدها . الأولى يتحمل هو شخصياً مسؤليتها . فالأمر لا يحتاج إلى خبرة عريضة لمعرفة أن استهلاك رأس المال دون عائد لا بد وأن يعجل بنفاده فى النهاية . أما المجاعة فلم تنشأ عن خطأ من جانبه ، لكنها زادت من أزمته . أما أولئك الذين كان من الممكن أن يساعدوه وجدوا ظروفهم الشخصية وقد أصبحت غير مواتية وضاقت عليه معيشتهم . كان ثمة نقص فى الطعام مما ترتب عليه المغالاة فى ثمنه . وهذا أتاح للناس عذراً كبيراً لعزوفهم عن مساعدة الآخرين . ولذلك « ابتدأ » الشاب « يحتاج » . وما كان يجد حتى ما يسد به رمقه .

١٥ : كان فى حاجة ملحة للعمل ، بيد أن الحصول على عمل فى خضم المجاعة أمر بعيد المنال . وهذا يفسر لنا سبب التصاقه بواحد من أهل تلك الكورة « فأرسله إلى حقوله ليرعى خنازير » . وما كان هناك أبغض من هذا بالنسبة لليهودى . ويقول أحد معلميهم « ملعون ذاك الذى يرعى الخنازير » . والخنزير حيوان نجس (لا ١١ : ٧) ، ففى الظروف العادية لا يمكن أن يلمس يهودى خنزيراً بأى وجه كان . ولا بد أن ذلك الشاب كان فى وضع يائس حتى قبل هذا العمل .

١٦ : ليس من الواضح ماذا كان يأكل . يقول يسوع « وكان يشتهى أن يملأ بطنه من الخرنوب (والخرنوب هو بذر شجرة الخروب) . وهل أمكنه ذلك ؟ الإجابة : « فلم يعطه أحد » ، وهذه تشير إلى أنه ما أعطاه أحد شيئاً من الخرنوب . والبعض يظنون أنه بالنظر إلى أن أحد لم يعطه شيئاً ، فلا بد وأنه كان يسرق ليقتات . وإذا صح هذا يكون قد سقط فى مهانة أخلاقية وأدبية . وهذا ليس بالأمر الغريب ، بل الغريب ألا ينحدر إلى هذا الحضيض . ثم أن عزوف الجميع عن مساعدته يظهر حقارة الوضع الذى آل إليه . لقد كانت الخنازير لها قيمة أكثر منه .

١٧ : انقشع الوهم وغمرت خيبة الأمل حياته . ولكنه « رجع إلى نفسه » وكم من مرة أوقعت الخطوب أناساً لمواجهة حقائق الحياة . أخذ الابن الضال يقارن التناقض بين ما يعانيه هو من جوع وشقاء وبين ما يتمتع به ليس والده

وأخوه فحسب ، بل وكل « أجير » لأبيه من خير ورفاء . فحتى غلمان أبيه كان « يفضل عنهم الخبز » .

١٨ و ١٩ : لقد قرر الشاب أن يعود إلى بيته . وإذالم يكن هدفه الأساسى نبيلاً (رغبته فى الحصول على طعام آية ١٧) ، إلا أن الإعتراف الذى عزم على الإقرار به يعد إجراءً أخلاقياً ممتازاً . لقد عبر فيه عن أسفه ، ليس على ما فقده بتبذيره بل بالأحرى على تصرفاته الشائنة المعيبة . لقد أخطأ لكنه أدرك أنه أخطأ أولاً وقبل كل شيء إلى الله ، وكان ذلك واضحاً فى قوله : « أخطأت إلى السماء » . ولفظ « السماء » هنا إشارة موقرة إلى لفظ الجلالة (إلى الله) (إلا إذا فسرنا **eis ton ouranon** أنه رأى خطاياه تتراكم فوق بعضها حتى وصلت عنان السماء ، بالمقارنة مع عزرا ٩ : ٦) . والخطية هى خطأ فى حق الله قبل الإنسان . بيد أن هذا الشاب أخطأ أيضاً فى حق والده ، وعرف هو نفسه ذلك ، على الرغم من أنه لم يوضح ما كان يدور فى ذهنه . ربما رأى أنه أخطأ لتبديده كل ماله دون أن يستبقى شيئاً ينفع والده فى كهولته . أو ربما رأى أن سلوكه برمته كان خطأ . لم يكرم والديه حسب الوصية . لقد عرف أنه فقد كل ما كان يؤهله لأن يعامل كابن وكل ما كان يتطلع إليه هو إمكانية قبوله كأحد الأجراء ، أى أنه كان يطلب عملاً فى بيت أبيه ، ويأمل أن يوافق والده على أن يقبله بهذا الوضع . حينئذ سيحصل على أجر يتعايش منه ويقتات به .

٢٠ : وهكذا عاد إلى أبيه . ومما له مغزاه أن يسوع لم يقل إنه رجع إلى قريته أو بيته ، بل جاء « إلى أبيه » . ومن الواضح أن أباه الشيخ كان يأمل ويتطلع إلى عودة إبنه هذا. ولقد أبرز يسوع مدى ترحيب هذا الوالد بابنه الذى ما كان يستحق . لقد رآه « إذ كان لم يزل بعيداً » ، « فتحنن » ، و« ركض » (وهذا أمر مستغرب بالنسبة للشيوخ وخاصة فى الشرق) ، ثم « وقع على عنقه » و « قبله » (بالمقارنة مع قبلة مسامحة داود لأبشالوم : ٢صم ١٤ : ٣٣) . وهذا العمل الأخير ، قد يعنى « قبله عدة مرات » أو « قبله بحنان » . لم يكن ثمة مغزى خاص للصيغة المركبة ، لكنها على الأقل تشير إلى تحية خالصة وليس إلى مجاملات روتينية .

٢١ : وليس من الواضح ما إذا كان الابن لم تطاوعه نفسه أن يقول :

اقبلنى كأحد الأجراء (١٩) ، أو أن أباه فى غمرة ترحيبه الحار به لم يتح له الفرصة ليتم كلامه . ومن المحتمل أن الفكرة الأخيرة هى الأرجح . وعلى كل ، فقد نطق الابن بما عبر به عن إحساسه بخطيته وعدم استحقاقه .

٢٢ ـــ ٢٤ : أرسل الأب عبيده على جناح من السرعة . « الحلة الأولى » كانت دلالة على المركز الرفيع . وكذلك « الخاتم » وخاصة كما يعتقد الكثيرون إذا كان المقصود هو بالأحرى « ختم » (بالمقارنة مع تك ٤١ : ٤٢) لأنه رمز للسُلطة . كان الابن يسير حافياً إبان فترة إملاقه . وهذا وضع يناسب العبد ، أما « الحذاء » فيبرزه كرجل حر وليس عبداً . أما « العجل المسمن » فمن الواضح أنه كان حيواناً يلقى رعاية خاصة ويجهز لمناسبة خاصة . وذبحه فى هذه المناسبة يُظهر أن الأب شعر أنه بالكاد تتكرر مناسبة أسعد من هذه . والفرح الذى طغى على الأب الشيخ عبر عنه بقوله المشهور عن ابنه أنه كان « ميتاً فعاش » و « ضالاً فوجد » . وفى الحفل حيث « ابتدأوا يفرحون » ربما وجد الابن الأصغر بعضاً من السرور الحقيقى الذى افتقده فى تلك الكورة البعيدة .

٢٥ و ٢٦ : وما من شك فى أن ترحيب الأب بالابن الأصغر قصد به يسوع أن يعلمنا أن الأب السماوى يرحب بعودة الخطاة التائبين ، وعندما يتحول يسوع إلى تصوير الأخ الأكبر ، فهو يبين معاملة الفريسيين ومن هم على دربهم . إن قادة الشعب الدينيين لم يبدوا بعد مثل هذا العطف الإلهى على الخطاة التائبين . وهذا المثل كان لا بد منه لما تضمنه من تعاليم عظيمة أراد إبرازها . فهو يصور « الابن الأكبر فى الحقل » . وكان دون شك يعمل هناك ، أثناء وقوع كل هذه الأحداث . وقد أدهشه صوت الاحتفالات التى سمعها وهو يقترب من البيت ، فاستوضح أحد الغلمان الأمر « صوت آلات الطرب والرقص » ، ربما كان يؤديها محترفون وليس المحتفلون أنفسهم .

٢٧ : قدم الغلام بياناً مما يجرى من أمور . وقصر كلامه على عودة الابن الأصغر ، وذبح العجل المسمن . وأضاف أن سبب هذا الفرح العظيم هو أن أباه « قبله سالماً » .

٢٨ ـــ ٣٠ : واتسم رد فعل الابن الأكبر بالغضب . قاطع كل هذا ،

بل « لم يرد أن يدخل » . والتطابق بين تصرفه والفريسيين أمر ظاهر واضح . ويمكننا أن نتخيله يقول عن أبيه « هذا الرجل يقبل خطاة ويأكل معهم » (لو ١٥ : ٢) . ولكن لا نرى الأب يبدى أى نوع من العظمة الكاذبة . لقد سبق وخرج ليقابل أحد أبنائه ، وخرج الآن أيضاً يناشد الآخر ويهدىء من ثائرته ويتوسل إليه . يبدو أنه قوبل بوابل من كلمات تعبر عن مشاعر غضب مكبوتة منذ سنين . كان الابن الأكبر يشعر باستقامته وبره الذاتى . يرى نفسه دائماً أنه الابن المثالى . بيد أن استخدامه للفعل الذى ترجم « خدمتك كعبد » بالمقارنة مع خدمتك سنين هذا عددها كشف حقيقة جحوده ، لم يكن فى الواقع يفهم معنى البنوة . وربما كان هذا هو سبب عدم إدراكه أيضاً لمعنى الأبوة . ومن ثم لم يدرك سبب غبطة أبيه وفرحه بعودة ابنه الضال . لقد شكا أن أباه لم يعطه جدياً قط — ناهيك عن عجل — ليفرح مع أصدقائه المحترمين فى نظره وليسوا مثل رفقاء الابن الآخر ، وكل متكبر يشعر دائماً ببره الذاتى يعتقد أنه لا يلقى أبداً المعاملة التى تليق به . بل إنه لم يستطع أن يشير إلى الابن الضال ، بأنه أخوه ، بل قال عنه لأبيه « إبنك هذا » . دع الأب يرحب به إذا شاء . أما هو فقد تبرأ منه . وهو يقول عنه إنه بعثر أموال أبيه على « الزوانى » ، وهذا فاق كل ما سبق وقيل ، وقد يكون وليد خياله ومن بنات أفكاره .

ورغم ذلك حسب قوله ، فقد ذبح الأب العجل المسمن له ... أى لأخيه .

٣١ و ٣٢ : كانت كلمات الأب رقيقة حنونة لابنه هذا ، كما كانت لذاك . كلاهما إبناه ، وهو يحبهما معاً . لقد عبر عن امتنانه لوجود ابنه هذا معه كل حين . ويقول بكل جلاء إن تسوية أملاكه لم تصبح أمراً مقضياً ولذلك قال له « كل مالى فهو لك » . وهو لا يقترح أن يتدخل بأى شكل كان بحقوق وميراث الإبن الأكبر المخلص . وقد نستنتج أن الابن الأكبر جانبه الصواب فى قوله إنه لم يعط قط جدياً ليفرح به مع أصدقائه . لقد كان له كل شيء . لكنه كالفريسيين ، لم يدرك مدى ما يتمتع به من خير . ولكن رغم ما قيل ، لم يتراجع الأب قيد أنملة بشأن ترحيبه بابنه الأصغر ، وكلمة « كان ينبغى » ليست كافية لترجمة الكلمة اليونانية التى تعنى « كان من

الضرورى » . فالترحيب بالابن الأصغر ليس مجرد أمر محمود كان يمكن أو لا يمكن حدوثه ، بل كان هو التصرف السليم . كان على الأب أن يتصرف على هذا النحو . فكان الفرح هو رد الفعل الوحيد الذى يتناسب وموقف كهذا . والملاحظ أنه لم يقل ابنى ، بل « أخاك » . لقد حاول الابن الأكبر أن ينكر هذه العلاقة ، بيد أنها حقيقة قائمة بالفعل . فالأب لن يسمح بتغافلها وتجاهلها . وأنهى الأب كلامه بتكرار الأمر العجيب الذى قد حدث : الميت عاش والضال وجد .

ولم يخبرنا يسوع عما إذا كان الابن الأكبر قد استجاب أم لا . بل و لم يقل كيف قابل الابن محبة أبيه المرحبة . وبتركه هاتين النقطتين دون توضيح ترك لسامعيه أن يقرروا بأنفسهم ، هل هم مثل الابن الأكبر أم الأصغر . ونحن نميل أن نرى أنفسنا كالابن الضال ، ونبتهج بمحبة الرب المرحبة . هذا أمر طيب ، والأفضل منه هو استمرارنا فى التصرف الذى يتناسب مع ذلك الحب . بيد أنه قد يكون من الأفضل لنا إذا ما كان تفكيرنا طبيعياً أن نرى أنفسنا فى الابن الأكبر ، والخطأ الشائع يتمثل فى الإعتقاد بأننا لا نلقى ما نستحقه من تقدير ، وأن الناس لا يقدرون أعمالنا حق قدرها . وسواء كنا متدينين أو لم تكن ، فنحن دائماً ننتقد أولئك الذين نعتبرهم قد فشلوا فى الوصول إلى مستوانا ، حتى لو لم تكن معاييرنا هى نفس معاييرهم . أما وأن يسوع قد ترك رد فعل الابن الأكبر ليكون محل تأملنا وتفكيرنا فهو أمر مشجع . فلا زلنا نستطيع أن نحسن التصرف . ومحبة الله هى التحدى المستمر لكل ما فينا من أنانية .

س ــ تعاليم ، معظمها عن المال (لو ١٦ : ١ ــ ٣١) .

١ ــ مثل وكيل الظلم (لو ١٦ : ١ ــ ٩) .

معروف بأنه أكثر الأمثلة صعوبة من ناحية التفسير . والمشكلة الجوهرية تتمثل فى مدح الوكيل الذى كان معروفاً بعدم أمانته (٨) . والطريقة المعتادة لتفسير هذا تتمثل فى أن الوكيل قد مدح ، ليس لعدم أمانته ، بل لاتخاذه موقفاً حكيماً إبان أزمته . فمجىء المسيح أرغم البشر على اتخاذ قرار . وعندما يعرف أهل العالم حتى غير الأمناء منهم ــ كيف ومتى يتخذون القرار الحاسم ،

فبالأولى يجب أن يعرف أتباع المسيح كيف يتصرفون بحكمة ويتخذون القرار السليم . لقد امتدح الوكيل لحسن تصرفه وليس لممارساته التجارية . ويذكرنا مانسون أن هناك اختلافاً شاسعاً بين « أن امتدح الوكيل لأنه تصرف بذكاء وبين أن امتدحه لأنه تصرف دون اعتبار للأمانة » . هذه النظرة ارتبطت مع الرأى بأن لوقا أضاف تطبيقات ليست أصيلة عن استخدام المال . ونحتاج على الأرجح أن نتفهم المثل على ضوء الممارسات التجارية اليومية . كان يحرم على اليهود تحصيل فائدة من مواطنيهم فى حالة إقراضهم مالاً (خر ٢٢ : ٢٥ ، لا ٢٥ : ٣٦ ، تث ٢٣ : ١٩) . أما أولئك الذين كانوا يريدون الكسب عن طريق القروض فكانوا يتحايلون على هذا بالقول إن الناموس يحرم استغلال الفقير . ولم يكن المقصود منه منع المعاملات التجارية البريئة التى كانت ذات نفع متبادل حيث كان سداد الفائدة يعتبر مشاركة فى الأرباح . وإذا ما كان لدى إنسان ولو القليل من سلعة معينة فلا يعتبر من المعوزين . فإن إقراضه لا يعتبر استغلالاً . ونظراً لأنه فى الغالب ما يكون لدى كل إنسان قليل من الزيت ، وقليل من القمح ، أصبح الباب مفتوحاً على مصراعيه لتطبيق متسع لما تخيلوه أنه معاملات شرعية . وكل ما يُقرض كان يقدر على أساس قيمته زيتاً أو قمحاً (لنقل ثمانين مكيال قمحاً مثلاً) ، والفائدة التى تضاف إلى ذلك (لنقل عشرين مكيال) . والصك يُلزم سداد المجموع قمحاً أو زيتاً (وفى هذه الحالة يكون المطلوب مائة مكيال) . والعملية تشكل رباً فاحشاً ، لكن الصك لا يشير إلى ذلك . وفى العادة تعقد مثل هذه المعاملات عن طريق الوكلاء ، وربما دون معرفة المالك . وهذا المثل يجب أن نفهمه على هذا النحو ، وهو يتحدث عن وكيل معرض لضياع وظيفته ، ولكى يؤمن مستقبله ، كان يطلب الصكوك الأصلية ويطلب من المدينين كتابة صكوك جديدة تخصم منها الفوائد . وتوقع منهم أن يقدروا صنيعه فيقبلوه فى بيوتهم . وتصرفه هذا جعل المالك فى وضع صعب . فلسوف يواجه الصعاب فى مطالبته بالكميات الأصلية نظراً لأن الصكوك الأصلية قد أعدمت . وعلى أى وجه ، لا يستطيع أن يتبرأ أو يتنصل من عمل الوكيل دون أن يدين نفسه بقبول الربا . وأنه لأمر غاية فى الصعوبة أن يحصل على حقوقه القانونية ، دون أن تظهر تصرفاته التى تتنافى مع أحكام الشريعة . ولذلك لم يكن أمامه حيال هذا الوضع ـــ سوى أنه « امتدح الوكيل » . وهكذا جعل الناس يثنون عليه

هو أيضاً وحصل بذلك على وصف لا يستحقه وهو التقوى . لقد ظهر الوكيل الآن على أنه يتصرف وفقاً للشريعة الإلهية كما ظهر المالك أمام الناس أنه موافق على ذلك . وكل منهما كان يتصرف بحكمة فى ظروف عسيرة .

١ و ٢ : هذا المثل موجه « للتلاميذ » ، بينما الأمثال الثلاثة السابقة كانت موجهة للفريسيين (لو ١٥ : ٢ وما بعدها) . إلا أن الفريسيين لا يزالون فى الخلفية ، لأنهم استهزأوا مما قاله يسوع (١٤) . وكلمة الوكيل ترجمة من الأصل اليونانى Oikonomos (بالمقارنة مع لو ١٢ : ٤٢) ، والمقصود بها شخص يقوم بإدارة عمل حتى يحمل عن المالك عبء الإدارة الروتينية . وفى هذا المثل لا بد وأن الوكيل كان يستطيع عقد اتفاقات ملزمة لسيده . لقد كان هذا الوكيل مديراً لأملاك سيده . ولقد اتهم بأنه يبذر أموال سيده لمصلحته الشخصية . ومن الواضح أن المالك اعتقد أن التهمة ثابتة ، لأنه أخبر الوكيل أنه مطرود وأمره أن يعد حساباً ختامياً .

٣ و ٤ : وهذا أتاح للوكيل وقتاً ليتدبر خطة لمواجهة هذا الموقف . إن فقدان « وكالته » معناه فقدان مورد رزقه . فكر فى أن يعمل فى الحفر والتنقيب ، بيد أن إمكاناته البدنية حالت دون ذلك ، كذلك فكر أن يستعطى لكن خجله قد منعه (بالمقارنة مع يشوع بن سيراخ ٤٠ : ٢٨ ، الموت خير من الشحاذة) . لقد علمت ماذا أفعل ، وصيغة الفعل تعنى « لقد توصلت إلى قرار » . وهنا نجد تلميحاً إلى إلهام مفاجىء . لقد وجد طريقة يمكن من خلالها استغلال المديونين لمصلحته الشخصية .

٥ و ٦ : وأسرع فى تنفيذ خطته ، وبدأ يتعامل مع المدينين واحداً تلو الآخر . فالسرية ضرورية لما اعتزم أن يعمله . كان الأول مديناً بـ « مئة بث زيتاً » . والمكيال هو البث ، ولم يرد ذكره فى العهد الجديد إلا هنا فقط . ومن إشارة ليوسيفوس ، نجد أن البث كان يبلغ $\frac{٣}{٤}$ ٨ جالوناً . وهكذا كان الدين فى مجموعه يبلغ ٨٧٥ جالوناً من الزيت (قدرها إرميا بـ ٨٠٠ جالون ، وكان يرى أن هذا نتاج ١٤٦ شجرة زيتون ، ولذا فهو دين كبير) . وطلب الوكيل من هذا المدين أن يكتب صكاً آخر « بخمسين » بث فقط .

٧ : وثمة مثال آخر . سمح لهذا المدين بأن يكتب ثمانين كر قمح بدلاً من مائة . ويرى إرميا أن هذا نتاج ما يقرب من مائة فدان ، ومن ثم فإن الدين كبير . وكان الوكيل ينوع معدل الخصم ، ربما بسبب اختلاف نوعية السلع . وغش زيت الزيتون كان أمراً سهلاً إلى حد ما ، ولذلك كان معدل الفائدة عالياً على المعاملات المتضمنة زيتاً . ويقول ديريت Derrett « وعندما لا يكون لدى المدين ما يقدمه — غير تقديم نفسه وعائلته عبيداً — إلا كمية من منتج طبيعي ، وإذا كان ما يقدمه سائلاً كزيت الزيتون ، كان عليه أن يدفع غالياً للمخاطر التى يتعرض ذاته لها . أما بالنسبة لغش القمح فكان الأمر أكثر صعوبة . وكانت الفائدة منخفضة لهذا السبب » . وربما استمر الوكيل فى هذه العملية مع المدينين الآخرين . وهذان المثلان كافيان لتوضيح الاتجاه العام الذى كان يتصرف على هديه هذا الوكيل .

٨ : كان « السيد » فى وضع لا يحسد عليه ، لأن الوكيل قد تخلص من العقود ذات الفوائد الربوية . ومعارضته علناً لتصرفه هذا يظهره على حقيقته ، باعتباره ظالماً وغير متدين . ولم يكن أمامه من مفر سوى استغلال الموقف لصالحه الشخصى ، ومدح الوكيل والتظاهر باستحسان ما عمله . وهذا يرفع من شأنه أمام الناس . فقد يفترض أن الوكيل قد أبرم العقود الربوية دون معرفته . وها هو الآن ، لتقواه وورعه يمتدح إلغاء هذا . أما إذا وصف الوكيل بأنه « خائن » فقد يشكل هذا احتجاج السيد (الدائن) على الطريقة التى حرمه بها من أمواله نتيجة تصرف هذا الوكيل ، أو قد يشير إلى اعتقاده أن الوكيل كان خائناً منذ البداية (أو بعد ذلك) . وما لم يكن الموضوع متعلقاً بعقود ربوية ، فهذا يعنى أن السيد استحسن أنه خدع بواسطة هذا الوغد الذكى وأنه امتدح حكمة تصرفه الإدارى لا الأخلاق . ولم يقل إنه سر بذلك . بل هو بكل بساطة أعجب بذكاء الوكيل ، بينما كان فى قرارة نفسه حزيناً بلا شك لما جره ذلك عليه . والعقلية الدنيوية (أبناء هذا الدهر) حكماء حسب مفاهيمهم . ويقول Moffat « أبناء هذا العالم دائماً يفكرون فى المستقبل البعيد ، فى تعاملهم مع جيلهم » أكثر مما يفعله أبناء النور . وأبناء النور هم « خدام الله » . وهم بمقاصدهم الطيبة ، كثيراً ما تعوزهم الحكمة كى يستعملوا ماعندهم كما يستخدم أهل العالم ممتلكاتهم لتحقيق غاياتهم المغايرة تماماً .

٩ : وأضاف يسوع وصيته بأن نستخدم « مال الظلم » بحكمة . والكلمة فى الأصل اليونانى تشير بوجه عام إلى مال أو ثروة . والوصف هنا يذكرنا أن هذا المال فى الغالب الأعم قد تم الحصول عليه من خلال طرق جائرة . ولا يبدو أن تعبير « مال الظلم » له نظير فى أى موضع آخر . ومع ذلك تحوى الكتابات اليهودية تناقضاً بين « المال الشريف » و « والمال الحقيقى » . وهذا يشير إلى طريقة الحصول عليه . هل عن طريق شريف أم لا ؟ . وقد يدل استخدام يسوع هذا التعبير على أن هناك بوجه عام نوعاً من الظلم فى الطريقة التى يحصل بها الناس على الأموال . وتلاميذ المسيح عليهم أن يستعملوا ما لديهم من مال فى النواحى الروحية ، تماماً كما يستعمل أبناء هذا الدهر أموالهم لأهدافهم المادية . وحيث أن هدفنا هو « كنز فى السماء » علينا إذا أن نستخدم المال لأهداف سامية ، فى الصدقات وما إلى ذلك من أوجه الخير المتعددة . وهكذا يكون لنا أصدقاء ، ويجعلنا فى موقف راسخ طيب ، يوم لا ينفع المال ، وذلك بعد الموت حيث لا نعود نستخدم أموالاً بعد . ومعنى « يقبلونكم فى المظال الأبدية » (بالمقارنة مع يو ١٤ : ٢) . قد يشير إلى أن الأصدقاء الذين كسبناهم بهذه الطريقة سيرحبون بنا فى السماء . أما الاحتمال الأرجح فهو أن هذه عبارة شائعة فى العبرية يشار بها إلى « الله » ، وذلك تمشياً مع الرغبة فى تفادى استعمال الاسم الإلهى . إذاً فالله هو الذى يقبل الناس فى السماء .

٢ ــ الله والمال (لو ١٦ : ١٠ ــ ١٣) .

ويتخذ يسوع من موقف الإنسان بالنسبة للمال وسيلة للتعليم بأن التلمذة لا بد وأن تكون صادقة ومن كل القلب .

١٠ : لقد وضع أولاً مبدأ أن الإخلاص لا يتأتى مصادفة ، وإنما ينبع من شخصية الإنسان ككل . ما يفعله الإنسان بالنسبة لأمور الحياة البسيطة ، هو ما يفعله أيضاً بالنسبة للأمور الكبيرة . وأمانته أو عدمها تظهر من خلال هذه الأمور كلها . فالحياة وحدة لا تتجزأ .

١١ و ١٢ : ويفرق يسوع بين « مال الظلم » ، الثروات الأرضية ، ومال « الحق » ، أى الكنوز السمائية التى لا يستطيع أحد أن يعطيها إلا الله . وطبقاً للمبدأ الذى وضع فى الآية السابقة فالإنسان الذى يستعمل أمواله بطريقة خاطئة

يظهر عدم أهليته للتعامل فى أشياء أكثر أهمية . ومثل هذا الإنسان لا يجب أن يدهش إذا ما حرمه الله من مثل هذه الأشياء . ونفس المبدأ وضع بطريقة موحية بالتناقض . ويجب القول إنه ما لم نكن أمناء فيما هو لنا ، لا نكون جديرين أن نؤتمن على ما هو للغير . لقد عكس يسوع هذا ، فالمال الذى نعتقد أنه لنا ، ليس فى الحقيقة ملكنا . بل كل ما لنا هو من الله (١أخ ٢٩ : ١٤) ، ولسنا سوى وكلاء عليه فحسب . ولا نستطيع أن نأخذه معنا عند موتنا . وإذا أسأنا التصرف فيه نظهر أننا لسنا مستحقين الكنوز السمائية الحقيقية والتى ستعطى لنا ملكاً أبدياً (بالمقارنة مع مت ٢٥ : ٣٤) .

١٣ : « خادم » ، هو عبد يخدم فى البيت . ولا يمكن لأحد أن يكون عبداً لسيدين فى وقت واحد . قد يحاول ، لكن إخلاصه التام لن يكون إلا لواحد منهما فقط . هكذا الحال بالنسبة « لله والمال » . والإنسان يستطيع أن يخدم أحدهما بكل إخلاص ، لكنه لا يستطيع ذلك بالنسبة لكليهما معاً .

٣ ــ الفريسيون محبو المال (لو ١٦ : ١٤ و ١٥) .

وتعاليم يسوع هذه لم تلق قبولاً من الفريسيين ، لأنها كانت تتناقض تماماً مع ممارساتهم الزائفة الكاذبة . ومحبو المال يعملون دائماً على إنكار خطيتهم ويرون فى أموالهم دليلاً على بركة الرب لممارساتهم . ولذلك استهزأوا به . ومن ثم أظهر يسوع التنافر بين تبريرهم أنفسهم قدام الناس فى الظاهر (وهذا أقصى ما يستطيعونه) ، وبين حقيقة ما فى قلوبهم . « الله يعرف قلوبكم » (يكشف خطاياكم) ، وهذا أمر يفزع عبدة المال . وخلاصة ذلك أن ما يسر الفريسيين بدرجة كبيرة ، وما يعجب به الناس بصفة عامة هو فى حقيقته « رجس قدام الله » .

٤ ــ الناموس والأنبياء (لو ١٦ : ١٦ و ١٧) .

إن مجىء المسيح يمثل بزوغ عهد جديد وخط فاصل بين عهدين ، فقبل مجيئه ، كان الناموس (الأسفار من التكوين وحتى التثنية) ، والأنبياء تتضمن الإعلانات الإلهية . والتعبير المشترك ، أى الناموس والأنبياء ، يعنى العهد القديم كله . أى حتى يوحنا المعمدان . ويعلق كونزلمان Conzelmann أهمية عظيمة على هذا الجزء الذى نحن بصدده . فهو يراه يشير إلى « عصر إسرائيل » الذى

استمر حتى هذه النقطة بما فى ذلك كرازة المعمدان . ويشدد على هذا أكثر مما تتحمله كلمات البشير لوقا . بيد أن هناك تشديداً واضحاً على الوضع الجديد الذى أحدثه مجيء يسوع . فالآن « يُبَشرُ بملكوت الله » . والملكوت هو الموضوع المفضل عند يسوع فى تعليمه (انظر التعليق على لو ٤ : ٤٣) . وهذا يعنى ملك الله على الحياة بكل ما فيها . وثمة مشكلة فى عبارة « وكل واحد يغتصب نفسه إليه » . فالبعض يرى أن المعنى هو « كل واحد يشق طريقه عنوة إليه » . وهذا التفسير يبدو غير محتمل . وقد يقصد « أن يشق الإنسان طريقه إلى الملكوت » بكل الحماس ، وإنكار الذات والعزم والتصميم . كما بعنف روحى . أو أن يسوع قصد بذلك أن أولئك الذين يشقون طريقهم بجد ومثابرة إلى الملكوت يجب أن يكونوا على الأقل فى حماسة وعنف رجال فلسطين الذين حاولوا استحضار الملكوت بقوة السلاح . وسياق الكلام قد يأتى بنا إلى التفكير فى رجال مثل الوكيل الحكيم . وعندما يرون فائدة وقيمة دخول الملكوت يكونون مستعدين أن يغتصبوا أنفسهم إليه . بعكس الفريسيين الذين لم ينتفعوا بالفرصة التى سنحت لهم . ويترجم نوكس **Knox** هذه الآية « كل من يعزم ، يغتصب نفسه إلى الملكوت » .

١٧ : وربما ساد الإعتقاد حينذاك أن الناموس أُبطل وانتهى . ومع ذلك يؤكد يسوع لسامعيه أن الناموس أكمل . وزوال « السماء والأرض » أيسر من زوال الناموس . ولم يلق يسوع أى ظل من الشك على استمرارية الناموس . ولم ينتقد يسوع إلا الطريقة التى كان الفريسيون يفسرون بها الناموس . و « النقطة » هى علامة صغيرة فوق بعض الحروف العبرية . واستعمالها يشير إلى أن الناموس لا بد أن يتم بكل حرف فيه .

٥ ــ الطلاق (لو ١٦ : ١٨) .

وجاء ذكر هذا هنا لأنه على ما يبدو يساعدنا على فهم الناموس من زاوية أخرى . الناموس سمح للرجال أن يطلقوا زوجاتهم (تث ٢٤ : ١ وما بعده) ، على الرغم من أن النساء لا يستطعن طلاق أزواجهن . وبعض الفريسيين كانوا متساهلين للغاية حتى أنهم سمحوا للرجال أن يطلقوا لأتفه الأسباب . وهكذا كان هليل يعتقد أنه إذا ما أتلفت زوجة طعام زوجها كان ذلك مبرراً كافياً للطلاق ، بل ذهب عقيبة **Akiba** إلى حد أنه سمح بالطلاق

للرجل إذا ما رأى إمرأة أجمل من إمرأته . وكان هذا استخفافاً بالناموس . ووضح يسوع أن هدف الناموس لم يكن إباحة الطلاق . لقد وضع الله الزواج كى يصبح الإثنان واحداً (تك ٢ : ٢٤) . وما كان الطلاق إلا تدبيراً راجعاً إلى « قساوة قلوب » الرجال (مر ١٠ : ٥) . فالقصد من الزواج وحدة مدى الحياة . وعلى هذا فكل من يطلق إمرأته ويتزوج بأخرى « يزنى » ، وكل من يتزوج بمطلقة يزنى . ولم يكن يسوع بهذا يقترح قانوناً أو تشريعاً للمجتمع ككل . إنما كان يعبر عن نظرة أناس الله للزواج . والبعض يعتقدون أنه كان بذلك ينتقد هيرودس أنتيباس علناً ، وهكذا كان مذنباً من ناحيتين ، وبكل تأكيد تنطبق كلمات يسوع على هيرودس ، بيد أنه من الصعب الإعتقاد أنها كانت موجهة له بصفة رئيسية .

٦ — مثل الغنى ولعازر (لو ١٦ : ١٩ — ٣١) .

هذا المثل تميز به إنجيل لوقا . وكثيرون يرون فيه اقتباساً من قصة شعبية ربما بدأت فى مصر ، والقصة تظهر التناقض بين المصير الأبدى لرجل غنى شرير ، ورجل تقى فقير . وإذا ما كان يسوع قد نقل عن قصة شعبية إلا أنه أسبغ عليها شكلاً جديداً . والقصة بشكلها الحالى تبرز التناقض مع السلوك الذى ربما تولد انطباعاً من مثل وكيل الظلم . وربما نستطيع العودة إلى ما قبل ذلك ونقول إن هذا الأصحاح يتحدى الابن الأكبر الذى ذكر فى المثل السابق ، ومعه كل المتكبرين أن يتصرفوا بروح وكيل الظلم . عليهم أن يتوبوا ويساعدوا الآخرين بأموالهم ، وإلا ستجلب هذه الأموال الدينونة عليهم .

١٩ : يتحدث يسوع عن رجل غنى . و « الأرجوان » قماش مصنوع بصبغة غالية للغاية (ويستخلص من محار المريق)(*) . ويستعمل للملابس الخارجية و « البز » للملابس الداخلية . والجمع بينهما يشير إلى الرفاهية الباذخة . « يتنعم » : تعطى معنى السعادة ، لأن نفس الفعل استخدم للدلالة على الفرح فى (لو ١٢ : ١٩ ، ١٥ : ٢٣ ، ٣٢) . وكان لهذا الرجل كل ما يشتهيه فى الحياة وعاش حياة الترف والتنعم . ولم يذكر أنه ارتكب خطيئة شنيعة ، لكنه كان يعيش لنفسه فقط ، وهذا ما جلب عليه الدينونة .

(*) المريق نوع من الرخويات البحرية ينتج صبغاً أرجوانياً .

٢٠ و ٢١ : وكان على النقيض من ذلك « مسكين اسمه لعازر » (وهذا الاسم معناه « الهي عونى » وقد يكون للإسم مغزاه ، وبكل تأكيد لم يقدم أحد يد المساعدة لهذا المسكين) . ولعازر هو الاسم الوحيد لشخصية وردت فى مثل من أمثال السيد المسيح . وأحياناً كان الرجل الغنى يسمى « دايفز » لكن هذا الاسم هو الكلمة اللاتينية التى تعنى « رجل غنى » . كان لعازر طريحاً عند « باب » الغنى ، والكلمة تشير إلى بوابة كبيرة أو رواق ذى أعمدة عند مدخل المبنى كذاك الذى نراه فى القصور . والبيت كان فخيماً كبيراً . وكلمة « مضروباً بالقروح » تشير إلى تعاسته من الناحية البدنية وهذا ما أكده ذكر أن الكلاب كانت تأتى وتلحس جروحه . أما عن فقره وإملاقه فواضح من أن لعازر كان « يشتهى أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغنى » .

فأحدهما عنده كل ما يشتهيه ، والآخر يعوزه كل شيء .

٢٢ : لم يذكر شيء عن الحالة الدينية لأى منهما . لكن من الواضح أن لعازر كان خادماً أميناً للرب ، لأنه عندما مات حملته الملائكة إلى « حضن إبراهيم » ، وهذا تعبير غير مألوف ، غير أنه من الجلى أنه كناية عن السعادة . والبعض يرون فيه علاقة حنان ومحبة ، كالعلاقة بين الطفل ووالديه (بالمقارنة مع يو ١ : ١٨) . إلا أن ما يعطى صورة مقابلة لمائدة الغنى التى وردت في بداية القصة صورة لعازر جالساً على مائدة ابراهيم (انظر التعليق على لو ١٤ : ٧) . والنعيم الذى يسعد فيه المخلصون صور كوليمة عظيمة يتكيء فيها « المنعم عليه » ورأسه مسند على حضن أحد الآباء العظماء (بالطريقة التى ذكرت فى يو ١٣ : ٢٣ بالمقارنة مع مت ٨ : ١١) . والغنى بعد موته لم يكن له مثل هذه السعادة .

٢٣ : « الهاوية » وهى فى العادة كلمة غير واضحة . وتشير إلى موضع إقامة كل المنتقلين ، سواء كانوا أبراراً أم أشراراً . ومع ذلك لم يرد ذكرها إطلاقاً فى العهد الجديد بالنسبة للمخلصين . أما هنا فيبدو وأنها مناظرة لجهنم ، مكان العقاب الأبدى ، لأن الغنى كان « فى العذاب » . وليس هذا فحسب ، لكنه استطاع أيضاً أن يرى لعازر والنعيم الذى يقيم فيه .

٢٤ : وسلوك الغنى تجاه أبى الآباء إبراهيم مفعم بالاحترام ، حيث يخاطبه

بقوله « يا أبي إبراهيم » ووجه رجاءه بكل تواضع . بيد أن سلوكه تجاه لعازر ودون قصد منه ، شابته مسحة من الغطرسة ، لأنه افترض أنه يمكن أن يرسله ابراهيم كي يعمل فيه معروفاً (ما لم يكن يعني سوى أنه مستعد أن يتقبل أقل عون من أى مصدر كان) ، لم يكن قد أدرك بعد أن القيم الدنيوية قد انتهت ولا مكان لها فى الحياة الأبدية ، حيث تسود قيم مغايرة تماماً .

٢٥ و ٢٦ : وقدم إبراهيم مبررات رفض طلب الغنى . ومخاطبته بقوله يا «ابنى » هو أسلوب رقيق ، لكنه يشير إلى انعكاس الوضع . ففى الحياة الدنيا تمتع الغنى بكل مباهجها . والضمير فى كلمتى « خيراتك » و « حياتك » له مغزاه . لقد كان له ما أراد . كان يمكنه بدلاً من ذلك أن يقضى حياته فيما هو لله وأن يبتهج بكلمته . كان فى مقدوره أن يقدم الكثير من العطايا (وكان لعازر قريباً منه بدرجة كافية) . ولكن الأمور التى حسنت فى عينيه كانت قاصرة على البز والأرجوان ، وحياة الترف والتنعم . لقد اختار ما ارتآه خيراً له وعليه أن يلتزم بما سبق واختاره . لقد كانت « البلايا » من نصيب لعازر فى الحياة . وفى هذه الحالة لم يقل الكتاب « بلاياه » ، لأن لعازر لم يكن له يد فيما أصابه من بلايا وفيما عاناه منها .

والآن كما يشير إبراهيم ، تسود قيم مختلفة . لقد اعتدل الميزان ، وسادت العدالة . وثمة عامل آخر ، لقد « أثبتت .. هوة عظيمة » وربما تكون هذه معلومة تصويرية ، لكنها تعنى أنه فى الحياة الآتية لا يمكن العبور من حالة إلى أخرى (وتشير الكلمة فى اللغة اليونانية إلى أن هذا هو هدف الهوة العظيمة وليس نتيجتها) . والغنى يستطيع أن يعرف كيف آلت الأمور إلى لعازر بعكس حالته هو ، بيد أنه لا يمكن لأى منهما أن يعبر الهوة . وتتحدث بعض الكتابات اليهودية عن تصوير مماثل بشأن فاصل دائم فى الحياة الأبدية ، حيث قال أخنوخ (١أخنوخ ٢٢ : ٩) حيث إنه من الممتع إن الأبرار يتمتعون « بنبع صاف » .

٢٧ و ٢٨ : ولأول مرة فى القصة نرى الغنى يفكر فى الآخرين (على الرغم من أنه لا زال لا يفكر فى المساكين ، بل يقتصر تفكيره على عائلته) . لقد طلب تحذير أخوته الخمسة من المصير الذى ينتظرهم . وللمرة الثانية يقترح إرسال لعازر للقيام بهذه المهمة . فلا تزال نخوة العظمة مسيطرة عليه ، وهو

يلمح أيضاً إلى أنه لم يلق معاملة عادلة . فلو كانت قد توفرت له كل المعلومات التى احتاجها لتصرف بشكل مغاير . وعلى نقيض ذلك كان صمت لعازر مؤثراً طوال القصة كلها . لم يتكلم قط . لم يشكو البلايا التى كانت من نصيبه فى الحياة الدنيا ، ولم يتطلع إلى الغنى متفاخراً فى الحياة الأخرى ، بل وما عبر عن استيائه من محاولات الغنى إرساله فى مهمة . كان دائماً يتقبل كل ما يأتيه من قبل الرب .

٢٩ ــ ٣١ : لقد أشار إبراهيم إلى الكتاب المقدس . والمقصود بذكر « موسى » الكتابات الموسوية ، والجمع بينها وبين الأنبياء يشير إلى الكتاب المقدس كله ، كما فى الآية ١٦ . قال إبراهيم إن « الكتاب المقدس » يقدم للأخوة كل ما هم فى حاجة إليه . وثمة تلميح هنا إلى أن موقف الغنى السيىء ، لم يكن راجعاً إلى غناه (فقد كان إبراهيم نفسه غنياً) ، بل إلى إهماله الكتاب المقدس وما جاء به من تعاليم . لكن الغنى لم يقتنع بهذا . وهو يدرك كيف تصرف إزاء الكتاب المقدس . ولذلك قال إنه « إذا مضى إليهم واحد من الأموات » يختلف الوضع . لأن هذا سيقودهم إلى التوبة . هذه هى مغالطة الإنسان الذى أغرقته أمور الدنيا الزائلة . ويختتم المثل بتأكيد إبراهيم أن قيام واحد من الأموات لن يقنع أولئك الذين رفضوا أن يصدقوا ما جاء بالكتاب . ويقول يسوع إن الإنسان الذى لم يكن خيّراً ، وكلام الله عنده (العهد القديم) ولعازر على بابه ، فلا شيء ، ولا حتى زائر من العالم الآخر ، بل ولا الكشف عن فظائع جهنم ــ تجعله يغير فكره . ومن سياق الكلام ، فالواحد الذى قام من الأموات لا بد وأنه يشير إلى لعازر . لكن قارئ بشارة لوقا لا يستطيعون إلا أن يروها إشارة إلى يسوع . لقد قام يسوع من الأموات . لكن أولئك الذين رفضوا قصته فى الكتاب المقدس ، ورفضوا أن يهتموا بما هو مكتوب عنه ، لن يقتنعوا حتى بواحد قام من الأموات .

ع ــ تعاليم خاصة بالخدمة (لو ١٧ : ١ ــ ١٠)

الربط بين فقرات هذا الأصحاح ليست واضحة . ومن الممكن أن يكون البشير لوقا قد جمع مقتطفات من تعاليم يسوع السامية التى لا يمكن تجاهلها ، لكنه لم يكن يعرف سياقها التاريخى . وعلى صعيد آخر ، قد نجد ارتباطاً ،

كما هو موضح فى الملاحظات التالية . فعلى الأقل يبين السبب فى وضع البشير لوقا لهذه التعاليم على هذا النسق .

١ ــ مسامحة الآخرين (لو ١٧ : ١ ــ ٤) .

وحلقة الوصل هنا قد تكون فى سلوك القادة الدينيين . كانوا معرضين لخطر استخدام ثرواتهم بطريقة خاطئة ، بل كانوا معرضين لخطر قيادة إخوتهم الأصغر منهم إلى طريق خاطىء . كما كان « تلاميذه » معرضين لهذه العثرة ، مثلهم مثل الفريسيين . ويبدأ الكلام بالحديث عن حتمية « العثرات » . والعثرة تعنى خطاف الطعم فى الفخ ، وهى التى تفجر المتاعب (والفعل المماثل يوجد فى لو ٧ : ٢٣) . ويترجمها موفات عقبات أو معيقات . وكل العقبات التى تعترض الحياة الروحية تدخل ضمن هذا التعبير ، بيد أن عثرات الخطية هى بكل المقاييس أسوأها جميعاً . وهذه العثرات لا بد وأن تأتى ، ولكن هذا لا يعنى أن من تأتى بواسطته لا عقاب له .

٢ : لم يخبرنا يسوع ما مصير من تأتى بواسطته العثرات . وكلمة « الويل » فى الآية السابقة تبين أن عقابه لن يكون بسيطاً . فقد كان خير له لو طرح فى البحر فى الحال . أما « حجر رحى » فهو حجر ثقيل يستعمل لطحن الحبوب . فالموت الفظيع أهون من التسبب فى ضرر روحى حتى بالنسبة لـ « أحد هؤلاء الصغار » . وربما قصد بهذا التعبير المؤمنين الأحداث ، لكننا يمكن أن نفهمه أيضاً بمعنى أنه وصف للمؤمنين فى كل المراحل السنية (بالمقارنة مع مر ١٠ : ٢٤ ، لو ١٠ : ٢١) ، حيث أنهم ضعاف يحتاجون إلى معونة الله وعنايته .

٣ و ٤ : وحتى لو لم يتسبب أتباع يسوع فى الخطية المعثرة فعليهم مقاومتها أيضاً . وإذا ما وقع أحد فى الخطية فعلى تابع يسوع أن يوبخه ، ولكن هذا لا يعنى انتقاده بشدة . لأن النص يشدد على المغفرة . لكنه يعنى أنه رغم الشفقة إلا أنه لا يجب أن يكون ضعيفاً ويتجاهل الشر أو يقف موقف اللا مبالاة . ولكن هذا لا يبرر حمل ضغينة لأحد . فإذا ما تاب المسىء ، فيجب أن يغفر له المؤمن . وأن يكون غفرانه بلا حدود . وعندما تحدث يسوع عن « سبع مرات فى اليوم » لم يكن بالطبع يقصد أن الإساءة الثامنة

لا يجب غفرانها (بالمقارنة مع مت ١٨ : ٢١ وما بعدها) ، بل يقول إن الغفران يجب أن يكون عادة متأصلة فى المؤمن . ومن وجهة نظر العالم فتكرار الإساءة سبع مرات فى اليوم يلقى ظلالاً من الشك على جدية التوبة . بيد أن هذا لا يجب أن يكون منطق المؤمن ، فالغفران يجب أن يكون شغله الشاغل .

٢ ــ الإيمان (لو ١٧ : ٥ و ٦) .

من الواضح أن التلاميذ كانوا يعتقدون أن الأمر محتاج إلى إيمان كبير كى يغفروا للمخطىء على هذا النحو . وهذا قد يفسر « زد إيماننا » ، أو أعطنا إيماناً أيضاً ، أى « أعطنا إيمانا بالإضافة إلى المواهب الأخرى » . لكن الترجمة الحالية سليمة . لقد طلب التلاميذ إيماناً أكثر . ولكن إجابة يسوع تعنى أن الأهم من التفكير فى كمية الإيمان القليل والكثير هو أصالة الإيمان . فإذا ما كان الإيمان حقيقياً ، فلا بد أن تنشأ عنه نتائج . فليس المطلوب إيمان كبير جداً بالله بل إيمان بإله كبير جداً . وكانت « حبة الخردل » مثالاً على ذلك لصغر حجمها . وليس من الواضح نوع الشجرة ، ومهما كان نوعها فإن معلمى اليهود يقولون إن جذورها تظل فى الأرض مدة ستمائة سنة . وواضح أنها ثابتة الجذور ، ولذلك فإن إزالتها تعتبر عملية صعبة للغاية . ولا يطالب يسوع تلاميذه بأن يشغلوا أنفسهم بأمور لا معنى لها مثل نقل شجرة من البر إلى البحر . إنه يركز على ما فى العمل من صعوبة .. فهو يعنى أن الإيمان يصنع المستحيلات . وكما يقول ميلر Miller « إن الإيمان الحقيقى يستطيع أن يفعل ما ينكره العقل أو الاختبار أو الاحتمال ، إن كان هذا الإيمان يعمل فى إطار إرادة الله » .

٣ ــ عبيد بطالون (لو ١٧ : ٧ ــ ١٠) .

وعندما يكون لأحد مثل هذا الإيمان ، فقد يتعرض لعثرة الكبرياء من الناحية الروحية . ويغرس يسوع فضيلة التواضع بإشارته إلى الممارسات المعتادة مع العبيد . فعند نهاية العمل اليومى لا يستدعى أى سيد عبده كى يتناول غداءه (على الرغم من أن سيدنا فعل أكثر من ذلك : لو ١٢ : ٣٧ ، ٢٢ : ٢٧) ، بل يطلب من الخادم أن يخدمه أثناء تناوله غداءه . وهو لا يشكر العبد لأنه فعل ما أُمر به (٩) ، لأنه لا يعدو أن يكون واجباً عليه . وهكذا الحال بالنسبة

لخدام الرب (عبيده) ، فنحن مطالبون أن نكون كاملين (مت ٥ : ٤٨) . وعندما نؤدى عملاً لا نستطيع الإدعاء بأننا فعلنا أكثر مما كان واجباً علينا . وكلمة « بطالون » كلمة صعبة ، ولكن يبدو أنها تعنى « غير منتجين » (بالمقارنة مع استخدامها فى مثل العبد الذى أخفى وزنته ، مت ٢٥ : ٣٠) . فأفضل خدماتنا لا ترتب لنا حقوقاً قبل الله (بالمقارنة مع ١كو ٩ : ١٦) ، لأنه فى أحسن الحالات نكون قد عملنا « ما كان يجب علينا » . وبنفس هذه الروح قيل إن أحد معلمى اليهود هو يوحنان Johanan قال : إذا كانت أعمالك تتمشى مع الناموس فلا تطلب مديحاً لنفسك لأنك إنما خلقت لهذه الغاية .

ف ـــ العشرة البرص (لو ١٧ : ١١ ـــ ١٩) .

١١ ـــ ليس من السهل أن تعرف السبب الذى جعل يسوع « يجتاز فى وسط السامرة والجليل » فى هذه المرحلة من القصة (انظر التعليق على لو ٩ : ٥١) ، والكلمات تشير إلى رحلة ساحلية بين المنطقتين . وفى إحدى الترجمات « مر وسط السامرة والجليل » . وهذا الترتيب يشير إلى رحلة نحو الشمال ، بينما اتجاهه هنا للناحية الأخرى . ويبدو أن المشكلة ترجع إلى أن يسوع سبق وأن وصل إلى بيريه قبل هذه الرحلة . ويبدو أن البشير لوقا لا يضع كل شىء حسب ترتيبه الزمنى ، وأن القصة تتعلق بحدث وقع قبل ذلك . أو أن يسوع ، بعد رحلة إلى بيريه رجع ثانية إلى هذه المنطقة . ويقول أرندت Arndt إن يسوع قصد مدينة تسمى افرايم Ephraim بعد أن أقام لعازر (يو ١١ : ٥٤) ، وهذه تقع على بعد عشرين ميلاً شمال أورشليم . ويقول إنه ربما عند اقتراب الفصح استمر يسوع فى اتجاهه شمالاً لينضم إلى الحجاج الجليليين الذاهبين إلى أورشليم . وهذا يفسر لنا زمان ومكان وقوع هذا الحدث . وهذا رأى تدعمه حقيقة أنه فى آخر رحلة قام بها يسوع إلى أورشليم ذهب عن طريق بيريه (مت ١٩ : ١ ، مر ١٠ : ١) . وكان هذا هو الاستمرار الطبيعى للرحلة التى يصفها هنا البشير لوقا .

١٢ و ١٣ : لم يخبرنا لوقا أين وقعت هذه المعجزة ، سوى أنها كانت عند مدخل « قرية » . وكان « البرص » مضطرين طبقاً للشريعة أن يبتعدوا

ولا يخالطوا الشعب (انظر التعليق على لو ٥ : ١٢) . وهذا هو ما فعله هؤلاء البرص . بيد أنهم اقتربوا على قدر ما استطاعوا وأخذوا يصرخون قائلين « ارحمنا » . ومع ذلك فإنه فى مثل هذه الظروف ما كان هناك شك فى أن البرص كان لديهم أمل فى أن تتحقق لهم الرحمة من الجهة التى قصدوها (أى على يد يسوع) .

١٤ : وربما لم يرهم يسوع فى بداية الأمر ، بيد أنه فور أن أبصرهم أجابهم . لم يقترب منهم أو يلمسهم ، بل إنه لم يقل لهم « إذهبوا لقد شفيتم » بل طلب منهم ، وهم ما زالوا برصاً ، أن يذهبوا ويروا أنفسهم للكهنة . وكان هذا هو الإجراء المتبع عندما يشفى أحد البرص . ووظيفة الكاهن فى هذه الحالة تشابه وظيفة مفتش الصحة من ناحية الشهادة أن الشفاء قد تم بالفعل (لا ١٤ : ٢ وما بعدها) . لقد كان يسوع يمتحن إيمانهم عندما طلب منهم أن يتصرفوا كما لو كان شفاءهم قد تحقق بالفعل . ونظراً لطاعتهم تحقق لهم الشفاء « وفيما هم منطلقون طهروا » .

١٥ و ١٦ : وسرعان ما حركت معجزة الشفاء وتر العرفان والامتنان فى واحد من البرص العشرة . فلم ينتظر حتى الإقرار بصلاحيته للتعامل مع الناس ، بل عاد إلى يسوع عندما وجد نفسه قد شفى . أما وأنه كان « يمجد الله » ، فهذا يظهر أنه رأى يد الله فى شفائه وأنه كان على استعداد أن يعمل كى يعرف الجميع المعجزة . وعندما رجع إلى يسوع تصرف باتضاع وخر على وجهه عند رجليه شاكراً . وأضاف لوقا إلى ذلك أنه « كان سامرياً » . وفى العادة لا يعامل اليهود السامريين ، وربما كان الفزع من مرضى البرص هو الذى جمع بين أولئك البرص على اختلاف أجناسهم ليعيشوا معاً ، متجاهلين كل تفرقة كانوا يمارسونها . وكان من المتوقع أن ذلك السامرى سيكون آخر من يقدم الشكر لليهودى الذى شفاه . ولكن البشير لوقا يذكر أنه كان أول الكل ، بل الوحيد الذى فعل ذلك . وما لم يقدم الإنسان الشكر فى الحال ، فإنه لن يفعل ذلك أبداً .

١٧ و ١٨ : وفى سلسلة من الأسئلة عبر يسوع عن أسفه بالنسبة للعشرة الآخرين . لقد شفى العشرة كلهم ، وكان أمامهم نفس الدافع لتقديم الشكر

والتعبير عن العرفان . وكان المتوقع أن كل واحد منهم سوف « يمجد الله » . ولكن يبدو أن التسعة الآخرين كانوا منهمكين فى سعادتهم بالشفاء إلى الدرجة التى أنستهم التفكير فيمن شفاهم . وأما ذاك الذى رجع وشكر فكان « هذا الغريب » رجل لم يكن ينتمى إلى الشعب المختار . وكشف بسلوكه جحود اليهود الذين تحقق لهم الشفاء .

١٩ : لقد شجع يسوع ذلك الرجل الذى رجع إليه بأن طلب منه أن يقوم ويمضى إلى سبيله وأكد له أن إيمانه قد خلصه . وربما كان التسعة الآخرون مؤمنين أيضاً (على الرغم من أنه ليس متغيراً) .. لأن الإيمان هو الشرط الأساسى لمعجزات يسوع . ولكن من المؤكد أن ذلك السامرى كان قلبه عامراً بالإيمان والعرفان . من الممكن أن يفسر هذا الحدث على أنه كان أكثر من معجزة شفاء . فالترجمة الحرفية له « لقد أنقذك » . وربما وجد يسوع فى هذا الرجل ماجعله يخلصه ويصرفه مؤكداً له خلاص روحه كما خلص جسده أيضاً . فالشفاء الكامل يعنى نفساً مخلصةً وجسداً سليماً .

ص ــ مجىء الملكوت (لو ١٧ : ٢٠ ــ ٣٧) .

يذكر البشير هنا بعض الأقوال التى تنفرد بها بشارة لوقا ، والبعض الذى يشاركه البشير متى فى ذكرها (مت ٢٤) . وتؤكد هذه الفقرة على حتمية الدينونة وأهمية الاستعداد .

٢٠ و ٢١ : وقد ترجع أسئلة الفريسيين إلى اهتمام حقيقى بالموضوع ، أو ربما لأنهم يعرفون أن يسوع يتكلم كثيراً عن الملكوت ، فأرادوا معرفة آرائه بالنسبة لهذا الموضوع . وأوضحت إجابة يسوع أن الملكوت لا يشبه أية ممالك أخرى معروفة لهم . ولا يمكن مراقبة مجىء الملكوت ، « ها ملكوت الله داخلكم » . وهو تعبير اقترحت له عدة معان .

أ ــ الملكوت لابد وأن يكون فى الداخل . لكن هذا ليس له نظير فى الأناجيل الأخرى (على الرغم من المقارنة مع رو ١٤ : ١٧) .

ب ــ الكلمات تتنبأ عن الطريقة التى سيأتى بها الملكوت . « فالملكوت سيظهر بغتة بينكم » هذا أمر محتمل ، بيد أنه فى هذه الحالة تكون الكلمات قد

حملت معنى غير عادى إلى حد ما .

ج ــ الملكوت « فى متناولكم » أى أنه يمكن بلوغه إذا ما سرت فى الطريق الصحيح . لكن يسوع يعتبر أن الملكوت هبة من الله الآب ، وليس شيئاً يحققه الإنسان .

د ــ الملكوت « بينكم » بمعنى أنه موجود فى شخص يسوع ورسالته . هذه هى المعانى المتعلقة بهذه الكلمات .

٢٢ : ويتحدث يسوع « للتلاميذ » عن مستقبل الملكوت . والناس لا يستطيعون أن يتحكموا فى مستقبل الملكوت . قد يودون مشاهدته ، لكنهم لن يستطيعوا . « أيام ابن الإنسان » ليس تعبيراً يفسر نفسه بنفسه . ربما يكون تعبيراً عن أزمنة المسيح . فالبعض يعتقدون أنه فى السنوات التالية سيفكرون فى الماضى ويتلهفون ليوم من الأيام التى كان يسوع فيها معهم . أو أنهم قد يتطلعون إلى السماء ويشتهون يوماً يكونون معه هناك . ويفكر بنجل Bengel فى الأيام السابقة لمجىء الرب ويذكر ما جاء فى (لو ٩ : ٥١) لتعبير مماثل هو « وحين تمت الأيام لارتفاعه » (الآية ٢٦) . وعلاوة على ذلك من الممكن أن نأخذ « واحداً » على أنه كلمة سامية تعنى « أول » كما فى يو ٢٠ : ١) . وفى هذه الحالة تشير الكلمات إلى بدء الحقبة المسيانية والمجىء الثانى . وعلى كل ، فمن الأفضل أن نفهمها على أنها تعنى أزمنة المسيا . عندما يتطلع الناس للملك المسيا .

٢٣ ــ ٢٥ : يعتقد الناس أنهم سيرون مجىء ابن الإنسان وسيطلبون من التلاميذ أن يأتوا ليشاركوهم رؤيته بطريقتهم الخاصة . والمعنى الضمنى هنا هو أن ملكوت الله موجود بطريقة سرية غير متوقعة . لقد رفض يسوع هذا رفضاً قاطعاً . ولا ضرورة للرجم بالغيبيات ، لأنه عندما يأتى ابن الإنسان ، سيكون مجيئه واضحاً كالنور . وعلى أية حال ، فثمة أمور أخرى لا بد وأن تقع أولاً . وفى القريب العاجل سيتم شىء مختلف تمام الاختلاف : معاناته ورفضه من قِبَل « هذا الجيل » .

٢٦ و ٢٧ : وتستمر الحياة طبيعية حتى مجىء ابن الإنسان . وفى أيام نوح كان معاصروه من الخطاة ، ولكن يسوع لم يشدد على هذه النقطة . فليس

ثمة خطية من الأعمال التى ذكرها يسوع : لأنها أمور الحياة اليومية العادية . بيد أن النقطة المقصودة ، أن أناس العهد القديم أغرقوا أنفسهم فى أمور الحياة اليومية المعتادة إلى الدرجة التى شغلتهم عن الاهتمام بنوح . وكانت النتيجة أنهم هلكوا بالطوفان الذى كان من الممكن أن يتجنبوه .

٢٨ و ٢٩ : وثمة تحذير آخر يمكن استخلاصه من قصة لوط . لأنه فى أيامه أيضاً ، انهمك الناس تماماً فى أمور الحياة اليومية ولم يهتموا لتعاليمه أو محاكاة حياته . لكن حقيقة تجاهلهم رجل الله لم تعفهم من الدينونة . أخرج الله لوطاً من المدينة ، وفى ذات اليوم دمرت سدوم . ويذكرنا مانسون أنه لا نوح ولا لوط كان « نموذجاً للفضيلة » . لكنهما « كليهما أدركا أن الكارثة آتية لا محالة ، وكلاهما عمل على خلاص نفسه . والرسالة المسيحية ليست لأولئك الذين يعتقدون أنهم يستحقون مصيراً أفضل من جيرانهم ، بل هى لأولئك الذين فى وسط موجات اللامبالاة والرضى عن النفس ، أدركوا موقفهم اليائس وكان شعارهم ماذا أفعل لكى أخلص ؟

٣٠ : لقد طبق يسوع هذا على « اليوم الذى فيه يظهر ابن الإنسان » . ولسوف يواجه الناس الدينونة ، ليس لأنهم خطاة أكثر من غيرهم ، بل لأنهم كانوا متقوقعين حول أنفسهم . وأمثال هؤلاء استغرقوا فى اهتماماتهم الشخصية بأمور الحياة العادية ، لدرجة أنهم لم يفسحوا لأنفسهم وقتاً ولا اهتماماً بالتحذيرات الإلهية .

٣١ : وعندما يأتى ذلك اليوم سيكون الموقف ملحاً . ويوضح يسوع ذلك بالحديث عن شيئين يهتم الناس بالقيام بهما . فمن كان على السطح قد يفكر فى إنقاذ بعض الأمتعة من بيته ، ومن كان فى الحقل قد يرجع لنفس الغرض . هذه أمور طبيعية لا ضرر منها . إلا أنه فى يوم ابن الإنسان لن تدعو الحاجة إلى هذه الأمور . يجب أن يولى الناس جل اهتمامهم بابن الإنسان وليس إلى متاعهم . والكلمات المناظرة فى بشارتى متى ومرقس تشير إلى الهروب عند سقوط أورشليم ، والبعض يرون أن البشير لوقا أخذ الأقوال من سياقها وطبقها على وضع يكون الهرب فيه أمراً مستحيلاً . إلا أنه من المؤكد أنه كان فطناً إلى الدرجة التى جعلته يرى هذا . ومن الأفضل أن نفهم ، أنه سواء قال يسوع

هذه الكلمات فى أكثر من مناسبة أو أن البشير لوقا كان مصيباً فى نسبتها إلى موقف آخر ، إلا أنها تنطبق بالفعل على اليوم الذى يأتى فيه ابن الإنسان . إنها توحى بضرورة الإخلاص من كل القلب لابن الإنسان ، إخلاص لا تشوبه رغبة فى اقتناء الممتلكات المادية .

٣٢ : « امرأة لوط » كانت على قيد أنملة من الخلاص ، إلا أنها لم تنله كما كان متوقعاً . لقد أُخرِجت من المدينة المزمع إهلاكها وشرعت فى طريقها إلى الأمان . لكنها نظرت وراءها مترددة ، ومن الواضح أنها كانت تتحسر على المباهج الدنيوية التى خلفتها وراءها . وفى تلك الأثناء أدركها الهلاك الذى باغت سدوم وهلكت مع المدينة (تك ١٩ : ٢٦) .

٣٣ : لقد سبق وتكلم يسوع عن خلاص النفس أو هلاكها (انظر التعليق على لو ٩ : ٢٤) . والفكر فى هذا النص هو أن حياة التركيز على الذات التى اتسم بها الناس أيام نوح وأيام لوط (الآيات ٢٦ ــ ٢٩) ستثبت أنها مهلكة للذات عندما يأتى ابن الإنسان . وعلى نقيض ذلك فمن يريد أن يفقد نفسه الآن سيحييها حينئذ .

٣٤ و ٣٥ : وفى ذلك اليوم سيتم الفصل بين أولئك الذين هم لابن الإنسان وأولئك الذين أظهرت حياتهم أنهم كانوا ضده . والقرب الجسدى لا يفيد شيئاً . فيكون اثنان فى فراش واحد ، يؤخذ الواحد ويترك الآخر . وبعض الترجمات تقول ومن بين « رجلين » ، وربما لأنه فى اللغة اليونانية المذكر يستعمل « للواحد » كما يستعمل للآخر . وهو يستعمل أيضاً إذا كان الاثنان رجلاً وزوجته ، لأن الرجل قد يكون أحدهما (بالمقارنة مع لو ٢٤ : ٢٥) . ومن المحتمل أن المقصود هنا هو رجل وزوجته . ونعود للقول إنه من بين اثنين تطحنان معاً تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى . ولم يوضح يسوع ما هو المقصود بقوله « تؤخذ » ، ربما تعنى تؤخذ لتكون معه (بالمقارنة مع ١تس ٤ : ١٧) .

٣٧ : الترجمة العربية وبعض الترجمات الإنجليزية نجد فيها العدد ٣٦ لكنه غير موجود فى غيرها والأصل اليونانى لا يؤيد وجود هذا العدد . ويقول البعض إنه ربما أخذ من متى ٢٤ : ٤٠ بينما أهمله بعض النساخ على أساس

أنه يشمل نشاطاً يتعارض مع الليل المذكور فى عدد ٣٤ .

طلب المستمعون إلى يسوع أن يعرفوا أين سيحدث كل هذا ، إلا أنه لم يجبهم مباشرة . ويبدو أنه كان يزدد قولاً مأثوراً يبين حقيقة أن الجثة هى التى تجذب النسور (وغالباً المقصود نوع من الطيور الجارحة والكلمة اليونانية تعنى الاثنين ، إذ أن النسور لا تأكل كل الجيف ولا تتجمع فى أسراب) . وحيثما يوجد من هو محكوم عليه بالموت الأبدى ، فلا مناص من مواجهة الدينونة .

ق ــ مثلان عن الصلاة (لو ١٨ : ١ ــ ١٤) .

١ ــ مَثَل قاضى الظلم (لو ١٨ : ١ ــ ٨) .

وبالطبع لا يُشبّه يسوع الله بقاضى الظلم . والمثل يدور حول : « أفلا ينصف الله ... » ليوضح التباين والاختلاف . فإذا ما كان أحد الأشرار يعمل الخير أحياناً ، حتى لو كان بدافع خبيث ، فكم بالحرى يفعل الله الصلاح .

١ : لا توجد هنا أية إشارة للزمن ، لكن الأصحاح الأخير يختص بالمجىء الثانى للمسيح ، وكلمة « وقال لهم » ربما تشير إلى أنهم نفس الذين كانوا فى الأصحاح السابق . والموضوع يتعلق بالصلاة فى فترة الانتظار (وثمة رابطة مشابهة بين الصلاة والمجىء الثانى فى لو ٢١ : ٣٦) . وعندما لا يجد المصلون أية بادرة يغمرهم اليأس . إلا أنهم يجب أن يواصلوا الصلاة ويستمروا فيها بلا ملل أو فتور . والمسيح هنا يتخطى تعليم اليهود الذين يميلون إلى تحديد وقت للصلاة حتى لا يمل الله منهم . ووضعوا حداً أقصى للصلاة ، ثلاث مرات فى اليوم (على منوال صلاة دانيال ٦ : ١٠) .

٢ و ٣ : والقاضى الذى « لا يخاف الله ولا يهاب إنساناً » (بعكس ما جاء فى ٢كو ٨ : ٢١) ، لم يكن تحت سلطان وكان يتصرف حسب أهوائه وميوله . وكانت « الأرملة » رمزاً للمطحونين الذين لا سند لهم . فحالتها لا تسمح لها بتقديم رشوة للقاضى وليس لها من يدافع عنها أو يقنع القاضى بعدالة قضيتها ، فلا سلاح لها سوى أن الحق فى جانبها (لم تطلب انتقاماً بل عدلاً) بالإضافة إلى مثابرتها وإلحاحها ولجاجتها .

٤ و ٥ : لكنها استغلت إمكاناتها فى حدود ما هو متاح لها . ونتيجة

لحاجتها رضخ القاضى لها ، واستجاب فى النهاية لطلبها لا لشىء سوى الرغبة فى التخلص من ملاحقتها . لأنه لم يرد أن تأتى « فتقمعه » . والفعل هنا تصويرى معناه الحرفى « ضربة تسبب سواداً حول العينين » ، ومن الواضح أنه يستعمل هنا رمزياً .

٦ و ٧ : وحيث أنه حتى قاضى الظلم يقضى بالعدل أحياناً ، يجب أن نتوقع بالأحرى أن الله العادل سينصف « مختاريه » وهذه الكلمة تؤكد عملية الاختيار ، على الرغم من أننا يجب أن نتذكر أن المختارين دعوا للخدمة . فغالباً ما نتكلم كما لو أن هذا التعبير يعنى مجرد امتياز فحسب . والمختارون « يصرخون إليه نهاراً وليلاً » . فهم يصلون دون كلل أو ملل . ويدركون أنهم فى احتياج شديد ويعرفون أن أملهم الوحيد يتركز فى نعمة الله . فالمصادر الأرضية قاصرة وربما تكون RSV مصيبة فى ترجمتها « أيتمهل عليهم ؟ »(*) . والمعنى هو أن المختار ينصف سريعاً . ولكن النص اليونانى صعب ويمكن فهمه كما جاء فى العربية « وهو متمهل عليهم » . ففى هذه الحالة يفهم أن الله يتمهل فى إنصافه ويهدف بذلك إلى تقوية خاصته وتدريبهم على تحمل الصعاب والشدائد . وبعض العلماء يعتقدون أن كلمة « عليهم » تشير إلى الظالمين . بيد أنه ما من شىء فى النص اليونانى يشير إلى المضادين . والرأى المستحسن هو أن الكلمات ترجمة لعبارة سامية تعنى « يؤجل الله غضبه » ، بمعنى أن الله يتمهل فى إنصاف مختاريه ليتيح للناس فرصة التوبة . وسواء كان هذا الرأى أو ذاك . فالتمهل يُعد جزءاً من هدف الله فى رأفته ورحمته ، ولكننا لا نستطيع أن نجزم ما إذا كان الهدف هو تقوية المختارين أم إتاحة فرصة التوبة للأشرار .

٨ : إلا أن الإنصاف سيأتى « سريعاً » بيد أننا يجب أن نفهم هذا بمقاييس الزمن عند الله « أن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحد » (٢بط ٣ : ٨) . فالرب يسوع يتكلم عن يقينية العمل سريعاً متى يحين الوقت . وعندما يسأل عما إذا كان ابن الإنسان « يجد الإيمان على الأرض » عند مجيئه ، فهو لا يوحى بأنه لن يجد مؤمنين . بل يقول إن الإيمان لن يكون الصفة الغالبة لأهل العالم فى ذلك الحين . فأهل العالم لن يعرفوا أبداً طرق الله ولن يروا إنصافه لمختاريه .

(*) فى الإنجيل (كتاب الحياة) أما يسرع فى الاستجابة لهم ؟ (المحرر) .

٢ ـــ مثل الفريسي والعشار (لو ١٨ : ٩ ـــ ١٤) .

هذا المثل يُذكر هنا لتوضيح الروح التى يجب أن تسود صلاتنا . كذلك هو تأكيد لبطلان الرأى القائل إن الإنسان قد ينال الخلاص بالأعمال الصالحة . كان الفريسي صادقاً فيما قاله عن نفسه . ومشكلته لم تكن فى أنه لم يقطع شوطاً كبيراً على الطريق ، بل تكمن فى أنه كان فى الطريق الخطأ .

٩ و ١٠ : لم يبين لنا لوقا هوية من قيل لهم هذا المثل . والخطأ الذى أدين هنا كان سمة من سمات الفريسيين ، ولكنه ما كان ـــ على أى حال ـــ قاصراً عليهم . وفى « الهيكل » تؤدى الصلوات الجماعية ، إلا أنه يستطيع أى شخص أيضاً أن يؤدى صلاة فردية ، وهذا هو ما حدث فى هذا المثل . كان « الفريسي » رجلاً متديناً من أولئك الذين ينتظر وجودُهم مستغرقين فى الصلاة . و « العشار » لم يكن من المتوقع أن يقوم بأية ممارسات دينية ، لأنه فى العادة لم يكن أميناً وكان يخون بنى وطنه .

١١ و ١٢ : « وقف » الفريسي ، وهو الوضع المعتاد للصلاة (مت ٦ : ٥ ، مر ١١ : ٢٥) . وكان يصلى مزهواً ، ويبدو أن هذا النوع من الصلاة لم يكن معروفاً ، وعلى سبيل المثال اعتاد ر . نيهونيا R . Nehunia أن يصلى قائلاً : « أشكرك ياسيدى الرب ، لأنك جعلتنى من بين أولئك الذين يجلسون فى (بيت التعليم) ولم تجعلنى من بين أولئك الذين يجلسون فى زوايا (الشوارع) ، لأنى أستيقظ مبكراً ، وهم أيضاً يستيقظون مبكراً ، لكنى أستيقظ مبكراً على كلمات التوارة وهم يستيقظون مبكراً على توافه الكلم . إنى أعمل وهم يعملون ، بيد أنى أعمل وأنال مكافأة وهم يعملون ولا يتسلمون ، أنا أجرى وهم يجرون ، إلا أنى أجرى من أجل العالم الآتى وهم يجرون إلى هوة الهلاك » .

والفريسي فى المثل تكلم أولاً عن بعض الرذائل التى لا يرتكبها ، ثم عن بعض أعمال البر التى يمارسها هو . والناموس لا يطلب إلا صوماً واحداً ، ألا وهو يوم الكفارة ، ولذلك فإن صومه « مرتين فى الأسبوع » يعتبر من النوافل . والتقى كان يصوم فى الغالب أكثر مما يتطلبه الناموس كصوم يومى الاثنين والخميس ، وكذلك كان الفريسي لا يكتفى بتقديم ما يتطلبه الناموس

من عشور فحسب . لقد طلب الناموس تقديم العشور عن بعض المحاصيل (تث ١٤ : ٢٢) ، لكن الفريسيين اعتادوا أن يعشروا من الخضراوات التى تنبت فى الحدائق (لو ١١ : ٤٢) . فما قاله هذا الفريسى عن نفسه كان صحيحاً إلى أبعد الحدود ، لكن الروح التى سادت صلاته كانت خاطئة جداً . فما من إشارة فى صلاته إلى شعور بالذنب أو الاحتياج ، أو الاعتماد على الله بكل تواضع قال بولمر Plummer إن الفريسى نسى أن يهنىء الله على أنه خلق عبداً ممتازاً مثله ، وإنما كل ما عمله هو أنه نظر نحو السماء نظرة عابرة ، إلا أنه حصر تفكيره فى ذاته . وبعد الكلمة التى بدأ بها صلاته لم يشر إلى الله ثانية ، بل ركز على نفسه فى كل ما قاله .

١٣ : ومن الواضح أن « العشار » كان يئن تحت شعوره بالخطية . أما وأن يرفع الإنسان عينه إلى السماء أثناء الصلاة فكان أمراً مألوفاً بيد أن شعوره بعدم استحقاقه منعه من أن يفعل هذا . واستمر يقرع على صدره (والفعل يشير إلى عمل مستمر) ، وهذا دليل على أسفه وندمه . وكانت صلاته بسيطة « اللهم ارحمنى أنا الخاطىء » . والفعل « ارحمنى » ، يعنى « كن رؤوفاً عطوفاً » ، « ارفع غضبك » . وحتى وهو يتطلع إلى الغفران كان يدرك أنه لا يستحقه . وهو لا يقول عن نفسه إنه خاطىء ، بل « الخاطىء » . كذلك وضع نفسه فى طبقة مماثلة ، ولكن ما أبعد الشقة بينه وبين الفريسى . ولم يكن لديه ما يذكره كى يخفف الله عنه . وما كان فى وسعه إلا أن يضع نفسه تحت رحمة الله ، « كان هذا العشار شخصاً سيئاً » ، وكان يعرف ذلك . فطلب رحمة الله لأن الرحمة كانت الشىء الوحيد الذى يستطيع أن يهفو إليه .

١٤ : وصلاته كانت النموذج المقبول . لقد نزل العشار إلى بيته « مبرراً » أى « باراً » ، « بريئاً من خطاياه » . وهذه إحدى كلمات الرسول بولس العظيمة ، نجدها هنا فى تعليم يسوع . والمبدأ الذى نستخلصه من كل هذا هو : « كل من يرفع نفسه يتضع » . وما من إنسان لديه ما يستطيع أن يتباهى به أمام الله . وعلى نقيض ذلك « من يضع نفسه يرتفع » (بالمقارنة مع لو ١٤ : ١١) . فالخاطىء التائب الذى يطلب باتضاع رحمة الله يجدها .

ر ــ يسوع والأطفال (لو ١٨ : ١٥ ــ ١٧) .

وبعد قسم طويل من لو ٩ : ٥١ ، ليس فيه نظائر من إنجيل مرقس ، يعود لوقا الآن لينضم إلى مرقس .

١٥ : لا نعرف من الذى أحضر الأطفال . ومن المفترض أن الأمهات هن اللواتى فعلن ذلك . بيد أن الضمير فى كلمة « انتهروهم » للمذكر ، ومن المحتمل أن ذلك يشمل الآباء أيضاً . ويجب أن نفهم كلمة « ليلمسهم » بأنها تعنى « يضع يديه عليهم » ، وهو عمل طبيعى من أجل البركة . وليس من الواضح لماذا انتهر التلاميذ أولئك الذين أحضروا الأولاد . ربما اعتقدوا أن يسوع كان مشغولاً للغاية ، أو مجهداً جداً ، وإلى درجة لا تسمح له بتحمل مضايقة الأطفال . أو ربما اعتقدوا أن الأطفال ليس لهم أية أهمية تذكر بالنسبة للسيد ، لأنها حقيقة معروفة . إن قلة قليلة من معلمى العالم الدينيين أبدوا اهتماماً بالأطفال . بيد أن يسوع مختلف عنهم .

١٦ و ١٧ : لقد « دعا » السيد الأطفال ورحب بهم ، ثم قال إن لمثل هؤلاء الأطفال « ملكوت الله » ، وليس التباهى بالفضائل (بالمقارنة مع الفريسى : عدد ١١) هو الذى يؤدى بالإنسان إلى الملكوت ، بل الثقة التى من كل القلب كتلك التى يتمتع بها الأطفال ، والعكس صحيح أيضاً . « من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد » لن يدخله أبداً . فالأطفال يبينون لنا الطريق وذلك فى اتكالهم التام ، وفى عدم تمسكهم بالأمور الدنيوية ، وفى صراحتهم ، وفى كمال ثقتهم .

ش ــ الرئيس الشاب الغنى (لو ١٨ : ١٨ ــ ٣٠) .

١٨ : البشير لوقا وحده هو الذى يعرفنا أن ذلك الرجل كان « رئيساً » وهذا اصطلاح شائع . وطبقاً لما يقوله جيرهارد ديلنج Gerhard Delling كان يشار به إلى الموظفين الرومان واليهود . وفى هذه البشارة يقصد بالرؤساء مجموعة من الناس يتميزون بهذه الصفة عن الشيوخ ، والكتبة ورؤساء الكهنة . وهكذا لا نستطيع القطع بأنه كان مثلاً رئيساً للمجمع (وعلى كل ، فهذا أمر غير محتمل لأن متى يخبرنا أنه كان شاباً) . ولكنه كان على الأقل من طبقة الرؤساء . وتحية « أيها المعلم الصالح » لم تكن تستعمل بين معلمى اليهود

لأنها تنسب للإنسان صفة من صفات الله وحده (وطبقاً لما يقوله بلومر Plummer ليس من ثمة مثال واحد فى التلمود كله يفيد أن معلماً يهودياً خوطب بهذه العبارة . لقد كانت مجرد إطراء صدر دون تفكير ، لقد سأل عما يجب عمله ليرث « الحياة الأبدية » ظن أن الحياة الأبدية يجب أن تكتسب وأن عملاً ما كان يعوزه كى يرث به الحياة الأبدية .

١٩ : بدأ يسوع يبين للشاب أخطاءه . « ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله » . ولا يجب أن يؤخذ هذا القول وكأن يسوع يرفض وصفه بأنه « صالح » . وإلا كان هذا إقراراً بأنه خاطىء . ولكنه كان يستدرج ذلك الرئيس إلى التفكير فى معنى كلماته . فما قاله للتو يتعلق بشخص الرب يسوع . فإذا ما كان يسوع « صالحاً » ، وإذا ما كان الله وحده هو « الصالح » ، كما يقول كل معلمى اليهود (انظر الآية ١٨) ، إذاً فإن الرئيس يكون قد قال شيئاً على جانب كبير من الأهمية عن شخص الرب يسوع . فالسؤال لا يتعلق بإنكار لاهوت المسيح بأى حال ، بل هو دعوة للشاب أن يمعن ويشحذ فكره فى هذا الموضوع .

وثمة عمق آخر فى معنى سؤال يسوع (وهذا ما يعتقده علماء من أمثال كيرد وإيليس Caird and Ellis ، لقد طلب يسوع من الشاب أن يفكر ملياً فيما كان يطلبه لنفسه . فالحياة الأبدية التى كان يبحث عنها هى حياة فى محضر الرب « ذى القداسة الكلية المهيبة » . وإذا ما تأمل فى معنى قوله ، سيعرف بكل تأكيد أنه غير مستحق للبركة التى يطلبها . سيصرخ طالباً الرحمة : لا أن يطلب بهدوء مكافأة .

٢٠ و ٢١ : سأل الرئيس ماذا عليه أن يفعل ، فأجابة يسوع بما هو مطلوب منه . لقد سأله عن الوصايا . فإذا لم يفكر فى مضمون صلاح الله ، فقد يفكر فى كيفية القيام بمتطلبات الناموس . فإذا ما فكر إنسان بجدية فى متطلبات الناموس يكون قد وضع قدمه على الطريق إلى يسوع (غل ٣ : ٢٤) . ذكر يسوع خمس وصايا تركز على واجباتنا نحو الناس ، بيد أنه لم يذكر وصية تتعلق بواجبنا نحو الله . لأنه سوف يشرح ذلك بوسيلة أخرى . والشاب لم ير جديداً فى الوصايا وهو واثق أنه حفظها منذ حداثته . ويقول معلمو اليهود أن الناموس يمكن حفظه بالكامل ، ولذلك سأل اليعازار Eliezer

قائلاً : « هل أهملت شيئاً من التوراة ككل يا عقيبة ؟ Akiba . وهكذا ، لم يكن ما ادعاه الشاب غريباً ، ولو أنه كان سطحياً . ومن ثم أظهر أنه لم يفكر بعمق كاف فيما يعنيه حفظ الوصايا .

٢٢ : لم يفكر الشاب فى معنى صلاح الرب ، بل وما قاس نفسه على ضوء وصايا الرب بالقدر الذى يمكنه من رؤية عجزه عن الوصول إلى المعايير التى يطلبها الناموس . ولذلك قدم يسوع هذا التحدى الذى أظهر أنه لم يستطع القيام بما هو مطلوب منه . بيد أن طلبه أن يبيع الشاب كل ماله كان أكثر من مجرد تحد درامى مثير : لأنه أظهر أن الشاب لم يفهم معنى الوصايا التى قال إنه حفظها . فأول هذه الوصايا يتطلب عبادة الله وحده . لكنه عندما كان عليه أن يختار اكتشف أنه لا يستطيع أن يعبد الله إذا ما تطلب ذلك تخليه عن ماله . فلم يكن الله يحتل فعلاً المكانة الأولى فى قلبه .

٢٣ ــ ٢٥ : لم يقل لوقا فى الواقع إن الشاب رفض بل اقتصر على قوله إنه « حزن » . إلا أن هذا يتضمن أنه رفض أن يقبل التحدى . وبعد ذلك قال يسوع إنه « من العسير » دخول الأغنياء ملكوت الله . فالأغنياء دائماً ما يقعون فى إغراء الاتكال على الأمور الدنيوية ولا يجدون الأمر سهلاً أن يتركوا أنفسهم لرحمة الله (وهذا عكس الآية ١٣) . ونفس الشىء ينطبق بالطبع ، على أولئك الذين يستند غناهم إلى أمور غير مادية . كأولئك المبرزين فى النواحي الفكرية والثقافية ، وأمثالهم الذين حققوا إنجازات فنية فى هذا المجال . فأمثال هؤلاء يعسر عليهم الاعتماد على الله أكثر من إعتمادهم على جهودهم الذاتية . ولقد بذلت محاولات لتفسير كلمات يسوع فيما يتعلق « بالجمل وثقب الإبرة » ، فالبعض قال إن المقصود هو عبور جمل من باب خلفى صغير ، أو أنهم يقرأون كلمة Kamelon على أنها Kamilon بمعنى حبل سميك . أى أن مرور حبل من ثقب إبرة أمر عسير . ومثل هذه التفسيرات مضللة،وتخطىء الهدف . وكل ما فى الأمر أن يسوع كان يصور الأمر بطريقة مضحكة ظريفة .

٢٦ و ٢٧ : وكل هذا يشكل انقلاباً لأفكار متعارف عليها . فلقد كان الشائع أن المال والثروات يعدان علامة على رضاء الرب ، ولذلك كان يقال

إن الفتى تتاح له أفضل فرصة للتمتع بالأمور المبهجة فى العالم الآتى ، كما هو الحال فى العالم الحاضر . ولذلك قال الذين سمعوا « فمن يستطيع أن يخلص ؟ » لم يقولوا « أى غنى ؟ » بل « من ؟ » (أيا كانت حاله ؟) . فإذا كان الأغنياء مع كل ما هو متاح لهم من فرص لا يكادون يخلصون ، فما هو الأمل إذاً بالنسبة للآخرين ؟ لقد أوضح يسوع أنه ما من أمل . لكن الغيرمستطاع عند الناس مستطاع عند الله . فالخلاص سواء بالنسبة للغنى أو الفقير ، هو دائماً معجزة النعمة الإلهية . فهو دائماً هبة وعطية من الله .

٢٨ ـــ ٣٠ : ولذلك قال الرسول بطرس « ها نحن تركنا كل شيء وتبعناك » . والبعض يعتبر إجابة يسوع نوعاً من الفكاهة . من العجيب أن يسوع يعد أولئك الذين تركوا بيوتهم أو عائلاتهم من أجل خدمة ملكوت الله بأنهم سيجدون أنفسهم وقد أصبحت لهم عائلة أكبر بكثير من التى تركوها (حسب رأى كيرد Caird) . وعلى الرغم من ذلك فإن الأغلبية تفسر هذا القول بأن الله ليس مديناً لأحد . فإذا ما ترك إنسان كل شيء من أجل الله سيرد له « أضعافاً كثيرة » فى « هذا الزمان » ناهيك عما سيحصل عليه « فى الحياة الأبدية » فى الدهر الآتى . أما فهم هذه الكلمات على أنها تعنى أن الناس قد يتبعون يسوع بغرض تحقيق منافع دنيوية ، فإن هذا يتعارض تماماً مع كل ما جاء بهذه الفقرة . فإذا ما كان تحقيق الكسب هدفهم ، فهذا مفاده أنهم لم يفهموا بعد ما تعنيه التلمذة ليسوع . عليهم أن يسموا فوق كل الأمور الدنيوية . ولكن هذا لا يعنى أن الله مضطر أن يباركهم . وحيثما تسود الروح الحقيقية لإنكار الذات ، يدبر الله كل احتياجات خادمه (بالمقارنة مع فيلبى ٤ : ١٩) . ويعتقد رايل Ryle أننا يجب أن نفهم الكلمات بمعناها الروحى ، لأن حكمة الرب أحياناً ما تسمح للإنسان المتجدد أن يخسر أشياء وقتية نتيجة إيمانه .

ث ـــ نبوءة أخرى عن آلام المسيح (لو ١٨ : ٣١ ـــ ٣٤) .

وفى الغالب يقال إن هذه هى ثالث مرة يتنبأ فيها يسوع عن آلامه ، بيد أنها فى الحقيقة المرة السابعة التى ذكر فيها لوقا ذلك ، حيث سبق وأن ذكرها فى لو ٥ : ٣٥ ، ٩ : ٢٢ ، ٤٣ ـــ ٤٥ ، ١٢ ، ٥٠ : ١٣ : ٣٢ وما بعدها ، ١٧ : ٢٥) .

٣١ : لم يخبرنا البشير أين قال يسوع هذا الكلام ، وإنما ذكر النبوة ، ويضمنها التأكيد على أنه « سيتم كل ما هو مكتوب عن ابن الإنسان » وستحقق مشيئة الرب . وفى النهاية سيتم ليس كل ما يرغبه الإنسان بل كل ما يشاءه الرب حسب مسرته .

٣٢ و ٣٣ : ويقول البشير لوقا إن يسوع لا بد وأن « يسلم إلى الأمم » . وهذه أول مرة تذكر على هذا النحو . فهو لا يشير بوضوح إلى الصليب ، بل يشير بالفعل إلى الإهانة والجلد والموت . ومع ذلك لم يترك الأمر عند هذا الحد ، بل يستمر فى كلامه حتى يتحدث عن قيامته فى اليوم الثالث . فآلام المسيح إذاً ، لم تكن تشكل هزيمة ، بل نصراً مبيناً .

٣٤ : ولا بد أن هذه الأقول عن الجانب الآخر من الصليب كانت صعبة الاستيعاب للغاية . و لم يفهمها التلاميذ . لقد تحدث يسوع عن أمور بها الكثير من المفارقات ، وربما تساءلوا ، هل قصد يسوع بالفعل أنه سيموت ثم يقوم . لا بد وأنه يقصد شيئاً مماثلاً لما سبق وقاله لنا أن من أهلك نفسه يحييها (بالمقارنة مع لو ١٧ : ٣٣) . كان لا بد من الصليب ومن القبر الخالى كى يفهموا . لأنه بالنسبة للوقت الحاضر كان « هذا الأمر مخفى عنهم » . وهذا يعنى أنهم حرموا ومنعوا من الفهم . فإن كان الأمر كذلك ، فهذا يعنى أن قصورهم عن الفهم كان جزءاً من خطة الله .

خ ــ أعمى يبصر (لو ١٨ : ٣٥ ــ ٤٣) .

يتحدث البشير متى عن أعميين نالا نعمة الشفاء . إذ كان يسوع يخرج من أريحا (ويعلق فارر Farrar على هذا بقوله إنه من غير المحتمل أن يكون رجلاً أعمى بمفرده دون أحد سواه) . ويتحدث البشير مرقس عن أعمى واحد ، إسمه برتلماوس ، نال نعمة الشفاء إذ كان يسوع خارجاً من أريحا . و لم يذكر لوقا اسم هذا الرجل وإنما ذكر أن المعجزة تمت إذ كان يسوع داخلاً إلى المدينة . وثمة قليل من الشك فى أن ثلاثتهم يشيرون إلى نفس الحدث ، إلا أنه بالنسبة للمعلومات المتوافرة لنا حالياً قد يكون من المستحيل أن نقدم تفسيراً لهذه الاختلافات . ويعتقد البعض أنه كان ثمة أعميان ، إلا أن برتلماوس كان معروفاً أكثر عند الكنيسة ، أو أنه كان أكثرهما شهرة . وقيل أيضاً إنه

كانت هناك مدينتان تحملان اسم أريحا . القديمة وهى المشهورة فى العهد القديم ، والحديثة انشئت إلى جوارها على يد هيرودس الكبير . ويقول البعض إن معجزة الشفاء تمت حيث كان يسوع يخرج من مدينة فى طريقه إلى الأخرى .

٣٥ ــ ٣٧ : ورحلة يسوع إلى أورشليم كانت عن طريق أريحا ، وهى مدينة بالقرب من الأردن على بعد ٧٠٠ قدم تحت مستوى سطح البحر . وإذ كان يقترب من المدينة جذبت الجموع التى كانت معه انتباه رجل أعمى فاستفسر عن سبب هذه الجلبة فقيل له « إن يسوع الناصرى مجتاز » .

٣٨ و ٣٩ : لم يخبرنا البشير لوقا كيف توقع الأعمى أن يسوع سيساعده . ولا شك أن شهرته كانت قد سبقته . لقد انتهز ذلك الأعمى الفرصة وأخذ ينادى على يسوع بصفته « ابن داود » ، وهو الوحيد فى بشارة لوقا الذى يخاطب يسوع بهذا القول (ويوجد هذا التعبير أيضاً فى لو ٢٠ : ٤١ ، ونجد فى بشارة مرقس قولاً مماثلاً ، لكن هذا اللقب نجده كثيراً فى بشارة متى) . واللقب يخص المسيا ، أما وأن يسوع قد شفى الأعمى استجابة لاستعماله هذا اللقب يعتبر موافقة على ما يتضمنه اللقب من معنى . وفى هذه الحالة اعترف يسوع بما سيواجهه من موت بصفته المسيا ، إذ كان صاعداً إلى أورشليم حيث كان مزمعاً أن يموت قريباً بصفته المسيا (بالمقارنة مع لو ٢٢ : ٦٧ وما بعدها) . لقد كان الأعمى رجلاً مثابراً ، لأنه عندما انتهروه ليسكت « صرخ أكثر كثيراً » . لم تكن تعوزه الحماسة ، ولن يدع الفرصة تفوته .

٤٠ و ٤١ : ولقد حقق يسوع رجاءه . وسمح لهم أن يقدموا الرجل إليه وسأله عما يريد . وإلى هنا كان الرجل لا يطلب سوى الرحمة ، والرحمة قد تأخذ أياً من اتجاهاتها العديدة . ولما طُلب منه أن يحدد ما يريد ، أفصح عن مشتهاه بقوله أريد « يا سيد أن أبصر » .

٤٢ و ٤٣ : جاء فى بشارة متى أن يسوع لمس عينى الأعمى ، إلا أن البشير لوقا لم يشر إلى أى عمل . ولم يذكر إلا كلمات الشفاء التى أضاف إليها يسوع قوله « إيمانك قد شفاك » . وهذا لا يعنى أن إيمان الرجل خلق

أو حقق الشفاء ، لكنه كان الوسيلة التي بواسطتها استقبل الشفاء . وعندما أبصر تبع يسوع « وهو يمجد الله » . لم يركز يسوع الانتباه على شخصه ، بل حوّل انتباه الناس إلى الآب ، وهذا ما نراه ثانية فى رد فعل الشعب الذين رأوا المعجزة . فهم أيضاً « سبحوا الله » .

ذ ــ زكا (لو ١٩ : ١ ــ ١٠) .

وقصة زكا على نقيض قصة الرئيس الشاب بشكل واضح . وهى تأتى مباشرة بعد التصريح الذى يؤكد صعوبة الخلاص بالنسبة للأغنياء (لو ١٨ : ٢٤ وما بعدها) ، وهذا الحدث يجب النظر إليه على أنه إعلان نَجَمَ عن نعمة الله (لو ١٨ : ٢٧) .

١ ــ ٣ : من الواضح أن يسوع لم يكن يقصد أن يقيم فى أريحا . فقد « اجتاز » فيها فحسب . لكن ذلك أتاح لزكا فرصة كى يراه . والاسم عبرى معناه « نقى » أو « بار » . ولم نكن نعرف شيئاً عنه إلا من خلال هذا الحدث . وما كان عشاراً عادياً كأولئك الذين مروا بنا فى هذه البشارة (انظر ٣ : ١٣ ، ٥ : ٢٧) ، بل كان « رئيساً للعشارين » . ولا نجد هذا اللقب سوى فى هذه الآية فقط ، ولذلك فدلالته الدقيقة ليست واضحة ، بيد أنه قد يشير إلى رئيس قسم محلى للضرائب ، وربما كان يوظف زكا آخرين للتحصيل الفعلى للضرائب ، بينما عليه هو أن يقدم ما يطلبه الرومان . ولا شك أن أريحا كان موقعاً جيداً لأى عشار . وثمة طريق تجارى هام من أورشليم إلى الشرق يخترقها . وكانت تتميز بثرائها ، لأنها مركز لبساتين البلسم الشهيرة (التى تنتج الروائح العطرية) بوفرة . وليس من الغريب أن زكان كان « غنياً » ، لأنه فى مكان كهذا ، له شهرة تجارية ، كان لا بد وأن يصبح زكا ثرياً . لكنه لم يكن محبوباً ، ولم تكن له من العلاقات الاجتماعية إلا أندرها . سمع زكا عن يسوع وأراد أن يراه . وحالت دون ذلك مشكلة تتمثل فى كونه « قصير القامة » . لا يستطيع أن يرى ما فوق رؤوس الناس ، وثمة قلة تفسح مكاناً لمثل هذا الشخص المكروه .

٤ : لكن زكا كان رجلاً واسع الحيلة (فلم يصبح رئيساً للعشارين عبثاً) ولم يكن يزعجه أى شيء يمكن أن يسيء إلى مركزه . ولذلك جرى متقدماً

« وصعد إلى جميزة » وهى شجرة يسهل تسلقها ، وتزرع عادة على جانبى الطريق . وبتسلقه الشجرة أصبح زكا فى وضع يمكنه من رؤية ذاك المعلم الناصرى وهو يجتاز أمامه .

٥ و ٦ : لكن يسوع لم يمر : بل توقف وطلب من زكا أن ينزل سريعاً . ولم يقل له « أريد » أن أمكث فى بيتك ، بل قال « ينبغى أن أمكث » . وهذا تعبير قوى ، لقد اعتبر يسوع زيارته لزكا جزءاً من رسالته الإلهية . واستجاب زكا مرحباً ونزل من على الشجرة بسرعة وقبل يسوع « فرحاً » .

٧ : لقد تذمر الجميع . وكلمة « الجميع » تبين أن التذمر كان عاماً بينهم . ثم إن كلمة « تذمر » تشير إلى غمغمة بصوت خفيض تنتشر بين الجماهير عندما لا يروقهم أمر . لقد « تمتموا » . وأدانوا زكا على الفور بأنه « خاطىء » وانتقدوا يسوع لأنه حل ضيفاً عند رجل خاطىء .

٨ : و« الفاء » فى كلمة « فوقف » يجب أن تكون « لكن » . لأن زكا كان فى موقف مناقض للمتذمرين . أما كلمة « فوقف » ، فتعنى أنه أخذ وضعه . فثمة ناحية من الرسميات فى هذا الموقف ، وهى تلائم أهمية الإعلان الذى كان زكا على وشك أن يدلى به . لقد قدم زكا دليلاً قوياً رائعاً عما فعلته زيارة المسيح له وذلك بإعلانه إعطاء نصف أمواله للمساكين وأربعة أضعاف كتعويض لكل واحد سبق ووشى به . وفى حالة التعويض التطوعى ، لا يقضى القانون بأكثر من المبلغ الأصلى مضافاً إليه خُمسه (لا ٦ : ٥ ، عد ٥ : ٧) ، وقد وافق زكا مغتبطاً ، أن يفعل أكثر مما هو ضرورى . لقد كان يفعل ما أمرت به الشريعة فى حالة سرقة الحيوان أو ذبحه أو بيعه (خر ٢٢ : ١ ، ٢صم ١٢ : ٦ ، وثمة ذكر لرد سبعة أضعاف فى أمثال ٦ : ٣١ ، إلا أنه ليس من الواضح أن هذه القيمة كانت مطلوبة فى أى وقت) . وينتقد يوسيفوس هيرودس لبيعه اللصوص فى الخارج ، ويقول إن « القوانين » لا تطلب أكثر من غرامة قدرها أربعة أضعاف . ويقول زكا « إن كنت قد وشيت » يدل على أنه أتى هذا العمل فعلاً . وبالنظر إلى الوسيلة التى جمع بها أمواله فمن المحتمل أن يكون عدد الذين وشى بهم قليلاً . ولاحظ أنه يستخدم الفعل المضارع ، لقد كان مصراً على قراره حتى أنه اعتبر نفسه وقد نفذ قراره ، أما الترجمات التى تقول « سأعطى ... سأرد ... » فتفتقر إلى هذا المعنى .

٩ ، ١٠ : أما رد يسوع فيوضح أن زكا نال الخلاص ، لكن ثمة مشاكل فيما يتعلق بالتفاصيل « حصل خلاص لهذا البيت » تشير أولاً إلى جابي الضرائب (متى العشار) ، وأهل بيته أيضاً . أما قول يسوع « إذ هو أيضاً ابن إبراهيم » فتعنى أنه يهودى حقاً لا غش فيه ، يسير على نهج إيمان إبراهيم (بالمقارنة مع رو ٤ : ١٢) ، وليس بمجرد حفيد من سلالة أبينا إبراهيم . وكل اليهود يستطيعون إدعاء هذا ، بيد أن زكا هو عضو أصيل من عائلة إبراهيم وهذا لمواجهة الإفتراء بأنه جاحد مارق . لقد أضاف يسوع قائلاً إنه قد جاء « لكى يطلب ويخلص ما قد هلك » . وقصة زكا توضح هذه الحقيقة بجلاء . لقد طلب يسوع زكا . وكانت المبادرة من قبله . ومن المؤكد أن زكا كان من الهالكين ، لكن يسوع لم يتركه لسوء مصيره ، بل خلصه .

ض — مثل الوزنات (لو ١٩ : ١١ — ٢٧) .

ثمة تشابه كبير بين هذا المثل وبين مثل الوزنات الوارد فى (مت ٢٥) . والبعض يعتبرون المثلين كسرد مختلف لأصل واحد ، بيد أن الاختلافات تشكك فى صحة هذا الرأى . ومن المرجح أن يسوع استعمل الفكرة الأساسية بصور شتى . فهو فى بشارة متى يهتم بالقدرات المختلفة لأولئك الذين كلفهم بمهام تتفق وإمكاناتهم . المبالغ كبيرة وتمثل إنجاز مهام جدية وهامة . أما هنا فالمبالغ صغيرة . ولقد أعطى لكل واحد نفس القيمة . أختبر العبيد لمعرفة مدى صلاحيتهم لمهام أكبر . ويذكرنا المثل الوارد فى بشارة متى أن لكل واحد مواهب مختلفة ، والمثل طبقاً لبشارة لوقا يذكرنا بأننا جميعاً نشترك فى مهمة أساسية واحدة ، وهى أن نحيا حياة الإيمان . أما القصة طبقاً لبشارة متى فتركز على العبيد ومتاجرتهم ، لكن بشارة لوقا بها إشارة إلى أحد الأشراف الذى نال المُلك لنفسه ، وسلوك رعاياه تجاهه . والبعض قالوا إن هو إلا دمج لمثلين كانا أساساً منفصلين ، وإن ذلك تم إما بمعرفة البشير لوقا أو مصدره . وهذا أمر ممكن ، لكن المثل يمكن شرحه بسهولة بالحالة التى هو عليها .

١١ : لقد مضت فترة ولوقا يصف فيها رحلة إلى أورشليم (انظر التعليق على لو ٩ : ٥١) . وتقع أريحا على بعد سبعة عشر ميلاً من أورشليم ، ولذلك فالرحلة قاربت خاتمتها . وهذا جعل البعض يعتقدون أن الذروة وشيكة وأن

« ملكوت الله عتيد أن يظهر فى الحال » . وكانت الذروة حقاً وشيكة ، لكنها ستكون من نوع مغاير تماماً لما تخيله هؤلاء الناس . والمثل قصد به أن يصحح لهم مفاهيمهم .

١٢ : وذهاب هذا « الشريف » إلى « كورة بعيدة ليأخذ لنفسه ملكاً » يلح علينا أن نتذكر التابع الذى سافر إلى روما ليكون ملكاً . لقد تسلم هيرودس الكبير مملكته على هذا النحو . وفى وصيته قسم مملكته بين ثلاثة من أبنائه ، كل ذهب بدوره فى الوقت المناسب إلى روما كى يطالبوا بتحقيق دعواهم . كانت اليهودية من نصيب أرخيلاوس مع لقب ملك ، لكن الشعب كان يكرهه وأرسل ممثلين عنه يطالبون ألا تعطى المملكة له . وقد أعطاهم مبرراً كافياً ليكرهوه . لأنه ، على سبيل المثال ، فى أول عيد للفصح بعد توليته ، قتل ما يقرب من ثلاثة آلاف من رعاياه . فكان نموذجاً للحاكم الشرير . لكن الإمبراطور ثبته فى موقع السلطة ولو أنه حرمه من لقب « ملك » حتى يثبت جدارته (وهذا ما لم يفعله أبداً) . وكان التلميح إلى أرخيلاوس عند هذه النقطة مناسباً إلى أبعد حد ، لأنه بنى قصراً منيفاً فى أريحا ، وأنشأ أيضاً قنوات لسحب المياه للرى . وقد تؤخذ الإشارات إلى المملكة من ناحية المجاز والتشبيه ، فقد كان يسوع على وشك إنهاء مهمته فى أورشليم ، وهذا معناه تركه هذا العالم . بيد أنه سيرجع فى الوقت المناسب ، بعد أن يكون قد أعطى ملكوتاً . والإشارة إلى « كورة بعيدة » تبين أنه لا يمكن توقع عودته سريعاً جداً .

١٣ : لقد وضع هذا الشريف ترتيبات لتنفيذ أعماله أثناء غيبته ، وذلك بأن عهد بأموال إلى « عشرة خدم » (وليسوا عبيداً ، لأن العبد ليست له صلاحية البت فى معاملات تجارية) . وترجم الجنيه (منا) ، وهى عملة يونانية تساوى مائة دراخمة (والدراخمة كانت أجر عامل فى اليوم) . وطلب منهم أن يتاجروا ، ومن الواضح أنه أعطاهم حرية التصرف ، على الرغم من أنهم جميعاً كانوا يعرفون أن عليهم أن يقدموا حساباً عن أنفسهم حين يُطلب منهم ذلك .

١٤ : وهنا تظهر ثانية الفكرة الرئيسية التى يدور حولها المثل . فرعايا

ذلك الشريف لا يحبونه ، ولذلك عملوا ما استطاعوا للحيلولة بينه وبين حصوله على الملك . وبالنسبة لأرخيلاوس كان لهم عذر فى ذلك « ولو أنهم فشلوا فى تحقيق مرماهم » . ولا يمكن أن نطبق هذا على المثل ، لأن يسوع هوالملك الكامل العادل . ولا يمكن أن يحول شيء بينه وبين ملكوته . بيد أنه لا يجب أن نغفل الفكرة أن الناس يتمردون ضد كل ما يمت له بصلة .

١٥ ــ ١٩ : لقد عاد ذلك الشريف بعد أن نال الملك . ثم دعا خدمه الذين كانوا يتاجرون بأمواله ، وطلب من كل أن يقدم حساباً عما فعل فى تجارته . لقد ربح الأول ١٠٠٪ والثانى ٥٠٪ . ولم يدَّعِ أحد منهما لنفسه فضلاً ، بل نسب كل منهما بكل تواضع ما تحقق من ربح إلى المال الذى تركه سيدهم لهم « منا لك ربح ... » . فلقيا الثناء والتقدير وأعطيا مدناً تتناسب مع ما حققاه من أرباح . والمكافأة هنا لا تشكل راحة ، بل فرصة لخدمة أوسع وأكبر .

٢٠ و ٢١ : وثمة خادم واحد آخر تمت محاسبته ، وترك لنا أن نتخيل ما حدث بالنسبة للسبعة الآخرين . بيد أن هذا كان كافياً ، لأنه فى النهاية لم يكن أمامنا إلا فئتين . أولئك الذين أحسنوا استغلال ما ائتمنوا عليه وأولئك الذين لم يفعلوا . والرجل الثالث لم يفعل شيئاً بمناه سوى أنه تركه « موضوعاً فى منديل » عنده . وهذا لم يكن مستوفياً لأدنى متطلبات الأمان التى تلزم الدفن فى الأرض (حسبما جاء فى التلمود) . وحسب قوله كان دافعه إلى ذلك هو الخوف . فقد وصف سيده بأنه « إنسان صارم » مستخدماً الصفة austéros وتعنى « قاسى إلى أبعد الحدود » ، رجل يتوقع منه أن يستخرج الدم من الحجر . أما عبارة « تأخذ ما لم تصنع وتحصد ما لم تزرع » فمن الواضح أنها من الأقوال المأثورة عن محاولة الكسب من خلال جهود الآخرين .

٢٢ و ٢٣ : لقد جعل السيد كلمات العبد أساساً لإدانته . فإذا كان الخادم يؤمن بحقيقة ما قاله عن سيده ، كان عليه أن ينجز شيئاً . ودون أن يجازف بشيء كان يمكنه أن يضع المال فى مصرف « على مائدة الصيارفة » فيدر عليه فائدة . ولا يتضمن الاصطلاح معنى « البنوك » ، والعبارة فى اللغة

اليونانية تعنى « على المائدة » أى على مائدة المرابين (ونلاحظ أن الكلمة الإنجليزية بنك Bank مأخوذة من كلمة « منضدة bench » وهى منضدة مقرض المال) . كان فى مقدوره توظيف المال ، إلا أن الخادم المرتاع لم يفعل شيئاً .

٢٤ ــ ٢٦ : ومن ثم أُخِذ « المنا » من العبد الشرير وأعطى لذاك الذى أثبت أنه استطاع استغلال « مناه » وتحقيق فائدة منه . وليس من الواضح ما إذا كان المستمعون الذين تدخلوا فى الحديث خدماً آخرين أم كانوا من بين السامعين . بل وليس من المؤكد عما إذا كان الشريف أم يسوع هو الذى قال الكلمات التى تلت ذلك ، وعلى كل ، لقد صاغت المبدأ الذى يهدف إليه هذا المثل . ولم يقل يسوع إن الأغنياء سيزدادون غنى والفقراء فقراً . ويجب فهم هذه العبارة فى موقعها من النص . إن الرجل الذى أثبت بما حققه من زيادة أنه عرف كيف يستغل ماله ، وعلى أفضل وجه ، هو الذى سيحصل على المزيد . أما الرجل الذى وضح تقصيره ، كالخادم الثالث ، الذى لم يستغل ما أتيحت له من فرص ، فهو الذى يفقد القليل الذى عنده . وربما يقال إنه ما كان هناك داع من إعطاء « منا » لواحد كان معه عشرة من قبل علاوة على سلطان على عشر مدن . إلا أن ذلك يتضمن مبدأ هو أن الوزنة الأصغر يجب أن تستغل على أفضل وجه . وفى الحياة المسيحية لا نركن إلى الكسل . ونستعمل وزناتنا كى نحقق تقدماً وإلا فقدنا ما عندنا .

٢٧ : وتنتهى القصة بملاحظة مخيفة فى قسوتها . فأولئك الذين رفضوا الشريف وأرسلوا وراءه سفارة (١٤) لم ينسهم . فبعد أن استقر فى مملكته وأنهى حساباته مع خدمه المكلفين بالمتاجرة لحسابه ، أَمَرَ ذلك الشريف بهلاك أولئك الذين قال عنهم صراحة « أما أعدائى أولئك » . لقد اتخذوا موقف المعارضة منه . وعليهم أن يتحملوا عواقب ذلك . وكان لمانسون Manson أفضل تعليق على هذا حيث قال : ربما أفزعتنا وحشية النهاية ، ولكن وراء اللغة المجازية الفظيعة حقيقة تماثلها فظاعة ، فحقيقة مجيء المسيح تضع كل إنسان أمام الاختيار الحاسم وتجبر كل واحد أن يتخذ قراراً ، وذلك القرار ليس هيناً . فهو قرار حياة أو موت .

ظ ــ دخول يسوع أورشليم منتصراً (لو ١٩ : ٢٨ ــ ٤٤) .

لم يذكرالبشير لوقا دخول يسوع إلى أورشليم على نحو مفصل ، سواء بالنسبة لدخوله منتصراً ... لكنه وصف ما حدث أثناء اقترابه منها ، وكلمة « دخول » قد تستعمل دون أن تكون مضللة . ولقد أضاف لوقا لما ذكرت البشائر الأخرى حديثه عن بكاء يسوع على هذه المدينة .

١ ــ الاقتراب منتصراً (لو ١٩ : ٢٨ ــ ٤٠) .

وثمة جرأة فيما يتعلق بهذا الإجراء كله . لقد كان عداء السلطات سافراً حتى إنها أصدرت تعليمات تقضى بأن كل من يعرف مكان يسوع عليه أن يبلغ عنه حتى يمكن القبض عليه (يو ١١ : ٥٧) . ولكن ، كان يسوع أبعد ما يكون عن الإختباء والخوف ، لقد أتى إلى أورشليم علناً تصاحبه كل مظاهر الانتصار . لأنه حتى ذلك الحين ، كانت شعبيته الطاغية لدى الجماهير تحول دون اتخاذ أى إجراء قبله (آية ٤٨) ، ورغم ذلك يجب ألا نغض النظر سواء عن عداوة رؤساء الكهنة ومن هم فى زمرتهم ، أو الشجاعة التى أظهرها يسوع وتلاميذه .

٢٨ : ومن الواضح أن يسوع غادر أريحا فور قوله المثل الذى تحدثنا عنه ، وتقدم أمام تلاميذه (وتعنى الترجمة اليونانية : تقدم للأمام ، كما يقول لينى Leaney ، لكن بالمقارنة مع مر ١٠ : ٣٢) . ويعود لوقا ليخبرنا أن يسوع كان ذاهباً إلى « أورشليم » وكان ذلك يتمشى مع تأكيده أن المدينة كانت هدف رحلته .

٢٩ : « بيت عنيا » ، قرية على بعد ميلين من أورشليم على المنحدرات الشرقية لجبل الزيتون . وموقع بيت فاجى غير معروف بصفة قاطعة ، ومن الواضح أنها قرية من أورشليم . فجاء فى التلمود أنها إحدى ضواحى أورشليم وكانت تعتبر الحدود الخارجية لها .

٣٠ و ٣١ : كلف يسوع إثنين من تلاميذه أن يذهبا إلى قرية ويحصلا له على جحش . ولم يذكر اسم القرية وإنما قال « القرية التى أمامكما » . والبعض يقولون إنه كان يقصد بيت فاجى . إلا أننا لا نستطيع الجزم بذلك .

وهناك ، قال يسوع « تجدان جحشاً مربوطاً » . والكلمة يمكن أن تشير إلى مهر حصان أو « حمار » ولم يشر لوقا إلى المقصود . ومع ذلك فالبشيران متى ويوحنا ، يوضحان كلاهما أن المقصود كان « جحشاً » . وفي الترجمة السبعينية تستعمل الكلمة بانتظام دون تحفظ لترجمة عبرية معناها جحش . وأخذ لوقا عن الترجمة السبعينية . ويذكر أن أحداً لم يركبه من قبل . وربما يرجع هذا إلى أن الحيوان وهو بهذا الحال يصلح للأغراض الدينية (بالمقارنة مع عد ١٩ : ٢ ، ١صم ٦ : ٧) . ويضيف يسوع كلمة التعارف (كلمة السر) ، إذا ما اعترضهما أحد وهي ، « أن الرب محتاج إليه » . وثمة مشكلة تبرز هنا من حقيقة أن العبارة تظهر أن يسوع محتاج إلى الحيوان ، إلا أن كلمة الرب نادراً جداً ما استعملت عن يسوع ، وربما لم تستعمل قط إبان إرساليته . وهكذا فإنه من المشكوك فيه عما إذا كانت كلمة « الرب » تكفي لتدل على يسوع . والبعض يعتقدون أننا يجب أن نفهم كلمة « الرب » بمعنى « الله » . فالحيوان مطلوب في خدمة لله ... وهذا أمر محتمل ، إلا أنه من الصعب أن نعرف كيف أن أصحاب الجحش استخلصوا هذا المعنى من تلك العبارة . ومن الناحية اللغوية فقد تعني « مالكه يحتاجه » . وهذا معنى محتمل إذا كان له صاحب واحد ، وكان هذا مع يسوع في ذلك الحين . لكن الآية ٣٣ تبين أنه كان له أكثر من صاحب وأنهم كانوا في نفس المكان مع الجحش ، ولم يكونوا مع يسوع . وعلى وجه العموم يبدو أنه من الأفضل أن نفهم العبارة على أنها كلمة سر سبق الإتفاق عليها . وعندما سمع أصحاب الحيوان هذه الكلمات عرفوا أن يسوع يطلب الجحش وسمحوا بأخذه .

٣٢ ــ ٣٤ : أطاع التلميذان التعليمات واستجاب صاحب الجحش للقول بأن الرب يحتاج الحيوان . وصيغة الجمع « أصحابه » قد تشير إلى أنهم فقراء ، لدرجة أنهم كانوا يتشاركون في ملكية حيوان صغير مثل هذا .

٣٥ و ٣٦ : وطرحا « ثيابهما » على الجحش ، ربما لاستخدامها كسرج . ولم يقول لوقا إن يسوع ركب الجحش ، بل إن التلميذين « أركباه » عليه . لقد كانت المبادرة من جانبهما . وقد اتبعا ذلك ، هما ــ أو آخرون ــ بأن فرشوا « ثيابهم في الطريق » ، وهكذا عملوا سجادة انتصار « بسطوها في طريقه » ، (بالمقارنة مع ٢مل ٩ : ١٣) . ولا يذكر لوقا شيئاً عن فرش

أغصان الشجر أيضاً ، على الرغم من أن الإنجيليين الآخرين كلهم ذكروا هذا (يقول يوحنا إنها كانت سعف النخل) .

٣٧ : « كل جمهور التلاميذ » ، شاركوا فى التهليل والتسبيح « عند منحدر جبل الزيتون » . كان منظراً بهيجاً عندما بدأ التلاميذ « يفرحون » . وسبحوا الله « لأجل جميع القوات التى نظروا » ، أى من أجل تلك المعجزات الإلهية التى عملها يسوع إبان إرساليته والتى أظهرت بوضوح أنه أتى من الله . ولم يفسر لوقا مظاهر الحماسة ، إلا أن البشيرين متى ويوحنا اقتبسا كلاهما نبوءة زكريا (زك ٩ : ٩) ، التى تتحدث عن ملك صهيون الآتى على جحش ابن أتان . ولا يمكن أن يتطرق شك فى أن الجماهير رأت دخول يسوع إلى المدينة على ضوء هذه النبوءة وهتفت له بصفته الملك . أما وقد ظهر ملك على جحش ، فهذا أمر مميز ملحوظ . فالجحش كان مطية رجل سلام ، « تاجر أو كاهن » . وقد يركب ملك جحشاً فى إحدى المناسبات ، وعلى ما يظن بالأكثر أن يظهر راكباً جواد حرب قوى . وتصف نبوءة زكريا المسيح بأنه ملك السلام . وحيث كان تلاميذ المسيح الجليليين يتدفقون إلى أورشليم لأجل الفصح ، عرفوا أن يسوع قد أتى بمعجزات إلهية كثيرة . ومند وقت طويل كانوا يراقبونه وينتظرون أن يعلن نفسه ، « أنه المسيا المرتقب موضع رجائهم » ، وها هم الآن يرونه يفعل هذا . فها هو يدخل المدينة بطريقة تحققت بها النبوءة . وأظهر يسوع نفسه أنه المسيا . ولم يتوقفوا عن التفكير فى أنه كان يعلن نفسه أيضاً رجل سلام متغاضياً عن حماسهم القومى . لقد طلبوا المسيا . وها هم يشاهدونه أمامهم .

٣٨ : ويخبرنا الإنجيليون الأربعة أن الجماهير هتفت « مبارك » و « الآتى باسم الرب » (بالمقارنة مع مز ١١٨ : ٢٦) ، إلا أن البشيرين لوقا ويوحنا فقط ذكرا أنهم دعوا يسوع « الملك » (ويضيف يوحنا : إسرائيل ، أى ملك إسرائيل) . ويذكر البشير مرقس الملكوت إلا أنه لا يشير إلى الملك . ولكن ، سواء قيل ذاك أو لم يقل ، فقد تم تلميحاً . لقد أرادت الجموع أن ترى المسيح وهو يطالب بمملكته ولقد نبع إنفعالهم الذى طغت عليه مظاهر الغبطة والفرح من حقيقة أنهم رأوه يفعل هذا . ولوقا وحده يخبرنا أنه من بين هتافات التهليل التى رددوها : « سلام فى السماء » (بالمقارنة مع لو ٢ : ١٤) . لقد تم

الصلح بين الله والبشر ، وهكذا أعلن مجده . وهذه تشكل أيضاً إشارة إلى الوضع الناجم عن هزيمة الشيطان (لو ١٠ : ١٨) وحذف لوقا الكلمة الأجنبية « أوصانا » (موجودة فى البشائر الأخرى) وأبدلها بكلمة « مجد » .

٣٩ و ٤٠ : ونحن مدينون للبشير لوقا لما ذكره من أن بعض الفريسيين بين الجمع (حجاج من الجليل ؟) ، قالوا : « يا معلم انتهر تلاميذك » . كان يمكنهم الاعتراض على تهليل وحماسة التلاميذ مستندين إلى مبادىء عامة ، وهم ، بكل تأكيد ، ما كانوا يرغبون رؤية يسوع وهو يعلن أنه المسيا . وما كانوا يؤيدون استعمال القوة ، حتى لا يشمل ذلك ممارساتهم الدينية ، وكانوا يعارضون ما قد يثير تدخل السلطات الرومانية . وما كان ثمة أمل فى إسكات هذه الجلبة باللجوء إلى الجماهير ، ولذلك طلبوا من يسوع إسكاتهم . وفى قول رائع أكد يسوع أن هذا التهليل أمر لا مفر منه ، فإن سكتت الجماهير « فالحجارة تصرخ » وربما كان ذلك مثل سائر (بالمقارنة مع حب ٢ : ١١) .

٢ ــ البكاء على أورشليم (لو ١٩ : ٤١ ــ ٤٤) .

هذا القسم القصير ينفرد به لوقا . وهو يبين أن يسوع كان بعلمه الإلهى السابق يعرف المصير الرهيب الذى ينتظر أورشليم لرفضها المسيح . وقال البعض إن هذه الأقوال كتبت فى وقت لاحق ، بعد خراب المدينة فعلاً ، على أساس أنها تتضمن تفصيلات دقيقة ، الأمر الذى لا يمكن معه أن تكون قد قيلت فى عهد يسوع . ولكن ، إذا ما نحينا الآن مدى قوة يسوع التنبؤية ، فما من شىء ورد هنا ليس مألوفاً فى إجراءات الحصار فى تلك الأيام والكثير منها سبق ذكره فى العهد القديم . وما من سبب يدعو إلى الشك فى صحة هذه الفقرة ، وكما قال مانسون Manson : إن وصف هذه الآيات على أنها من الكتابات المسيحية بعد الحدث (أى بعد دمار أورشليم) هو نوع من الشطط يضر بحركة النقد الواعى المتزن .

٤١ و ٤٢ : بكى يسوع على المدينة وهو يقترب منها ، لكن لوقا لا يحدد المكان على وجه الدقة . وهذا أمر يشكل تناقضاً ملحوظاً لابتهاج الجماهير . وكلمة « بكى » يمكن أن تترجم إلى « انتحب » . لقد أخذت يسوع نوبة

من الانتحاب . انتحب على الفرصة الضائعة . لم يعرف سكان أورشليم « ما هو لسلامهم » . وثمة أهمية خاصة فى الفهم العبرى للسلام (وهذا ما يسود العهد الجديد) يكمن فى التأكيد على السلام مع الله ، ألا وهى العلاقة الصحيحة بين الخليقة والخالق ، كمقوم لا بد منه للسلام الحق . كان هذا هو ما فشل أهل أورشليم فى معرفته . وكان إخفاقهم نهائياً حاسماً إذ تجاهلوا رسالة الرب لهم . وهذا ما عبر عنه يسوع بقوله « قد أخفى عن عينيك » .

٤٣ و ٤٤ : فهلاك المدينة أمر لا مفر منه . ويصف يسوع حصاراً نموذجياً عندما يتحدث عن « المترسة » التى يقيمها الأعداء (حماية لأنفسهم وقاعدة يشنون منها هجماتهم) ، وعن المدينة حيث يحاصرونها حصاراً كاملاً (بالمقارنة مع إش ٢٩ : ٣) . والكلمة اليونانية التى ترجمت « مترسة » تعنى أساساً وتداً أو سناداً (كالذى يستعمل لإسناد الكرمة) ، أما هنا فتستعمل (كدعامات خشبية لتقوية المعسكر) ، والكلمة جاءت بصيغة المفرد « مترسة » إلا أنها تشير إلى « سياج » من عدة أوتاد خشبية يحيط بالمدينة . ويقول يوسيفوس : أنه عندما حاصر الرومان أورشليم أقاموا متاريساً . ولا بد أنهم استخدموا كميات كبيرة من الخشب لهذا الغرض ، لأن اليهود دمروها بالنيران (واستبدلها الرومان بسياج) . وأضاف يسوع أن الأعداء « يهدمونك وبنيك فيك » (بالمقارنة مع مز ١٣٧ : ٩) . وهذا يعنى السقوط الكامل . فلن يتم الاستيلاء على المدينة فحسب ، بل ستدمر تدميراً شاملاً . وتكرار ضمير المخاطب (عشر مرات فى آيتين) يجعل الموضوع شخصياً للغاية أى يخص أورشليم ذاتها . وينهى يسوع نبوءته مبيناً السبب « لأنك لم تعرفى زمان افتقادك » . وهذه الكلمة الأخيرة جاءت بمعنى عام . فقد تعنى أى افتقاد ، للبركة أو اللعنة . إلا أنه فى النص ، لا مكان للشك فى أن الإفتقاد الإلهى بحضور مسيح الرب بينهم هو ما أخفق الشعب أن يتبينوه ، « مشيئة الله » .

وثمة نوع من الجهل الساذج ، إلا أن هناك أيضاً جهلاً يستوجب اللوم . لقد كانت لدى هؤلاء الناس الإعلانات الإلهية التى أودعها الله فى الكتاب المقدس فى العهد القديم . وقدمت لهم الأدلة المستمرة على أن الله كان عاملاً فى حياة المسيح ورسالته . وكان فى وسعهم أن يلمسوا فى شخصه أن الله لم ينس شعبه أبداً . وكانت لديهم الأسباب الكافية كى يرحبوا بيسوع كما

فعل تلاميذه . إلا أنهم رفضوا مسيح الرب . وعليهم الآن أن يتحملوا عواقب رفضهم . وهذا ما أحزن يسوع .

سادساً : يسوع فى أورشليم

(لو ١٩ : ٤٥ ــ ٢١ : ٣٨)

وها نحن بصدد الانتهاء من قصة آلام المسيح . فبعد أن أتى يسوع إلى أورشليم استمر يُعلم لفترة قصيرة ، ويذكر لوقا بعضاً مما قاله يسوع وما عمله فى تلك الأيام . بيد أن كل هذا ما هو فى الواقع إلا مقدمة للآلام .

أ ــ تطهير الهيكل (لو ١٩ : ٤٥ ، ٤٦) .

وردت قصة تطهير الهيكل فى البشائر الأربعة ، على الرغم من أن يوحنا يضع قصته فى بداية إرسالية يسوع ، بينما جعلها البشيرون الثلاثة الآخرون فى النهاية . وثمة سبب للإعتقاد أن هذا الحدث وقع مرتين . ورواية لوقا فى هذا الصدد هى أقصرها ، وهو يتبع هنا النهج المرقسى والاختلاف الوحيد هو أنه فى بشارة مرقس يقول يسوع « بيتى بيت صلاة يدعى .. » . بينما فى بشارة لوقا : « بيتى بيت الصلاة » ، من الغريب أن يحذف لوقا عبارة « لجميع الأمم » ، على الرغم من أنها تناسب تماماً شمولية بشارته . وربما إعتقد أن الأمم يتعبدون فى مكان آخر (بالمقارنة مع يو ٤ : ٢١) .

٤٥ و ٤٦ : ومن بشارة مرقس نجد أن هذا الحدث وقع فى اليوم التالى لدخول المسيح ظافراً (مر ١١ : ١١ وما بعده ، ١٥) . لقد وجد يسوع تجاراً فى الهيكل . وبعضهم كان يتاجر فى تغيير العملة (و لم يكن يقبل لتقدمات الهيكل إلا عملة صور ، أما العملات الأخرى ــ الوثنية ــ فكان يتم تغييرها إلى هذه العملة ، وآخرون كانوا يبيعون حيوانات الذبائح . ويبدو أنهم كانوا يمارسون تجارتهم فى فناء الأمميين ، وهو المكان الوحيد فى المعبد الذى يستطيع أن يقصده غير اليهود للصلاة والتأمل . وإذا ما كان لنظام الهيكل أن يستمر فقد كان من الضرورى تزويده بمثل هذه التسهيلات . بيد أنه لم يكن من الضرورى أن يتواجدوا فى أفنية الهيكل ، وهذا هو سبب اعتراض يسوع على وجود التجار . « وابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون » . و لم يذكر البشير لوقا

لوقا أولئك الذين كانوا يشترون أو الصيارفة ، إلا أن متى ومرقس يذكران أنه طرد هؤلاء أيضاً . لقد وبخ يسوع التجار بالإشارة إلى التناقض بين ضلالهم (إر ٧ : ١١) وطبيعة الهيكل الحقيقية بصفته « بيت الصلاة » (بالمقارنة مع إش ٥٦ : ٧) .

ب ـــ التعليم فى الهيكل (لو ١٩ : ٤٧ و ٤٨) .

وإبان فترة تواجده فى أورشليم كان يسوع يعلم يومياً فى المكان المعتاد لهذا النشاط ، ألا وهو « الهيكل » . ويقول لوقا إن أعداءه طلبوا « أن يهلكوه » . وسبق وأن تعرفنا على الكتبة والفريسيين ، أما « وجوه الشعب » فهو تعبير جديد مثير للإهتمام . وهو يشير إلى أن يسوع كان له أعداء بين الطبقات الحاكمة بصفة عامة . لكن ، على الرغم من أنه كان ثمة رغبة فى اتخاذ أقصى الإجراءات قِبَله من جانب أعدائه على اختلافهم ، إلا أن الفرصة لم تتح لهم . فبعد دخوله الباهر منتصراً إلى أورشليم كانت جموع الشعب قد تعلقت بحب يسوع مما حال دون اتخاذ أى إجراء ضده . كانت الجموع تستمع إلى تعاليمه بشغف واهتمام .

ج ـــ سلطان يسوع (لو ٢٠ : ١ ـــ ٨) .

١ و ٢ : ونوعية تعليم يسوع هذه المرة يشار إليها بكلمة « يبشر » . وفى ذات الوقت كان أعداؤه يتآمرون عليه . كان يبشر الشعب بالإنجيل ، بمحبة الله ونعمته . فسأله « رؤساء الكهنة والكتبة مع الشيوخ » ، وهذا ما يشبه لجنة تحقيق رسمية من السنهدريم ، ونشاطات يسوع الأخيرة استعدت جهات الإدارة عليه . ولذلك جاء وفد ليستجوبه . وكانوا مهتمين بالسؤال عن السلطان الذى خول له ما كان يفعله . وسؤالهم يتركز بوجه عام حول عبارة « تفعل هذا » ، إلا أنهم دون شك كانوا مهتمين قبل كل شىء بموضوع تطهير الهيكل . ما هو السلطان الذى يبرر لأحد أن يتصرف على هذا النحو ؟ وربما يقول لهم « سلطان المسيا » . وكان سؤالهم فى هذه الحالة سيكون ومن أعطاه هذا السلطان ؟

٣ و ٤ : إلا أن يسوع واجههم بقوله « وأنا أسألكم » كلمة واحدة . كان يوحنا المعمدان شخصية دينية عظيمة ، وكان من المتوقع أن تعلن السلطات

الدينية « رؤساء الكهنة والكتبة » رأيها بالنسبة لمعمودية يوحنا . وعلاوة على ذلك ، فإنهم إذا ما أجابوا على سؤال يسوع يكونون فى نفس الوقت قد أجابوا على السؤال الذى وجهوه هم أنفسهم ، لأن يوحنا شهد أن يسوع هو المسيا . وإذا أنكروا نبوءة يوحنا عن اقتراب ملكوت الله ، فلا يستطيعون أن يرحبوا بوجوده فى يسوع .

٥ و ٦ : ولكن يسوع أوقع أعداءه فى نفس الفخ الذى نصبوه له ، وأغرقهم فى ورطة شائكة . و لم يكونوا فى الواقع مهتمين بحقائق الموضوع وإنما ركزوا على ما يتعلق بالعواقب التى قد تنشأ عن الإجابات لا على الحقيقة المتعلقة بها . لم يقبلوا إطلاقاً رسالة يوحنا . ولذلك إذا ما قالوا أن معموديته من السماء ، ينكشف خبثهم ، وسيواجهون بالسؤال : لماذا إذاً لم تؤمنوا به وتسيروا على نهجه ؟ ولو فعلوا هذا لتوفرت لهم الإجابة على سؤالهم ، لأنهم يكونون قد اعترفوا أن سلطان يسوع من نفس المصدر السمائى ، كمعمودية يوحنا .

وما من شك فى أنهم لو استطاعوا لقالوا إن معمودية يوحنا كانت « من الناس » . فهذا كان اعتقادهم . إلا أن شعبية يوحنا وإيمان الشعب برسالته ، جعل مثل هذه الإجابة مستحيلة . لقد خشوا أن يرجمهم الشعب .

٧ و ٨ : لذلك لم يعطوا يسوع جواباً . ومن ثم لم يجبهم يسوع على سؤالهم . لم يقل إنه ليس له سلطان . فعلى مدى البشائر الأربعة جميعاً من الواضح أن يسوع كان يدرك تماماً أن له السلطان الأعلى . إلا أنه لم يشأ أن يخبر أناساً لم يعطوا إجابة على سؤال واضح رغم أنهم يعرفون جيداً إجابته .

د ــ مثل الكرامين الأردياء (لو ٢٠ : ٩ ــ ١٨) .

هذا المثل يوضح بطريقة رمزية علاقة يسوع بالقادة اليهود . كان يسوع فى شخصه يمثل مناشدة الله الأخيرة لهم ليتقبلوا رسالة الخلاص . ولكن قادة اليهود دأبوا على رفض الأنبياء وكل المرسلين إليهم (بالمقارنة مع نحميا ٩ : ٢٦ ، إر ٧ : ٢٥ وما بعدها ، ٢٥ : ٤ ــ ٧ ، مت ٢٣ : ٣٤ ، أع ٧ : ٥٢ ، عب ١١ : ٣٦ ــ ٣٨) . وها قد أوشكت الذروة فالذى وجد فى

وسطهم لم يكن نبياً بل ابن الله نفسه . عليهم إذاً أن يتخذوا أخطر قرار فى حياتهم .

٩ : ويصف يسوع عملاً كان شائعاً جداً من جانب الملاك . لقد « غرس كرماً » و « سلمه » إلى كرامين قبل سفره ، وتذكرنا لغة هذا المثل بلهجة العهد القديم فى حديثه عن إسرائيل (بالمقارنة مع إش ٥ : ١ وما بعدها) ، وكان الذين استأجروا الحقل « كرامون » يعملون بزراعته .

١٠ ــ ١٢ : أرسل صاحب الكرم عبداً ليحصّل الإيجار ، وكان الإيجار يحصل من ثمار الكرم . بيد أنهم ، بدلاً من سداد ما عليهم ، تصرفوا بعنف . وكلما أرسل إليهم عبداً عاملوه أسوأ من سابقه ، وما استطاع أحد من العبيد أن يحصل منهم المستحق لصاحب الكرم . ويبدو لنا الكرامون وقد تصرفوا بطريقة فظيعة غير معقولة ولا مقبولة . إلا أن دونكان ديريت J . Duncan Derrett . يعتقد أنه يمكن تبرير سلوكهم . ويقول إن الكرم لا يغل إلا دخلاً قليلاً فى مرحلة التكوين والنضج . وإبان هذه المرحلة فإنه من المحتمل جداً أنه عند تسوية الحسابات يجد المالك نفسه مديناً للمستأجرين . لأنه مسئول عن نفقات مثل شراء سنادات تعريش الكرم والتى قد تفوق تكاليفها ما تحقق من دخل . وإذا ما كان المستأجرون فى هذا المثل يرفضون حساب صاحب الكرم ويدعون أنه مدين لهم بشيء ، فإن سوء معاملتهم للعبيد تعتبر عملاً من قبيل تأكيد احتجاجهم،لقد ردوهم فارغين (وليسوا صفر اليدين) وهذا يعنى أنهم أخذوا ما استطاعوا من العبيد مقابل مستحقاتهم قبل المالك . هذا أمر محتمل ، إلا أنه ما من إشارة فى المثل الذى قاله يسوع تفيد أن المستأجرين كانت لهم أية مطالبات قبل صاحب الكرم . لقد رفضوا بكل بساطة ، كل من أرسل إليهم . ويصور يسوع بهذا المثل أمة عنيدة ، وإلهاً رؤوفاً رحيماً فى مواجهة وحشيتهم التي لا مبرر لها . وبدلاً من عقاب هؤلاء الذين رفضوا الأنبياء ، أتاح لهم فرصاً أخرى بإرسال عبيد آخرين .

١٣ : ومن واقع الحياة ، كان « صاحب الكرم » سيتخذ بكل تأكيد إجراءات صارمة . فالقانون فى جانبه ، وكان له الحق أن يعامل هؤلاء المسيئين بقسوة . لكن يسوع يتحدث عن إله ليس لمحبته ورحمته حدود ، فى الوقت

الذى له الحق فى أن يكون فى غاية الشدة . ولذلك يصور لنا صاحب الكرم ، وهو يدرس الموضوع جيداً ويقرر أن يرسل « ابنه الحبيب » (وهذه لغة تذكرنا بوصف يسوع فى لو ٣ : ٢٢) . لعلهم يهابوه . وكلمة « لعلهم » ترجمة لتعبير مهذب لأمل معقول .

١٤ : إلا أن « الكرامين » تصرفوا بطريقة بعيدة عن المنطق . لقد قرروا أن يقتلوا « الوارث » (وهذا أمر أسوأ مما فعلوه بالنسبة لأى من العبيد) . وكان دافعهم إلى ذلك أن الكرم سيصبح والحالة هذه ملكاً لهم . وثمة احتمالات عدة بالنسبة لتصرفهم هذا . ربما اعتقدوا أن صاحب الكرم قد مات وأن الإبن قد جاء ليستولى على الكرم . أو أن ظهور الإبن أوحى إليهم أن الأب ربما يكون قد نقل إليه مِلكية الكرم . وكان من المعروف أن المستأجرين يدّعون ملكية الأرض التى قاموا بالعمل فيها إذا ما كان الملاك غائبين (حسبما جاء فى التلمود) . وعندما تكون الملكية محل شك ، فأى شخص يكون قد استغل الأرض وعملها مدة ثلاث سنوات يعتبر مالكاً لها فى حالة عدم وجود مطالبات أخرى (المشنا) . ومن الواضح أن المستأجرين كانوا يتذرعون بحقيقة أن المالك سافر زماناً طويلاً (٩) ، وربما ظنوا أنه مع كل المشاكل التى يثيرونها له ، سيتخلى عن المطالبة بحقه . ويستطيعون الإدعاء أن الكرم يخصهم ، وهذا ما يبينه بوضوح وضع يدهم عليه طوال السنوات السابقة ، والتى لم يدفعوا خلالها أجراً لأحد . ولسوف يصورون قتلهم الوارث على أنه كان دفاعاً عن النفس ، فما صدر عنهم لم يكن سوى مقاومة لص أتى ليأخذ منهم أرضهم . وبهذه الطرق يبرر الناس شرهم . والتطبيق الرمزى يبين أن يسوع كان يعرف ما ينتظره من مصير . فالشعب كان يتصرف قبله بنفس الطريقة الشنيعة التى اتبعها الكرامون مع الوارث .

١٥ و ١٦ : لقد نفذ الكرامون خطتهم . أخرجوا الوارث خارج الكرم وقتلوه . ويقول Derrett ديريت ، إنه كان من المهم ألا يقتلوه فى الكرم ، لأن الجثة كانت ستدنس الأرض الأمر الذى يجعل عملية بيع المحصول أمراً بالغ الصعوبة . وهو يعتقد أن رواية البشير مرقس تعنى أن عملية القتل نفذت فى « البرج » حيث يمكن محاصرة الابن والتغلب عليه بعد طرد معاونيه . والضربة القاضية يمكن أن توجه إليه فى الداخل على أمل إمكانية نقله بعيداً ،

خارج السياج ، وهو لا يزال حياً . ونفس النتيجة نستخلصها من بشارة لوقا الذى ذكر أن الموت وقع خارج الكرم . ولكن المستأجرين لم يأخذوا فى الحسبان إصرار صاحب الكرم على الحصول على حقه . فلن يصفح أو يتغاضى عما فعلوه أخيراً . لا بد وأن ينالوا عقابهم . ونظراً لأن الجريمة كانت شنيعة فهكذا سيكون الجزاء . لا بد أن يُهلك هؤلاء الكرامين ويُعطى الكرم « لآخرين » . وهذه إشارة إلى الأمم . بيد أنه بالنسبة لأعداء المسيح ، فلم يكن يدور بخلدهم أن الله سيرفض الشعب اليهودى ، شعب الله المختار ويعطى نور إعلاناته وخلاصه للأمم ، مهما كان الحال . فلما سمعوا هذا قاطعوه قائلين « حاشا » ، أى معاذ الله . (وهذا تعبير لم يرد إلا فى هذه الآية فقط فى العهد الجديد كله باستثناء الكتابات البُولسية) . والتعبير يحمل معنى شعورهم بالغضب والفزع، حيث قاطعوا يسوع بنفس طريقة السامعين فى (لو ١٩ : ٢٥) .

١٧ : وجه يسوع أفكارهم للكتاب المقدس . فما كتب فيه لا بد وأن يتم . وإذا لم يكن الهلاك الذى تحدث عنه سيتم ، فكيف يفسرون إذاً المزمور ١١٨ : ٢٢ (وهو نص مفضل لدى الكنيسة فى عصرها المبكر ، بالمقارنة مع أع ٤ : ١١ ، ١بط ٢ : ٧) . « رأس الزاوية » كان بلاشك حجر له أهميته ، إلا أنه ليس من المعروف على وجه اليقين أين كان . وربما كان حجراً كبيراً يوضع فى أحد أركان الأساس . ومن ثم فهو يحدد وضع جدارين وهكذا يشكل البناء كله . أو قد يكون حجراً فى أعلى الحائط الذى يربط البناء كله معاً ويكمل العمل . وفى كلا الحالتين ، كانت له أهميته القصوى . ويقول يسوع إنه على الرغم من رفض البعض له ، إلا أنه مقبول لدى الرب . وهذا هو الأمر الأهم . وعلى الرغم من أن اليهود ارتكبوا نفس الخطأ مثلما فعل البناءون ورفضوه إلا أن مشيئة الرب لابد وأن تتم .

١٨ : وتتغير الصورة المجازية . فلم يعد التفكير الآن فى قيمة الحجر ، بل فى القوة التدميرية له بالنسبة للحم والدم (أى الإنسان) فسقوط إنسان على الحجر أو سقوط الحجر عليه ، فهذا فى الحالتين كلتيهما معناه الهلاك . فقد يَعِنُّ للناس أن يرفضوا يسوع أو يقاوموه ، إلا أنهم هم ، وليس يسوع سيتحملون العاقبة الوخيمة الناجمة عن ذلك . أما الجزء الثانى من المثل فيشير إلى الدينونة المستقبلة . فموقفهم من يسوع هو الذى سيعنى الهلاك الأبدى

لمن عاصروه . والتشبيه هنا مأخوذ عن إش ٨ : ١٤ وما بعدها (بالمقارنة أيضاً مع دا ٢ : ٣٤ وما بعدها) .

هـ ــ محاولات للإيقاع بيسوع (لو ٢٠ : ١٩ ــ ٤٤) .

يزغ المثل من معارضة يسوع . إلا أنه بالنظر إلى موقف الشعب كان استعمال العنف مع يسوع يشكل مجازفة غير مأمونة . فقد يثير ذلك شغباً وما من أحد يستطيع التنبوء بنهايته . وقد يتدخل الرومان ويفقد أصحاب المراكز مراكزهم . ولذلك لجأ أعداء يسوع إلى وسيلة أخرى : لقد حاولوا الإيقاع به .

١ ــ الجزية لقيصر (لو ٢٠ : ١٩ ــ ٢٦) .

ما من أحد كان يرغب فى دفع الضرائب للحكومة الرومانية . وأى سؤال بالنسبة للضرائب لا بد وأن يسبب المشاكل ليسوع سواء مع الرومان الذين يطلبون سداد الضرائب ، أو مع اليهود الذين كانوا لا يحبون ذلك . وهكذا كان الهدف من السؤال هو القضاء على شعبية يسوع بين الجماهير ، أو وضعه فى موقف يغضب الرومان ، مما يجعلهم (وليس رؤساء الكهنة) يتخذون إجراءا قِبَله .

١٩ و ٢٠ : حاولت السلطات إلقاء القبض على يسوع ، بيد أنه لا البشير لوقا ، أو أى من الإنجيليين الآخرين ذكر المدى الذى وصلت إليه هذه المحاولة . إلا أنهم جميعاً أوضحوا أن السبب فى فشلهم لم يكن يعود إلى نقص من جانبهم . فالشعب هو الذى حال دون ذلك . لأن القبض على يسوع مع الحماس الشعبى المتزايد الذى يتمتع به ، كان يشكل وضعاً فى غاية الخطورة . ولذلك غيروا من خططهم ، وأرسلوا « جواسيس » لن يعرف أحد أنهم أعداء ، لكنهم سيعملون على الإيقاع بيسوع ليتكلم بما قد يدينه أمام الحكومة الرومانية . وهذا يتيح لهم فرصة القبض عليه وتسليمه إلى « حكم الوالى وسلطانه » . وبهذا يتخلصون منه ، وفى نفس الوقت لن تقع عليهم مسئولية ذلك .

٢١ و ٢٢ : بدأ السائلون بإطراء يسوع ، وكان قصدهم بلا شك ، أن

يخرجوا يسوع عن حذره وأن يضفوا على أنفسهم ثوب الباحثين المخلصين عن الحق الذين أعجبوا بعدم محاباته لأحد . وكان السؤال يتعلق بالجزية (متى ومرقس يتحدثان عن ضريبة الرؤوس) ، وهى ضريبة شخصية ، تختلف عن الرسوم الجمركية التى كانت تفرض على بضائع الترانزيت . وما من أحد كان راغباً فى دفع هذه الضريبة ، ثم أن دفعها للرومان المكروهين بالذات كان يُعد أمراً بغيضاً إلى أبعد الحدود . وقد استفسر السائلون عما إذا كان هذا الأمر « جائزاً » أى مطابقاً لناموس الرب . وكان الأمر واضحاً بالنسبة لقانون قيصر ، إلا أنهم كانوا يطلبون رأياً من الناحية الدينية . وكما سبق ولاحظنا ، كانوا واثقين أنه مهما كانت إجابة يسوع فلسوف تجلب عليه المشاكل .

٢٣ ــ ٢٥ : لم يخدع يسوع ، وعرف وشعر « بمكرهم » . فطلب قطعة من العملة « ديناراً » . وهو عملة رومانية فضية مطبوع عليها صورة الامبراطور طيباريوس . وكان من المحتم دفع الضريبة بالعملة الرومانية . وكانت تتداول فى ذلك العهد عملات أخرى فى اليهودية ، مثل العملات اليونانية والصورية واليهودية أيضاً ، وربما تجنب المتدينون ما وسعهم ذلك استعمال العملات المطبوع عليها صورة قيصر . إلا أنهم كان يستطيعون تقديم ديناراً عند الحاجة ، وعندما قدموا ديناراً ليسوع ، كانوا يمسكون فى أيديهم الإجابة على سؤالهم إذا ما قدحوا زناد تفكيرهم . وسألهم يسوع لمن الصورة وكانت إجابتهم « لقيصر » . وهذا أتاح له أن يجيبهم قائلاً : « إعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . ويرى ديريت Derrett هنا إشارة إلى العهد القديم (جا ٨ : ٢) ويعتقد أن معنى هذا القول هو : « أطيعوا أوامر الملك وأطيعوا (بذلك) وصايا الله . ويعلق قائلاً : الطاعة حتى للحكام غير اليهود هى فى إطار طاعة الإنسان الشاملة لله . والصعوبة التى تعترض هذا التفسير تكمن فى معرفة لماذا كان للإجابة مثل هذا التأثير . لقد تعجب الأعداء وسكتوا . فلا بد وأن هذه كانت إجابة خطيرة ، إلا أنها لم تكن مفاجئة . والأناجيل المتشابهة الثلاثة توضح أن الإجابة أربكت الناقدين . ولم تترك لهم مجالاً لاتهام يسوع بخيانة قيصر ، بيد أنها أكدت أيضاً الولاء لله . فيقول يسوع إن الإنسان مواطن سمائى وأرضى فى نفس الوقت . وهذا لا يعنى تقسيم الحياة إلى أجزاء ، كما لو أن واجبات أى منهما يمكن أن تُؤَدى بمعزل عن متطلبات الأخرى . والمقصود هو أن للإنسان أكثر من ولاء واحد وأنه لا يستطيع أن يتجاهل الإلتزامات

المترتبة على كل . فاحترام الدولة والإلتزام بتوجيهاتها فى مجالها الصحيح أمر مفروض وواجب . فالدولة لها الحق فى تحصيل الضرائب للقيام بمهامها ومسئولياتها . ولاحظ أنه بناء على الإقرار أن الصورة والكتابة هما لقيصر ، قال يسوع « إعطوا إذاً ... » . فالإلتزام ناجم عن اعتراف بوضع قيصر وهذا واضح من استخدام عملات تحمل صورته . ومما هو جدير بالذكر أيضاً ، أنه بينما يسأل السائلون عما إذا كان يجوز « أن نعطى » يجيب يسوع بأن عليهم أن « يعطوا » والفعل فى الترجمة اليونانية معناه « إدفع ما هو مستحق » ، فأولئك الذين ينتفعون بخدمات الدولة ملزمون أن يدفعوا مستحقاتها . ولكن ، إذ يعطى الإنسان ما لقيصر لقيصر ، عليه أن يتذكر كل حين أن حقوق قيصر محدودة . فليس لقيصر أى حقوق فيما هو لله . فولاء المسيحى الأول والغالب هو لله . وهذا لا يعطيه مبرراً لعدم ولائه لقيصر ، إلا أن هذا يعنى أن عليه وبصفة دائمة أن يعرف أن أهم مجالات الحياة لا تنتمى إلى قيصر ، وإذا ما تدخل قيصر فيما هو لله . فليس له هنا أى ولاء .

٢٦ : وتقدم بشارة لوقا وصفاً أكمل بشأن تأثير ذلك على السائلين أكثر مما جاء فى أى من الأناجيل المتشابهة الأخرى . لقد ثبت أنهم « لم يقدروا أن يمسكوه » . كانوا يتوقعون أن سؤالهم سيأتى بالنتيجة المرجوة ، ثم اتضح أن مؤامراتهم ما كانت سوى فقاعة فى الهواء . ولذلك تعجبوا من جوابه ولاذوا بالصمت .

٢ ــ الإخوة السبعة (لو ٢٠ : ٢٧ ــ ٤٠) .

واستمرت الأسئلة دون هوادة ، حيث أخذت مجموعة من الصدوقيين محل الفريسيين المحبطين . وبالنظر إلى ما جاء فى الآية (١٩) ، ربما كان ضمن المجموعة السابقة بعضاً من الصدوقيين . وكيفما كان الوضع ، فلقد تقدموا الآن بسؤال من جانبهم .

٢٧ : لم يرد ذكر « الصدوقيين » فى هذه البشارة إلا فى هذه الآية . ولم يعثر على أى من كتاباتهم ، ولذا فإن معلوماتنا عن هذه الطائفة قليلة ومبتورة ، ولا نعرف عنهم إلا ما كتبه خصومهم . ويبدو أن الإسم مشتق من صادوق (بالمقارنة مع ١مل ١ : ٨ ، ٢ : ٣٥) ، ومن ثم أطلق عليهم

« صدوقيون » . وهم جماعة رؤساء الكهنة الأرستقراطيون المتشددون المتشبثون بالأفكار الدنيوية وكانوا على استعداد للتعاون مع الرومان دون حدود ، وهذا بالطبع ، أتاح لهم الاحتفاظ بوضعهم المتميز . ولقد عارضهم الوطنيون القوميون ورجال الدين أيضاً . ويقال إنهم لم يكونوا يعترفون إلا بالأسفار الخمسة فقط ، إلا أنه ما من دليل يؤيد هذا . والترجمة السبعينية تشهد على أنه قبل زمن العهد الجديد كانت شريعة العهد القديم ثابتة من الناحية العملية ولا يبدو أنه ثمة مبرر لأى طائفة يهودية كبيرة أن ترفض معظم ما جاء فى العهد القديم . والثابت هو أنهم رفضوا التقليد الشفهى الذى اهتم به الفريسيون بدرجة مفرطة ولم يقبلوا إلا ما هو مكتوب فقط فى الكتاب المقدس (وهذا ماكتبه يوسيفوس ، بالمقارنة مع أع ٢٣ : ٨) . وربما اعتقدوا أن القيامة بدعة جديدة أخذت عن الفرس بعد زمن العهد القديم .

٢٨ : وأرادوا أن يسخروا من فكرة القيامة بالإشارة إلى زواج كان يتم بمقتضى الشريعة اليهودية . وهى فكرة تهدف إلى الحفاظ على اسم الرجل والعائلة من الاندثار . فعندما يموت رجل دون نسل ، كان على أخيه أن يتزوج الأرملة ليقيم لأخيه نسلاً (تث ٢٥ : ٥ وما بعدها) . وليس ثمة أمثلة كثيرة لهذه الممارسة . ومن المثير أن القليل الذى ذكر نسب الطفل فيه لأبيه الطبيعى وليس المتوفى (بالمقارنة مع راعوث ٤ : ٥ ، ٢١) . ويبدو أن هذا التقليد قد اندثر بمطلع العهد الجديد ، ولذلك كان السؤال غير عملى ولا قيمة له . بيد أن الصدوقيين يحتجون أن الناموس رتب مثل هذا الزواج ، وأن الناموس ، طبقاً لذلك ، ولو ضمنياً على الأقل يرفض عقيدة القيامة .

٢٩ ـــ ٣٣ : ذكروا قصة عن سبعة أخوة تزوج الواحد منهم بعد الآخر نفس المرأة . وفى كل مرة كان الزوج يموت دون نسل . وهنا أثار الصدوقيون مشكلة ، لمن منهم ستكون المرأة زوجة فى القيامة ؟ . ومن الواضح أنهم توقعوا أنه لا يمكن أن توجد إجابة محددة لهذا السؤال واستحالة الإجابة تبين بالتالى استحالة القيامة .

٣٤ : تحدث يسوع أولاً عن ظروف هذه الحياة الحاضرة . وعبارة « أبناء هذا الدهر » لا تجدها فى موضع آخر فى العهد الجديد إلا فى (لو ١٦ : ٨) ، للتمييز بينهم وبين « أبناء النور » . ومع ذلك فهى تشير هنا إلى كل من هم

فى هذا العالم . فهم يتزوجون ويوجدون فى العالم عن طريق الزواج . وثمة مخطوطات قليلة تقول « يلدون ويولدون » والبعض يقولون إن هذه القراءة هى الأصل . ولا يبدو أن هذا محتملاً ، إلا أن القراءة تشير إلى ظروف هذه الحياة والتى تتعارض مع ظروف الحياة الآتية .

٣٥ و ٣٦ : لم يفهم الصدوقيون أن الحياة الآتية ستكون مختلفة بالضرورة عن هذه الحياة . وأولئك اليهود الذين يقرون عقيدة القيامة كانوا يرونها امتداداً غير محدود لهذه الحياة . ولا شك أنه ستكون هناك تغييرات وتحسينات إلى الأفضل . ستعم وتتضاعف الأمور البهيجة السعيدة ، إلا أنها ستكون بالضرورة من نفس حياة هذا العالم الحا ضر . والبعض كانوا متأكدين من استمرارية ظروف هذه الحياة الحاضرة حتى أنهم بحثوا بجدية عما إذا كان الناس بعد القيامة سيحتاجون إلى تطهير طقسى على أساس أنهم كانوا ملتصقين بالجسد . ولقد رفض يسوع كل هذا الآراء . فالحياة فى السماء تختلف جوهرياً عن الحياة على الأرض . والعلاقات البشرية هى علاقة يحدها المكان والزمان : ومن المحتم أن تكون مختلفة فى الأبدية حيث لا حدود لزمان أو مكان . والفكر اليهودى فى أفضل حالاته أدرك بعضاً من هذا ، وعند الضرورة رفض مفهوم أن السماء هى مكان مباهج وملذات مادية وتمسك بالرأى القائل إنها بصفة أساسية « التمتع بنور الحضور الإلهى » . ويسوع قصر كلامه على المخلَّصين دون كل المنتقلين . وهو يراهم وقد « حسبوا أهلاً » ، وهذا يذكرنا بأمرين ، أولاً إنهم لم يكتسبوا أماكنهم بفضل منهم ، وثانياً : إن لهم مكانة عالية . ثم يتحدث عن حصولهم « على ذلك الدهر والقيامة من الأموات » . وهذان بالطبع ليسا أمرين مختلفين ، لأن القيامة هى وسيلة الوصول إلى ذلك الدهر . ولم يتكلم يسوع عن قيامة « الأموات » ، القيامة العامة ، بل « القيامة من الأموات » ، أى قيامة الأبرار . وعن أولئك الذين هم من هذه المجموعة يقول يسوع ثلاثة أمور ، أولاً : إنهم لا يتزوجون . فى هذا العالم يعتبر الزواج من المقومات الضرورية للحياة ، إلا أن الحياة فى العالم الآتى مختلفة تماماً . ثانياً : « لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً » . وكلمة « إذ » التى تربط هذا بما سبق هامة للغاية ، فالناس يتزوجون للمحافظة على الجنس البشرى ، بيد أنه حيث لا يوجد موت فلا ضرورة للزواج . ولم يقل يسوع إنهم لن يموتوا ، بل إنهم « لا يستطيعون » أن يموتوا . فنوعية الحياة فى الدهر الآتى ستكون مما لا يمكن للموت أن يقترب منها . ثالثاً : إنهم « مثل

الملائكة وهم أبناء الله » . وربما صاغ لوقا عبارة « مثل الملائكة » لأنها لم تظهر قبل هذه الفقرة . ومعناها يتضمن التمتع ببعض خاصيات الملائكة ، لأن المقصود يتضمن أكثر من مجرد حالة . بل هى مسألة طبيعية ووظيفة . فالزواج ما زال فى الفكر . وثمة ما يفيد أن المؤمنين هم بالفعل « أبناء الله » . فقد ولدوا ثانية ، ونالوا التبنى من العائلة التى يستطيعون فيها أن يقولوا « ياأبانا » . إلا أنه ثمة ما يفيد أن بنوتهم لن تستكمل إلا فى الدهر الآتى ، وهذه هى الصورة الأكمل التى نفكر فيها هنا . وعدم الزواج ، إذا جاز القول ، لا يعنى ، تخفيض مستوى العلاقات لكى تكون الحياة فى مستوى أدنى . بل بالأحرى هى حياة ارتفعت إلى ملء الحياة فى العائلة السمائية ، ويضيف لوقا السبب ، « إذ هم أبناء القيامة » (وهى عبارة لا توجد فى الموضوعات المناظرة) . وقيامتهم دليل على أنهم يمتلكون تلك النوعية من البنوة التى تمكنهم أن يقارنوا بالملائكة .

٣٧ و ٣٨ : ولم يقتنع يسوع بتجنب السؤال . بل استطرد ليبين أن القيامة أُشير إليها فى العهد القديم . وعلاوة على ذلك لم يستشهد بآية غامضة ، أغفلت حتى ذلك الحين ، بل استشهد بفقرة لها أهميتها القصوى والتى أعلن الله بها اسمه بكل ما يعنيه ذلك . فهو يتحدث عن أمر « العليقة » (مز ٣ : ١ ــ ٦) . والكتاب المقدس فى ذلك الحين لم يكن مقسماً إلى أصحاحات وآيات وكان لا بد من الإشارة إليه على ضوء المحتوى . فالله دعى هنا « إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب » . وكان هؤلاء الآباء المذكورين قد ماتوا بالطبع منذ زمن طويل عندما قيلت هذه العبارة . ولذلك فالقول بأن الله « ليس هو إله أموات بل إله أحياء » لا يمكن أن يكون قولاً صحيحاً إلا إذا كان هؤلاء أحياء فى العالم الآخر . والبديل لهذا هو أن يكون الله ، هو إله كائنات ليست موجودة ، وهذا هو الغباء عينه . ويرى كيرد **Caird** ، أن الجدل يمكن أن يعاد كى يقوم على أساس القوة العظيمة التى فى عصرنا . فكل حياة ، هنا ، أو مستقبلاً ، تتوقف على العلاقة مع الله ... والموت قد ينهى الحياة المادية ، إلا أنه لا يستطيع أن ينهى علاقة ــ هى بطبيعتها ــ أبدية . قد يفقد الناس أصدقاءهم بالموت ، ولكن الله ليس كذلك ، ويقيننا فى القيامة لا يقوم على أساس عقيدة تخمينية فى خلود الروح ، بل على حقيقة محبة الله الخالدة .

ويضيف لوقا بعض الكلمات التي لا تتضمنها الرواية الأخرى « لأن الجميع عنده أحياء » . بالنسبة لنا ، هم موتى . ولكنهم ليسوا كذلك بالنسبة لله . فالموت لا يستطيع أن يقطع علاقتهم بالله . وثمة قول يهودى معاصر يقارب هذا « أولئك الذين يموتون لأجل الله يعيشون له » (والتركيب مطابق لما جاء فى بشارة لوقا) « تماماً كما إبراهيم وإسحق ويعقوب ، وكل الآباء » ٤ مكابيين ١٦ : ٢٥ .

٣٩ و ٤٠ : وبهذا انتهت مناقشة الصدوقيين . وبعض « الكتبة » من أعضاء جماعات أخرى غالباً من الفريسيين ، امتدحوا يسوع قائلين إنه « حسناً قلت » « لقد كانت هذه إجابة عظيمة شافية » . ولم يكن للصدوقيين شعبية . كان الكثيرون سعداء أن يروهم وقد أفحموا حتى أنهم « لم يتجاسروا أيضاً أن يسألوه عن شيء » .

٣ ــ ابن داود (لو ٢٠ : ٤١ ــ ٤٤) .

لقد أنهى يسوع جلسة الأسئلة بسؤال من جهته . والمشكلة التي وصفها نبعت من عادة قديمة فى اعتبار الأجيال السابقة أعظم وأحكم من الجيل الحالى . وكان داود الملك المثالى وطبقاً لهذا التقليد تعتبر سلالته أقل منه . لكن داود نفسه أشار إلى المسيا بصفته « الرب » (مز ١١٠ : ١) . فكيف إذاً يكون هو « ابن داود » كما قال الكتبة ؟ ولا يقصد لوقا بالطبع أن يقول إن يسوع ينكر نسبه . لقد وضح لوقا هذا مراراً وتكراراً (لو ١ : ٢٧ ، ٣٢ ، ٦٩ ، ٢ : ٤ ، ٨ : ٣٨ وما بعدها) . وقصته عن الميلاد العذراوى والتى يعرف منها قراء إنجيله أن يسوع كان موجوداً قبل الميلاد ، تبين أنه حتى مع منطق الكتبة يكون يسوع أعظم من داود . إلا أن السؤال المطروح هو ، كيف فسر الكتبة المزمور ؟ ويوضح يسوع أيضاً سوء فهمهم للمسيا . فأولئك الذين استخدموا لقب « ابن داود » (لو ١٨ : ٣٨ ، ٣٩ ، مت ٢١ : ٩) يتخيلون أن المسيا جاء ليهزم كل أعداء إسرائيل ويقيم مملكة جديدة لداود . وكانوا يعتقدون أن « ابن داود » سيكون مشابهاً لداود حتى فى حياته ، وأرائه وإنجازاته . وليس ثمة نقص فى الكتابات اليهودية عن الفترة التي تتكلم عن ابن داود فى إطار نظرة قومية ضيقة تتطلع إلى انتصار إسرائيل على كل أعدائها (مزامير سليمان مثلاً) . ويريدنا يسوع أن نعرف أنه لم يكن ابن داود بهذا

المعنى التافه . فهو الرب ، المالك لقلوب الناس وحياتهم . وأن تدعوه رباً وأنت تعني ما تقول هو أن تراه أعظم بما لا يقاس من أن يكون داود آخر .

و ــ تحذير من الكتبة (لو ٢٠ : ٤٥ ــ ٤٧) .

ثم حذر يسوع تلاميذه من الكتبة . و « الطيالسة » هي ملابس تشير إلى علو المنزلة وتدل على أن لابسها من عليه القوم . وليسوا من أصحاب المهن أو الحرف الذين يتكسبون رزقهم بعملهم . فأمثال هؤلاء لا يرتدون مثل هذه الملابس الفاخرة . أما تحيات الإجلال والمجالس الأولى فى المجامع والولائم فهى من المظاهر الأخرى التى تشير إلى العظمة والتى كان يشتهيها الكتبة . ومع أنهم يحبون أن يظهروا أمام الناس وهم فى حلل العظمة والأبهة إلا أنهم ما كانوا يهتمون بمظهرهم أمام الله . فأكل بيوت الأرامل ، يشير إلى ضرر للأرامل ، ومن الفئة التى لا حول لها فى المجتمع . كان محظوراً على الكتبة أن يقبلوا أجراً نظير التعليم . لأنه كان من واجبهم أن يجعلوا معارفهم وعلمهم متاحاً للجميع دون مقابل . إلا أنه لم يكن هناك مانع يحول دون تقديم المنح والهدايا للمعلمين . وكان هذا يفسر على أنه بمثابة مكافأة وتقدير . ومن الجلى أن بعض الكتبة كانوا يشجعون الأرامل سريعات التأثر والحساسية بأن يقدمن هبات تفوق قدراتهن . ومن مساوئهم أيضاً أن صلواتهم كانت تتميز بالطول لا بالعمق . ومثل هذه الصلوات لها مظاهر التقوى ، وحيث أنها كانت تقام « لعلة » فمن ثم لا فائدة منها . يتظاهر الكتبة بالتقوى بيد أن خبثهم وضلالهم سيؤدى بهم إلى « دينونة أعظم » وهم يحبون الظهور أمام الناس بمظهر « العظمة » . وإذا كان رياؤهم يتسم « بالعظمة » إلا أن دينونتهم ستكون « أعظم » .

ز ــ تقدمة الأرامل (لو ٢١ : ١ ــ ٤) .

١ و ٢ : ويظهر أن « الخزانة » هو الاسم الذى أطلق على قسم من رواق النساء . حيث توجد ثلاثة عشر صندوق تحصيل على شكل بوق . وكل صندوق عليه كتابة تشير إلى الجهة التى تنفق فيها متحصلاته . هنا رأى يسوع « الأغنياء » يقدمون عطاياهم ، ولم يذكر لوقا هذا ، لكنه لمح إلى أن البعض على الأقل كانت عطاياهم كبيرة . وعلى النقيض من ذلك كانت تقدمة « أرملة »

مسكينة Pemichra . والكلمة التى استخدمها لوقا ليست عادية فى العهد الجديد وربما أراد أن يؤكد بها الفقر المدقع . وكانت مجالات الكسب المتاحة أمام الأرملة قليلة فى القرن الأول فى اليهودية ، وكانت الحياة بالنسبة لها ستكون صعبة قاسية . وهكذا أصبحت الأرملة المسكينة رمزاً لأفقر طبقات المجتمع .

قدمت هذه الأرملة « فلسين » فقط من العملة النحاسية ، والكلمة تشير إلى عملة يهودية صغيرة (وهذه بالصدفة هى العملة الوحيدة اليهودية التى ورد ذكرها فى العهد الجديد) ، وكانت قيمتها النقدية طفيفة (ويقدرها قاموس الكتاب بـ $\frac{١}{٨}$ سنت أمريكى . وغالباً ما يقول المفسرون إنه لم يكن يُسمح بأن تقل التقدمة عن « فلسين » فهذا هو حدها الأدنى . أما ما جاء بالتلمود فيما يتعلق بهذا الموضوع فلا ينص على أن تقدمة الفلس الواحد ممنوعة . بل ينص على أن الإنسان لا يجب أن يضع فلساً واحداً فى صندوق الصدقات إلا بعد فحص حالته .

٣ و ٤ : ويبين يسوع أن القيمة المالية للتقدمة ليست هى كل شىء . فثمة قصد ونية انتهيا بالأرملة إلى أن تقدم أكثر مما قدمه الجميع . وإذا ما أخذنا ما قاله يسوع حرفياً ، نجده لا يعنى أن المرأة قدمت « أكثر من أى واحد منهم » بل « أكثر منهم أجمعين » . وإذا ما كان المعيار هو ما تبقى بعد العطاء ، لفاقتهم جميعاً . لأنهم أعطوا « من فضلتهم » وهكذا تبقى لهم الكثير . أما الأرملة فأعطت كل ما تملك . وهذه تقدمة وتضحية حقة .

ح ــ حديث عن الأخرويات (٢١ : ٥ ــ ٣٦) .

ورد هذا الحديث فى الأناجيل المتشابهة ، إلا أنه ثمة بعض الاختلافات بينها . وثمة بعض مشاكل محيرة بالنسبة لتفسيرها ، وأبرزها تلك التى نجمت من حقيقة أن جزءاً من الكلام يبدو وأنه ينطبق على نهاية العالم . وآخر ينطبق على خراب أورشليم . وفى بشارة لوقا يبدو أن التميز بينهما أوضح مما هو فى البشائر الأخرى وبعض العلماء يرون فى هذا إسهاماً واضحاً من جانب لوقا فى علم الأخرويات . ويلاحظ إليس Ellis أن هذه الأقوال تبرز لنا مشاكل ، إلا أنه يرى عاملين يجب أخذهما فى الحسبان : لقد تحدث يسوع بالفعل عن نهاية

العالم ، وعن مدة كبيرة غير محدودة قبل النهاية . وتعبر هذه الأقوال عن يقينية يسوع من النصر العظيم ، على الرغم من الأيام الحالكة المتوقعة . وتنتهى بتحذير مثير للتلاميذ بأن يسهروا ولا يستسلموا للإحباط أمام مشكلات هذا العالم .
وجزء كبير من اللغة المستعملة هنا تذكرنا بفقرات فى العهد القديم (٢أخ ١٥ : ٦ ، إش ٨ : ٢١ وما بعدها ، ١٣ : ١٣ ، إر ٣٤ : ١٧ مثلاً) .
وقد تكون هذه وسيلة للتأكيد على أن ما كان يصفه يسوع إنما هو عقاب إلهى .

١ — العلامة (لو ٢١ : ٥ — ٧) .

وكانت أقوال يسوع رداً على سؤال التلاميذ عن علامة الخراب الآتى . ففيما هم خارجون من الهيكل (مر ١٣ : ١) علق واحد منهم على عظمة أبنيته . و « الحجارة الحسنة » ، كانت حجارة عظيمة استخدمت فى إقامة البناء (ولا تزال توجد بعض الحجارة الضخمة من « حائط المبكى » ، بيد أن هذه كانت من ملحقات الهيكل وليست فى الهيكل ذاته) . وطبقاً لما يقوله يوسيفوس ، كان بعضها يصل طوله إلى ٤٥ ذراعاً ، وكانت التقدمات من الأشياء الزخرفية الثمينة مثل الكرمة الذهبية التى قدمها هيرودس والتى كانت تتدلى منها عناقيد العنب الكبيرة المصنوعة من الذهب الخالص . وتضمنت إجابة يسوع نبوءة عن خراب الهيكل على نحو كامل شامل . ولذلك سأل التلاميذ متى يكون هذا وما هى العلامة التى تسبقه .

٢ — حروب بين الأمم (لو ٢١ : ٨ — ١١) .

لم يعط يسوع علامة واحدة ، إلا أنه حذر تلاميذه ألاّ يضلوا وسط هذه الأحداث الفظيعة التى ستتم فى حينها .

٨ : حذرهم يسوع « ألا يضلوا » ثم تحدث عن مسحاء كذبة ، أولئك الذين يأتون « باسمى » أى يدَّعى كلٌ أنه المسيح . وسوف يقولون « إنى أنا هو » . على الرغم من أن كلمة « هو » لا تعنى بالتحديد « المسيح » . والإدعاء بالنسبة لمن يأتون باسم المسيح ، جاء بعد نبوءة تفيد أن « الزمان » ، أى نهاية العالم ، زمان الخلاص العظيم ، قد قرب . فلم يكن يسوع يتنبأ بنهاية العالم إبان حياة الناس الذين كانوا معاصرين آنذاك . فَوَصَفَ أولئك الذين

يتنبأون بأنهم أنبياء كذبة .

٩ ـــ ١١ : ولن يكون ثمة مسحاء كذبة فى اليهودية فحسب ، بل ستكون هناك قلاقل بين الأمم بشكل عام . ويحذر يسوع تلاميذه « ألا يجزعوا » إذا ما سمعوا بحروب وما إلى ذلك . فمثل هذه القلاقل ستأتى كما ستوجد ظواهر طبيعية « كزلازل .. مجاعات وأوبئة وعلامات عظيمة (لم توضح)من السماء أى بين النجوم » .

٣ ـــ اضطهاد (لو ٢١ : ١٢ ـــ ١٩) .

ومن الواضح أن أزمنة القلق التى تحدث عنها يسوع ستكون أوقات شدة عظيمة بالنسبة لأتباعه . سيضطهدون ، إلا أنه سيكون لهم ما يواجهون به هذه الأمور .

١٢ : ستحل المتاعب بالكنيسة قبل أن تحل على العالم ككل . ولم يقل يسوع من « هم » الذين سوف « يلقون أيديهم » على التلاميذ و « يضطهدونهم » . إنها إشارة عامة إلى السلطات المعارضة . وكثيراً ما يغلب علينا الفكر أن « المجامع » هى أماكن العبادة ، بيد أننا لا يجب أن نغفل مجالات عملها العريضة كمراكز للإدارة والتعليم . لقد كانت تشكل قلب الحياة اليهودية ، فهى دور للقضاء ، تسن القوانين وتطبقها (بالمقارنة مع لو ١٢ : ١١) . واستخدام هذه العبارة يدل على أن تلاميذ المسيح عليهم أن يتوقعوا مقاومة اليهود لهم . أما « السجون » فتشير إلى يقينية إدانتهم ، بينما الإشارة إلى « ملوك وولاة » تبين أنهم سيلقون الإضطهاد من جانب السلطات الوثنية « الأممية » كما اليهودية أيضاً .

١٣ ـــ ١٥ : وهذه ليست بلية بسيطة، بل هى فرصة « للشهادة » . وهذا لا يقصد به ممارسات خطابية حماسية . بل تعنى الشهادة لما فعله الله من أجل البشر . وسيدبر الله لهم الوسائل التى تعينهم على القيام بذلك . وليس عليهم حتى أن يعدوا مسبقاً ما سيقولونه (الفعل فى اللغة اليونانية يفيد إعداداً مسبقاً لما سيقال ، وهو مصطلح فنى لإعداد خطاب) . وهذا بالطبع ليس له علاقة بالعظات و المحاضرات التى يجب على المسيحيين أن يقوموا بإعدادها بكل أمانة وإخلاص مثلهم فى ذلك مثل أى شخص آخر . بل تشير إلى الإجابات

التى ستطلب منهم فجأة ، أمام سلطات معادية فى أزمنة الاضطهاد . وفى أوقات كثيرة كهذه سيعطيهم يسوع فماً و حكمة (بالمقارنة مع لو ١٢: ١١ وما بعده) ، وفصاحة وبلاغة وذكاء . سيكون لها فعاليتها حتى أن الأعداء يعجزون عن مقاومتها أو نقضها .

١٦ و ١٧ : ولم يقلل يسوع من خطورة هذه الأحداث ، حيث تنقسم العائلات على نفسها ، البعض يشون بأقاربهم ، حتى أقرب الأقرباء . ويوضح يسوع أن ما قاله للتو لا يعنى أن المؤمنين يظلون واثقين من نجاتهم . فالبعض لن ينجوا . والمؤمن يمكنه أن يثق فى أن الله مسيطر على كل شيء وأنه ينفذ مشيئته ، إلا أنه لا يمكنه التأكد من موقعه بالنسبة لهذه المشيئة . قد يستشهد ويأتى إلى نصرته الأبدية من خلال الموت ، أو أنه قد ينجو ويبقى على قيد الحياة ولكن يجب أن تتركز ثقته فى نصرة الله ، لا فى كيفية إتمام ذلك فى حياته هو . وستأتى المقاومة لا من العائلة فقط بل من العالم كله وسيكره العالم تلاميذ المسيح ، كما سبق وكرهوه هو (بالمقارنة مع يو ١٥ : ١٨ وما بعدها) .

١٨ و ١٩ : وللوهلة الأولى تناقض هذه الأقوال ما سبقها ، و التوفيق بينهما يكمن فى الثقة بسيادة الله الغالية . فالعالم لا يستطيع أن يضر خدام الرب ما لم يسمح هو بذلك « شعرة من رؤوسهم لا تهلك » . و يعتقد بنجل Bengel أننا سنفهم المعنى إذا ما أضفنا إلى ذلك عبارة « دون سماح خاص من الله ، أو دون مجازاة ، أو قبل أوانها . ويعتقد البعض ومنهم بلومر Plummer ، أنها تمثل إشارة إلى السلام الروحى ، إلا أن هذا بالكاد يناسب صيغة الكلام . ويقول آخرون ، إنه فى حين أن الأفراد قد يهلكون ، إلا أن جماعة التلاميذ سيكونون فى سلام ، إلا أن نفس الاعتراض ينطبق على هذا الرأى . ويبدو أنه من الأفضل أن ندرك أن يسوع كان يوجه عقولهم إلى سيطرة الله وغايته وقصده . وعلى ضوء ذلك ينصحهم بأن يتحملوا ويصبروا حتى يخلصوا . والمثابرة مطلوبة حتى النهاية ، وليس مجرد مقاومة عارضة .

٤ ــ خراب أورشليم (لو ٢١ : ٢٠ ــ ٢٤) .

يوضح البشير لوقا أن هذا القسم من كلام السيد المسيح يشير إلى خراب

أورشليم وليس إلى نهاية الزمان . وعن هذا الموضوع نجد فى بشارة لوقا ما لا نجده فى البشائر المتشابهة الأخرى ، وعلى النقيض من ذلك ، يترك لوقا أشياء تضمنتها تلك الأناجيل ، مثل الإشارة إلى « رجسة الخراب » (مت ٢٤ : ١٥ ، مر ١٣ : ١٤) والتى ما كانت تعنى الكثير بالنسبة لقرائه من الأمم .

٢٠ : إنه لمن الصعب أن نتبع مبررات النقاد الذين يدعون أن هذه الآية تبين أن البشير لوقا كان يكتب بشارته بعد سقوط أورشليم . فالنبوءة ذات صيغة عامة للغاية ، وما من إشارة تفيد معرفة البشير لوقا لبيانات كتلك التى وردت فيما كتبه يوسيفوس مثلاً . وهو أمر قد يكون له مغزاه ، فى حين أن كيرد Caird يرجع تاريخ هذه البشارة إلى ما بعد عام ٧٠م ، إلا أنه يرفض اعتبار هذه النبوة دليل على هذا . وعلى النقيض من ذلك فهو يعتقد أن لوقا يستعمل مصدراً كُتِبَ قبل خراب المدينة . ويقول أيضاً إنه لا يمكن الشك فى أن يسوع كرر التنبؤ بالمصير المرعب الذى تسرع إليه أورشليم ، واسم المفعول الذى ترجم « محاطة » يعنى « قد تم حصارها » (بالمقارنة مع ما قاله ريو Rieu ، عندما ترون الجيوش وقد أطبقت حول أورشليم) ولو كان الحصار كاملاً ، لما أمكن تنفيذ توصيات يسوع .

٢١ و ٢٢ : إبان الحروب يحتمى الناس بالمدن الحصينة . ويقول يسوع لسامعيه إنه بالنظر إلى خراب أورشليم الوشيك عليهم أن يبتعدوا عنها قدر استطاعتهم . و« الجبال » هى المكان الذى لا تصل إليه الحرب ، ولذلك فهى أكثر الأماكن أمناً . والحق ، أنه عندما بدأ الرومان غزو أورشليم ، هرب معظم المسيحيين إلى بلا Pella ، وهى أحد العشر مدن التى يطلق عليها باليونانية ديكابولس وتقع عبر الأردن جنوب بحر الجليل (ويقول يوسيبيوس إنهم ذهبوا استجابة لإعلان إلهى ، وهو بهذا إما أنه كان يقصد كلمات يسوع ، أو إنذاراً لاحقاً مشابهاً من أحد الأنبياء المسيحيين ، انظر تاريخ الكنيسة Historia Eccksiastica ـــ الجزء الثالث) . و« أيام انتقام » أو « وقت النقمة » (الترجمة الإنجليزية الحديثة بالمقارنة مع مز ٩٤ : ١ ، إش ٣٤ : ٨ إلخ) وهى أيام يجازى فيها الناس عن شرورهم . وما هو عتيد أن يلمّ بأورشليم ليس أمراً عشوائياً ، بل هو عقاب جلبته على نفسها . وتمام المكتوب يبين أن العقاب الإلهى قد وقع ونفذ فعلاً .

٢٣ و ٢٤ : والحصار لا بد وأن يعانى منه الجميع ، وخاصة بالنسبة للحوامل والمرضعات . إلا أن الخراب سيكون شاملاً . و« الضيق » سيعم الأرض و« سخط » على الشعب . ويقول يوسيفوس إنه تم أسر ٩٧٠٠٠ خلال الحرب وقتل فى الحصار ١,١٠٠,٠٠٠ . وحتى إذا ما اعترفنا بأن ثمة مبالغة فى هذه الأعداد ، فمن الواضح أن عدد القتلى كان مذهلاً [1] . ثم تحدث يسوع عن « أزمنة الأمم » ، وهذا ليس تعبيراً سهلاً ، وثمة افتراضات عديدة لتفسيره : أزمنة الأمم لتنفيذ دينونة الله ، أو لعلو مركز الأمم على إسرائيل ، أو لممارسة الامتيازات التى كانت حتى ذلك الحين قاصرة على إسرائيل ، أو وصول بشارة الإنجيل لهم . والإشارة إلى تلك الأزمنة بأنها « أكملت » تشير إلى أنها تتضمن هدفاً إلهياً .

٥ ــ مجىء ابن الإنسان (لو ٢١ : ٢٥ ــ ٢٨) .

وفى رأى معظم العلماء أن الإنتباه مركز الآن على مجىء ابن الإنسان . وبالطبع ، يوجد الكثيرون الذين يعتقدون أن الإشارة تتعلق بسقوط أورشليم ، ومن بينهم تاسكر Tasker على سبيل المثال ، عند مناقشة الفقرة المناظرة فى بشارة متى . لكن يبدو أن اللغة تلائم بالأكثر موضوع المجىء الثانى (الآية ٢٧ بالمقارنة مع الآية ٣٥ مثلاً) . ويشير يسوع إلى علامات تسبق مجيئه ويوصى تلاميذه أن يثبتوا .

٢٥ و ٢٦ : وفى لغة مجازية رؤوية يتحدث يسوع عن علامات سمائية . وليس من السهل أن نعرف إلى أى مدى قصد أن يؤخذ معنى هذه الكلمات حرفياً . ومثل هذه اللغة تستخدم غالباً فى الكتابات الرؤوية لتشير إلى تغير مفاجىء وعنيف وظهور نظام جديد . وعلى أية حال ، فإن هذا سيشكل الجزء الرئيسى للمعنى المقصود هنا . فالناس سيعمهم خوف واضطراب . وسيعرفون

---

(١) يبدو أن أورشليم لم تكن تحتمل الأعداد التى يتحدث عنها يوسيفوس يقول يواكيم جرمايا إنه فى وقت الفصح كان هناك ثلاث مجموعات من المتعبدين الذين أتوا ليقدموا ذبائحهم . وقد تجمع فريقان منهم فزحموا الدار الخارجية ، فلو كان كل رجلين (ومعهما ذبيحتان) يشغلان متراً مربعاً فإن الدار الخارجية تسع ٦٤٠٠ . وحيث أن الفريق الثالث لم يكن كبيراً فيكون المجموع الكلى ١٨٠٠٠ . وإذا اعتبرنا أن كل عشرة أشخاص يحضرون مع ذبيحة واحدة فيكون العدد ١٨٠٠٠٠ . أما فى الأحوال العادية (أى فى غير موسم الفصح) فيكون العدد ما بين ٢٥ ، ٣٠ ألفاً .

أن أموراً غريبة تحدث ، لكنهم لن يعرفوا ما يوشك أن يحل بهم .

٢٧ و ٢٨ : ويقول يسوع إنه سيأتى « بقوة ومجد كثير » . ويعتقد تنسلى وآخرون Tinsley ، أن هذا يعنى المجيء إلى الله (كما فى دا ٧ : ١٣) ، إلا أن هذا معنى غير طبيعى لاسم الفاعل erchomenon الذى يعنى « آتياً » وليس « ذاهباً » [1] . والحضور بمجد يشير إلى سلطان عظيم . ولوقا وحده هو الذى يذكر قول يسوع « فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم » . وعندما تبدأ هذه العلامات فى الحدوث لا يجب على تلاميذ المسيح أن يكتئبوا . فنجاتهم تقترب . و« الفداء » يعنى عتقاً بعد دفع الثمن . وثمة معنى بأن الفداء قد تحقق أخيراً على الصليب ، بيد أن الكشف عن مضمونه الكامل لا يزال أمراً متعلقاً بالمستقبل وهذا هو ما كان يتحدث عنه يسوع .

٦ ـ مثل شجرة التين (لو ٢١ : ٢٩ ـ ٣٣) .

هذا المثل الصغير ورد بكل الأناجيل المتشابهة ، على الرغم من أن لوقا وحده أضاف عبارة « وكل الأشجار » فى حديثه عن « شجرة التين » وظهور الأوراق على الأشجار يبين أن الصيف قريب . وعلى نفس الوتيرة تبين ظهور العلامات التى ذكرت أن ملكوت الله قريب . وليس من الهين أن نعرف ماذا قُصد بعبارة « هذا الجيل » الذى لا يمضى قبل أن « يكون الكل » . البعض يرى هذا إشارة إلى الناس الذين كانوا أحياء آنذاك ، ويرون أن هذا قد تحقق بسقوط أورشليم . بيد أن النص يعارض هذا ، ما لم نعتبر مع بلومر Plummer أن سقوط أورشليم هو نموذج من النهاية . وكثيرون يعتقدون أن يسوع كان يتنبأ عن نهاية كل شيء خلال سنوات قليلة رغم أن هذا لم يحدث . وبالنظر إلى إنكاره الصريح معرفة هذا الأمر (مر ١٣ : ٣٢) يبدو أن هذه الفكرة بعيدة الإحتمال . وعلاوة على ذلك ، وكما أشار نقاد كثيرون ، يستحيل القول إن لوقا الذى سجل هذه الكلمات قد فهمها على هذا النحو . وفى الكنيسة الأولى ، كان يفهم أن جيل تلاميذ المسيح هو المقصود ، كى يثابر المختارون حتى النهاية . وآخرون يرونها إشارة إلى الأمة اليهودية . والبعض إعتقد

---

(١) يقول F. F. Bruce إنه بمقارنة كلمة آت مع ما جاء فى مر ١٣ : ٢٦ نجد أنها تعنى الإتيان إلى الأرض وليس الذهاب إلى السماء .

أن لوقا كان يقصد أن تفهم بمعنى « الجنس البشرى » . ويلفت لنسكى Lenski الانتباه إلى الاستعمال المتكرر لكلمة « جيل » فى العهد القديم لتشير إلى نوعية من الناس وخاصة « الأشرار » (مز ١٢ : ٧ مثلاً) إلا أنها تشير أيضاً إلى الأبرار (مز ١٤ : ٥ مثلاً) . وعلى نفس القياس يشير إليس Ellis إلى أنه فى مخطوطات قمران تأتى عبارة « الجيل الماضى » ، ومن الواضح أنها كانت تشير إلى أعمار عديدة . ويبدو أن يسوع كان يعنى شيئاً من هذا القبيل . وهذا الاستعمال غير العادى لكلمة « جيل » يركز على نوعية من الناس ستجاهد حتى النهاية . والتعبير يعنى الحلقة الأخيرة فقط من تاريخ الفداء ... الظهور العلنى للملكوت قريب . بيد أن ميعاده الزمنى ترك بلا تحديد . وتنتهى الفقرة بالتأكيد على أن كلمات يسوع لها استمرارية لا علاقة لها بالعالم المادى .

٧ ــ كونوا مستعدين (اسهروا : لو ٢١ : ٣٤ ــ ٣٦) .

وأتباع المسيح يجب أن يعيشوا فى ضوء هذه الأحداث المثيرة المتوقعة وألا يستسلموا لإغراء محاكاة أهل العالم . « خمار » هى الحالة البغيضة الناجمة عن الإفراط فى الخمر . « خمار وسكر » تشير إلى خطايا بغيضة بالنسبة للمسيحى ، إلا أنه وكما يقول رايل Ryle « ما من خطية كبيرة لا يتعرض لها قديس عظيم ، وما من قديس عظيم إلا وهو معرض للسقوط فى خطية عظيمة . « هموم الحياة » وهى الأكثر غدراً بمراحل كثيرة . إلا أن السقوط فى أحدهما يبعد الإنسان عن حالة الإستعداد . والآية (٣٥) توضح أن يسوع كان يتحدث عن نهاية كل شىء ، والآية (٣٦) تبين أنه تقع على عاتق أتباع المسيح مسئولية خاصة . والصلاة التى يحث أتباعه عليها تتضمن إتجاهاً فى الحياة ، للهرب من الخطايا والبعد عن مشاكلة أهل العالم لأن المؤمن عليه أن يوجه كل تفكيره لخدمة الرب « وتقفوا قدام ابن الإنسان » . أى التمتع بالخلاص الكامل .

ط ــ التعليم فى الهيكل (لو ٢١ : ٣٧ و ٣٨) .

ويختم لوقا هذا الجزء من بشارته بالحديث عن عادة يسوع فى ذلك الحين ــ كان يعلم فى الهيكل نهاراً ويبيت فى الجبل الذى يدعى جبل الزيتون ليلاً

والفعل فى اللغة اليونانية إذا ما ترجم بدقة يعنى أن يسوع كان يعسكر بصفة مؤقتة على الجبل . إلا أننا لا نستطيع الإصرار على هذا المعنى لأن التعبير يستعمل أحياناً بالنسبة لإقامة دائمة وخاصة أنه كان هناك قرويون فى هذه الناحية .

سابعاً : الصلب

(لو ٢٢ : ١ ــ ٢٣ : ٥٦)

فى كل قصة الصلب نجد أن ما ذكره البشير لوقا له ما يناظره فى البشائر المتشابهة الأخرى ، إلا أنه ذكر أيضاً الكثير من المعلومات التى تفردت بها بشارته . ومن الممتع أنه كان يشترك مع يوحنا أحياناً فيما كتبه ... فهو يؤكد براءة يسوع وإتمام المكتوب (وهذا بالطبع يعنى تنفيذ القصد الإلهى) .

أ ــ الخيانة (لو ٢٢ : ١ ــ ٦) .

١ : و « الفطير » ليس هو « الفصح » (عد ٨ : ١٦ وما بعده) . إلا أن الحدثين يقعان معاً . ويمكن إعتبارهما عيداً واحداً . وأحياناً يفرق يوسيفوس بينهما عند الحديث عنهما ، إلا أنه ، مثل البشير لوقا ، قد يطلق نفس الإسم على كليهما . وكل البشائر تجمع على أن الصلب وقع يوم جمعة فى الفصح . ولكن ، هل توافق الفصح مع العشاء الأخير كما يبدو من الأناجيل المتشابهة ؟ ، أو مع صلب المسيح (كما فى بشارة يوحنا) فهذه واحدة من أصعب المشاكل التى تواجه مفسرى العهد الجديد . البعض يرى تناقضاً تاماً ويختار فكرة منهما . وآخرون يرون تاريخ الأناجيل المتشابهة صحيح ويرون أن يوحنا يتفق فى الواقع معها . ثم يعود البعض ويعتقدون أن رأى يوحنا هو الأصوب وأن الأناجيل المتشابهة لا تختلف عنه . وقد يكون أفضل تفسير هو أنه كانت هناك فى ذلك الوقت تقاويم مختلفة . ولقد صلب يسوع عندما كانت ذبائح الفصح تذبح طبقاً للتقويم الرسمى : لكنه أكل الفصح مع تلاميذه الليلة السابقة طبقاً للتقويم غير الرسمى . ويتفق مع هذا أنه ، بينما تصف الأناجيل المتشابهة كلها الوجبة على أنها الفصح ، لم يذكر أحدها خروفاً ، وهو مركز الإحتفال (والذى ما كان يمكن الحصول عليه دون موافقة سلطات الهيكل) . ومن

المصادفة أن يرى بلومر Plummer أن غياب ذبيحة الفصح أمر له أهميته . لأن يسوع كان يبدأ فصحاً جديداً ، وليس الاستمرار فى أمر قديم (التعليق على الآية ١١) .

٢ : وأخذ « رؤساء الكهنة والكتبة » زمام المبادرة بالنسبة لمقاومة يسوع . وفى البشائر كلها نجد الفريسيين يشكلون الخصوم الرئيسيين للمسيح إبان إرساليته كلها ، بيد أن زمرة رؤساء الكهنة أخذوا الزمام فى النهاية . وهم الذين كانوا يتمتعون بالقوة السياسية . إلا أن هذه السلطلة لم تكن بغير حدود ، ويركز لوقا على صعوبة واحدة اعترضت طريقهم : « لأنهم خافوا الشعب » . والقبض على يسوع علانية قد يثير شغباً بين الحجاج المتحمسين سريعى الاهتياج ، والكثيرون منهم كانوا يساندون يسوع . ولم يستطع رؤساء الكهنة تحمل هذه المجازفة .

٣ و ٤ : ويفسر البشير لوقا ما اقترفه يهوذا بقوله إن الشيطان دخله (بالمقارنة مع يو ١٣ : ٢٧) . إلا أن لوقا ، أو أيا من البشيرين الآخرين لم يذموا يهوذا ، واكتفوا بذكر الحقائق وأوضحوا فقط شناعة الخيانة بقولهم إنه « وهومن جملة الإثنى عشر » . أخذ يهوذا مبادرة الخيانة من جانبه ولجأ إلى الحزب المعادى . ولوقا وحده هو الذى يذكر أن « قواد الجند » (قواد حرس الهيكل) اشتركوا فى المؤامرة . أما لماذا خان يهوذا يسوع ، فهذا غير واضح . وكان من بين بواعث ذلك ، جشعه الشديد للمال (مت ٢٦ : ١٤ وما بعدها) ، وهذا يجيء مباشرة بعد قصة دهن يسوع بالطيب ، وما قيل حينئذ عن الإتلاف (يو ١٢ : ٦) . وحاول البعض أن يظهروه على نحو أفضل مقترحين ، على سبيل المثال ، أنه كان يحاول أن يجعل المسيح فى وضع يستطيع معه أن يمارس سلطانه و يبدأ ملكوته . وإذا ما أغفلنا اعتباراً هاماً ، وهو أن هذا يجعل يهوذا فى صف واحد مع الشيطان فى قصة التجربة ، كل هذه المحاولات ما هى إلا مجرد تخمينات . وليس لها أساس فى النصوص الكتابية .

٥ و ٦ : وكان طبيعياً أن الأعداء « فرحوا » بارتداد يهوذا وانضمامه إليهم . لقد سهل هذا من مهمتهم . ووافقوا على دفع الثمن (ذكر فى مت

٢٦ : ١٥ فقط) . ونظراً لتمتع يسوع بتأييد شعبي فكان من المهم أن يقبض عليه والمكان خلواً من الجماهير لتفادى تشوب شغب واضطرابات .

ب ــ فى العلية (لو ٢٢ : ٧ ــ ٣٨) .

والقصة الكاملة لما حدث فى العلية فى الليلة السابقة للصلب وردت فى بشارة يوحنا . أما ما ورد فى بشارة لوقا فلا يضاهيها من حيث غزارة المعلومات ، إلا أنها أطول مما ورد فى بشارتى متى ومرقس ، علاوة على أن بشارة لوقا تنفرد بذكر معلومات لا توجد فى البشائر الأخرى .

١ ــ الإعداد للفصح (لو ٢٢ : ٧ ــ ١٣) .

والفصح لم يكن مجرد وجبة أخرى ، بل كان احتفالاً على جانب كبير من الأهمية . ويجب أن يؤكل وهم متكئون ، وكانت له متطلبات أخرى مثل أكل الأعشاب المرة . وهكذا فثمة إجراءات كثيرة كانت لازمة للإستعداد للفصح . ولم تكن هذه الوجبة فردية ، بل كانت تؤكل فى جماعات تضم فى العادة ما بين عشرة إلى عشرين فرداً .

٧ : « يوم الفطير » . وهو تعبير غير معتاد ، ربما يعنى اليوم الذى يستبعد فيه الخمير من البيوت استعداداً للاحتفال بالفصح . وهو اليوم الذى يبدأ فيه الإحتفال المشترك . واليوم الأول يذبح فيه خروف الفصح ، كما جاء فى بشارة لوقا ، وإذا ما كنا على صواب من ناحية وجود اختلاف فى التقويم ، لا يكون هذا اليوم الذى تنحر فيه الذبائح بالفعل ، بل هو اليوم الذى كان من المفروض فيه أن تذبح طبقاً للتقويم الذى كان يسوع يتبعه . والتقويمان كلاهما يوافقان على أن الذبائح كان من المفروض نحرها فى اليوم الأول . والإختلاف هو ، أى يوم كان هذا . « خروف الفصح » ترجمة غير دقيقة وبحسب اليونانية يكتفى بكلمة « الفصح » ويقصد بذلك خروف الفصح ، ولم يكن من الضرورى أن يكون الفصح حملاً ، ولكنه كان فى حالات كثيرة جداً .

٨ و ٩ : أرسل يسوع بطرس ويوحنا ليعدا الترتيبات اللازمة لهذه المجموعة الصغيرة (لم يذكر هذين الإسمين إلا لوقا) . ولم يكن من الغريب أن يسألا : أين ؟ . لقد كانا جليليين وفى حاجة إلى من يرشدهما إلى المكان الذى ينبغى

أن يذهبا إليه فى أورشليم .. وفى مثل هذا الوقت المتأخر لم يكن متاحاً إلا عدد قليل من الأمكنة ، على الرغم من استعداد أهل أورشليم التقليدى فى إعداد مثل هذه الأماكن ودون مقابل .

١٠ و ١١ : يبدو أن يسوع قد سبق وعمل اتفاقات سرية مع مالك أحد البيوت . وبهذا منع يهوذا من خيانته قبل الأوان . كان يسوع مزمعاً أن يقدم نفسه للموت ، لكن فى الوقت الذى يحدده هو ، لا فى الوقت الذى يختاره أعداؤه . ولذلك لم يعرف أحد من التلاميذ أين سيأكلون الفصح . كان على بطرس ويوحنا أن يبحثا عن « إنسان حامل جرة ماء » ، وهذا أمر لافت للنظر ، لأن النساء فى العادة هن اللواتى يحملن جرار الماء (الرجال يحملون القرب) ، وهذا سيقودهم إلى بيت حيث يقولون لصاحبه كلمات معينة ، ومن الواضح أنها صيغة متفق عليها .

١٢ و ١٣ : وصاحب البيت سيريهما « عُلّية كبيرة مفروشة » ، وكلمة مفروشة قد تعنى أن بها أرائك معدة بمفارشها . لقد نفذ التلميذان التعليمات وأعدا للفصح .

٢ ــ العشاء الأخير (لو ٢٢ : ١٤ ــ ٢٠) .

وهنا تبرز فى النص مشكلة غاية فى الصعوبة . فالنص المختصر الذى استندت إليه الترجمة الإنجليزية NEB حذفت الآيات من (لو ١٩ب ــ ٢٠) نجد أن الكأس أعطى قبل الخبز . وفى النص « الأطول » ذكر الكأس مرتين . والنص الأقصر هو المفضل لدى كثيرين على أساس أن الكلمات ما كانت لتحذف إذا ما كانت أصيلة فى النص وأنها منقولة من (١كو ١١ : ٢٤ وما بعدها) حتى تتمشى الفقرة مع الممارسات الطقسية المتداولة . ولقد عورض هذا الرأى بالقول إن الكلمات موجودة فى كل المخطوطات اليونانية ماعدا واحدة (المخطوطة الأصل ــ المصدر D) ، التى قبلها جستن مارتر Justin Martyr سنة ١٥٠ ميلادية (وهذه من أقدم المخطوطات اليونانية المتوافرة لدينا) ، وأنها ربما حذفت بواسطة كتبة لم يفهموا وجود إشارتين للكأس ، وعلى كل حال ، يبدو أن النص الأطول هو ما يجب الأخذ به .

١٤ ــ ١٦ : « الساعة » ، وهى موعد فريضة الفصح . وليس من

الواضح ما إذا كان يسوع يقول إنه اشتهى أن يأكل الفصح ، وهو يأكله الآن ، أو أنه رغم اشتهائه لن يأكل حتى يكمل فى ملكوت الله . وربما كان الرأى الأسبق هو السليم . والإشارة إلى الإكمال « فى ملكوت الله » تشير إلى أن الفصح له مغزى رمزى . فهو بالفعل إحياء لذكرى الخلاص ، إلا أنه يشير إلى خلاص أعظم فى ملكوت الله .

١٧ و ١٨ : وعند أكل الفصح كان لا بد من شرب أربعة كئوس من الخمر . ويبدو أن هذا يشير إلى واحد منها . رغم أنه ليس من السهل تعيين أيا كان المقصود منها . ويعتقد إدرشام أن الإشارة قد تكون إلى الكأس الأول ، الذى يلى كسر الخبز (بالمقارنة مع المشنا) ، إلا أن كسر الخبز والشكر كانت تتبع الكأس الثانى أيضاً ، ولذا فمن الممكن أن تكون الإشارة إلى هذا الكأس . والمشاركة فى الكأس هى علاقة الشركة والتلمذة . ويظهر ثانية إهتمام يسوع بالأخرويات وذلك بتطلعه إلى مجىء الملكوت . لقد أوشكت الحياة التى أمضاها مع التلاميذ على الإنتهاء . ولن تكون هناك معاملات مألوفة معهم بعد ، حتى يأتى ملكوت الله .

١٩ : وأخذ « الخبز » وكسره وتوزيعه كانت سمات ثابتة للاحتفال بالفصح ولا غرابة فيها . إلا أنه عندما أعطى يسوع تلاميذه قال : « هذا هو جسدى » . ولقد أثار هذا القول جدلاً عنيفاً فى الكنيسة . والنقطة الحساسة تتركز حول معنى كلمة « هو » . البعض يقولون إن هذا يعنى تحول الخبز إلى جسد يسوع ، إلا أن الفعل قد يعنى انطباعات كثيرة مختلفة عن الإتحاد بيسوع كما نرى فى التعبيرات « أنا هو الباب » ، « أنا هو خبز الحياة » ، وفى هذه الحالة لا يمكن أن تعنى « التحول » ، لأن جسد يسوع كان موجوداً وهو يكلمهم فى ذلك الحين . ويجب أن تفهم بمعنى « يمثل » أو « يشير إلى » أو ربما « يعبر عن » . والعبارة قوية ولا يجب التقليل منها إلا أنه لا يجب فى نفس الوقت تحميلها أكثر مما تحتمل . أما عبارة « الذى يبذل عنكم » ، والتى وردت بعدها فهى تتطلع إلى الجلجثة وآلام يسوع . وتتحدث عن موت يسوع من أجل البشر . وهذا أمر لا ينبع من ممارسة الفصح . الذى يعبر عن الخلاص وليس عن الموت النيابى . فيسوع يفسر موته فى مضمون الفصح ويوضح أن له مغزى خلاصى . ويعتقد إليس Ellis أن ما قاله عن الجسد والدم هنا ،

لا يمكن تفسيره سوى أنه إشارة إلى العبد المتألم ، الذى بصفته ممثل العهد « سكب للموت نفسه و ... حمل خطية كثيرين » (إش ٥٣ : ١٢) . أما قول المسيح « اصنعوا هذا لذكرى » ، فلا يعنى ، كما يدعى البعض ، أن شركة عشاء الرب ، هى محاولة لتذكير الله بما صنعه المسيح إنما المقصود أن نذكر نحن أى لا ننسى ما صنعه المسيح فالله لا ينسى وليس بحاجة لتذكير .

٢٠ : ومن الواضح أن « الكأس » لم يكن يؤخذ فوراً ، بل بعد وقت قصير لاحق « بعد العشاء » ، أما عملية السكب فتشير إلى الموت على الصليب حيث يبدأ « عهد جديد » . لقد كانت إسرائيل فى علاقة عهد مع الله ، أما الآن فسيصير عهد جديد نتج عن دم المسيح (بالمقارنة مع إر ٣١ : ٣١) . فموته سينشىء طريقاً جديداً للإقتراب من الله ، قال هارنجتون « لقد أوضح يسوع أن موته الوشيك سيكون بديلاً عن ذبائح العهد القديم » وقال مانسون « إن عشاء الرب بالحالة التى تم بها يدل على فداء بناء على موت المسيح كذبيحة » .

٣ ــ نبوءة يسوع عن تسليمه (لو ٢٢ : ٢١ ــ ٢٣) .

إذا كان البشير لوقا يكتب بحسب التسلسل الزمنى فيكون يهوذا إذاً من بين الذين شاركوا فى أول عشاء ربانى . ويثور شك لأن البشيرين متى ومرقس يذكران نبوءة خيانة يهوذا (التى خرج بعدها يهوذا مسرعاً) قبل العشاء الربانى . ومع ذلك ، فما من أحد من البشيرين يضع هذه الأحداث فى تسلسل واضح ولذلك سنظل غير متأكدين . والنبوءة الخاصة بتسليم يسوع حسبما ذكرها البشير لوقا لم ترد بها إشارة إلى الغمس فى الصحفة كما ذكر البشيرون الآخرون ، لكن عبارة « يد الذى يسلمنى هى معى على المائدة » ربما تعنى نفس الشىء وهى علامة صلة وثيقة ولذلك يكون موضوع الخيانة قد ظهر بشكل أكثر فظاعة على ضوء هذه الحقيقة . ثم استطرد يسوع موضحاً أن موته إنما هو قصد إلهى . كان لا بد وأن يموت كما هو « محتوم » (الأناجيل المتشابهة الأخرى تذكر أنه « قد تم المكتوب ») . ولكن هذا لا يعنى أن الخائن برىء . وحقيقة أن الله يتحكم فى الشر الذى يفعله الأشرار ويجعل مشيئته تتم لكن هذا لا يغير من حقيقة كونهم أشراراً . فهم لا زالوا مسئولين عن شرهم . « ويل لذلك الإنسان » ، والأفضل القول « واحسرتاه على ذلك

الإنسان » . فهى ليست عبارة انتقامية ، إنما هى تعبير عن الحزن بشأن مستقبل غير محدد إلا أنه بغيض ، جلبه هو على نفسه . ومن الواضح أن يهوذا أحسن إخفاء أفكاره لأن التلاميذ الآخرين « ابتدأو يتساءلون فيما بينهم ، من ذا الذى كان يقصده يسوع » . ويبدو أنه لم يشك أحد منهم فيه .

٤ ـــ مشاجرة من يكون أكبر (لو ٢٢ : ٢٤ ـــ ٢٧) .

لم يذكر هذه المشاجرة التى كانت فى العلية سوى البشير لوقا . إلا أننا نجد فى بشارتى متى ومرقس فقرات تماثلها ، لكنها لم تكن فى حديث الوداع . ويذكر يوحنا موضوع غسل أرجل التلاميذ ، والذى يفترض ضمناً شيء من هذا السلوك الذى ظهر هنا ، إلا أنه لم يذكر هذه المشاجرة . إنه لأمر محزن ويسوع قريب من الصليب ، أن يكون أقرب المقربين إليه من تلاميذه بعيداً عن فكره وتواضعه .

٢٤ و ٢٥ : من الجلى أن التلاميذ إعتقدوا أن تأسيس الملكوت أمر وشيك ، وتشاحنوا على المكان الأفضل . ولم يقل لوقا إنهم كانوا يتزاحمون على المركز الأعلى ، إلا أنهم كانوا مهتمين بمن سيفوز به . ولقد وبخهم يسوع بجذب انتباههم إلى كيفية سلوك الأمم (أى الوثنيين وليس شعب الله) . فملوكهم يسودونهم « والمتسلطون » عليهم يعملون على أن يدعوهم الناس « محسنين » . والحق ، أن عدداً من الملوك فى العالم القديم كانوا يسمون أنفسهم « محسنين » فأهل العالم يحبون تقبل المديح لكل ما يعملوه .

٢٦ و ٢٧ : والسلوك المسيحى يناقض ذلك تماماً ، أما بين المسيحيين « فالكبير ليكن كالأصغر » ، بمعنى أن عليه أن يأخذ المكان الأخير . وفى العالم القديم ، كان من المتعارف عليه أن للسن المتقدم احترامه ، والأصغر ، كان بالتحديد « الأدنى » . وبنفس الروح ليكن المتقدم « كالخادم » . وموضوع غسل الأرجل الذى ذكره البشير يوحنا ، كان تصويراً رائعاً لاستعداد يسوع أن يأخذ مكان « الخادم » . لقد عمل يسوع هذا على الرغم من أن له الحق فى أسمى مكان ، والناس عادة يعتبرون مكانة المتكىء أعلى بكثير من مكانة « الخادم » . والأمثلة الثلاثة كلها لكلمة « يخدم » مترجمة عن فعل يقصد به فى المقام الأول خدمة المائدة التى بها من يخدم فى المطعم ، وهكذا جاء الوصف

فى الصميم . وبذا أصبح يعنى الخدمة الأدنى بصفة عامة وهذا هو المقصود هنا . ولا يقول يسوع إنه إذا ما أراد تلاميذه أن يصلوا إلى مراكز عالية فى الكنيسة عليهم أن يثبتوا جدارتهم أولاً فى مركز وضيع . بل يقول إن الخدمة بأمانة فى مركز أدنى ، هى عظمة فى حد ذاتها .

٥ ــ إثنا عشر كرسياً (لو ٢٢ : ٢٨ ــ ٣٠) .

وبالنظر إلى أن طريقاً صعباً ومربكاً ينتظر التلاميذ بدأ يسوع يعمل على تشجيعهم . أولاً ، قال عنهم « أنتم الذين ثبتوا معى فى تجاربى » ، أى أنهم خدموا معه بأمانة إبان المشقات والصعاب التى كان من المحتم أن يواجهها فى إرساليته . فلم ينأوا بأنفسهم عن الصعاب أو المكان الأدنى . ولسوف يتمتعون فى الوقت المناسب بالوليمة المسيانية معه . ويبدو أن هذا هو المعنى فى اللغة اليونانية ، وليس « أجعل لكم ملكوتاً كما جعل لى أبى ملكوتاً » . والملكوت الذى سيسعدون به عُبر عنه بالأحرى بجلوسهم « على كراسى يدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر » ، لأن كلمة « تدينون » تستعمل بكل تأكيد هنا بمعنى « يحكم » (كما فى سفر القضاة) . ويتكلم يسوع عن كل هذه الأمور بصيغة عهد . والفعل « أجعل لكم » ، « كما جعل » كلاهما صيغ تعبر عن الفعل الكتابى المعتاد لإبرام عهد . والمستقبل المجيد الذى يتحدث عنه يسوع إنما هو أمر مؤكد كعهد الرب .

٦ ــ نبوءة عن إنكار بطرس (لو ٢٢ : ٣١ ــ ٣٤) .

البشائر الأربعة كلها تخبرنا أن يسوع تنبأ عن إنكار بطرس ثلاث مرات ، وتبين كيفية حدوث ذلك . ولكن كل حسب أسلوبه . وعلى سبيل المثال يتحدث لوقا وحده عن دور الشيطان فى هذا .

٣١ و ٣٢ : وفى طلب الشيطان كى « يغربلكم » نجد أن الضمير هنا جاء بصيغة الجمع ، ويشمل التلاميذ أجمعين . ويبدو أن الترجمة اليونانية تعنى « أن الشيطان حصل عليكم بطلبه » . وهنا نلمس أن الطلب قد أُجيب . ونستشعر عرضاً أن الشيطان ليس له حقوق هنا . يستطيع أن يطلب ، لكن الله هو الكل فى الكل . والنتيجة أن التجارب والاختبارات التى تواجه أناس الله هى تلك التى سمح بها الله فقط . والتشبيه « يغربلكم كالحنطة » ، ليس

له نظير ، إلا أنه واضح أنه يعنى تجارب شديدة . وثمة مستقبل مضطرب ينتظر الجماعة الصغيرة بصفة عامة ، والرسول بطرس بصفة خاصة . وتكرار يسوع لاسم خادمه ، سمعان سمعان ، يجعل للخطاب أهمية خاصة . ويستطرد يسوع ليؤكد لبطرس أنه قد طلب من أجله (وصيغة المفرد فى الخطاب هنا : من أجلك ، تشير إلى أن طلبة يسوع كانت من أجل بطرس بصفة خاصة) . ونلاحظ أن السيد لم يطلب أن يستثنى خادمه من المتاعب ــ فتحمل الآلام والمشقات هو جزء لا يتجزأ من الحياة المسيحية ــ ونوعية إيمان بطرس فى مثل هذه الظروف أمر له أهميته . لقد أعطى الآن تأكيد بشفاعة قوية لصالحه . ويسوع واثق من النتيجة النهائية ويتحدث عن الوقت « متى رجعت » ، أو ، كما يقول ريو Rieu ، وبعد أن تكون قد راجعت تصرفك ، وبالنسبة لذلك الوقت أعطى بطرس أمراً « ثبت أخوتك » ، لأنه وقد جاز محنة قاسية أصبحت له الخبرة التى تمكنه من أن يكون عوناً للآخرين .

٣٣ و ٣٤ : لم يدرك بطرس خطورة الموقف ولا ضعفه الشخصى . وإذ أخذته موجة من التهور والاندفاع أعلن استعداده أن يموت من أجل يسوع إذا ما اقتضت الظروف . بيد أن يسوع كان يعرف حقيقة بطرس أفضل مما يعرفها بطرس نفسه . وهذه هى المناسبة الوحيدة التى خاطبه فيها يسوع بقوله « يابطرس » . ربما كان يدرك آسفاً ، أنه فى القريب العاجل سيفتقد بطرس صفة الصخرة التى يوحى بها اسمه . تنبأ يسوع بإنكار بطرس المثلث موضحاً عددها ومحدداً وقتها « بصياح الديك » وهذه أمور تفوق الإدراك البشرى .

٧ ــ سيفان (لو ٢٢ : ٣٥ ــ ٣٨) .

ويختم البشير لوقا قصته عن العلية بإشارة غامضة أخرى عن متاعب متوقعة . وهذا القسم الموجز من سمات هذه البشارة .

٣٥ : بدأ يسوع تحذيره بتوضيح التباين ، بين ما هو مزمع أن يحدث ، وبين الأوقات السعيدة فى الأيام السابقة . عندما أرسلهم ليكرزوا ، كانت إمكاناتهم المادية هزيلة (لو ١٠ : ٤ بالمقارنة مع لو ٩ : ٣) ، إلا أن كل ما احتاجوه توفر لهم . ولذلك عندما سألهم ، هل أعوزكم شىء ، قالوا « لا » .

٣٦ و ٣٧ : أما الآن ، فالأمور تتخذ شكلاً مغايراً . تنتظرهم أيام خطيرة

عصبية . والحاجة تتطلب كيساً ومزوداً وسيفاً أيضاً . والبعض مثل إيليس ولنسكى Ellis & Lenski يعتقدون أن المقصود سيف فعلاً ، وليس رمزاً ، بيد أنه من الصعب تقبل هذا المعنى فى ضوء تعليم يسوع بوجه عام ، ورفضه القاطع السماح لبطرس أن يستعمل سيفه (الآية ٥١) . ومثل هذه الاعتبارات أدت بالآخرين (تنسلى مثلاً Tensley) إلى الإعتقاد بأن الكلمات تتضمن نوعاً من السخرية ، بيد أن الإحتمال الأكبر أنها عبارات رمزية . وهذا هو أسلوب يسوع النابض حياة والذى قصد أن يوضح به للتلاميذ أنهم سيواجهون موقفاً تحف به أعنف المخاطر . ونظراً لأن يسوع لم يكن يفكر فى أسلحتهم ، فمن ثم احتاج التلاميذ شجاعة مَنْ يعتبرُ السيف أكثر ضرورة من الثوب ، شجاعة تضحى بالنفيس ولا تتخلى عن النضال . وتابع يسوع حديثه فأخبر التلاميذ أن نبوءة إشعياء (إش ٥٣ : ١٢) ستتحقق عاجلاً . وهذا أمر جدير بالملاحظة كأحد المواضع القليلة فى العهد الجديد الذى يظهر فيه بكل وضوح انطباق ما جاء بذلك الفصل على يسوع . ويرى يسوع فى موته أنه سيكون بين أثمة (يحصى بين أثمة) . وهذا يشير بكل تأكيد إلى أن موته نيابى . إذ سيأخذ مكان الخطاة . ونظراً لأنه سيواجه هذا الوضع الرهيب ، فالتلاميذ سيكونون أيضاً فى موقف خطير . ويوضح ريو Rieu مدى الخطر الذى سيواجهونه مع سيدهم بترجمته الكلمات الأخيرة من هذه الآية « الحقيقة ، أنه بالنسبة لى وكل ما يخص فترة وجودى بالجسد لا بد وأن ينتهى » .

٣٨ : لم يفهم التلاميذ ما رمى إليه يسوع . وتكلموا عن أسلحة هذا العالم الفانى ، وقالوا ليس بحوزتنا إلا « سيفان » . وقول المسيح هذا « يكفى » لا يعنى أن السيفين كافيان ، بل « كفى كلام عن الأسلحة » . وهى طريقة لفض الحديث عن موضوع أساء التلاميذ فهمه وشردوا بأفكارهم ، وتملك اليأس منهم .

جـ ـ ألم الجهاد (لو ٢٢ : ٣٩ ـ ٤٦) .

يحدد لوقا موقع الألم على جبل الزيتون فقط (ويذكر البشيران متى ومرقس أن ذلك كان فى جشيمانى) . وما ذكره البشير لوقا فى هذا الصدد كان موجزاً . وفى حين أن الأناجيل المتشابهة الأخرى تذكر أن يسوع ابتعد قليلاً

وصلى ثلاث مرات . وسجلوا كلمات قالها يسوع بين الصلاة الأولى والثانية ، نجد أن لوقا يوجز القصة ولا يذكر سوى نموذجاً واحداً من صلاة يسوع . بل وما ذكر شيئاً عن اختياره بطرس ويعقوب ويوحنا كي يذهبوا معه . بيد أنه يذكر أقوالاً ينفرد هو بذكرها كما نرى بعد . ويرى جوديت Godet أن هذا الحدث له أهميته الكبيرة ، التى تفرق بين تقديم يسوع نفسه ذبيحة بإرادته ومطلق حريته ، وبين تلك الذبائح الحيوانية التى تساق قسراً ورغم إرادتها ، وفى جتسيمانى لم يتجرع يسوع الكأس ، بل وافق على أن يتجرعها . لقد دارت رحى المعركة الحقيقية .

٣٩ : ولم يشر لوقا إلى ذهاب يسوع إلى بستان اسمه جثسيمانى . وقَصَر قوله على أن يسوع ذهب « إلى جبل الزيتون » . إلا أنه أضاف أن تلك كانت عادته . وواضح أنه على مدار ذلك الأسبوع وربما فى أوقات أخرى كذلك ، كانت عادة يسوع أن يمضى الليل عند سفح هذا الجبل .

٤٠ : تحدث البشيرون الآخرون عن صلوات يسوع الخاصة ، بيد أن البشير لوقا يخبرنا أنه طلب أولاً من التلاميذ أن يصلوا « لكى لا يدخلوا فى تجربة » (بالمقارنة مع الآية ٤٦ ، وفى بشارتى متى ومرقس يأتى هذا الطلب بين الصلاة الأولى والثانية) . وكلمة التجربة هنا قد تعنى تجربة الخطية ، أو ، كما فهمها البعض ، تجربة قاسية ، أو محنة . ويجب على تلاميذ المسيح أن يصلوا حتى يحفظهم الرب فى الحالتين .

٤١ و ٤٢ : صلى يسوع منفرداً . وكانت العادة فى ذلك الحين أن يؤدى الإنسان الصلاة واقفاً يرنو بعينيه صوب السماء (بالمقارنة مع لو ١٨ : ١١ ، ١٣) . بيد أنه فى هذه المناسبة المهيبة الخاصة « جثا » يسوع « على ركبتيه » . وتكشف صلاته عن جزع طبيعى من الموت الرهيب الذى كان ينتظره ، وهكذا طلب من الآب ، إن شاء « أن يجيز » عنه « هذه الكأس » . و« الكأس » فى العهد القديم مرتبطة بالمعاناة وبغضب الرب (بالمقارنة مع مز ١١ : ٦ ، إش ٥١ : ١٧ ، حز ٢٣ : ٣٣) . فلم يكن أمراً هيناً ذاك الذى كان ينتظر يسوع ، إلا أن صلاته تركز على إرادة الآب أكثر من إعفائه من المهمة . وهو يصلى أن تتم إرادة الله ، وقال بكل جلاء « لا إرادتى » . وهذا

لا يعنى أن إرادته تتعارض مع إرادة الآب . بل أن مجرد صلاته هذه ، يظهر أنه ما من تعارض البتة ـ لكنها تأكيد قوى عن رغبته فى أن تسود مشيئة الآب ـ

٤٣ و ٤٤ : تحذف بعض الترجمات هاتين الآيتين كما تضعها RSV فى الهامش لكن لا داعى لهذا الحذف ـ وفى وقت كان البشيرون واثقين فيه من ألوهية سيدهم ، وجد البعض صعوبة من أن يتقبل القول أن ملاكاً جاء يقويه ، ويرون التفصيلات غير العادية عن ألم الجهاد وكأنها تشير إلى أن يسوع هو مجرد إنسان ـ وكان ثمة مبرر كاف لحذف هذه الكلمات لو كان الكاتب قد أضافها ، بيد أنه من الصعوبة حقاً تخيل كاتب فى عهد مبكر يضمن هذه الكلمات فى نص لم ترد فيه أصلاً . بل لقد تأكد لنا صحتها ويجب قبولها . إذاً فى هذه اللحظة الحاسمة دعمت قوة ملائكية قدرات يسوع كإنسان . ونستطيع أن نرى إشارة إلى عمق مشاعره عندما نقرأ عن عرقه الذى كان « كقطرات دم نازلة على الأرض » . وكلمة « جهاد » لم ترد فى العهد الجديد كله إلا فى هذه الآية . لماذا كان يسوع قلقاً متزعجاً على هذا النحو عندما واجه الموت ؟ فى حين أن آخرين ، ممن استلهموا قوتهم من سيدهم واجهوا الموت بكل هدوء ـ ولا يمكن أن تكون مجرد فكرة موت كهذا هى سبب هذه المشاعر العميقة ـ لكن نوعية الموت الذى سيجتازه يسوع هى السبب . ذلك الموت الذى تركه فيه الآب (مر ١٥ : ٣٤) إذ جعله الله خطية لأجلنا (٢كو ٥ : ٢١) .

٤٥ و ٤٦ : وبعد أن عاد يسوع إلى التلاميذ بعد هذه التجربة الأليمة وجدهم « نياماً من الحزن » ، أو « أنهكهم الحزن » كما فى الترجمة الإنجليزية NEB . وربما زاده ألماً أنه فى هذه اللحظة القاسية لم يحس أقرب التلاميذ إليه بمشاعره ، وبما كان يحدث بالقرب منهم حتى أنهم ناموا عوضاً عن الصلاة معه ولأجله . لقد أخفقوا فى هذا الاختبار ، ولذلك يطلب منهم أن يصلوا « لئلا يدخلوا فى تجربة » . وتكرار هذه الوصية (الآية ٤٠) يبين أهميتها . ولسوف تكون هناك اختبارات أخرى ، وعليهم أن يصلوا كى يسلكوا النهج الصحيح فى المرة التالية .

د ـ القبض على يسوع (لو ٢٢ : ٤٧ ـ ٥٤أ) .

وما كتبه لوقا عن القبض على يسوع أقل مما كتبه الآخرون ، إلا أنه مع ذلك يضيف أقوالاً لم يسجلها غيره ، مثل سؤال التلاميذ (الآية ٤٩) ، إبراء الأذن (٥١) ، والإشارة إلى سلطان الظلمة (٥٣) .

٤٧ و ٤٨ : تم القبض على يسوع فور عودته إلى التلاميذ . لقد جاء يهوذا ومعاونوه « بينما » يسوع « يتكلم » . ويكتفى لوقا بذكر « جمع » ، ولم يخبرنا ، مثل متى ومرقس عن علاقتهم بالسنهدريم وعن الأسلحة التى كانوا يحملونها (وهذه ستأتى بعد ذلك) ، ولا عن الرومان الذين كانوا معهم ، كما فعل يوحنا . لأنه اقتصر على النقاط الجوهرية . التى أوضحت ثانية جريمة يهوذا مع تذكيرنا أنه كان « أحد الاثنى عشر » . ويقول لوقا إن هذا التلميذ دنا من يسوع « ليقبله » ، على الرغم من أنه لم يذكر قبلة يهوذا بالفعل . بل وما قال إن هذه كانت العلامة التى أعطاها يهوذا للجند ، ولو أن هذا واضح من تصرف يسوع ، إذ قال « يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الإنسان ؟ » . ولم تكن القبلة تحية غير عادية عندما يتقابل الناس (بالمقارنة مع ١تس ٥ : ٢٦) . وهكذا كانت القبلة وسيلة مناسبة ليهوذا ليبين للجند أيا من بين هذه المجموعة كان يسوع ، وليتأكد أنهم لن يقبضوا بطريق الخطأ على أحد آخر . بيد أن قبلة التحية تعبر عن الصداقة والتقدير ، ولذلك فإن طريقة التسليم والخيانة هذه ، كانت بصفة خاصة تعتبر وسيلة دنيئة بغيضة .

٤٩ و ٥٠ : حاول التلاميذ أن يقاوموا باستعمال السلاح . وعندما رأوا اتجاه الأحداث سألوا يسوع عما إذا كانوا ينزعون إلى استخدام القوة . وكان قد سبق وحدثهم عن حيازة سيوف (٣٦) ، وكانت إجابتهم أنه لديهم سيفين (٣٨) . ولا شك أنه قد نازعتهم هذه الأفكار ومن ثم انتهوا إلى أنهم يجب أن يستخدموا ما لديهم من سيوف . ولم ينتظر أحدهم (ومن بشارة يوحنا ١٨ : ١٠ نعرف أنه بطرس) إجابة هذا السؤال . فاستل سيفه ، وكان غاية ما استطاع عمله هو أنه قطع أذن عبد رئيس الكهنة .

٥١ : وفى الحال منع يسوع مبارزة السيوف هذه ، على الرغم من أن المعنى الحقيقى للكلمات التى استخدمها ليس واضحاً . بل إنه لم تزل الشكوك

حول ما إذا كان يسوع يخاطب التلاميذ أو الجند بقوله (بالمقارنة مع جودسبيد Goodspeed يرى أن الكلمات « دعوا إلى هذا » ومن المفترض أنه قالها لمن جاءوا للقبض عليه) . إلا أن الرأى الأول هو المؤكد تقريباً . فلم يتكلم يسوع مع من جاءوا للقبض عليه حتى الآية (٥٢) ، وكلماته هنا رد على الأعمال التى بدت من التلاميذ وهى قد تعنى « غير مسموح بأكثر من هذا أو كفاكم من هذا » ، أو ربما كان الأفضل « دعوهم يأخذون طريقهم » بحسب NEB . والبعض يفهمون المعنى « دع الأمور تحدث بطريقتها » . وقد لا يكون هذا محتملاً . على أية حال لقد أوضح يسوع أنه لا يريد قتالاً وأثبت هذا بإبرائه الرجل الجريح بلمسة منه . ومعجزة الإبراء هذه لها أهميتها . فبعد ذلك كان يسوع سيخبر بيلاطس أن مملكته ليست « من هذا العالم » (يو ١٨ : ٣٦) ويبين حقيقة أن تلاميذه لم يكونوا يقاومون بقصد القتال . وربما كان تصرف بطرس سيلقى ظلالاً من الشك على كلمات يسوع ، إلا أن معجزة إبراء الأذن المقطوعة محت أثر هذا وأظهرت بما لا يدع مجالاً للشك اهتمام يسوع بالسلام .

٥٢ و ٥٣ : وإذا ما كان « رؤساء الكهنة » قد حضروا شخصياً إلى البستان ، فهذا يعطى دلالة على الأهمية القصوى التى يعلقونها على القبض على يسوع ، إلا أن لوقا ربما كان يقصد بعضاً من كبار الكهنة لأن بعض كبار الكهنة كانوا يمثلون رؤساء الكهنة . و « قواد جند الهيكل » هم رؤساء شرطة الهيكل ، و« الشيوخ » هم أعضاء فى السنهدريم . وربما كان منهم يقلل من أهمية جهودهم بالنسبة لعملية القبض على يسوع ، إلا أن وجودهم يضفى أهمية ووزناً على الإجراءات التى تتخذ . لقد لفت يسوع النظر إلى الأسلحة التى كانوا يحملونها ، والتى كانت فى الواقع تناسب أولئك الذين يطاردون « لصاً » لا واحداً كان معهم « كل يوم فى الهيكل » . وهذه العبارة تلمح إلى أن هناك أمراً خبيثاً وراء هذه العملية التى تجرى فى الخفاء . ويعنى قوله « لم تمدوا على الأيادى » : إنكم لم تحاولوا القبض على » ، ويعزو يسوع تصرفهم على هذا النحو بقوله « هذه ساعتكم وسلطان الظلمة » . و« الساعة » فى الإنجيل الرابع هى الساعة المحتومة ، ساعة الصليب (بالمقارنة مع يو ١٧ : ١) . وهنا يلمح إلى مثل هذا المعنى : وهى تبين أن الشيطان (سلطان الظلمة) متورط فى آلام المسيح (بالمقارنة مع كو ١ : ١٣ ، حيث استُعمل نفس التعبير فى الترجمة

اليونانية ، بالمقارنة أيضاً مع أف ٦ : ١٢) . وفى عملية القبض هذه تجمعت قوى الشر ضد الله . وحسب ترجمة موفات « سلطان الظلمة له طرقه » .

٥٤ أ : وبعد هذا تم القبض على يسوع فوراً . « فأخذوه (الاصطلاح هنا لا يتضمن بالضرورة استخدام القوة) وساقوه إلى بيت رئيس الكهنة . لقد اتخذ هو وليس السلطات الرومانية مبادرة القبض على يسوع ولذا سيق المقبوض عليه إلى بيته .

هـ ـــ إنكار بطرس (لو ٢٢ : ٥٤ ب ـــ ٦٢) .

إنكار بطرس للمسيح ثلاث مرات جاء ذكره فى الأناجيل الأربعة جميعاً . وهنا تبرز بعض المشكلات . على سبيل المثال ، بينما تذكر الأناجيل المتماثلة المرات الثلاث معاً ، نجد أن يوحنا يذكر استجواب حنان ليسوع بين الأول والثانى . ومع ذلك فهذا لا يعنى أكثر من أن الأناجيل المتماثلة أكملت القصة فور بدئها . وما من أحد قال إن الإنكارات الثلاثة تتابعت المرة تلو الأخرى فى الحال ، ولابد أنه كانت هناك فترة بين مرة وأخرى (بالمقارنة مع الآيتين ٥٨ ، ٥٩) . وما من سبب يحول دون حدوث شىء بين هذه الفترات . وثمة مشكلة أخرى وهى أنه بعد المرة الأولى ، قيل إن أناساً آخرين تحدوا بطرس . أما فى بشارة متى فالإنكار الثانى يبدو وأنه جاء بناء على سؤال من جارية أخرى غير الأولى ، وفى بشارة لوقا ذكر أنه رجل . وفى بشارة يوحنا أناس عديدون . وبقليل من التفكير يتبين أنه فى موقف كهذا عندما يوجه سؤال من المحتمل أن يسأل آخرون نفس السؤال وهم يصطلون حول النار . وعندما يتحدث أناس مختلفون عنه يشددون على شهود مختلفين لهذه المأساة .

٥٤ ب ـــ ٥٥ : ويشير بلومر **Plummer** إلى أن الإنجيليين الأربعة خصصوا حيزاً لمحاكمة يسوع أكثر مما فعلوا بالنسبة لصلبه إلا أن ما سجلوه يجيب على أسئلة توضح معنى الصليب . « لماذا حكم السنهدريم على يسوع بالموت ؟ لأنه ادعى أنه ابن الله . ولماذا حكم عليه بيلاطس بالموت ؟ لأنه ادعى أنه ملك اليهود ؟ و لم يذكر أن أحداً من التلاميذ بخلاف بطرس « تبعه » على الرغم من أن يوحنا يخبرنا عن تلميذ آخر كان معروفاً لرئيس الكهنة وهو الذى أدخل بطرس إلى الدار ، والواضح أن تلك الدار كانت دار حنان . أما

لوقا فلم يبين كيف وصل يسوع إلى هناك . بل يتحدث عنه وهو فى وسط مجموعة يصطلون حول النار فى وسط البيت .

٥٦ و ٥٧ : والأناجيل الأربعة تتفق على أن التحدى الأول كان من جارية ، ويضيف يوحنا أنها كانت البوابة ، إذ نظرت إلى بطرس محدقة (فتفرست فيه) : تعنى « تأملته جيداً » ، أى أنها (أمعنت فيه النظر عن قرب) . ثم قالت : « وهذا كان معه » . ومثل هذا التعليق من جارية بسيطة لا يشكل خطراً ماحقاً . ولم نسمع عن أية اتهامات وجهت للتلاميذ ، ولذلك ما من سبب واضح يبين لماذا لم يعترف بطرس أنه كان مع يسوع . بيد أنه كان محاطاً بالأعداء ، وكان مرتاعاً . فاستسهل الأمر وقال : « لست أعرفه » .

٥٨ : ثم جاء التحدى الثانى « بعد قليل » . ولم يبين لوقا مصدره بل اكتفى بالإشارة إلى « آخر » . إلا أن ضمير المذكر وكلمة « يا إنسان » فى إجابة بطرس تبين أن التحدى هذه المرة كان من رجل وقد تعدى ما قالته الجارية بتأكيده أن بطرس كان واحداً « منهم » . ولقد أنكر بطرس هذا .

٥٩ : أما التحدى الثالث فكان أكثرهم خطورة . لقد قيل بثقة أكثر . ويفيد لوقا أن الرجل « أكد » كلامه . وابتدأه بقوله « بالحق ... » وبرهن على كلامه بقوله « لأنه جليلى » . وهذا قد يعنى أن لهجة بطرس كشفته . ويقول يوحنا إن هذا الرجل كان نسيب ذاك الذى قطع بطرس أذنه ، وربما كان ذلك سبباً فى أن الرجل شخص بنظره إلى بطرس وحدقه بنظرة غاضبة أكثر مما فعل الآخرون سواء فى البستان أو فى وسط الدار. وعلى كل كان اتهامه واضحاً .

٦٠ : هكذا أيضاً كان إنكار بطرس واضحاً : من خطابه نعرف أنه كان يتكلم مع رجل ، وأنه أنكر معرفته بكل ما ما كان الرجل يقوله ، وبلغ فى ذلك أقصى درجات الإنكار ، وقد دعمه كما يقول متى ومرقس بسلسلة من الحَلِفْ « وللوقت صاح الديك » .

٦١ و ٦٢ : ولا نعرف أين كان يسوع فى تلك اللحظة . ربما كان فى رواق يطل على الفناء ، أو فى حجرة تطل عليه ، أو قد يكون ماراً به فى

طريقه من دار حنان إلى دار قيافا . وعلى أية حال ، كان فى مكان ما يستطيع منه أن يرى بطرس ولذلك « التفت ونظر إليه » . وينفرد البشير لوقا بذكر هذا ، إلا أنه من الواضح أن تلك النظرة جعلت بطرس يتذكر نبوءة يسوع . ويلفت لوقا نظر قراء إنجيله إلى ما كان يسوع قد قاله حتى لا يكون عندهم أى شك بشأن هذا . لقد كان تأثير الحادث على بطرس مذهلاً : « خرج إلى خارج وبكى بكاء مراً » .

و ــ الاستهزاء بيسوع (لو ٢٢ : ٦٣ ــ ٦٥) .

من الواضح أنهم عهدوا بيسوع إلى مجموعة من الجند كلفوا بحراسته لحين إنعقاد الجلسة الرسمية للسنهدريم . ولذلك انتهزوا الفرصة فى مزاح سمج يسخرون فيه من سجينهم . لقد نما إلى علمهم أنه من المفترض أن يكون نبياً ، لذلك غطوا وجهه وطلبوا منه أن يثبت مواهبه النبوية بتحديد اسم الشخص الذى ضربه ، « الآن ، تنبأ من هو الذى ضربك ؟ » . ولم يذكر لوقا أية تفاصيل أخرى ، بل اقتصر على قوله إنهم لم يكتفوا بضربه بل جدفوا عليه أيضاً .

ز ــ يسوع أمام المجمع (لو ٢٢ : ٦٦ ــ ٧١) .

ليس من السهولة بمكان أن نجمع محاكمة يسوع فى وحدة واحدة ، لأنه ما من بشارة سجلت القصة كاملة . بيد أنه من الواضح أنه كانت هناك مرحلتان رئيسيتان .

أولاً : كان ثمة محاكمة يهودية حكم فيها رئيس الكهنة على يسوع طبقاً للشريعة اليهودية ثم حاولوا الوصول إلى أفضل السبل لحمل السلطات الرومانية على إعدامه . ثم تبعت ذلك محاكمة رومانية أقنع فيها زعماء اليهود بيلاطس أن يحكم على يسوع بالصلب . والمحاكمة اليهودية فى حد ذاتها كانت على مرحلتين أو ثلاثة . وإبان الليل كانت هناك استجوابات غير رسمية أمام حنان (كما قال يوحنا) ، وقيافا (الذى كان معه بعض أعضاء المجمع) وبعد الفجر عقد اجتماع رسمى للمجمع (السنهدريم) . وربما كانت هذه محاولة لإضفاء الشرعية على القرارات التى تبنوها أثناء الليل . وعقد محاكمات ليلية لتهمة

عاقبتها الموت لم يكن أمراً مشروعاً . بل وما كان مشروعاً أيضاً إصدار الحكم ليلاً بعد محاكمة تمت بالنهار . إلا أن رؤساء الكهنة اليهود كانوا فى عجلة ، حتى أنهم استجوبوا يسوع على جناح السرعة فور إلقاء القبض عليه ، رغم أن ذلك كان ليلاً . ولإضفاء الشرعية على هذه العملية عقدوا إجتماعاً إبان النهار استعرضت فيه الإجراءات التى توصلوا إليها ليلاً واعتمدوها . ومع ذلك لم يستوفوا ما هو مطلوب فى مثل هذه الحالات ، لأن الحكم بالإدانة لا يمكن إصداره إلا فى الصباح التالى للمحاكمة (المشنا ، السنهدريم ٤ : ١) ، لكن يبدو أنهم رأوا أن الموضوع يستحق هذا التصرف ، والأناجيل الثلاثة المتشابهة تذكر الإجتماع الصباحى (مت ٢٧ : ١ ،مر ١٥ : ١) . وما ذكره لوقا غاية فى الإيجاز ، فلم يتحدث إلا عن ظهور يسوع أمام المجمع بصفة رسمية .

٦٦ : واستأنف لوقا القصة لما صار النهار ، حيث يستطيع المجمع أن ينعقد بصفة رسمية . وهو يشير إلى السنهدريم بكلمة « مشيخة » ثم يبرز فى حديثه كل من « رؤساء الكهنة والكتبة (رغم أن البعض يقولون إن النص اليونانى يشير إلى ثلاثة أقسام : المجمع : شيوخ اليهود ، رؤساء الكهنة ، ومعلمى الناموس) .

٦٧ ــ ٦٩ : إنه لأمر غريب ألا يوجه اتهام للسجين (يسوع) . وبدلاً من ذلك يستدرج المجلس يسوع كى يصف نفسه أنه هو المسيا . إلا أن الأمر لم يكن بهذه البساطة . وكما قال يسوع « إن قلت لكم لا تصدقون » . ومفهوم يسوع عن نفسه أنه المسيا كان مختلفاً تماماً عن مفهومهم . حتى أنه عزف عن إجابة بسيطة تقتصر على كلمة « نعم » . حيث لم يكونوا يصدقونه حتى لو أعلن لهم حقيقة أمره كما أرادوا . وأضاف قائلاً : « وإن سألت لا تجيبونى » . وفى أكثر من مناسبة وجه إليهم أسئلة عميقة ثاقبة تتعلق بالمسيا ، إلا أنهم لم يجيبوه (لو ٢٠ : ٣ وما بعده ، ٤١ وما بعده) . وإذا ما حاول الآن أن يوضح لهم طبيعة المسيا الحقيقية عن طريق الأسئلة ، فلن يجيبوه ، بل ولن يصدقوه إذا ما أكد لهم هذه الحقائق . وعبارة « منذ الآن » تفيد أن تغييراً وشيك الحدوث وفى كلام مثل أسلوب يوحنا أن تمجيد يسوع قد بدأ (يو ١٢ : ٢٣) . فموته وقيامته وصعوده إلى السماء ، ستغير كل شيء . وربما لأن مناقشة موضوع المسيا لا طائل منه ، تحول يسوع إلى لقبه المحبوب

المفضل « ابن الإنسان » فقال « منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله » . واليمين هو مكان التبجيل والجلوس هو وضع الراحة . لقد انتهى عمله الخلاصى ، ثم احتل المكانة الأسمى . والأناجيل الأخرى تتحدث عن جلوسه عن يمين القوة ، إلا أن إضافة كلمة « الله » فى هذا الإنجيل تجعل التعبير بلا شك مفهوماً بشكل أكبر بالنسبة لقراء الإنجيل من الأمم .

٧٠ : أثارت هذه الكلمات الاهتمام البالغ . فلقد اشترك الجميع فى السؤال التالى . فبينما كانوا سابقاً يطلبون من يسوع أن يقول عما إذا كان هو المسيح ، إلا أنهم الآن يسألونه سؤالاً صريحاً « أفأنت ابن الله ؟ » ، ونظراً لأن الناس يقال عنهم أحياناً إنهم أبناء الله ، لذلك يجب أن نفهم أن التخصيص هنا له أهميته . فهم يسألون إذا كان يسوع يدّعى علاقة ذاتية خاصة بالله ، وإشارته إلى ابن الإنسان وإلى مكانه عن يمين قوة الله بدت لهم وأنها مكانة أعلى مما فهموا أن المسيا سيتبوأها . وبالنسبة لهم كان إدعاؤه أنه المسيا يشكل خطأ . إلا أنه لا يعتبر تجديفاً . إلا أن هذا أمر مختلف . فإجابة يسوع كانت تعنى شيئاً مثل « هذا قولكم لا قولى ، ولكن بما أنكم قلتوه فعلاً ، فلا أنكره » . ويترجم موفات Moffatt « بكل تأكيد أنا هو » ، إلا أن هذا قول محدد للغاية . ينكر إبراهام أن التعبير ترجمة لمصطلح يستخدمه معلمو اليهود ، ولا نستطيع نحن أن نتقبله على أنه تعبير شائع . بيد أن النص يبين أن هذا الرد يجب قبوله على أنه موافقة . والنقطة الأساسية هنا أن مفهوم يسوع لهذا التعبير يختلف عن مفهومهم ، إلا أنه لم ينكره وإجابته تؤكد ذلك .

٧١ : وفيما يختص بالمجمع فإن ذلك أنهى الموضوع . فلم يكن أعضاؤه مهتمين بالصورة التى يفضل يسوع أن يظهر بها ، أو بما تعنيه الكلمات . لقد اعترف بها ، أو أنه على الأقل لم ينكرها . وفى رأيهم أن هذا يدينه . ونظراً لأنه هو الذى قال هذا الكلام فلا يعوزهم شهود على ذلك . لقد سمعوا بأنفسهم .

ح — يسوع أمام بيلاطس (لو ٢٣ : ١ — ٥)

لقد كانت ثمة أهداف عديدة وراء إدانة القادة اليهود للمسيح . لقد اعتبره الفريسيون مجدفاً وكانوا فى غيظ من توبيخه الشديد لريائهم . أما رؤساء

الكهنة ، فما من شك فى أنهم وجدوا أنه وجه ضربة قاصمة لعائداتهم بتطهيره الهيكل . وعلاوة على ذلك أدركوا أن وجوده أمر غير مرغوب فيه من الناحية السياسية : فقد يكون سبباً فى أن يقضى الرومان على القدر الضئيل من الحرية التى يتمتعون بها . ولذا أرادوا إعدامه ، إلا أنه كانت تعوزهم سلطة تنفيذ رغبتهم (يو ١٨ : ٣١) . وواضح أن السلطات الرومانية لا يمكن أن تسمح لشعوب خاضعة لها أن تستغل إجراءاتها القانونية لإعدام مؤيديها ، ولذلك ظلت سلطة توقيع الإعدام من اختصاصات الوالى . وفى القضية التى نحن بصددها ، كانت العقبة ، من وجهة نظر اليهود ، أن التهمة المنسوبة ليسوع هى التجديف ، والإدعاء أنه ابن الله . وهذه لم تكن فى رأى الرومان جريمة تستحق عقوبة الإعدام . ولذلك كان على اليهود تكييف اتهامهم بطريقة تبدو فى نظر الرومان خطيرة . ونجحوا فى ذلك باتهام المسيح بأنه ملك وثائر سياسى .

١ و ٢ : وعمق المشاعر البغيضة التى سيطرت على أعضاء المجمع ظهرت فى أن « كل جهودهم » جاءوا بيسوع إلى بيلاطس . فلم يحضر عدد من المندوبين الممثلين على الرغم من أن التهمة الرسمية بالطبع ستوجه بمعرفة واحد أو اثنين منهم . ولقد تأسس الاتهام على ثلاثة أمور : إنه « يفسد الأمة » (وهى تهمة غريبة غير واضحة وقد تعنى تحريض على الفتنة أو العصيان) ، « ويمنع أن تعطى جزية لقيصر » (بعكس ما جاء فى لو ٢٠ : ٢٥) ، وقوله « إنه مسيح ملك » (على الرغم من أن يسوع رفض استخدام هذا التعبير عند استجوابه فى لو ٢٢ : ٦٧ وما بعده) . والتهمتان الثانية والثالثة خطيرتان . وكان من المتوقع أن تحملا بيلاطس أن يكوّن فكرة سيئة عن أى شخص توجه له إحدى هاتين التهمتين .

٣ : وأول سؤال وجهه بيلاطس ليسوع ورد بنفس صيغته فى البشائر الأربعة ، وفيها كلها جاء التأكيد على الضمير « أنت » . وما قاله اليهود لبيلاطس جعله يكون على أهبة الاستعداد لمواجهة ثائر عنيد ، بيد أن نظرة واحدة ليسوع كانت كافية لتظهر مدى سخف هذه الفكرة وجعلته يعدل عن هذا السؤال السخيف . ومرة ثانية يستعمل يسوع إجابة تعنى موافقة غير مرغوب فيها (انظر التعليق على لو ٢٢ : ٧٠) . لقد كان « ملك اليهود » (وهى نقطة يشدد عليها البشير لوقا) ، وهكذا لم ينفها مباشرة . بيد أنه

لم يكن ملكاً بالمعنى الذى فهمه بيلاطس .

٤ : لقد اختصر لوقا الإجراءات إلى درجة كبيرة ، ولا شك أن بيلاطس وجه له أكثر من سؤال ، إلا أن لوقا أهمل التفصيلات الخاصة بالاستجواب وجاء إلى اللحظة التى أعلن فيها الوالى قراره « لرؤساء الكهنة والجموع » (وهو إعلان عام ، وليس مجرد قول لأولئك الذين جاءوا إليه بيسوع) ، حيث قال : « إنى لا أجد علة فى هذا الإنسان » . أدرك بيلاطس أن سبب مثول يسوع أمامه يرجع إلى حقد اليهود وليس إلى أية جريمة ارتكبها يسوع .

٥ : بيد أن هذا لم يلق قبولاً لدى رؤساء الكهنة ، كانوا « يشددون » ، وهذه إشارة إلى اعتراضاتهم القوية . لقد اشتكوا أن يسوع « يهيج الشعب » ، وهذه أيضاً شكوى أخرى غير محددة . وشددوا على اتساع دائرة نفوذه التى شملت أيضاً « كل اليهودية » ، وكذلك « الجليل » .

ط ــ يسوع أمام هيرودس (لو ٢٣ : ٦ ــ ١٢) .

هذا القسم يتميز به لوقا . ومن الواضح أن بيلاطس لم يكن راغباً أن يفصل فى هذه القضية ، وهذا واضح فى الأناجيل الأربعة جميعاً . لقد أدرك أن الحقد هو الذى دفع اليهود ليطالبوا بموت المسيح . لكنه عرف أيضاً أن السجين لم يرتكب ما يعتبره الرومان سبباً موجباً لهذه العقوبة . ولذلك أراد بيلاطس ألاّ تكون له علاقة بهذا الموضوع . ومن ثم كان الأنسب أن يرسل يسوع إلى هيرودس .

٦ و ٧ : والإشارة إلى « الجليل » ، كبداية نشاطات يسوع كانت القشة التى تعلق بها بيلاطس . ولذلك سأل فوراً عما إذا كان يسوع جليلياً ، وعندما تلقى الإجابة بالإيجاب ، أرسله إلى هيرودس (بالنسبة لهيرودس انظر التعليق على لو ٣ : ١ ، ١٩) . وكانت المحاكمة فى الإمبراطورية الرومانية تعقد فى الجهة التى ارتكبت فيها الجريمة ، على الرغم من أنه يمكن أن تحول إلى المقاطعة التى ينتمى إليها المتهم . وهكذا كان فى استطاعة بيلاطس أن يستمر فى إجراءات المحاكمة . بيد أنها كانت تحية لبقة لهيرودس أن تحول إليه القضية ، وهكذا كان ممكناً من الناحية الإجرائية ، لأنه إذ كان يسوع جليلياً ، فكان بذلك

« من سلطنة هيرودس » . وربما كان هيرودس قد صعد إلى أورشليم للاحتفال بالفصح ، وهذه لحة توقع أن يدخل بها السرور على رعاياه كسباً لرضائهم . وهذا هو سبب تواجده هناك ، مما سهل الاتصال به .

٨ : لقد سر هيرودس ، فقد سبقت يسوع شهرته إلى القصر ، ولكم تمنى أن يرى يسوع (لو ٩ : ٩) . وسبق أيضاً وسمع عن معجزات يسوع . وتمنى أن يرى بنفسه إحداها . ومعجزات المسيح يطلق عليها « آية » فى بشارة يوحنا ، إلا أنه فى الأناجيل المتشابهة يفضل تسميتها « معجزة » . والكلمة تشير عادة إلى أن المعجزات دائماً لها معناها ومغزاها . لكن هيرودس لم يكن يهمه من كل ذلك إلا أن يشهد الناحية الإعجازية الخارقة فحسب .

٩ و ١٠ : لا بد وأن اللقاء كان مخيباً لآمال هيرودس . فلم يجبه يسوع على أسئلته الكثيرة . فماذا كان يسوع يقول لذلك التافه الذى ما كان يسعى إلا ليرى معجزة كنوع من التسلية والإبهار . ولم يسبق ليسوع أبداً أن رفض طلباً لكل من تقدم إليه بقلب سليم . ولم يكن هيرودس من بين هؤلاء . فهو الوحيد الذى لم يقل له يسوع شيئاً البتة . إلا أن « رؤساء الكهنة والكتبة » وجهوا ليسوع اتهامات شديدة ، وسدوا أمام هيرودس كل ثغرة يمكن أن تؤدى به إلى إطلاق سراح يسوع . وبالطبع ، إذا ما استطاعوا أن يحصلوا منه على حكم بإدانة هذا الجليلى يكونون قد حققوا ما رموا إليه .

١١ : إلا أن هيرودس لم يحقق ما كان يرمى إليه بيلاطس ولا ما كان يستهدفه اليهود . فعندما لم يضع أمامه يسوع معجزة غاب اهتمامه بالموضوع ، وانضم إلى عسكره فى السخرية منه (بالمقارنة مع لو ٢٢ : ٦٣ وما بعده) ، ثم أعاده ثانية إلى بيلاطس . فالموضوع لا يهمه فى شىء ولذا تخلى عن حقه فى الحكم فى هذه الدعوى . أما وقد ألبسوا يسوع « لباساً لامعاً » فهذا يعكس الاتهام بأنه ادعى أنه ملك . والصفة « لامعاً » تستعمل دائماً بالنسبة للثياب البيض ، إلا أن هذه لا تشير إلى اللون . وقد يكون المقصود بها هنا ، لباس ملكى مهمل . والسخرية أوضحت أن هيرودس لم يأخذ الإتهام بمحمل الجد . وهذ بحق هو الأمر المفزع فى الموضوع . لم يجد هيرودس ما يعمله سوى السخرية وابن الله ماثل أمامه .

١٢ : وما من شيء عرف عن هذه « العداوة » سوى مانقرأه هنا . فإذا ما كان لها علاقة بالسيادة القضائية ، فإن استعداد بيلاطس أن يترك لهيرودس البت فى هذه الدعوى لا بد وأنها كانت لفتة كريمة من ناحيته . إلا أنه عندما رفض هيرودس الحكم فى القضية ورد التحية كما يقولون ، لم يكن أمام بيلاطس من مفر إلا أن يتصدى للقضية ثانية .

ى ـ الحكم على يسوع (لو ٢٣ : ١٣ ـ ٢٥) .

والآن يبين البشير لوقا كيف أرغم بيلاطس على أن يحكم بالموت على يسوع . إلا أنه يوضح أن هذا كان إلى حد كبير لا يتفق مع رغبته ، لأنه أدرك أن يسوع كان بريئاً . والحقيقة ، قال بيلاطس هذا أربع مرات (لو ٤ : ١٤ ، ١٥ ، ٢٢ بالمقارنة مع يو ١٨ : ٣٨ ، ١٩ : ٤ ، ٦) . لأن الضغوط التى مارسها رؤساء الكهنة لإصدار حكم ضد إنسان برىء وضعت بيلاطس فى ورطة ، وأوضحت البشائر أنه حاول جهده إن يتجنب اتخاذ قرار بهذا الصدد . وقد حاول أن يتركهم يتصرفون فى الموضوع كله بمعرفتهم (يو ١٨ : ٣١) وبعد ذلك أرسله إلى هيرودس (الآية ٧) . ثم حاول أن يجعل اليهود يقبلون أن يكون يسوع هو الأسير الذى يطلق سراحه بمناسبة عيد الفصح (مر ١٥ : ٦) ، ثم عرض أن يؤدبه ويطلقه (الآية ١٦) . بيد أنه رغم كل هذه المحاولات لم يستطع تفادى اتخاذ هذا القرار الخطير.

١٣ و ١٤ : أما وأن بيلاطس قد دعا « رؤساء الكهنة والعظماء والشعب » فهذا يبين أنه كان بصدد إصدار إعلان هام عام . ثم بدأ بتكرار جزء من اتهامهم وقال لهم لقد فحصته « قدامكم » . وهذا يوضح أن لوقا لم يذكر الكثير من تفاصيل التحقيق ويظهر أيضاً أن بيلاطس قد فحص المتهم جيداً ثم وجد يسوع بريئاً .

١٥ : ولم يكن هذا هو الحكم الوحيد . فقد أيده هيرودس ، لأن بيلاطس يقول « لقد رده إلينا »(*) وحسب الترجمة العربية « لأنى أرسلتكم إليه » ، إلا

(*) انظر كتاب الحياة .

أن القراءة الأولى تأتى من مصدر أفضل . ويعتقد بيلاطس أن هيرودس لم يتصرف على هذا النحو ما لم يكن قد اقتنع ببراءة يسوع .

١٦ : أما الإقتراح الخاص بأن يسوع يجب أن يؤدب قبل إطلاق سراحه فيبدو أمراً غريباً . لأنه إذا ما كان بريئاً ، يجب أن يطلق سراحه دون قيد أو شرط . بيد أنه فى القانون الرومانى ، كان المتهم ، فى مثل هذه الحالة ، يضرب ضرباً خفيفاً مع تحذير إدارى بأن يكون أكثر حرص فى المستقبل . وكثير من المفسرين يعتبرون هذا سوطا فى يد جهة الإدارة ، كان يساء استعماله . ومن المعروف أن الكثيرين فقدوا حياتهم نتيجة هذه العقوبة التأديبية البسيطة . إلا أن شيروين وايت A. N. Sherwin white يوضح أن المقصود بذلك عقوبة أخف . ويبدو أن بيلاطس كان بهذا يحاول تهدئة اليهود . فقد اعتقد أنه إذا ما أوقع بيسوع نوعاً من العقوبة القضائية فقد يهدأ اليهود ويقبلون إطلاق سراحه .

١٨ و ١٩ : نجد عدد ١٧ فى بعض المخطوطات ، بيد أنها لم تؤكد بما فيه الكفاية ، ويبدو أنها منقولة من مر ١٥ : ٦ . ومثل هذه الإضافة يمكن قبولها من حقيقة أن الآية (١٨) لا تساير عدد (١٦) بسلاسة ، وربما حاول أحد الكتبة أن يوضح العدد ١٧ بينهما أن يقوى العلاقة بين هاتين الآيتين . ولقد راعى البشير لوقا إلى حد كبير التركيز فيما كتبه . ولا نجد ما يؤيد عادة إطلاق سراح أحد السجناء إلا فى البشائر ، إلا أن مثل هذه العادة كانت موجودة فى أماكن أخرى . وليس ثمة غرابة بشأنها . وعندما تحدث بيلاطس فى أمر إطلاق سراح يسوع صرخوا فى الحال طالبين أن يطلق لهم « باراباس » . (ومعناه : ابن الآب) . لقد أوضحوا منذ البداية أنهم يريدون إطلاق سراح هذا الرجل وليس يسوع . وهذا يرجع ، فى أحد جوانبه ، إلى أن رؤساء الكهنة عرفوا كيف يستغلون ببراعة العدد الصغير نسبياً لأولئك الذين استطاعوا التجمهر حول المحكمة الرومانية ، ومن جانب آخر ، لأن أنصار باراباس استغلوا الفرصة لمحاولة إطلاق سراحه ، وكذلك لم يكن أحد يأخذ على محمل الجد ، فكرة أن يسوع كان مجرماً . والواضح أن باراباس كان عضواً فيما نطلق عليه حركة المقاومة ، وهذا نستخلصه من الإشارة إلى « الفتنة التى حدثت فى المدينة » ولا شك أن « القتل » له علاقة بهذه الانتفاضة (بالمقارنة

مع أع ٣ : ١٤) .

٢٠ و ٢١ : لم يرضخ هيرودس لطلبهم فوراً . إلا أن الجمع رفض اقتراحه وطالبوا بصلب يسوع . وهذه هى أول مرة تظهر فيها هذه الصرخات المشؤومة . وفى كل البشائر لا نجد المطالبة بصلب المسيح إلا بعد أن اقترح بيلاطس إطلاق سراحه كالأسير المفضل فى العيد .

٢٢ : وللمرة « الثالثة » يعلن بيلاطس براءة يسوع (وهذه فى الواقع المرة الرابعة ، لكن الآية ١٥ قد تعتبر إشارة لرأى هيرودس) . ويوضح البشير لوقا بكل جلاء أن بيلاطس لم يكن مقتنعاً ببراءة يسوع فحسب ، بل إنه كرر ذلك أيضاً عدة مرات . وليأسه منهم غالباً عاد ثانية إلى اقتراحه الخاص بتأديبه وإطلاقه وهو ما سبق ووررفضه اليهود (الآية ١٦) .

٢٣ : لقد أصر الغوغاء على موقفهم ، وما أطلقوه من « أصوات عظيمة » يبين أن الأمر بدأ يتطور إلى شغب . ولا بد أنه اتضح لبيلاطس أن الموقف ابتدأ يزداد سوءاً . ونجح الرعاع فى قصدهم .

٢٤ و ٢٥ : ثم أصدر بيلاطس قراره . ويبدأ البشير لوقا حديثه وينهيه بالإشارة إلى اليهود أولاً « طلبتهم » التى منحها لهم بيلاطس ، وأخيراً « لمشيئتهم » التى أسلم بها يسوع . ولا نستطيع إغفال التأكيد على مسئولية اليهود عن موت المسيح . ويكرر البشير لوقا المعلومات التى تفيد أن باراباس كان سجيناً « لأجل فتنة وقتل » ، وبهذا يركز الانتباه على التناقض مع براءة يسوع . وقد يكون فى ذلك أيضاً تلميح إلى موت المسيح عوضاً عن الخطاة . فذاك المتهم بالقتل تم إعفاؤه (بالمقارنة مع لو ٦ : ٣٧) . ومات البرىء عوضاً عنه . وقد نضيف هنا أن لوقا لم يكن فى هذا معادياً للسامية ، بل وما كان يضع أساساً لمعاداتها فى عصرنا هذا . لقد كان يتحدث عن مجموعة صغيرة من الناس أثبت أنهم تسببوا فى موت المسيح . فلم يكن بيلاطس أو الرومان هم الذين طالبوا بموته : بل رؤساء الكهنة اليهود وأتباعهم . بيد أن هذا لا يعنى سوى أن مجموعة واحدة من الناس كانت مذنبة . لم يدن لوقا جنساً بأكمله .

ك ــ صلب المسيح (لو ٢٣ : ٢٦ ــ ٤٩) .

١ ــ سمعان يحمل الصليب (لو ٢٣ : ٢٦) .

كان المحكوم عليه عادة يحمل الصليب إلى مكان الصلب . وبدأ يسوع طريقه إلى الجلجثة حاملاً صليبه (يو ١٩ : ١٧) ، بيد أنه فى الواقع أرهقه ما لاقاه من ضرب وركل وجلد مما كان يسبق عملية الصلب فى العادة . ولذلك ألزم الجند أحد المارة أن يقوم بهذه المهمة . ويخبرنا لوقا أن اسمه « سمعان » وأنه كان من قيروان ، وأنه فى ذلك الوقت كان آتياً من الحقل . وفى موضع آخر نجد أن عائلته كانت معروفة للكنيسة (مر ١٥ : ٢١ وربما رو ١٦ : ١٣) ، ويقال إنه آمن ذلك اليوم بتأثير رؤيته ذاك الذى حمل صليبه .

٢ ــ بنات أورشليم (لو ٢٣ : ٢٧ ــ ٣١) .

لا نجد هذه الواقعة إلا فى بشارة لوقا . وهى توضح مدى المشاعر الطيبة التى كان يبديها الكثيرون تجاه يسوع وخاصة النساء . وعلينا أن نتذكر أن أولئك الذين كانوا يحدثون صخباً وضجة طالبين موت المسيح لم يكونوا بالضرورة عدداً كبيراً . وكانوا يستطيعون التجمهر حول قاعة المحكمة . وكان لا يزال هناك الكثيرون فى أورشليم ممن يقدرون يسوع ونحن نعرف البعض منهم فقط .

٢٧ : وكثيرون أحزنهم ما آلت إليه الأحداث . ويتحدث لوقا عن « جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتى كن يلطمن أيضاً وينحبن عليه . وهذا يعطى الانطباع عن مظاهرة صاخبة من الحزن العميق . ويخص لوقا « النساء » بذكر خاص .

٢٨ : لقد حياهن بعبارة « بنات أورشليم ».ولذلك فسكان المدينة وليس الجليليون الذين أتوا للعيد هم الذين كانت تضمهم هذه المجموعة وفى هذه اللحظة ، وبينما هو ذاهب للموت ، لم يكن يسوع يفكر فى نفسه بل فيهن . لقد كان يطلب توبتهن ، وليس عطفهن . ولم يقل إنه كان من الخطأ أن يحزن عليه ، لكنه كان يفكر بحب وحنو فى تلك المدينة المحكوم عليها بالخراب

وكذلك فى سكانها . وكلماته توجه النسوة إلى أهمية التطلع للمستقبل ، إلى ما بعد اللحظة الحالية ، إلى النتائج المحتمة الناجمة عن خطايا هذه الأمة .

٢٩ و ٣٠ : ولسوف تأتى ضيقات يعتبر خلالها عدم الإنجاب بركة ، بعكس النظرة اليهودية المعتادة إلى الأطفال بوصفهم هبة صالحة من عند الرب (بالمقارنة مع مز ١٢٧ : ٣) . لأنه فى ذلك اليوم سيقاسى الأطفال ألماً وحزناً ، ولذلك من الأفضل والحالة هكذا ألا يكون للإنسان أطفال . وبحسب الكلمات النبوية ، سيطلب الناس الموت ليهربوا من الغضب الآتى (هوشع ١٠ : ٨ بالمقارنة مع رؤ ٦ : ١٦) .

٣١ : وهذه الآية تشبه الأمثال . ولقد اقترحت عدة معان ممكنة لها . فإذا كان يسوع البرىء قد تألم على هذا النحو ، فماذا سيكون مصير اليهود المذنبين ؟ وإذا كان الرومان قد عاملوا بهذا الشكل ـــ واحداً اعترفوا هم أنفسهم أنه برىء . فماذا سيفعلون بمن هو مذنب ؟ وإذا ما كانت هذه معاملة اليهود للمسيح الذى أتى من أجل الخلاص ، فماذا ستكون العقوبة التى يستحقونها لقتله ؟ وإذا ما كان هذا تصرف اليهود قبل أن تصل شرورهم إلى حدها الأقصى فماذا سيكون عليه حالهم عند بلوغهم هذا الحد ؟ وإذا ما كانت الأحداث الحالية قد أثارت حزناً ، فماذا سيكون عليه الحال عندما تحل الكارثة التالية . ولا شىء مستحيل ، بيد أن الاقتراح الأول قد يكون هو المفضل .

٣ ـــ الصلب (لو ٢٣ : ٣٢ ـــ ٣٨) .

ويتحدث البشير لوقا ببساطة شديدة عن صلب المسيح الذى هو أسمى تضحية وأجل عطاء من أجل خلاص البشرية . وعندما يعدم إنسان بهذه الطريقة يعلق على الصليب (الذى قد يكون على شكل الصليب المألوف حالياً أو على أشكال أخرى مثل T , X , Y ، بل وأحياناً على شكل I) ، وذلك بحبال أو مسامير . ولقد سمرت يدا يسوع (يو ٢٠ : ٢٥) ، وربما قدماه أيضاً (بالمقارنة مع لو ٢٤ : ٣٩) ، رغم أن أحداً من الإنجيليين لم يذكر هذا بطريقة قاطعة . وكان ثمة نتوء على شكل القرن يستند عليه المصلوب ، وهو الذى يتحمل معظم الوزن ويوقف تمزق الجلد من الأظافر . والاكتشاف الحديث لرجل صلب فى نفس الوقت الذى صلب فيه يسوع تقريباً أظهر أنه

ربما كانت الساقان تثنيان وتلويان ثم تثبت على الصليب بمسمار واحد خلال العقبين . وثنى الجسم على هذا النحو كان يزيد شدة الألم والعذاب . وعملية الصلب هى فى الحقيقة نوع من الموت المؤلم البطىء . والملاحظ أنه ما من أحد من البشيرين أسهب فى الكتابة عن العذابات التى أحاقت بيسوع . لأن العهد الجديد يركز على مغزى موت المسيح ، لا على شرح الأمور التى تخيفنا وتؤذى مشاعرنا .

٣٢ و ٣٣ : وثمة شخصان آخران صلبا فى نفس الوقت . ولا يذكر البشير لوقا سوى أنهما كانا « مذنبين » . أما البشيران متى ومرقس فيقولان إنهما كانا لصين . ولقد أحضر ثلاثتهم إلى مكان يسمى جمجمة (جلجثة) . وسبب هذا الإسم غير معروف . ويقال عادة إن ذلك راجع إلى شكل التل الذى صلب عليه يسوع ، إلا أنه لا لوقا ولا أى من البشيرين الآخرين تحدث عن تل ، ناهيك عن شكله . والبشيرون الأربعة جميعاً يذكرون أن يسوع صلب بين الاثنين الآخرين ، وقد تكون هذه وسيلة لتوضيح أن يسوع صلب لأنه كان مذنباً نظيرهما (بالمقارنة مع لو ٢٢ : ٣٧) . فقد صلب يسوع بين الأئمة .

٣٤ : وثمة شك يتعلق بالنص بشأن هذه الصلاة . فلا نجدها فى كثير من أفضل المخطوطات ، وبعض النقاد يرون وجوب حذفها لأنها لو كانت أصيلة لما تركت فى النص . وعكس هذا الرأى تبرزه حقيقة أن مخطوطات هامة أخرى تؤيدها . وربما قام النساخ فى العهد المبكر بمحاولة حذف الكلمات اعتقاداً منهم أن الله قد لا يغفر للأمة المذنبة . وأحداث عام ٧٠م بعد ذلك كانت تشير إلى أمور كثيرة عدا الغفران . ومن ثم يجب اعتبار هذه الكلمات أصلية .(*) إنها طبيعة يسوع ذاته التى أملت عليه هذا الاهتمام بأولئك الذين صلبوه . ولم يحد يسوع عن دائرة أولئك الذين يصلى من أجلهم . وقوله « لهم » قد يشير إلى اليهود المسئولين عن صلبه ، بل والرومان الذين نفذوا عملية الصلب (بالمقارنة مع أع ٢ : ٢٣ ، ٣ : ١٧ ، ١٣ : ٢٧ وما بعدها ، ١كو ٢ : ٨) . كان من المتعارف عليه أن تعطى ملابس المصلوب لصالبيه .

(*) الدليل على أصالتها أيضاً ما ردده الشهيد استفانوس عند رجمه أع ٧ : ٦٠ (المحرر) .

وفى هذه المناسبة ، قسمت بالفعل وألقيت قرعة على قميصه (يو ١٩ : ٢٣ وما بعدها ، بالمقارنة مع مز ٢٢ : ١٨) .

٣٥ : ويوضح لوقا أن أغلبية الناس كانوا مجرد متفرجين . فعمليات الإعدام كان يشهدها جمهور كبير ولا شك أن الكثيرين حضروا هذه المرة . إلا أن « الرؤساء » وليس الشعب هم الذين كانوا يسخرون من يسوع (بالمقارنة مع مز ٢٢ : ٦ — ٨) . ولم يكونوا يوجهون كلامهم ليسوع بل كانوا يخاطبون بعضهم بعضاً عندما كانوا يتحدثون عن أعماله الخلاصية . واستخدموا لقبين « مسيح الله » و « مختار الله » . ولم يقم دليل على استعمال يسوع لأى من اللقبين ، ولذا فإن قولهم هذا يشكل لغزاً . بيد أن كلا التعبيرين يشيران إلى نعمة الله . وهى كلمات تبدو مناقضة للادعاء ضد يسوع المعلق على الصليب .

٣٦ و ٣٧ : نقرأ أنه قدم ليسوع خل ممزوج بمرارة لكنه رفضه وكان ذلك عند بداية الصلب (مت ٢٧ : ٣٤ ، مر ١٥ : ٣) ، ثم قدم له « خل » (أو خمر رخيص) قبل موته مباشرة (يو ١٩ : ٢٩) ، إلا أن البشير لوقا يخبرنا أن الجند قدموه له وهم يسخرون منه (بالمقارنة مع مز ٦٩ : ٢١) . لقد نادوا على يسوع قائلين إذا كان هو ملك اليهود فليخلص نفسه .

٣٨ : والبشيرون الأربعة جميعاً يذكرون الكتابة التى وضعت على الصليب . والقصد من هذا الإعلان بيان الجريمة التى من أجلها صلب المذنب . والكتابة التى علقت فوق رأس يسوع ذكرت بصيغ مختلفة فى الأناجيل الأربعة ، بيد أنها بينت أن الكتابة نفسها كانت بثلاث لغات (يو ١٩ : ٢٠) ، ولا نعرف من أى لغة منها ترجم كل بشير من البشيرين الثلاثة . وهذا ليس أمراً غريباً . والواضح أن بيلاطس كان يعلن أن يسوع مات كملك لليهود . وكان بهذا ينتقم من القادة اليهود ويعمل على إذلالهم . بيد أنه كان يعلن أيضاً ، ودون أن يدرى — حقيقة أن يسوع كان ملكاً ، وهو موضوع يعنى الكثير بالنسبة لما يركز عليه البشير لوقا .

٤ — اللص التائب (لو ٢٣ : ٣٩ — ٤٣) .

هذه القصة يتميز بها البشير لوقا ، فى حين أن البشيرين متى ومرقس

يقتصران على ذكر أن اللصين اللذين صلبا مع يسوع شتماه . والبعض يعتقد أن البشيرين يعبران عن تصرف المجرمين دون أن يعرفا أن أحدهما قد تاب وآخرون يعتقدون أن الاثنين شتما يسوع ، ثم تراجع أحدهما وغير موقفه .

٣٩ : وهذا هو الموقف الذى نجده فى الأناجيل المتشابهة الأخرى . لقد سأل هذا اللص « ألست أنت المسيح ؟ » . وسؤاله يفترض أن الإجابة ستكون « نعم » إلا أنه سؤال يتسم بالسخرية المريرة . لقد طلب من يسوع أن يخلصهم جميعاً . دون أن يؤمن أنه فى إمكانه حقاً أن يفعل هذا .

٤٠ و ٤١ : انقلب زمليه عليه . ويعتقد بنجل Bengel أن وضعه وهو معلق على عود الصليب يعانى أقسى الآلام كان له علاقة فى تغيير موقفه ، لأن التغيير نادراً ما يكون على فراش لين وثير . ويمكن فهم سؤاله على أنه يعنى « أليس فى قلبك خشية حتى من الله ؟ » . وربما كان قد عمل أكثر من مجرد خشية الله ، إلا أنه بالنظر إلى المحنة التى يعانيها فمن المؤكد أنه لم يكن ليعمل أقل من ذلك . واللص الذى تجدد أوضح أنهما كليهما عوقبا « بعدل ». لقد انتهكا القانون وأن ما يحيق بهما الآن جزاء مناسب لما ارتكباه . لكن يسوع لم يكن هكذا : « فلم يفعل شيئاً ليس فى محله » . ولا بد أن مثل هذا الاعتراف ببراءة يسوع قد ذاع وانتشر على نطاق واسع .

٤٢ و ٤٣ : ثم تحدث مع يسوع وقال له « اذكرنى » أى اذكرنى حتى النهاية لأن المخطوطات لا تتفق عما إذا كنا نقرأ العبارة « فى ملكوتك » فى مجدك الملكى . « عندما تأتى كملك » . أو « فى ملكوتك : عندما تدخل مملكتك » : عندما تذهب إلى عرشك » . والعبارة السابقة تشير بالأكثر إلى عودة المسيا للعالم منتصراً ، والأخيرة تشير إلى ذهابه من خلال الموت إلى مملكته فى العالم الآخر . وكلا الرأيين تؤيدهما المخطوطات ، وربما كان هناك المزيد مما يقال عن عبارة « فى ملكوتك » . وليس من السهل أن نعرف كيف أدرك اللص التائب حقيقة شخصية يسوع وعمله الخلاصى . بيد أن هذه الكلمات تبين أنه أدرك على الأقل أن الموت ليس هو نهاية كل شيء بالنسبة له وأن وراء الموت يوجد الملكوت . وكلمات يسوع الواثقة المطمئنة أعطته أكثر مما كان يبغيه . فلن يكون له مكان فى الملكوت فحسب فى المستقبل ،

بل إنه سيدخل الفردوس فى نفس اليوم . وكلمته « الحق » تبين أن ما تلاها من كلمات جاءت مؤكدة وهامة (انظر التعليق على لوقا ٤ : ٢٤) . « اليوم » تؤخذ عادة مع ما يسبقها من كلمات ، لكن يبدو وأنه لا مبرر لذلك . فكل العلماء يتفقون فى الغالب على أنها تشير إلى الوجود فى « الفردوس » . وهذه الكلمة الفارسية تعنى « حديقة » استخدمت فى العهد القديم بالنسبة لعدد من الحدائق . واستعمالها الذى له أهمية خاصة كان بالنسبة لجنة عدن . وربما من هذه العبارة جاء استعمالها للإشارة إلى مقر المباركين فى العالم الآتى (بالمقارنة مع ٢ كو ١٢ : ٣ ، رؤ ٢ : ٧) . وتستعمل هنا بنفس المعنى حيث يَعِدُ يسوعُ هذا الرجل بالنعيم المؤكد فى المستقبل القريب ، وهو نعيم مرتبط بالمسيح نفسه (تكون معى) .

٥ ــ موت يسوع (لو ٢٣ : ٤٤ ــ ٤٩) .

ويشدد لوقا فى قصته عن موت يسوع على السلام الذى أحاط بالموقف وأثره على أولئك الذين شاهدوه .

٤٤ و ٤٥ : « والساعة السادسة » كانت ظهراً . وكان النهار مقسماً إلى اثنى عشر قسماً ، تبدأ بالفجر . والساعة تختلف فى الطول فى الأوقات المختلفة من السنة ، لكن الساعة السادسة كانت دائماً منتصف النهار . وطبقاً لما جاء فى بشارة يوحنا ، كانت « نحو الساعة السادسة » ، عندما استعد بيلاطس للحكم عل يسوع (يو ١٩ : ١٤) . ويقول البشير مرقس « وكانت الساعة الثالثة » (مر ١٥ : ٢٥) . ويجب أن نتذكر أن القدماء لم يكونوا بنفس الدقة التى نحن عليها فيما يتعلق بقياسهم للزمن . وكيف يتسنى لهم هذا وهم لا يعرفون ساعات أو آلات تبين الوقت ؟ وكل أوقات اليوم فى الوثائق القديمة ذكرت على وجه التقريب . وبناء على ذلك فقد قصد يوحنا القول إن بيلاطس أصدر حكمه فى وقت متأخر من الصباح ، أى قرب الظهر تقريباً . أما البشير لوقا فيقصد بقوله إن يسوع كان على الصليب عند منتصف النهار تقريباً . وربما يقصد مرقس أن الصلب وقع مبكراً إلى حد ما ، أو أنه قد يعنى أن الصباح أوشك على الانقضاء عندما وقع هذا الحدث . ومن الواضح أن البشيرين لم يكونوا ينقلون عن بعضهم ، إلا أنه ما من اختلاف جوهرى بينهم . ويذهب البشير لوقا إلى القول إنه لمدة ثلاث ساعات « كانت الظلمة

علىَ الأرض كلها » . ولم يبين ما سبب هذه الظلمة ، ولقد أخطأ المفسرون والمترجمون الذين تحدثوا عن كسوف للشمس فهذا أمر غير ممكن والقمر بدر (وهو بالطبع ما يحدد وقت الفصح) . ولا يجب أن نتعجل ونفسر ما كتبه لوقا على هذا النحو . فهو بكل تأكيد يربط الظلمة ، لا بظواهر فلكية ، بل بالأحداث الحزينة التى أدت إلى موت يسوع . وهكذا الحال أيضاً بالنسبة لانشقاق « حجاب الهيكل » وهو الستارة التى كانت تفصل قدس الأقداس عن بقية الهيكل . وكان يرمز إلى الحاجز الذى يفصل بين الله والناس . وتمزق حجاب الهيكل فى هذا الوقت إنما يقدم تعبيراً رمزياً لحقيقة أن موت المسيح فتح الطريق إلى محضر الله (بالمقارنة مع عب ٩ : ٣ ، ٨ ، ١٠ : ١٩ وما بعدها) . وربما كما يعتقد جودت Godet أيضاً أن هذا يلمح إلى أن الهيكل لم يعد بعد مسكناً لله .

٤٦ : وكلمات يسوع الأخيرة تشكل تعبيرات جميلة عن الثقة حيث يستودع روحه فى يد الآب (مز ٣١ : ٥) . ويؤكد البشيران متى ومرقس الطبيعة الرهيبة لموت يسوع من أجل الخطاة بقوله « إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟ » (مت ٢٧ : ٤٦ ، مر ١٥ : ٣٤) ، ولا ينفى لوقا هذا التعبير ، إلا أن ما يريد أن يؤكده هو أنه فى هذه الميتة ، كان يسوع واحداً مع الآب . والكلمة المترجمة « أسلم الروح » ليست العبارة المعتادة التى تقال عن موت إنسان . والواقع أنه لم يقل أحد من البشيرين أن يسوع قد « مات » ، وقد يكون هذا جزءاً من الطريقة التى يوضحون بها حقيقة أنه فى موت المسيح ، كان هناك أمر غير عادى على الإطلاق .

٤٧ : ثم ينتقل لوقا إلى ردود فعل أولئك الذين كانوا مكلفين بتنفيذ حكم الموت على يسوع . فقائد المئة « مجد الله » . وربما يعنى هذا أن ثناءه على يسوع صدر عنه لا شعورياً . كان يسوع « باراً » ، وهذا يعنى أنه كان مقبولاً لدى الله . والمعنى الضمنى هنا هو أن موت البار يجب أن يتفق مع مشيئة الله . وبإدراكه بر يسوع مجد قائد المئة الله . وجاء فى بشارتى متى ومرقس « ابن الله » ، بيد أن المعنى الذى يقصده أحد الرومان باستعماله هذا الاصطلاح عُبر عنه بشكل أفضل بكلمات لوقا . ويعيد بلومر Plummer الصياغة فيقول « لقد كان رجلاً صالحاً ، ومن ثم له كل الحق فى مخاطبة الله بقوله يا أبتاه » .

٤٨ : « الجموع » هم أهل أورشليم الذين لم يكن لهم أى اهتمام بيسوع ، إلا أنهم حضروا لمشاهدة عملية الصلب كنوع من التسلية وحب الاستطلاع ، إلا أن ما شاهدوه ملأ قلوبهم حزناً فرجعوا وهم « يقرعون صدورهم » ألماً وتأثراً . ورأى كثيرون فى هذا مقدمة للتبشير والوعظ الناجح يوم الخمسين حيث آمن ثلاثة آلاف نفس فى هذه المدينة (أع ٢ : ٤١) . ولماذا هذا العدد الكبير ؟ من بين أسباب ذلك أن الكثيرين رجعوا من الصلب منزعجين مهمومين .

٤٩ : ومن العجيب أن لوقا لم يذكر تأثير ذلك على أتباع يسوع . ويقول إن بعضاً منهم كانوا هناك . وبأسلوبه المعتاد يقتصر بصفة خاصة على ذكر بعض الناس . إلا أنه لا يخبرنا سوى أن هؤلاء كانوا « واقفين من بعيد » (ربما استدعى الحذر عدم الاقتراب أكثر من ذلك) ، « ينظرون ذلك » .

ل ــ دفن يسوع (لو ٢٣ : ٥٠ ــ ٥٦) .

تتفق البشائر كلها على أن يوسف الذى من الرامة تصدى لموضوع دفن يسوع . وأن بعض النساء كن معه . ولا نعرف شيئاً عنه بخلاف ما ذكر فى هذا الحدث .

٥٠ و ٥١ : وموقع الرامة ليس معروفاً . ولكن حيث أنه كان ليوسف قبر بالقرب من أورشليم فمن الواضح أنه ترك بلده الأصلى وجاء ليعيش فى العاصمة . وكان عضواً فى السنهدريم (المجمع) ، إلا أن البشير لوقا يوضح أن يوسف لم يوافق على صلب المسيح . وربما كان غائباً ، لأن التصويت كان بالإجماع (لاحظ كلمة « الجميع » فى لو ٢٢ : ٧٠ ، مر ١٤ : ٦٤) . ويشير لوقا إلى صلاحه وبره وإلى أنه كان « ينتظر ملكوت الله » . وربما كان هذا أسلوبه ليعرفنا أن يوسف كان من أتباع المسيح (بالمقارنة مع مت ٢٧ : ٥٧ ، يو ١٩ : ٣٨) .

٥٢ و ٥٣ : وكان يلزم الحصول على موافقة بيلاطس على دفن يسوع . وهذا هو ما فعله يوسف . لقد انزل الجسد من على الصليب ، ولفه « بكتان » (يتحدث يوحنا عن أكفان ، يو ١٩ : ٤٠ ؛ والكفن يغطى كل الجسم) .

وكان القبر « منحوتاً » فى صخر ولم يستعمل من قبل (ولأن المقابر غالية كانت تستعمل بأقصى طاقتها ، والمقابر التى لا تزال موجودة منذ ذلك العهد لها فى الغالب عدة غرف حتى يمكنها أن تستوعب عدة أجساد) . وفى مكان آخر نعرف أن يوسف كان قد أعد هذا القبر لنفسه (مت ٢٧ : ٦٠) .

٥٤ : و« يوم الاستعداد » ، كان يوم الجمعة ، اليوم الذى يعدون فيه للسبت ، ولا يمكن القيام بأى عمل فى السبت ، ونظراً لأن يوم الجمعة كان على وشك الإنتهاء حيث أوشكت الشمس على الغروب ، ويوم السبت أوشك أن ينبلج ، كان لا بد من الإسراع فى عملية الدفن .

٥٥ و ٥٦ : والنساء المؤمنات الجليليات ساعدن فى هذا الأمر حتى النهاية . والعادة عند اليهود هى أن « حنوطاً وأطياباً » كانت توضع مع الجسد ، أما فى هذه المناسبة ، فلم يكن ثمة متسع من الوقت ، والواقع أنه لم يكن ممنوعاً أن تدهن جسداً بالطيب فى العيد . لكن هناك قيود على إعداد الكفن أو القبر أو لنقل الميت أو أى جزء منه . ولذا كان لا بد من الإسراع بعملية الدفن . وضعوا الجسد فى القبر ثم رجعت النساء حيث أقمن وأعددن المواد اللازمة لتكفين يسوع ودهنه على الوجه السليم بعد انقضاء السبت . وأكملن استعداداتهن ، والتزمن بالقانون واسترحن فى السبت . وفى بشارة يوحنا نجد أن الأطياب التى أحضرها نيقوديموس دفنت مع الجسد ، وفى بشارة لوقا نجد أن النساء هن اللواتى أعددن الحنوط والأطياب قبل السبت . وفى بشارة مرقس قمن بشرائها بعد السبت ، فى حين أنه فى بشارة متى لم يرد شىء بشأن الحنوط على الإطلاق . وربما يجب أن نفهم أن كل هذه الأمور تعنى أن عملية الدفن يوم الجمعة كان لا بد وأن تتم بسرعة . وقد استعمل من الحنوط ما كان موجوداً . فقد قامت النساء المخلصات المؤمنات باللازم لاتمام عملية الدفن قبل وبعد السبت .

ثامنا : القيامة

(لو ٢٤ : ١ ــ ٥٣)

لا نجد وصفاً للقيامة فى أى من البشائر الأربعة ، وعلى كل فلم يشهدها أحد . ومع ذلك يتفق الجميع على أهميتها القصوى . وعلى الرغم من الاختلافات المتباينة فى النهج الذى اتبعه كل منهم . وثمة أمور مشتركة بين كل الروايات ، مثل القبر الخالى وعدم تصديق التلاميذ لأخبار القيامة ، وحقيقة أن أول من شهد القيامة هن النساء ، والعدد المحدد لظهورات يسوع بعد القيامة . وحتى وهم يتحدثون عن نفس واقعة الظهور ، نجد أن كل من البشيرين يتحدث عنها بنهجه الذى تميز به (لو ٢٤ : ٣٦ وما بعدها ، يو ٢٠ : ١٩ وما بعدها مثلاً) .

وهذا النهج جعل من الصعب ترتيب ظهورات المسيح فى تتابع مترابط ، وبعض النقاد يقولون إن ظهورات المسيح بحسب رواياتها المختلفة تجعل هذه المحاولة مستحيلة . وهذا غير صحيح بدليل أن أرندت Arndt على سبيل المثال ، توصل إلى توافق ممكن (كما توصل إلى ذلك آخرون أيضاً) . وقد نتقبل النتيجة التى توصل إليها أرندت أو نرفضها ، إلا أنه لا يمكن إنكار حقيقة أنه توصل إلى تتابع يتضمن كل ظهورات المسيح التى ذكرت فى الأناجيل الأربعة . أما الكنز الذى ينسب للبشير لوقا فيتمثل فى قصته العجيبة التى بدأت وقائعها فى الطريق إلى عمواس . وكذلك رواياته الأخرى عن القيامة تتسم بطابعه الخاص وتختلف عما رواه غيره . ومما هو جدير بالذكر أنه يركز على أورشليم ولا يذكر شيئاً عن ظهورات الرب فى الجليل .

أ ــ الظهور للنسوة (لو ٢٤ : ١ ــ ١١) .

١ : لقد كان السبت بالطبع ، هو اليوم السابع ، لذا فإن الأحد هو « أول الأسبوع » . لقد انقضى السبت عند غروب الشمس ، إلا أنه لا يمكن عمل شيء يذكر أثناء ساعات الظلام . ولذلك قامت النساء باكراً عند فجر الأحد وتوجهن إلى القبر « أول الفجر » أما قد أخذن الحنوط معهن ، فهذا يعنى أنهن كن عازمات على إتمام عملية دفن يسوع .

٢ و ٣ : ويخبرنا البشير لوقا أنه أثناء ذهابهن تحدثن عن مشكلة من يدحرج الحجر الكبير عن القبر . إلا أنه عندما وصلن وجدن الحجر « مدحرجاً » بالفعل . وجاء بعد ذلك التلميذ الذى كان يسوع يحبه ، إلا أنه تردد فى الدخول (يو ٢٠ : ٥) ، أما النساء فلم يترددن . ومع ذلك عندما دخلن « لم يجدن جسد الرب » .

٤ : لقد كن « مرتبكات » وما كان هذا الأمر بالغريب . و « الرجلان » اللذان كانا واقفين « بثياب براقة » (بالمقارنة مع أع ١ : ١٠) وكان من الواضح أنهما ملاكان . ويتحدث البشير متى عن ملاك واحد دحرج الحجر وتكلم مع النساء أيضاً . أما البشير مرقس فيشير إلى شاب لابس حلة بيضاء رأته النسوة بعد أن دخلن القبر . ويذكر يوحنا ملاكين بثياب بيض تحدثا مع مريم المجدلية . وواضح أن الكلام كله يدور حول ملائكة . وأحياناً نقرأ عن واحد ، ثم نعود فنقرأ عن اثنين فى موضع آخر ، وليس فى هذا ما يقلقنا . وكما يشير كثير من المفسرين ، أن للمتحدث الرسمى أهمية تفوق زملاءه ، وبذا يُذكر وحدُه غالباً دون الآخرين . كذلك لا يجب أن نقلق عندما نقرأ أن الملاكين كانا جالسين (فى بشارة يوحنا) أو (واقفين) فى بشارة لوقا ، ولا أن أقوالهما ليست متطابقة فى الروايات المختلفة . إن النقد القاسى المغرض المتعنت هو الذى لا يقبل احتمال تغيير الملاكين أوضاعهما ، وما من سبب للقول إنهما لم يتكلما سوى مرة واحدة . بالإضافة إلى ذلك فإن يوحنا يتحدث عنهما فى علاقتهما بحدث مختلف . ولاشك أنه ثمة مشاكل ، إلا أن الأمر الرئيسى الذى توضحه هذه الاختلافات البسيطة هو أن الروايات كانت مستقلة إحداها عن الأخرى . ويمكن أيضاً قول هذا بالنسبة لرؤية الملائكة . فالإدراك الروحى مطلوب ، وربما لم ير كل شهود الرؤية نفس الشيء .

٥ ــ ٧ : كانت النساء خائفات . وكن « منكسات وجوههن إلى الأرض » وهذا ينم عن التوقير فى حضور ملائكة عظام . ولقد سأل الملاكان « لماذا تطلبن الحى بين الأموات » والسؤال المروع إنصب على صميم الموضوع . لا يجب التفكير فى احتمال موت يسوع : ولذلك لا يجب البحث عنه بين الأموات . لقد رفض كثير من النقاد القول « ليس هو ههنا لكنه قام » . بحجة أنه لم يرد فى مخطوطة يونانية هامة وكذلك فى مصادر قليلة

أخرى . وقيل إنه ربما نقل من (مر ١٦ : ٦) والرد على ذلك أنه ورد فى عدد كبير من المخطوطات وخاصة المخطوطة القديمة جداً . وعلاوة على ذلك يبدو أن الآية ٢٣ كانت تشير إليه . وعلى ذلك لا يجب رفضه . بل يجب أن نفهم ما يرمى إليه حتى لو فرض جدلاً أنه لم يكن موجوداً . لقد نبه الملاكان النساء أن هذا يتطابق مع نبوءة يسوع عندما كان فى الجليل حيث قال إنه « يصلب وفى اليوم الثالث يقوم » (بالمقارنة مع لو ٩ : ١٢ ، وهذا التعليم استمر بعد الجليل ، لو ١٧ : ٢٥ ، ١٨ : ٣٢ ومابعده) . ويحذف البشيران متى ومرقس هذا ، إلا أنهما يذكران أن يسوع سيذهب إلى الجليل قبل التلاميذ ، وأنهم سيرونه هناك (وهذا لم يذكره لوقا) . وربما يرجع ذلك إلى أنه لم يكن يعتزم ذكر أى ظهور ليسوع فى الجليل .

٨ و ٩ : لقد تذكرن ، ومن الواضح أن هذا كان — إلى حد ما — وراء إيمانهن . لقد سمعن هذا الكلام ، لكن يسوع كثيراً ما تحدث بأمثال وربما اعتقدن أن هذا الكلام الغريب عن القيامة كان أحد الأمثال . أما الآن فقد أدركن أن يسوع كان يعنى ما يقول بهذا الصدد حرفيا . رجعت النسوة إلى « الأحد عشر » وأعلمنهم بكل ما جرى وكذلك أخبرن « جميع الباقين » . أى جميع أتباع يسوع فى هذه المنطقة .

١٠ : ثم ذكر لوقا أسماء بعض النساء « مريم المجدلية » أول من ظهر لها الرب بعد القيامة (بالمقارنة مع مر ١٦ : ٩) . وقد ذكرت فى كل البشائر الأربعة فى قصة القيامة . وباستثناء ارتباطها بأحداث الصلب والقيامة فلم تذكر إلا هنا وفى لو ٨ : ٢ فقط (انظر التعليق على هذه الآية) . و« مريم أم يعقوب » (مر ١٦ : ١) ، فهى « مريم الأخرى » التى ذكرت فى (مت ٢٨ : ١) . هؤلاء ، والباقيات معهن ، ومن بينهن « سالومة » المذكورة فى (مر ١٦ : ١) أخبرن التلاميذ بما رأين وسمعن .

١١ : ولكن الرسل لم يتأثروا بهذا الكلام واعتقدوا أن القصة نوع من الهذيان . ويوضح لوقا هذا بإضافة « ولم يصدقوهن » . فلم يكن الرسل على شفا الإيمان وينتظرون أقل المبررات حتى ينطلقوا ليعلنوا حقيقة القيامة . بل كانوا متشككين حقاً . وحتى بعد أن أخبرتهم نساء يعرفونهن حق المعرفة وعن

تجربة ، إلا أنهم رغم ذلك لم يؤمنوا . وكان من الواضح أن الأمر يحتاج إلى دليل لا يتطرق إليه شك كى يقنع هؤلاء المتشككين .

ب ــ بطرس عند القبر (لو ٢٤ : ١٢) .

ثمة بعض المصادر وكذلك إحدى الترجمات تحذف هذه الآية ، وليس هناك سبب لحذفها . إلا أن ثمة أسباب يمكن تخمينها . ربما اعتقد بعض من كتبوا الكتاب أن عدم وجود أية إشارة إلى يوحنا يشكل مناقضة للإنجيل الرابع ، أو ربما وجدوا أنه من الصعوبة التوفيق بين هذه الآية والآية (٢٤) . والآية موجودة فى أحسن المراجع الخاصة بهذا النص تقريباً باستثناء مخطوطة Coex Bezae ومخطوطات أخرى تمثل النص الغربى . أما الاقتراح بأنها ملخص سريع للظهور رواه يوحنا فلن يجدى . فإذا ما كان هذا هو أصل الآية فلماذا لا يوجد ذكر للتلميذ المحبوب ، وخاصة وأن هذه القصة تنتهى بإيمانه (يو ٢٠ : ٨) ؟ وفيما يتعلق ببطرس فالأمر المهم هو أنه دخل القبر ، وهو ما لم يذكره لوقا . وعلى صعيد آخر ، يخبرنا البشير لوقا أن بطرس « مضى متعجباً فى نفسه مما كان » (وهذا لم يذكره يوحنا) . وبالنظر إلى هذه الصعاب فيتعذر الاعتقاد أن هذه الآية نقلت عن يوحنا . وإذا لم تكن قد أخذت عنه ، وبالنظر إلى إسنادها الغالب ، يجب قبولها كما هى . فهى تعطينا رد الفعل الذى يتميز به بطرس بالنسبة للأخبار التى جاءت بها النساء . لقد « ركض إلى القبر » ويبدو أن هذا أشير إليه فى الآية ٢٤ . ونظر « الأكفان موضوعة وحدها » ، وهذا ما يبرز حقيقة أن القبر كان خالياً . إلا أن بطرس لم يكن قد آمن بعد بالقيامة لأنه مضى « متعجباً فى نفسه مما كان » . بيد أنه قد تأثر على الأقل . لقد حدث أمر عجيب .

جـ ــ فى الطريق إلى عمواس (لو ٢٤ : ١٣ ــ ٣٥) .

هذه القصة الأخاذة الشائقة هى واحدة من أحب القصص المتعلقة بالقيامة . وثمة أمر يثير الشجون فى واحدة من ظهورات الرب بعد القيامة ، التى اختص بها تلميذين بسيطين غير معروفين . ثم أن القصة ، علاوة على ذلك ، لها جاذبية خاصة حتى إنه البعض يقولون إنه لا بد وأن مصدرها أحد المشتركين فيها ، وربما يكون لوقا نفسه هو التلميذ الذى لم يذكر اسمه . ومع ذلك فآخرون

يرون فى هذا دليلاً فقط على تمكن البشير لوقا من الأساليب الأدبية الفنية .

١٣ و ١٤ : « فى ذلك اليوم » ، عبارة تربط بشكل وثيق هذه القصة بالأحداث الأخرى التى وقعت فى القيامة . ولم يذكر لوقا اسمى التلميذين اللذين يتحدث عنهما ، بل يشير إليهما بقوله « اثنان منهم » . ويحدد موقع عمواس بدقة على بعد ستين غلوة من أورشليم (والغلوة $\frac{3}{4}$ ٦٠٦ قدم) . ولا يمكن معرفة هذا الموقع الآن ، لأن ثمة صعوبات تتعلق بكل ما اقترح فى هذا الشأن ، ولم يحدد لوقا موضوع حديثهما ، لكن عبارة « عن جميع هذه الحوادث » لا بد وأنها تشير إلى قصص القبر الخالى والملائكة .

١٥ و ١٦ : وقد يشير الفعل « اقترب » إلى الإقتراب من أى اتجاه ، بيد أنه نظراً إلى أن التلميذين كانا يتحدثان عن يسوع بصفته من أورشليم (الآية ١٨) ، فالكلمة لا بد وأنها تعنى أنه قد لحق بهما فى الطريق . وفى عدد من المناسبات لم يكن يعرف المسيح المُقام فى بادىء الأمر (مت ٢٨ : ١٧ ، يو ٢٠ : ١٤ ، ٢١ : ٤) . وهذا ما حدث هنا . وفى هذه المناسبة فالمعنى المتضمن هو أن التلاميذ منعوا بطريقة ما من معرفة يسوع . لقد كان تدبيراً إلهياً ألاّ يعرفا يسوع من هو إلا بعد ذلك . وربما يريدنا لوقا أن ندرك ، كما يقترح فورد Ford « إننا لا يمكن أن نعرف يسوع المقام ، على الرغم من سيره معنا ، إلا إذا أراد هو أن يكشف لنا عن نفسه » .

١٧ و ١٨ : وسؤال يسوع عن الموضوع الذى يتكلمان ويتحاوران بشأنه جعلهما يقفان دون حراك « عابسين » . ومن الواضح أنهما كانا متأثرين إلى حد كبير بتطورات الأحداث . « كليوباس » هذه أول مرة يذكر فيها هذا الاسم ، وهو ليس معروفاً لنا إلا من خلال هذه القصة . لقد رأى الأحداث التى يتكلم بشأنها مع زميله كأمور شائعة .. واعتقد أن ذلك الغريب ربما يكون الزائر الوحيد « فى أورشليم الذى لم يعرف هذه الأمور » . ومن الواضح أن هذا كان حديث الجميع فى المدينة الرئيسية فى ذلك الحين .

١٩ و ٢٠ : ورداً على سؤال يسوع « وما هى » أجابا إجابة نيرة رائعة . لقد عرفا يسوع على أنه كان « نبياً » . وكان إدراكهما لحقيقة شخصه القدوس محدوداً . ومع ذلك ، وبما كان فى قلبيهما من رجاء فى الفداء (آية ٢١) ،

فلا بد وأنهما رأياه على وجه أكثر من ذلك . وعلى أية حال فلقد تأثرا بأعماله وأقواله ووصفاها بأنها « مقتدرة » . لقد لمسا قوة الله فى يسوع . ورغم ذلك ، فقد أوضحا أن رؤساء اليهود أسلموه وقتلوه . والملاحظ هنا أن الكلام لم ينصب على الرومان بل « رؤساء الكهنة وحكامنا » الذين أسلموه لقضاء الموت وصلبوه » . والإشارة إلى أنه قد حكم عليه بالموت تشير إلى الرومان ، إلا أن الذنب الرئيسى وضع بحسم على اليهود .

٢١ : كان رجاء التلميذين — وربما نحن أيضاً — يتركز فى أنه « هو المزمع أن يفدى إسرائيل » . لقد أدركا أنه هو المخلص المنتظر . والفداء فى العالم القديم كان يعنى الخلاص بعد دفع الثمن . إنه لأمر غير مفهوم أن يدفع الله ثمناً لأى شخص ، إلا أن التدقيق فى مثل هذه الفقرات يبين أنها قصدت أن تقودنا إلى معرفة أن الله يخلص ، وهو خلاص مكلف (وعلى سبيل المثال قد نتصور أن الله يبذل جهداً عظيماً لصالحه الشخصى) . فحتى صلب المسيح فى الجلجثة ما استطاع إنسان أن يعرف مدى هذا الثمن . بيد أن استعمال مفهوم الفداء يعبر عن ناحية من رجاء إسرائيل وعن يقينية اهتمام الله .

٢٢ — ٢٤ : لقد ركز المسافران على ما عرفاه من النساء ، مثل القبر الخالى ، و « منظر ملائكة » . ولم يذكرا من هم الذين ذهبوا إلى القبر للتأكد من صحة الكلام ، بيد أن صيغة الجمع فى قولهما « قوم من الذين معنا » تبين أنهما كانا يعرفان أن بطرس لم يكن وحده . لقد تم التأكد من صحة ما ذكرته النساء ، ولو فيما يتعلق بالقبر الخالى . إلا أن هذين التلميذين ختما كلامهما بحزن قائلين أما « هو » (وثمة تشديد على هذه الكلمة) « فلم يروه » . ومن الواضح أن أولئك الذين ذهبوا إلى القبر كانوا يرجون أن يروا يسوع . إلا أنهم لم يروه ، وهذا ألقى بظلال من الشك على ما قالته النساء .

٢٥ و ٢٦ : لقد جلب كلامهما عليهما تأنيباً حاداً من ذاك الذى كان يرافقهما . وربما كانت عبارة « أيها الغبيان » قوية إلى حد ما ، والمقصود « يا بطيئا الفهم » . إلا أن الكلمات لم تكن من باب التحية ، وتبين أن التلميذين كانا أقل مما كان يتوقع منهما . وبالمصادفة فإن كلمة « الغبيان » قد تكون أكثر تحديداً مما تتطلبه الترجمة اليونانية ، لأن الاثنين ربما كانا « رجلاً

وزوجته » (بالمقارنة مع لو ١٧ : ٣٤ ، وراجع مذكراتنا عنها) . والبعض اعتقد أن رفيق كليوباس كان لوقا نفسه . وآخرون قالوا إن اسمه كان سيمون . غير أننا فى الواقع لا نستطيع الجزم بشىء . ثم استطرد يسوع ليبين أن جذور المشكلة تكمن فى الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء . فقد تكلموا بكل وضوح ، إلا أن عقل كل من كليوباس ورفيقه لم يستوعب بسرعة ما كانت تعنيه نبوات الكتاب . والكلمة « جميع » قد تكون هامة . فهما بلا شك قد فهما النبوات عن مجد المسيا ، بيد أنه أمر مختلف تماماً أن نستوعب النبوات التى تشير إلى الجانب المظلم فى إرسالية المسيح . وهذا يعنى أن آلام المسيح لم تكن مجرد احتمال ، تكون أو لا تكون ، طبقاً للظروف ، بل كانت أمراً حتمياً . وحيث أنها كانت فى النبوات فمن ثم كان لا بد وأن تتم . فالمسيح ينبغى أن يتألم . إلا أن هذا ليس نهاية المطاف . فقد كان لا بد أيضاً أن « يدخل إلى مجده » . لم يهزم الله . بل انتصر من خلال آلام مسيحه .

٢٧ : بدأ يسوع يقدم درساً منظماً للكتاب . وشَكَّلَ « موسى وجميع الأنبياء » نقطة البداية ، إلا أن يسوع تطرق أيضاً إلى الأمور المختصة به « فى جميع الكتب » . والصورة المتوفرة لنا إنما هى من العهد القديم حيث يشير إلى يسوع فى جميع أجزائه . ولم يعط لوقا أية إشارات عن أية أقسام اختارها الرب ، إلا أنه يجب أن نفهم أن هذا لا يشير إلى مجموعة مختارة لعدد من الأدلة الكتابية ، فالعهد القديم كله به هدف إلهى ثابت . كان المقصود به فى النهاية : الصليب . وفظاعة الخطية واضحة من خلال العهد القديم . وكذلك محبة الله العميقة غير المحدودة . وفى النهاية هذا الترابط الهائل جعل الجلجثة أمراً لا بد منه . وكان للتلميذين أفكار خاطئة عما كان يهدف إليه العهد القديم . وهكذا كانت أفكارهما غير صحيحة فيما يتعلق بالصليب .

٢٨ و ٢٩ : وبينما هما يقتربان من نهاية رحلتهما ظهر أن يسوع كان منطلقاً إلى « مكان أبعد » . ولو لم يلزماه على البقاء ، فما من مبرر يدعو إلى الإعتقاد أنه كان سيمكث معهما . ولا يجب أن نفسر الكلمات كما لو كانت تشير إلى تمثيلية . فلولا الدعوة التى وجهت إليه ما مكث معهما . بيد أنهما كانا قد تأثرا تماماً بعرضه للكتاب ، ولذلك « ألزماه » على البقاء معهما . وقد يعنى هذا فى بيت أحدهما . والبعض شعر أنهم ذهبوا إلى نزل (فندق) ،

بيد أن الدليل الوحيد تمثل فى أن يسوع أخذ المبادرة فى كسر الخبز (آية ٣٠) وهو ما يفعله المضيف عادة . ويبدو هذا بالكادكافياً ،ومن الأرجح أنهم قصدوا منزلاً . أما وأن ذلك كان « نحو المساء » فهذا يعنى أنه كان الوقت الذى يتوقف فيه السفر العادى . فبعد حلول الظلام يكون الترحال صعباً فى ممرات مظلمة . وثمة احتمال أيضاً فى مواجهة خطر من جهة لصوص أو وحوش . والأفضل التوقف عن السفر .

٣٠ و ٣١ : وعند بداية تناول الطعام تصرف يسوع بما هو مألوف طبقاً لعادة اليهود ، على الرغم من أنه جرى العرف على أن يقوم بذلك المضيف وليس الضيف (ومن أجل هذا الإجراء ارجع لملاحظتنا على لو ٩ : ١٦ ، ١٧) . و « الخبز » كان يكسر عادة عند صلاة الشكر قبل تناول وجبة الطعام . والبعض يجد هنا إشارة إلى كسر الخبز فى العشاء الربانى ، بيد أن هذا يبدو أمراً غير محتمل . ولو كان الأمر على هذا النحو لكانت خدمة عجيبة لتناول العشاء الربانى ، حيث تم كسر الخبز فى البداية ، وعلى قدر فهمنا ، لم يستكمل أبداً . وعلى أية حال فإنهما لم يكونا حاضرين فى العشاء الأخير (بالمقارنة مع لو ٢٢ : ١٤ ، مر ١٤ : ١٧) ، ولذلك لا يمكن أن يكونا قد تذكرا ما فعله يسوع عندئذ . وعلاوة على ذلك فما من ذكر للخمر فى هذه الواقعة . ومع ذلك فإن شيئاً ما فى هذا العمل حرك مشاعرهما ، أو أنهما شاهدا الآن أثر المسامير فى يدى يسوع لأول مرة . أو قد يكون ذلك هو الوقت المحدد من الله لهم . وعلى أية حال فقد « عرفاه » وعند ذلك « اختفى عنهما » .

٣٢ : ومعرفة أنهما كانا يسيران مع الرب فسرت لهما ما حدث خلال هذه الرحلة . لقد تذكرا كيف كان قلبهما ملتهباً فيهما . ومعرفة يسوع أثارت فيهما أعمق المشاعر . كانا يتحدثان عن أنه أوضح لهما الكتب : وبعد حديث يسوع اتضحت لهما المعانى المذخرة فى كلمات الكتاب .

٣٣ ـــ ٣٥ : وكان أول ما خطر على بالهما بعد ذلك هو أن يخبرا الآخرين بما حدث . ويبدو أنهما لم يكملا طعامهما ، لأنهما رجعا فى « تلك الساعة » (وتعنى مباشرة وليس خلال ساعة). وسبق أن تعللا بأن الوقت

متأخر كى يلزما يسوع أن يمكث معهما . إلا أن نفس السبب لم يحل دون رجوعهما إلى أورشليم رغم الوقت المتأخر . وهناك فى أورشليم وجدا « الأحد عشر » تلميذا وآخرين معهم . ولم يذكر لوقا من كان هؤلاء . جلسوا يتحدثون بفيض عن أخبار القيامة لأن الرب قد « ظهر لسمعان » (بالمقارنة مع ١كو ١٥ : ٥) . فلم يكونوا على استعداد لتصديق رواية النساء ، إلا أنه بالنسبة لسمعان فقد كان الأمر مختلفاً . فإذا ما قال إنه قد رأى يسوع « فإن الرب قام بالحقيقة » . وهكذا أخبر كليوباس ورفيقه الآخرين عن مصاحبتهم ليسوع فى الطريق ، وكيف عرفاه « عند كسر الخبز » . والطريقة التى عرفاه بها من الواضح أنها تركت فيهما أعمق الإنطباعات .

د ـــ ظهور يسوع للتلاميذ (لو ٢٤ : ٣٦ ـــ ٤٣) .

من الواضح تماماً أن هذا هو نفس الظهور الذى وصف فى يو ٢٠ : ١٩ وما بعدها ، إلا أن الاختلافات بين الروايتين تظهر أنهما حدثان مختلفان . فلم يرد هنا شىء عن أن يسوع « نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس » ، أو الإعلان الخاص بغفران الخطايا أو إمساكها . بيد أن القصتين كلتيهما تشيران إلى وقوعهما يوم القيامة ، وفى كلتيهما سمح يسوع لتلاميذه أن يروا أثر جروحه . وفيهما معاً نجد تحية السلام .

٣٦ : وهذا الحدث وقع بعد عودة التلميذين من عمواس مباشرة . فقد ظهر يسوع « فيما هم يتكلمون بهذا » . ولم يشر لوقا ، مثلما فعل يوحنا إلى « أبواب مغلقة » ، بيد أن هذا ربما يعرف من قوله : « وقف يسوع نفسه فى وسطهم » . فالرب المقام لا تحده حدود كتلك التى تتحكم فى البشر بوجه عام وظهوراته المفاجئة واختفائه تثبت هذه الحقيقة . ووضع التحية « سلام لكم » وقد أسقطتها ترجمة واحدة . وهذه الكلمات موجودة فى كل المخطوطات اليونانية الهامة ما عدا واحدة ، ووجود نفس الكلمات يجعل البعض يعتقدون أن أحد النساخ ربما نقلها من هناك ، وليس هذا مبرراً كافياً لرفضها على ضوء الإسناد الغالب لها . فهى تمثل التحية اليومية العادية .

٣٧ : وليس من الغريب أن التلاميذ « جزعوا » . وعلى كل حال ، فإن ظهور الرب المقام لابد وأنه هزمهم وأرعبهم . أما وأنهم « خافوا » فهو أمر

لم يفسر تماماً . لقد كانوا للتو يخبرون تلميذى عمواس أن « الرب قد قام بالحقيقة » . إلا أن تقبل مثل هذا التصريح بناء على ما يقوله إنسان عن شخص غائب شيء ، وتقبله عند حضوره فجأة ، رغم الأبواب المغلقة شيء آخر . وثمة قليل من الدهشة ، أنهم ظنوا أنهم نظروا روحاً (أى شبحاً) وكان خوفهم هو رد الفعل الطبيعى لهذا الأمر الفائق للطبيعة .

٣٨ ــ ٤٠ : ثم طفق يسوع يهدىء من روع تلاميذه ويطمئنهم . وفى البداية سألهم ما بالكم (مضطربين) . « ولماذا تخطر أفكار فى قلوبكم » . إنه لأمر طيب أن نطرح الشكوك ونبحث عن خلفياتها . ودعوتهم كى يجسوه والإشارة إلى « لحم وعظام » تبين أن جسد يسوع المقام له نواحى طبيعية . أما وأنه « أراهم يديه ورجليه » فقد تمثل دعوة كى يروا أثر جروحه كوسيلة للتأكد أنه هو يسوع نفسه الذى يقف وسطهم . أما وأن يجسوه فلكى يعرفوا أنه ليس شبحاً . والآية (٤٠) فقرة أخرى حذفت من بعض الترجمات على أساس أنها لا توجد فى النص الغربى . وما لم نعترض على ذلك النص فيجب أن نتقبل هذه الكلمات . ولا يمكن أن تكون قد نقلت عن بشارة يوحنا ، لأن قصته تتحدث عن يدى يسوع وجنبه (يو ٢٠:٢٠) ، وهى تشير إلى أن يسوع فعل ما أشارت إليه كلماته وجعل التلاميذ يرون أثر المسامير .

٤١ ــ ٤٣ : والآن ، ثبت للمجموعة الصغيرة أن كل هذه الأمور حلوة لدرجة يصعب تصديقها . ولم يكونوا « مصدقين » من الفرح . ولذلك أدرك يسوع شكوكهم ، فطلب شيئاً من الطعام وأخذ يأكله . وتضيف الترجمة العربية « شيئاً من شهد عسل » إلى « جزء من سمك مشوى » بيد أن هذه عبارة وردت فى المخطوطات عديمة الأهمية ومن ثم يجب رفضها .

هـ ــ إتمام المكتوب (لو ٢٤ : ٤٤ ــ ٤٩) .

إتمام كل ما ورد من نبوءات الكتاب موضوع له أهمية فى بشارة لوقا . فهو يدرك أن الله أوضح هدفه فى تلك الكتابات القديمة ثم بدأ يحقق ما سبق وأعلنه بنفسه . ولم تَقِف مؤامرات الأشرار حائلاً أمام تحقيق مشيئة الله .

٤٤ : وعبارة « هذا هو الكلام الذى كلمتكم به » تعنى هذه الأحداث ، وخاصة القيامة ، التى تمثل تحقق وإتمام الأمور التى قلتها لكم . لقد ضمن

يسوع تعاليمه نبوءات كافية عن الآلام والقيامة حتى لا يفاجأ تلاميذه بما يحدث . ويستطيع القول « وأنا بعد معكم » ، لأن وجوده الآن (وفى مناسبات أخرى كهذه) ، كان أمراً استثنائياً . لأن فترة تجسده المحدودة انتهت ولم يعد يتواجد على الأرض بالجسد . والتقسيم المهيب للكتاب إلى « ناموس موسى والأنبياء والمزامير » ، والأقسام الثلاثة للكتاب المقدس العبرى (التوراه) ، يشير إلى أنه ما من جزء فى الكتاب المقدس إلا ويشهد للمسيح . وهذا هو المكان الوحيد فى العهد الجديد الذى ذكرت فيه هذه الأقسام الثلاثة على هذا النحو من الوضوح .

٤٥ و ٤٦ : وكما كان الحال فى الطريق إلى عمواس ، لقد « فتح ذهنهم » (الآية ٣٢) . وأوضح أن الكتب تشير إلى المسيح الذى يتألم ويقبر ثم يقوم . ويعود البشير لوقا مرة أخرى ويوضح هذه الحقيقة دون أن يخبرنا ما هى الفقرات التى استشهد بها يسوع لإثبات ذلك .

٤٧ و ٤٨ : وفى هذه المناسبة ذهب يسوع إلى أبعد من مجرد بيان إتمام النبوءات الخاصة بآلامه وقيامته . فقد نجم عن أعماله الخلاصية ، إمكانية الكرازة « بالتوبة ومغفرة الخطايا » ، وكثيراً ما يقال إن لوقا لا يرى الصليب كمتمم لعمل الفداء ، ولذلك فهذه الكلمات التى تربط بين الغفران والآلام لها أهميتها . فربما لا يركز لوقا على الفداء بنفس النهج الذى اتبعه بشيرون آخرون من كتاب العهد الجديد ، إلا أن الفداء واضح فى بشارته . وعبارة « باسمه » تربط هذه التوبة والغفران بشخص المسيح وما فعله من أجل البشر . والناس لا يدعون للتوبة على أساس مبادىء عامة ، ولا ليتقبلوا غفراناً فى أى وقت ، فالبشير لوقا يتحدث عما فعله يسوع من أجل البشر ، والخلاص المتاح بواسطته . وشمولية هذه البشارة تتضح فى الإشارة إلى « جميع الأمم » . فليس هو غفراناً زهيداً متاحاً لقلة من الأتقياء ، أو لخلاص أرواح من وطن يعيش ، إنما هو غفران مقدم لكل البشر . والكلمات التالية « مبتدأ من أورشليم » يمكن فهمها لغوياً ، أما بالنسبة لما سبقها أو ما جاء بعدها . فمن الأرجح أن تفهم بالنسبة لما سبقها . وعلى كل لا يوجد اختلاف كبير . يجب أن يكرز بالإنجيل إلى كل الأمم ولا بد من الشهادة ليسوع . وكلا الأمرين يجب أن يؤديهما الناس الذين كانوا فى أورشليم فى ذلك الحين . وهذا هو المكان الذى يجب أن تبدأ

منه شهادتهم ، وهو المكان الذى بدأت منه الكرازة بالإنجيل لجميع الأمم .

٤٩ : إن المسيح المقام له السلطان أن « يرسل » الروح القدس . وسلطانه ليس محدوداً على النحو الذى كان إبان إرساليته فترة تجسده . وتعبير « موعد أبى » هو تعبير غير عادى عن الروح القدس يؤكد مكان الوعد الإلهى فى مجيئه . وليس على التلاميذ أن يحاولوا التبشير بالإنجيل معتمدين على إمكاناتهم الضئيلة ، بل عليهم أن ينتظروا مجىء الروح القدس . والمؤهلات التى سيزودهم بها وصفت بشكل رائع حيث تقدم لنا التلاميذ وقد لبسوا « قوة من الأعالى » . وذكر القوة واضح أمام كلمة « من الأعالى » لتذكيرهم (كما تذكرنا أيضاً) عن مصدر كل قوة حقيقية للكرازة بالإنجيل .

و ــ الصعود (لو ٢٤ : ٥٠ ــ ٥٣) .

وصعود المسيح وصف بشكل أوسع فى كتاب لوقا الثانى (سفر الأعمال ١ : ٩ ــ ١١) . ولقد اكتفى هنا بذكر الحقيقة الرئيسية ويتركنا أمام صورة التلاميذ وهم يسجدون و يسبحون فرحين . وما كتبه بهذا الصدد غاية فى الإيجاز . لقد سبق وكتب البشير لوقا أكثر مما احتوته معظم لفائف البردى . ومن الواضح أنه يسرع لخاتمة هذا السفر . ولم يوضح بالتفصيل ما يقصده بالصعود ، إلا أنه من الصعوبة الاعتقاد أنه ظن أن يسوع صعد رأسياً وتوقف فى السماء مسافة ميل أو اثنين فوق سطح الأرض . بل إنه من الواضح أنه رأى الصعود كحقيقة واقعة ، وكما يقول (مول D . Moule) : يجب أن نكون مستعدين أن نتقبل تاريخية الصعود كما جاءت فى بشارة لوقا بنفس القدر الذى نتقبل به حقيقة ظهورات المسيح بعد القيامة . وكذلك الحال بالنسبة للتجلى . والصعود يختلف اختلافاً جذرياً عن واقعة اختفاء يسوع عن أنظار التلاميذ فى عمواس (لو ٢٤ : ٣١) ، والأحداث المشابهة . وثمة مسحة من الحسم والنهائية هنا . إنها خاتمة حاسمة لأحد الفصول ، وبداية فصل آخر .

إنها خاتمة إنجازات أعمال المسيح إبان تجسده ، والإشارة لتلاميذه أن إرساليته قد أنجزت ، وأن عمله وهو بينهم بالجسد قد وصل إلى نهايته الحاسمة . ولا يمكنهم بعد أن يتوقعوا رؤيته بنفس الطريقة التى رأوه بها فى الماضى . كذلك يرى اللاهوتيون فى الصعود أخذ ناسوت يسوع إلى السماء . والتجسد

لم يكن شيئاً عارضاً زائلاً ، بل هو عمل إلهى له نتائجه الدائمة . ويجادل مول Moule : أنه إذا ما كان الصعود يعنى أخذ بشرية المسيح إلى السماء ، فمعنى هذا أنه معها أيضاً ستؤخذ البشرية التى افتداها ـــ خاصة المسيح ، عند مجيئه . وهو تعبير قوى عن « الفداء » بالنسبة للعالم ، وهو على نقيض مجرد « الهروب » من العالم .

٥٠ و ٥١ : لقد أخذ يسوع زمام المبادرة بالنسبة لتلاميذه « وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا » . وما من إشارة زمنية هنا . والبعض اعتقد أن لوقا يصور الصعود على أنه تم يوم عيد الفصح ـــ ولكن ـــ وبغض النظر عن الصعوبة الكامنة وراء فكرة أن يسوع كان فى هذه الحال سيقود تلاميذه من أورشليم إلى جبل الزيتون فى وقت متأخر من الليل . فلا يجب أن نرى تعارضاً فى كلمات لوقا نفسه فى (أع ١ : ٣) . فهناك نعرف أنه قد انقضت مدة أربعين يوماً بين القيامة والصعود . لقد كانت « بيت عنيا » على سطح جبل الزيتون ، وكان الصعود من مكان ما على هذا الجبل . ويضيف لوقا هذا الحدث بإيجاز شديد . فهو لا يتحدث إلا عن كون المسيح قد انفرد عن التلاميذ فيما يباركهم . وبعض الترجمات تحذف الكلمات « واصعد إلى السماء » والنص الغربى تؤيده فى هذه الناحية مخطوطة واحدة يونانية . بيد أن الكلمات يجب تقبلها إذ تؤيدها غالبية المصادر . وربما سبق حذفها بمعرفة أحد النساخ لرغبته أن يتجنب الانطباع بأن الصعود قد تم فى عيد الفصح . إلا أن الحذف لم يفسر لنا فرح التلاميذ . وهنا لا توجد إشارة إلى الصعود . وتبدو الكلمات وكأنها تشير إلى اختفاء بنفس الطريقة التى ذكرت فى الآية ٣١ .

٥٢ و ٥٣ : وهنا أيضاً يجب أن نتقبل كل المخطوطات اليونانية ما عدا واحدة (النص الغربى مرة أخرى) ونقرأ « فسجدوا له » . مهما كانت أراؤهم بالنسبة لشخص يسوع أثناء تجسده . فقد أقنعتهم الآلام والقيامة . والصعود أنه إله . كان الله الظاهر فى الجسد . وله يحق السجود ، ولقد سجدوا له فعلاً . وكان السجود استجابة لصعوده الإلهى . ومن المثير هنا أن شعورهم فى هذا الوداع الأخير لم يكن شعور حزن بل « فرح عظيم » (بالمقارنة مع يو ١٤ : ٢٨) . لقد أصبحوا يفهمون أكثر مما فى الماضى .

لقد بدأ لوقا بشارته فى الهيكل (لو ١ : ٥) . والآن يختمها والتلاميذ « كل حين فى الهيكل يسبحون ويباركون الله » . إنه لاعتراف مناسب بالنعمة الإلهية التى أظهرها الله بصفة مميزة فى الأحداث التى سردها .



جدول الفقرات المتشابهة

ويهدف هذا الجدول إلى مساعدة القارىء على أن يجد الفقرات المناظرة لإنجيل لوقا فى إنجيلى متى ومرقس ، على أنه يدخل ضمن ذلك فقرات تعالج نفس الموضوع . بيد أنها ليست متناظرة تماماً بالمعنى الحرفى (مت ١ : ١٨ ــ ٢٥ ولو ٢ : ١ ــ ٧ مثلاً) . كما يتيح الجدول للقارىء أيضاً ، وبمجرد نظرة سريعة ، معرفة الفقرات التى انفرد بها إنجيل لوقا علاوة على الوقوف على أوجه الاختلاف أو الاتفاق بين الأحداث الواردة فى لوقا ، وتلك التى جاءت فى متى ومرقس .

	متى	مرقس	لوقا
مقدمة			١:١ ــ ٤
التنبؤ بميلاد يوحنا			٥:١ ــ ٢٥
البشارة بميلاد يسوع			٢٦:١ــ٣٨
زيارة مريم لأليصابات			٣٩:١ــ٤٥
ترنيمة مريم			٤٦:١ــ٥٦
ولادة يوحنا وتسميته			٥٧:١ــ٦٦
تسبحة زكريا			٦٧:١ــ٨٠
ميلاد يسوع	١٨:١ــ٢٥		١:٢ ــ٧
الملائكة والرعاة			٨:٢ ــ ٢٠
الختان			٢١:٢
تقدمة الطفل إلى الهيكل			٢٢:٢ــ٢٤
تسبحة سمعان			٢٥:٢ــ٣٢
نبوءة سمعان			٣٣:٢ــ٣٥
تسبحة حَنَّة			٣٦:٢ــ٣٨
العودة إلى الناصرة			٣٩:٢ــ٤٠
الصبى يسوع فى الهيكل			٤١:٢ــ٥٢
إرسالية يوحنا المعمدان	١:٣ ــ ١٢	٢:١ ــ ٨	١:٣ ــ ٢٠

	متى	مرقس	لوقا
معمودية يسوع	١٧ــ١٣:٣	١١ ــ ٩:١	٢٢ ، ٢١:٣
سلسلة نسب يسوع	١٧ ــ ١:١		٣٨ــ٢٣:٣
تجربة يسوع	١١ ــ ١:٤	١٣ــ١٢:١	١٣ ــ ١:٤
يسوع فى الجليل	١٧ــ١٢:٤	١٥ــ١٤:١	١٥ــ١٤:٤
يسوع فى الناصرة	٥٨ــ٥٣:١٣	٦ ــ ١:٦	٣٠ــ١٦:٤
الرجل الذى به روح نجس		٢٨ــ٢١:١	٣٧ــ٣١:٤
حماة بطرس	١٥ــ١٤:٨	٣١ــ٢٩:١	٣٩ــ٣٨:٤
معجزات شفاء كثيرين	١٧ــ١٦:٨	٣٤ــ٣٢:١	٤١ــ٤٠:٤
جولة تبشيرية	٢٣:٤	٣٩ــ٣٥:١	٤٤ــ٤٢:٤
معجزة صيد السمك الوفير			١١ ــ ١:٥
شفاء الأبرص	٤ ــ ١:٨	٤٥ــ٤٠:١	١٦ــ١٢:٥
شفاء المفلوج	٨ ــ ١:٩	١٢ ــ ١:٢	٢٦ــ١٧:٥
دعوة لاوى	١٣ ــ ٩:٩	١٧ــ١٣:٢	٣٢ــ٢٧:٥
الصوم	١٧ــ١٤:٩	٢٢ــ١٨:٢	٣٩ــ٣٣:٥
رب السبت	٨ ــ ١:١٢	٢٨ــ٢٣:٢	٥ ــ ١:٦
شفاء اليد اليابسة	١٤ ــ ٩:١٢	٦ ــ ١:٣	١١ ــ ٦:٦
اختيار الاثنى عشر	٤ ــ ١:١٠	١٩ــ١٣:٣	١٦ــ١٢:٦
الموعظة فى السهل			
جمهور كثير		١٢ ــ ٧:٣	١٩ــ١٧:٦
التطويبات	١٢ ــ ٣:٥		٢٣ــ٢٠:٦
الويلات			٢٦ــ٢٤:٦
المحبة	٤٨ــ٣٨:٥		٣٦ــ٢٧:٦
دينونة الآخرين	٥ ١:٧	٢٤:٤	٤٢ــ٣٧:٦
الشجرة والثمر	٢٠ــ١٦:٧		٤٥ــ٤٣:٦
وضع الأساس	٣٥:١٢		٤٩ــ٤٦:٦
	٢٧ــ٢١:٧		

	متى	مرقس	لوقا
شفاء عبد قائد المئة	٨: ٥ ـ ١٣		٧: ١ ـ ١٠
إقامة ابن أرملة نايين			٧: ١١ ـ ١٧
أسئلة المعمدان	١١: ٢ ـ ١٩		٧: ١٨ ـ ٣٥
المرأة الخاطئة تدهن يسوع بالطيب			٧: ٣٦ ـ ٥٠
نساء ساعدن يسوع			٨: ١ ـ ٣
مثل الزارع	١٣: ١ ـ ٢٣	٤: ١ ـ ٢٠	٨: ٤ ـ ١٥
السراج والغطاء	٥: ١٥، ١٠: ٢٦	٤: ٢١ ـ ٢٢	٨: ١٦ ـ ١٧
مَنْ له ...	١٣: ١٢، ٢٥: ٢٩	٤: ٢٥	٨: ١٨
أم يسوع وأخوته	١٢: ٤٦ ـ ٥٠	٣: ٣١ ـ ٣٥	٨: ١٩ ـ ٢١
انتهار الريح وإسكاتها	٨: ٢٣ ـ ٢٧	٤: ٣٥ ـ ٤١	٨: ٢٢ ـ ٢٥
مجنون كورة الجدريين	٨: ٢٨ ـ ٣٤	٥: ١ ـ ٢٠	٨: ٢٦ ـ ٣٩
ابنة يايرس	٩: ١٨ ـ ٢٦	٥: ٢١ ـ ٤٣	٨: ٤٠ ـ ٥٦
إرسالية الاثنى عشر	١٠: ١ ـ ١٥	٦: ٧ ـ ١٣	٩: ١، ٦
هيرودس رئيس الربع	١٤: ١ ـ ٢	٦: ١٤ ـ ١٦	٩: ٧ ـ ٩
إشباع الخمسة آلاف	١٤: ١٣ ـ ٢١	٦: ٣٠ ـ ٤٤	٩: ١٠ ـ ١٧
اعتراف بطرس	١٦: ١٣ ـ ١٩	٨: ٢٧ ـ ٢٩	٩: ١٨ ـ ٢٠
نبوءة عن آلام المسيح	١٦: ٢٠ ـ ٢٣	٨: ٣٠ ـ ٣٣	٩: ٢١ ـ ٢٢
حمل الصليب	١٦: ٢٤ ـ ٢٨	٨: ٣٤ ـ ٩: ١	٩: ٢٣ ـ ٢٧
التجلي	١٧: ١ ـ ٩	٩: ٢ ـ ١٠	٩: ٢٨ ـ ٣٦
الصبي الذى به روح نجس	١٧: ١٤ ـ ٢١	٩: ١٤ ـ ٢٩	٩: ٣٧ ـ ٤٣أ
نبوءة أخرى عن آلام المسيح	١٧: ٢٢ ـ ٢٣	٩: ٣٠ ـ ٣٢	٩: ٤٣ ب ـ ٤٥

	متى	مرقس	لوقا
التلاميذ وفكر الكبرياء	١٨: ١ـــ٥	٩: ٣٣ـــ٣٧	٩: ٤٦ـــ٤٨
غريب يخرج الشياطين		٩: ٣٨ـــ٤١	٩: ٤٩ـــ٥٠
أهل السامرة يرفضون يسوع			٩: ٥١ـــ٥٦
من كل القلب	٨: ١٨ـــ٢٢		٩: ٥٧ـــ٦٢
إرسالية السبعين			١٠: ١ـــ١٢
دينونة لمدن الجليل	١١: ٢١ـــ٢٤		١٠: ١٣ـــ١٦
عودة السبعين			١٠: ١٧ـــ٢٠
تهلل يسوع	١١: ٢٥ـــ٢٧		١٠: ٢١ـــ٢٤
مثل السامرى الصالح			١٠: ٢٥ـــ٣٧
مرثا ومريم			١٠: ٣٨ـــ٤٢
الصلاة الربانية	٦: ٩ـــ١٣		١١: ١ـــ٤
مثل صديق نصف الليل			١١: ٥ـــ٨
السؤال والعطاء	٧: ٧ـــ١١		١١: ٩ـــ١٣
جدل بشأن بعلزبول رئيس الشياطين	١٢: ٢٢ـــ٣٠	٣: ٢٢ـــ٢٧	١١: ١٤ـــ٢٣
عودة الروح الشرير	١٢: ٤٣ـــ٤٥		١١: ٢٤ـــ٢٦
الطوبى الحقيقية			١١: ٢٧ـــ٢٨
آية يونان	١٢: ٣٨ـــ٤٢	٨: ١١ـــ١٢	١١: ٢٩ـــ٣٢
النور الذى فيك	٥: ١٥، ٦: ٢٢ـــ٢٣	٤: ٢١	١١: ٣٣ـــ٣٦
الطهارة الحقيقية			١١: ٣٧ـــ٤١
حديث عن الفريسيين والناموسيين			
ويل للفريسيين	٢٣: ٦ـــ٧، ٢٣، ٢٧		١١: ٤٢ـــ٤٤
ويل للناموسيين	٢٣: ٤، ١٣، ٢٩ـــ٣٦		١١: ٤٥ـــ٥٤

	متى	مرقس	لوقا
خمير الفريسيين	١٠: ٢٦ ، ٢٧ ١٦: ٥،٦	٨: ١٤ـ١٥	١٢: ١ ـ ٣
كن مستعداً للدينونة	١٠: ٢٨ـ٣٣، ١٩: ٢٠، ١٢: ٣١ـ٣٢	٣: ٢٨ـ٣٠	١٢: ٤ ـ ١٢
مثل الغنى الغبى			١٢: ١٣ـ٢١
اطلبوا الملكوت	٦: ٢٥ـ٣٣، ١٩: ٢١		١٢: ٢٢ـ٣٤
مجىء ابن الانسان	٢٤: ٤٢ـ٤٤		١٢: ٣٥ـ٤٠
مسئولية العبيد	٢٤: ٤٥ـ٥١		١٢: ٤١ـ٤٨
نار على الأرض	١٠: ٣٤ـ٣٦		١٢: ٤٩ـ٥٣
علامات الأزمنة	١٦: ١ ـ ٣ ٥: ٢٥،٢٦		١٢: ٥٤ـ٥٩
التوبة			١٣: ١ ـ ٥
شجرة التين اليابسة			١٣: ٦ ـ ٩
شفاء المرأة المنحنية			١٣: ١٠ـ١٧
مثل حبة الخردل	١٣: ٣١ـ٣٢	٤: ٣٠ـ٣٢	١٣: ١٨ـ١٩
مثل الخميرة	١٣: ٣٣		١٣: ٢٠ـ٢١
من هم الذين يخلصون			١٣: ٢٢ـ٣٠
ذلك الثعلب هيرودس			١٣: ٣١ـ٣٣
رثاء أورشليم	٢٣: ٣٧ـ٣٩		١٣: ٣٤ـ٣٥
الرجل المستسق			١٤: ١ ـ ٦
الدعوة إلى الوليمة			١٤: ٧ ـ ١٤
مثل الإعتذارات	٢٥: ١ ـ ١٤		١٤: ١٥ـ٢٤
تكلفة التلمذة ليسوع	١٠: ٣٧ـ٣٨		١٤: ٢٥ـ٣٣
مثل الملح	٥: ١٣	٩: ٤٩ـ٥٠	١٤: ٣٤ـ٣٥

	متى	مرقس	لوقا
مثل الخروف الضال	١٢:١٨ـ١٣		١:١٥ ـ ٧
مثل الدرهم المفقود			٨:١٥ ـ ١٠
مثل الابن الضال			١١:١٥ـ٣٢
مثل وكيل الظلم			١:١٦ ـ ٩
الله والمال			١٠:١٦ـ١٣
الفريسيون محبو المال			١٤:١٦ـ١٥
الناموس والأنبياء	١٢:١١ـ١٣		١٦:١٦ـ١٧
	١٨: ٥		
الطلاق	٩:١٩	١١:١٠ـ١٢	١٨:١٦
مثل الغني ولعازر			١٩:١٦ـ٣١
مسامحة الآخرين	٦:١٨ـ٧،١٥		١:١٧ ـ ٤
	٢١ ومابعدها		
	٤٢:٩		
الإيمان	٢٠:١٧	٢٣:١١	٥:١٧ ـ ٦
العبيد البطالون			٧:١٧ ـ ١٠
العشرة البرص			١١:١٧ـ١٩
مجيء الملكوت	٢٣:٢٤ـ٤١		٢٠:١٧ـ٣٧
مثل قاضي الظلم			١:١٨ ـ ٨
مثل الفريسي والعشار			٩:١٨ ـ ١٤
يسوع والأطفال	١٣:١٩ـ١٥	١٣:١٠ـ١٦	١٥:١٨ـ١٧
الرئيس الشاب الغني	١٦:١٩ـ٣٠	١٧:١٠ـ٣١	١٨:١٨ـ٣٠
نبوءة أخرى عن آلام المسيح	١٧:٢٠ـ١٩	٣٢:١٠ـ٣٤	٣١:١٨ـ٣٤
شفاء الأعمى	٢٩:٢٠ـ٣٤	٤٦:١٠ـ٥٢	٣٥:١٨ـ٤٣
زكا			١:١٩ ـ ١٠
مثل الوزنات	١٤:٢٥ـ٣٠		١١:١٩ـ٢٧
دخول يسوع أورشليم منتصرا	١:٢١ ـ ٩	١:١١ ـ ١٠	٢٨:١٩ـ٤٠

	متى	مرقس	لوقا
البكاء على أورشليم			١٩:٤١ـ٤٤
تطهير الهيكل	٢١:١٢ـ١٧	١١:١٥ـ١٧	١٩:٤٥ـ٤٦
التعليم فى الهيكل		١١:١٨ـ١٩	١٩:٤٧ـ٤٨
سلطان يسوع	٢١:٢٣ـ٢٧	١١:٢٧ـ٣٣	٢٠:١ـ٨
مثل الكرامين الأردياء	٢١:٣٣ـ٤٤	١٢:١ـ١٢	٢٠:٩ـ١٨
الجزية لقيصر	٢٢:١٥ـ٢٢	١٢:١٣ـ١٧	٢٠:١٩ـ٢٦
السبعة إخوة	٢٢:٢٣ـ٣٣	١٢:١٨ـ٢٧	٢٠:٢٧ـ٤٠
ابن داود	٢٢:٤١ـ٤٦	١٢:٣٥ـ٣٧	٢٠:٤١ـ٤٤
تحذير من الكتبة	٢٣:١ـ٧	١٢:٣٨ـ٤٠	٢٠:٤٥ـ٤٧
تقدمة الأرملة		١٢:٤١ـ٤٤	٢١:١ـ٤
حديث عن الأخرويات	٢٤:١ـ٣٤	١٣:١ـ٣٧	٢١:٥ـ٣٦
تعليم فى الهيكل			٢١:٣٧ـ٣٨
خيانة يهوذا	٢٦:١ـ٥، ١٤ـ١٦	١٤:١ـ٢، ١٠ـ١١	٢٢:١ـ٦
الإعداد للفصح	٢٦:١٧ـ١٩	١٤:١٢ـ١٦	٢٢:٧ـ١٣
العشاء الأخير	٢٦:٢٦ـ٢٩	١٤:٢٢ـ٢٥	٢٢:١٤ـ٢٠
نبوءة عن خيانة يهوذا	٢٦:٢١ـ٢٥	١٤:١٨ـ٢١	٢٢:٢١ـ٢٣
مشاجرة .. من يكون الأكبر ؟	٢٠:٢٤ـ٢٨	١٠:٤١ـ٤٥	٢٢:٢٤ـ٢٧
اثنا عشر عرشاً (كرسياً)	١٩:٢٨		٢٢:٢٨ـ٣٠
نبوءة عن إنكار بطرس	٢٦:٣١ـ٣٥	١٤:٢٧ـ٣١	٢٢:٣١ـ٣٤
سيفان			٢٢:٣٥ـ٣٨
ألم الجهاد	٢٦:٣٦ـ٤٦	١٤:٣٢ـ٤٢	٢٢:٣٩ـ٤٦
القبض على يسوع	٢٦:٤٧ـ٥٧	١٤:٤٣ـ٥٣	٢٢:٤٧ـ٥٤أ
إنكارات بطرس	٢٦:٥٨، ٦٩ـ٧٥	١٤:٥٤، ٦٦ـ٧٢	٢٢:٥٤ب ـ ٦٢

	متى	مرقس	لوقا
الاستهزاء بيسوع	٢٦:٦٧ـــ٦٨	١٤:٦٥	٢٢:٦٣ـــ٦٥
يسوع أمام المجمع	٢٦:٥٩ـــ٦٦	١٤:٥٣ـــ٦٤	٢٢:٦٦ـــ٧١
يسوع أمام بيلاطس	٢٧:١ ـــ٢ ١١ـــ١٤	١٥:١ ـــ٥	٢٣:١ ـــ٥
يسوع أمام هيرودس			٢٣:٦ ـــ١٢
الحكم على يسوع	٢٧:١٥ـــ٢٦	١٥:٦ ـــ١٥	٢٣:١٣ـــ٢٥
سمعان القيروانى يحمل الصليب	٢٧:٣٢	١٥:٢١	٢٣:٢٦
بنات أورشليم			٢٣:٢٧ـــ٣١
صلب يسوع	٢٧:٣٣ـــ٣٧	١٥:٢٢ـــ٢٦	٢٣:٣٢ـــ٣٨
اللص التائب	٢٧:٤٤	١٥:٣٢ ب	٢٣:٣٩ـــ٤٣
موت يسوع	٢٧:٤٥ـــ٥٦	١٥:٣٣ـــ٤١	٢٣:٤٤ـــ٤٩
دفن يسوع	٢٧:٥٧ـــ٦١	١٥:٤٢ـــ٤٧	٢٣:٥٠ـــ٥٦
النسوة عند القبر	٢٨:١ ـــ٨	١٦:١ ـــ٨	٢٤:١ ـــ١١
بطرس عند القبر			٢٤:١٢
فى الطريق إلى عمواس			٢٤:١٣ـــ٣٥
ظهور يسوع للتلاميذ			٢٤:٣٦ـــ٤٣
إتمام المكتوب			٢٤:٤٤ـــ٤٩
الصعود			٢٤:٥٠ـــ٥٣



هـذا الكتـاب :

الهدف من اصدار هذه السلسلة « التفسير الحديث للكتاب المقدس » هو مساعدة قارىء الكتاب المقدس على فهم معنى النص الكتابى ودلالته .

ولكل سفر مقدمة خاصة مختصرة لكنها عبارة عن معالجة عميقة للتعرف على كاتب السفر وزمن كتابته . وهى معلومات تفيد القارىء حتى يعرف غرض السفر والجو العام له .

وهذا الكتاب تفسير قيم للدارسين والمدرسين الذين يبحثون عن معالجة علمية للموضوعات الأساسية التى تربط البحوث العلمية المتعمقة بالنص الكتابى .

وهذا المرجع يقدم تفسيراً لكل مقطع من مقاطع السفر على حدة مع تبويب هذه الأجزاء ووضع عناوين لكل جزء .

كما يقدم تفسيراً لكل آية ويواجه مشكلات التفسير ولا يتهرب منها . كما أنه يحتوى على مذكرات إضافية تقدم مناقشات أوفى لبعض المشكلات الهامة بهدف التعمق فى الدراسة للوصول إلى المعنى الحقيقى للنص الكتابى وتوضيح رسالته لنا .



١٠١٠٠٦٦٣